كتاب المغازي

للواقدي

محمد بن عمر بن واقد المتوفي سنة ٢٠٧ هـ

تحقيق

الدكتور مارسدن جونس

الجزء الثاني

عالم الكتب

كتاب المغازي
للواقدي

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت ـ المزرعة بناية الايمان ـ الطابق الأول ـ ص . ب . ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ ـ ٣١٥١٤٢ ـ ٣١٣٨٥٩ ـ برقياً : نابعلبكي ـ تلكس : ٢٣٣٩٠

الطبعة الثالثة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

ذكر ما كان من أمر ابن أُبَىّ

قالوا : فبينا المسلمون على ماءِ المُرَيْسِيع قد انقطعت الحرب ، وهو ماءٌ ظَنُون[1] ، إنما يخرج فى الدَّلْو نصفه ، أقبل سِنان بن وَبَر الجُهَنىّ ـ وهو حليفٌ فى بنى سالم ـ ومعه فتيان من بنى سالم يستقون ، فيجدون على الماء جمعاً من العسكر من المهاجرين والأنصار ؛ وكان جَهْجا[2] بن سَعيد الغِفارىّ أجيرًا لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فأدلى سِنان وأدلى جَهْجا دلْوه ، وكان جَهْجا أقرب السقاء إلى سِنان بن وَبَر ، فالتبست دلْو سِنان ودلْو جَهْجا ، فخرجت إحدى الدَّلْوَيْن وهى دَلْو سِنان بن وَبَر . قال سِنان : فقلتُ : دَلْوِى . فقال جَهْجا : واللهِ ، ما هى إلّا دَلْوِى . فتنازعا إلى أن رفع جَهْجا يده فضرب سِناناً فسال الدم ، فنادى : يا آل خَزْرَج[3] ! وثارت الرجال . قال سِنان : وأعجزنى جَهْجا هرباً وأعجز أصحابى ، وجعل يُنادى فى العسكر : يا آل قُرَيش ! يا آل كِنانة ! فأقبلت إليه قُرَيْشٌ سِراعاً . قال سِنان : فلمّا رأيت ما رأيت ناديت بالأنصار . قال : فأقبلت الأوس والخَزْرج ، وشهروا السلاح حتى خشيتُ أن تكون فِتْنَةٌ عظيمة ، حتى جاءنى ناسٌ من المهاجرين يقولون : اترك حقّك !

[قال سِنان] : وإذا ضربته لم يضررنى شيئاً . قال سِنان : فجعلت لا أستطيع أفتات على حلفائى بالعفو لكلام المهاجرين ، وقومى يأبون أن

(١) الماء الظنون : أى القليل . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٥٨) .

(٢) هكذا فى النسخ ؛ ويقال أيضاً جهجاه ، كما ذكر ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٢٦٨) .

(٣) فى ب : « يا للخزرج » .

أَعفو إلَّا بأَمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَو أَقتصّ من جَهْجا . ثم إنّ المهاجرين كلّموا حلفائى ، فكلّموا عبادة بن الصامت وناساً من حلفائى ، فكلّمنى حلفائى فتركتُ ذلك ولم أَرفعه إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وكان ابن أُبَىّ جالساً فى عشرة من المنافقين : ابن أُبَىّ ، ومالك ، وداعس ، وسُوَيد ، وأَوس بن قَيظىّ ، ومُعَتِّب بن قُشَير[١] ، وزيد بن اللُّصيت[٢] ، وعبد الله بن نَبْتَل – وفى القوم زيد بن أَرْقَم ، غلام لم يبلغ أَو قد بلغ – فبلغه صياح جَهْجا : يا آل قُرَيش ! فغضب ابن أُبَىّ غضباً شديدًا ، وكان مما ظهر من كلامه وسُمِع منه أَن قال : واللهِ ، ما رأَيتُ كاليوم مَذَلَّة ! واللهِ ، إن كنت لَكارهاً لوجهى هذا ولكنّ قومى غلبونى ! قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلدنا ، وأَنكروا مِنَّتَنا[٣]. واللهِ ، ما صرنا وجَلابيب[٤] قُريش هذه إلَّا كما قال القائل « سَمِّنْ كَلبَكَ يَأْكُلْكَ » . واللهِ ، لقد ظننتُ أَنى سأَموت قبل أَن أَسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جَهجا وأَنا حاضر . لا يكون لذلك منى غِيَرٌ . واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأَعَزُّ منها الأَذلَّ ! ثم أَقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأَنفسكم ؛ أَحللتموهم بلادَكم فنزلوا منازلكم ، وآسيتموهم فى أَموالكم حتى استغنوا ! أَما واللهِ ، لو أَمسكتم بأَيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، ثم لم يرضوا بما فعلتم حتى جعلتم أَنفسكم أَغراضاً للمَنايا ، فقُتلتم دونه ، فأَيتمتم

(١) فى الأصل : « معتب بن قيس » . وما أثبتناه من ب ، ومن البلاذرى يروى عن الواقدى . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٢٧٦) .

(٢) فى الأصل : « زيد بن الصلت » . وما أثبتناه من ب ، ومن ابن الأثير . (أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٢٣٩) .

(٣) فى الأصل : « ملتنا » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والمنة : الإحسان . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١١٠) .

(٤) الجلابيب : لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون ؛ وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ ، واحدها جلباب ، وكانوا يلتحفون بها فلقبوهم بذلك . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٣) .

أولادكم وقللتم وكثروا . فقام زيد بن أَرْقَم بهذا الحديث كلّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسَلّم ، فيجد عنده نفرًا من أصحابه من المهاجرين والأنصار — أبا بكر ، وعُثْمان ، وسعدًا ، ومحمّد بن مَسْلَمة ، وأوس بن خَوْلىّ ، وعَبّاد بن بِشر — فأخبره الخبر . فكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبره وتغيّر وجهه ، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا غلام ، لعلّك غضبت عليه ! قال : لا والله ، لقد سمعته منه . قال : لعلّه أخطأ سمعك ! قال : لا يا نبىّ الله ! قال : لعله شُبِّه عليك ! قال : لا والله ، لقد سمعته منه يا رسول الله ! وشاع فى العسكر ما قال ابن أُبَىّ ، وليس للناس حديثٌ إلاّ ما قال ابن أُبىّ ، وجعل الرهط من الأنصار[١] يُؤَنِّبون الغلام ويقولون : عمدت إلى سيّد قومك تقول عليه ما لم يقل ، وقد ظلمتَ وقطعت الرَّحم ! فقال زيد : واللهِ لقد سمعت منه ! قال : وواللهِ ، ما كان فى الخَزْرَج رجلٌ واحدٌ أحبّ إلىّ من عبد الله بن أُبَى ؛ واللهِ ، لو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإنى لأرجو أن يُنْزِل الله تعالى على نبيه حتى يعلموا أنا كاذبٌ أم غيرى ، أو يرى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تصديق قولى . وجعل زيد يقول : اللّهمّ ، أنزل على نبيّك ما يُصدق حديثى ! فقال قائل : يا رسول الله ، مُر عبّاد بن بِشر فليأْتك برأْسه . فكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذه المقالة . ويقال قال : قل لمحمّد بن مَسْلَمَة ، يأْتك برأْسه . فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم ، وأعرض عنه : لا يتحدّث الناس أنّ محمّدًا يقتل أصحابه . وقام النفر من الأنصار الذين سمعوا قول النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وردّه على الغلام ، فجاءوا إلى ابن أُبَىّ فأخبروه ، وقال أوس بن خَولىّ : يا أبا الحُباب ، إن كنتَ قلته

(١) فى ب : « يقولون و يؤنبون » .

فأَخْبِر النبىَّ يستغفرْ لك، ولا تجحده فينزلَ ما يُكذِّبك . وإن كنتَ لم تقله فأْت رسولَ الله فاعتذر إليه واحْلِف لرسول الله ما قلتَه . فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً . ثم إنَّ[1] ابن أُبَىّ أتى إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا ابن أُبَىّ ، إن كانت سلفتْ منك مقالة فتُبْ . فجعل يحلف بالله : ما قلت ما قال زيد ، ولا تكلَّمت به ! وكان فى قومه شريفاً ، فكان يظنّ أنه قد صدق ، وكان يظنّ به سوءَ الظنّ .

فحدثنى هِشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطّاب ، قال : لمّا كان من قول ابن أُبَىّ ما كان أسرع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم السير ، وأسرعتُ معه ؛ وكان معى أَجيرٌ استأْجرته يقوم على فرسى ، فاحتبس علىّ فوقفت له على الطريق أنتظره حتى جاءَ ، فلمّا جاءَ ورأى ما بى من الغضب أشفق أن أقع به ، فقال : أيُّها الرجل ، على رِسْلِكَ ، فإنه قد كان فى الناس أَمْرٌ من بعدك ، فحدَّثنى بمقالة ابن أُبَىّ . قال عمر : فأَقبلت حتى جئت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو فى فَىْءِ شجرة ، عنده غُلَيِّمٌ أُسَيْوِدُ يَغْمِز ظهرَه ، فقلت : يا رسول الله ، كأَنك تشتكى ظهرك . فقال : تقحّمت بى الناقة الليلة . فقلت : يا رسول الله ، إيذن لى أن أضرب عنُقَ ابن أُبَىٍّ فى مقالته . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَوَ كنت فاعلاً ؟ قال : نعم ، والذى بعثك بالحقّ ! قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إذًا لأُرعِدَت له آنُفٌ بيَثْرِب كثيرة ؛ لو أمرتُهم بقتله قتلوه . قلت : يا رسول الله ، فمُرْ محمّد بن مَسْلَمَة يقتلْه . قال : لا يتحدّث الناس أَنَّ محمّدًا قتل أصحابه . قال ، فقلت : فمُر الناس بالرحيل . قال : نعم . فأَذَّنتُ بالرحيل فى الناس .

---

(١) فى ب : « ثم مشى ابن أبى إلى » .

ويقال : لم يشعر أهل العسكر إلاّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد طلع على راحلته القَصْواء ، وكانوا فى حرٍّ شديد ، وكان لا يروح حتى يبرد ، إلاّ أنه لما جاءه خبر ابن أُبَىٍّ رحل فى تلك الساعة . فكان أوّل من لقيه سعدُ بن عُبادة ، فقال : السلام عليك أيها النبىّ ورحمة الله ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وعليك السلام ! فقال : يا رسول الله ، قد رحلتَ فى ساعةٍ مُنكرةٍ ما كنتَ ترحل فيها ! ويقال لقيه أُسَيد بن حُضَيْر — قال ابن واقد : وهو أثبت عندنا — فقال : يا رسول الله ، خرجتَ فى ساعةٍ منكرةٍ ما كنتَ تروح فيها ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَوَ لم يبلغكم ما قال صاحبُكم ؟ قال : أىّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : ابن أُبىّ ، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأَعزُّ منها الأذلَّ ! قال : فأنت يا رسول الله تُخرجه إن شئتَ ، فهو الأذلّ وأنت الأعزُّ ، والعزّة لله ولك وللمؤمنين. ثم قال : يا رسول الله ، ارْفُقْ به فواللهِ لقد جاء الله بك ؛ وإنّ قومه لينظمون له الخَرَز ، ما بقيت عليهم إلاّ خَرَزَةٌ واحدةٌ عند يوشع اليهودىّ ، قد أرب[1] بهم فيها لمعرفته بحاجتهم إليها ليتوّجوه ، فجاء الله بك على هذا الحديث ، فما يرى إلاّ قد سلبتَه مُلْكَه .

قال : فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسير من يومه ذلك ، وزيد ابن أَرْقَم يُعارض النبىّ صلّى الله عليه وسلّم براحلته ، يُريه وجهه فى المسير ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستحثّ راحلته فهو مُغِذٌّ فى السير ، إذ نزل عليه الوحى . قال زيد بن أَرْقَم : فما هو إلّا أن رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تأخذه البُرَحاء ويعرَق جبينه ، وتثقل يدا راحلته حتّى ما كاد ينقلها ، عرفت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُوحى إليه ، ورجوتُ أن يكون ينزل

(١) أرب بهم : اشتد . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٦) .

عليه تصديق خبرى. قال زيد بن أَرْقَم : فسُرّى عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأخذ بأُذنى وأنا على راحلتى حتى ارتفعت من مقعدى ويرفعها إلى السماء ، وهو يقول : وَفَتْ أُذُنُك يا غلام ، وصدّق الله حديثك ! ونزل فى ابن أُبَىّ السورة من أوّلها إلى آخرها وحده ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ . . .﴾[1]

فحدّثنى عُبَيد الله بن الهُرَير ، عن أبيه ، عن رافع بن خَديج ، قال : سمعت عُبادة بن الصامت يقول يومئذٍ لابن أُبَىّ قبل أن ينزل فيه القرآن : إيتِ رسول الله ، يستغفر لك . قال : فرأيته يلوى رأسه مُعرضاً . يقول عُبادة : أما واللهِ لينزلنّ فى لَىّ رأسك قرآنٌ يُصَلَّى به .

وحدّثنى يونس بن محمّد الظَّفَرىّ ، عن أبيه ، عن عُبادة بن الوَليد ابن عُبادة بن الصامت ، قال : مرّ عُبادة بن الصامت بعبد الله بن أُبَى عَشِيَّةَ راح النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم من المُرَيْسِيع ، وقد نزل على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم سورة المنافقون فلم يُسَلِّمْ عليه ، ثم مرّ أوس بن خَوْلىّ فلم يُسَلِّمْ عليه ، فقال ابن أُبَى : إنَّ هذا الأمر قد تَمالأتُما[2] عليه . فرجعا إليه فأنّباه وبكّتاه بما صنع ، وبما نزل من القرآن إكذاباً لحديثه ، وجعل أوس بن خَوْلىّ يقول : لا أُكذّبُ عنك أبدًا حتى أعلم أن قد تركتَ ما أنت[3] عليه وتبتَ إلى الله ، إنا أقبلنا على زيد بن أَرْقَم نلومه ونقول له « كذبتَ على رجل من قومك » حتى نزل القرآن بتصديق حديث زيد وإكذاب حديثك . وجعل ابن أُبَىّ يقول : لا أعود أبدًا ! وبلغ ابنَه عبدالله ابن عبد الله بن أُبَىّ مقالةُ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم « مُرْ محمّد بن مَسْلَمة يأتِك برأسه » فجاءَ إلى النبىّ

(١) سورة ٦٣ المنافقون ١ .

(٢) أى تساعدا واجتمعا عليه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٠٥) .

(٣) فى الأصل : « ما أنزل عليه » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب .

صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، إن كنت تُريد أن تقتل أبي فيما بلغَكَ عنه فَمُرني ، فواللهِ لأَحملنَّ إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا . واللهِ ، لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبَرّ بوالدٍ منّى ، وما أكل(١) طعاماً منذ كذا وكذا من الدهر ، ولا يشرب شراباً إلّا بيدى ، وإنى لأخشى يا رسول الله أن تأمر غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس ، فأقتله فأدخل النار ، وعَفْوُك أفضل ، ومنُّك أعظم . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا عبد الله ، ما أردتُ قتله وما أمرت به ، ولنُحْسِنَنَّ صُحْبَتَه ما كان بين أظهُرنا . فقال عبد الله : يا رسول الله ، إن أبى كانت هذه البَحْرَة (٢) قد اتّسقوا عليه ليتوّجوه عليهم ، فجاء الله بك ، فوضعه الله ورفعنا بك ، ومعه قومٌ يُطيفون به ويذكرون أمورًا قد غلب الله عليها . قال : فلمّا انصرف من عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعرف أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد تركه ولم يأمره بقتله ، قال :

أَلا إنما الدُّنْيا حوادِثُ تُنْتَظَرْ ... وَمِن أَعْجبِ الأَحْداثِ ما قاله عُمَرْ
يُشيرُ على مَن عنده الوحىُ هكذا ... وَلَم يَسْتَشِرْهُ بالَّتى تَحْلِقُ الشَّعَرْ
ولَو كان للخَطَّابِ ذَنْبٌ كَذَنْبِه ... فقلتُ له ما قال فى والدِى كَشَرْ
غَدَاةَ يقولُ ابْعَثْ إليه محمّدًا ... لِيَقْتُلَهُ بِئسَ لَعَمْرُكَ ما أَمَرْ
فقلتُ رسولَ الله إن كنتَ فاعِلاً ... كَفَيْتُكَ عبدَ اللهِ لَمْحَكَ بِالبَصَرْ
تُسَاعِدُنى كَفٌّ ونَفْسٌ سَخيَّةٌ ... وَقَلْبٌ على البَلْوَى أَشَدُّ من الحَجَرْ
وفى ذاك ما فيه والأُخْرَى(٣) غَضاضَةٌ ... وفى العَيْنِ منّى نحو صاحِبِها عَوَرْ

(١) فى الأصل : « وما ناكل » ؛ والتصحيح من نسخة ب .
(٢) فى الأصل : « النخوة » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والبحرة : البلدة ، يعنى المدينة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٦٢) .
(٣) فى الأصل : « وللآخر » ، والمثبت قراءة ب .

فقال ألا لا يَقْتُل المَرءُ طائِعاً أَباه وقد كادَت تَطيرُ بها مُضَرْ

أنشدنيها إسماعيل بن مُصعَب بن إسماعيل بن زيد بن ثابت، قال: أخذتها فى الكتاب . وإبراهيم بن جَعفر بن مَحمود، عن محمد بن مَسْلَمة .

فحدّثنى عُبَيد الله بن الهُرَير ، عن أبيه ، عن رافع بن خَديج ، قال : لما رحنا من المُرَيْسِيع قبل الزّوال كان الجَهد بنا يومنا وليلتنا ، ما أناخ منا رجلٌ إلّا لحاجته أو لصلاةٍ يُصَلّيها . وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَسْتَحِثُّ راحلته ، ويخلف بالسوط فى مَراقّها[1] حتى أصبحنا ، ومددنا يومنا حتى انتصف النهارُ أو كَرَب ، ولقد راح الناس وهم يتحدّثون بمقالة ابن أُبَيّ وما كان منه ، فما هو إلّا أن أخذهم السَّهَر والتعب بالمسير ، فما نزلوا حتى ما يُسمَع لقول ابن أُبَيّ فى أفواههم – يعنى ذكرًا . وإنما أسرع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس ليدَعوا حديث ابن أُبَى ، فلمّا نزلوا وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً . ثم راح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس مُبردًا ، فنزل من الغد ماءً يقال له بَقْعاء فوقَ النَّقيع ، وسرّح الناس ظَهرهم ، فأخذتهم ريحٌ شديدةٌ حتى أشفق الناس منها ، وسألوا عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخافوا أن يكون عُيَيْنَة بن حِصْن خالف إلى المدينة ، وقالوا : لم تَهِجْ هذه الريح إلّا من حَدَث ! وإنما بالمدينة الذَّرارىّ والصبيان . وكانت بين النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وبين عُيَيْنَة مُدَّة ، فكان ذلك حين انقضائها فدخلهم أشدّ الخوف ، فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خوفُهم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس عليكم بأس منها ، ما بالمدينة من نَقْبٍ إلّا عليه مَلَكٌ يحرسه ، وما كان ليدخلها عدوٌّ حتى تأتوها ؛ ولكنه مات اليومَ

---

(١) أى فى مراق بطنها ، وهى ما رق منه فى أسافله . (أساس البلاغة ، ص ٣٦٢) .

مُنافقٌ عظيم النفاق بالمدينة ، فلذلك عصفت الريح . وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً ، وهو زيد بن رِفاعة بن التابوت ، مات ذلك اليوم .

فحدّثنى خارجة بن الحارث ، عن عبّاس بن سَهل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كانت الريح يومئذٍ أشدّ ما كانت قَطُّ إلى أن زالت الشمس ، ثم سكنت آخر النهار . قال جابر : فسألتُ حين قدمت قبل أن أدخل بيتى : مَن مات ؟ فقالوا : زيد بن رِفاعة بن التابوت . وذكر أهل المدينة أنهم وجدوا مثل ذلك من شدّة الريح حتى دُفن عدوّ الله فسكنت الريح .

وحدّثنى عبد الحميد بن جَعفر ، عن أبيه ، قال : قال عُبادة بن الصامت يومئذٍ لابن أُبَىّ : أبا حُباب ، مات خليلك ! قال : أىّ أخِلّائى؟ قال : مَن موته فَتْحٌ للإسلام وأهله . قال : مَن ؟ قال : زيد بن رِفاعة بن التابوت قال : يا وَيلاه ، كان واللهِ وكان ! فجعل يذكر ، فقلت : اعتصمتَ بالذَّنَب الأبتَر[1] . قال : مَن أخبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قلت : رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخبرنا الساعةَ أنه مات هذه الساعة . قال : فأُسقط فى يدَيْه وانصرف كئيباً حَزيناً . قالوا : وسكنت الريح آخرَ النهار فجمع الناس ظهورهم .

فحدّثنى عبد الحميد بن جعفر ، عن ابن رُومان ، ومحمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، قالا : وفُقِدَت ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القَصْواء من بين الإبل ، فجعل المسلمون يطلبونها فى كلّ وجه ، فقال زيد بن اللُّصَيت – وكان منافقاً وهو فى رفقة قومٍ من الأنصار ، منهم عَبّاد ابن بِشر بن وَقَش ، وسَلَمَة بن سَلامة بن وَقَش ، وأُسَيد بن حُضَير – فقال : أين يذهب هؤلاء فى كلّ وجه ؟ قالوا : يطلبون ناقة رسول الله ،

(١) أى المقطوع . (النهاية ، ج ١ ، ص ٥٨) .

قد ضلَّت . قال : أفلا يُخبره الله بمكان ناقته ؟ فأنكر القوم ذلك عليه فقالوا : قاتلك الله يا عدوّ الله ، نافقتَ ! ثم أقبل عليه أُسَيد بن حُضَير فقال : واللهِ ، لولا أنى لا أدرى ما يوافق رسول الله من ذلك لأنفذتُ خُصْيَتك بالرمح يا عدوّ الله ، فلِمَ خرجتَ معنا وهذا فى نفسك ؟ قال : خرجت لأطلب من عَرَض الدنيا ، ولَعَمْرى إنّ محمّدًا ليُخبرنا بأعظم من شأن الناقة ، يُخبرنا عن أمر السماء . فوقعوا به جميعاً وقالوا : واللهِ ، لا يكون منك سَبيل أبدًا ولا يُظِلُّنا وإياك ظلٌّ أبدًا ؛ ولو علمنا ما فى نفسك ما صحبتَنا ساعةً من نهار . ثم وثب هاربًا[1] منهزماً منهم أن يقعوا به ونبذوا متاعه ، فعمد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجلس معه فِرارًا من أصحابه متعوّذًا به . وقد جاء رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خبرُ ما قال من السماء ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمنافق يسمع : إنّ رجلاً من المنافقين شَمِتَ أن ضلّت ناقة رسول الله وقال « ألا يُخبره الله بمكانها ؟ فلَعَمرى إنّ محمّدًا ليُخبرنا بأعظم من شأن الناقة ! » ولا يعلم الغيبَ إلاّ الله ، وإنّ الله تعالى قد أخبرنى بمكانها ، وإنها فى هذا الشِّعْب مُقابِلَكم ، قد تعلّق زِمامها بشجرة ، فاعْمِدوا عَمْدَها . فذهبوا فأتَوْا بها من حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا نظر المنافق إليها قام سريعاً إلى رفقائه الذين كانوا معه ، فإذا رَحْلُه منبوذ ، وإذا هم جُلوسٌ لم يقم رجلٌ من مجلسه ؛ فقالوا له حين دنا : لا تَدْنُ منا ! قال : أُكلّمكم ! فدنا فقال : أُذكّركم بالله ، هل أتى أحدٌ منكم محمّدًا فأخبره بالذى قلت ؟ قالوا : لا واللهِ ، ولا قمنا من مجلسنا هذا . قال : فإنى قد وجدت عند القوم ما تكلّمت به ، وتكلّم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأخبرهم بما قال رسول الله صلّى

(١) فى ب : « ثم وثب هارباً منهم » .

الله عليه وسلّم ، وإنه قد أُتِى بناقته ، وإنى قد كنت فى شكٍّ من شأْن محمّدٍ فأَشهد أنه رسول الله ، والله لكأَنى لم أُسلم إلّا اليوم . قالوا له : فاذهب إلى رسول الله يستغفرْ لك . فذهب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاستغفر له واعترف بذنبه . ويقال إنه لم يزل فَسْلاً[1] حتى مات ، وصنع مثل هذا فى غزوة تَبوك .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن شُعَيب بن شَدّاد ، قال : لما مر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالنَّقيع منصرفَه من المُرَيْسيع ورأى سَعَةً ، وَكَلأً ، وغُدُرًا[2] كثيرةً تتناخس[3] ، وخُبِّرَ بمَرَاءَته وبَراءَته[4] ، فسأَل عن الماءِ فقيل : يا رسول الله ، إذا صِفنا قلّت المياه وذهبت الغُدُر ، فأَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاطب بن أَبى بَلْتَعَة أن يَحْفِر بئرًا ، وأمر بالنَّقيع أن يُحْمَى ، واستعمل عليه بِلال بن الحارث المُزَنىّ ، فقال بِلال : يا رسول الله ، وكم أَحمى منه ؟ قال : أَقِم رجلاً صيّتاً إذا طلع الفجر على هذا الجبل — يعنى مقْمِلاً — فحيث انتهى صوتُه فَاحمِه لخيل المسلمين وإبلهم التى يغزون عليها . قال بِلال : يا رسول الله ، أَفرأَيت ما كان من سوائم المسلمين ؟ فقال : لا يدخلها . قلت : يا رسول الله ، أَرأَيتَ المرأة والرجلَ الضعيفَ تكون له الماشية اليسيرة وهو يضعُف عن التحوّل ؟ قال : دَعْهُ يرعى . فلما كان زمان أَبى بكر رضى الله عنه حماه على ما كان رسول

---

(١) الفسل : الردىء الرذل من كل شىء . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٠١) .

(٢) الغدر : جمع الغدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٣١٢) .

(٣) تتناخس : أى يصب بعضها فى بعض . (على هامش نسخة ب) .

(٤) كلمتان رسمهما فى الأصل هكذا : « بمراته و براته » ، وفى ب : « بمراته ومدامه » ؛ ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . ومرأت الأرض مراءة أى حسن هواؤها ، وكلأ مرىء غير وخيم . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٨) . وبراءة مصدر من برىء بمعنى خلا ، أى لا صاحب له . (لسان العرب ؛ ج ١ ، ص ٢٤) .

الله صلَّى الله عليه وسلَّم حماه ، ثم كان عمر فكثرت به الخيل ، وكان عُثمان فحماه أيضاً . وسبّق النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ بين الخيل وبين الإبل ، فسبقت القَصْواءُ الإبلَ ، وسبق فرسه — وكان معه فرسان ، لِزاز[1] وآخر يقال له الظَّرِب — فسبق يومئذٍ على الظَّرِب ، وكان الذى سبق عليه أبو أُسَيد الساعدىّ ، والذى سبق على ناقته بِلال .

ذكر عائشة رضى الله عنها وأصحاب الإفك

حدّثنى يَعقوب بن يحيى بن عَبّاد ، عن عيسى بن مَعْمَر ، عن عَباد ابن عبد الله بن الزُّبَير قال ، قلت لعائشة رضى الله عنها : حدّثينا يا أُمّه حديثك فى غزوة المُرَيْسِيع . قالت : يا ابن أخى ، إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان إذا خرج فى سفرٍ أَقْرَع بين نسائه ، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها ، وكان يحبّ ألّا أُفارقه فى سفر ولا حضَر . فلمّا أراد غزوة المُرَيْسِيع أقرع بيننا فخرج سهمى وسهم أُمّ سَلَمَة ، فخرجنا معه ، فغنّمه الله أموالهم وأنفسهم ، ثم انصرفنا راجعين . فنزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلم منزلاً ليس معه ماءٌ ولم ينزل على ماء . وقد سقط عِقْد لى من عنقى ، فأخبرت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأقام بالناس حتى أصبحوا ؛ وضجّ الناس وتكلّموا وقالوا : احتبستنا عائشة . وأتى الناس أبا بكر رضى الله عنه فقالوا : ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ حبست رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم ، والناس على غير ماءٍ وليس معهم ماء . فضاق بذلك أبو بكر رضى الله عنه فجاءنى مغيظاً فقال : أَلا تَرَيْن ما صنعتِ بالناس ؟ حبستِ رسولَ

(١) فى الأصل : « لوان » ؛ والتصحيح عن نسخة ب . لزاز : فرس للنبى صلى الله عليه وسلم أهداها له المقوقس مع مارية . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩٠) .

الله صلَّى الله عليه وسلَّم والناس على غير ماءٍ وليس معهم ماءٌ . قالت عائشة : فعاتبنى عِتاباً شديدًا وجعل يطعُن بيده فى خاصرتى ، فلا يمنعنى من التحرّك إلّا مكانُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، رأْسه على فخذى وهو نائم . فقال أُسيد ابن حُضَيْر : واللهِ ، إنى لأَرجو أن تنزل لنا رُخْصة ؛ ونزلت آية التَّيَمُّم . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : كان مَن قَبْلَكم لا يُصلُّون إلاّ فى بِيَعِهِمْ وكنائسهم ، وجُعِلَت لى الأَرض طَهورًا حيثما أدركتنى الصلاة . فقال أُسيد ابن حُضَيْر : ما هى بأَوّل بركتكم يا آل أَبى بكر . قالت : وكان أُسَيد رجلاً صالحاً فى بيتٍ من الأَوس عظيم . ثم إنا سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعاً دَمِثاً طيّباً ذا أَراك ، قال : يا عائشة ، هل لك فى السباق ؟ قلت : نعم . فتحزَّمت بثيابى وفعل ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ، ثم استبقنا فسبقنى ، فقال : هذه بتلك السبقة التى كنت سبقتينى . وكان جاءَ إلى منزل أَبى ومعى شىءٌ فقال : هَلُمّيه ! فأَبيت فسعيت وسعى على أَثرى فسبقته . وكانت هذه الغزوة بعد أَن ضُرِب الحجاب .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إلى الخفَّة ، هنَّ إنما يأْكلن العُلَق [1] من الطعام ، لم يُهَيَّجْن[2] باللحم فيثقلْن . وكان اللذان يُرحّلان بعيرى رجلَيْن ، أَحدهما مولى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقال له أَبو مَوهِبة ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان الذى يقود بى البعير .

وإنما كنت أَقعد فى الهودج فيأْتى فيحمل الهودج فيضعه على البعير ، ثم يشدّه بالحبال ويبعث بالبعير ، ويأْخذ بِزمام البعير فيقود بى البعير .

---

(١) العلق : جمع علقة ، وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٥) .

(٢) التهييج : كالورم فى الجسد . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٥) .

وكانت أُمّ سَلَمَة يقاد بها هكذا، فكنا نكون حاشيةً من الناس ، يُذَبّ عنا مَن يدنو منا ، فربّما سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى جنبي وربّما سار إلى جنب أُمّ سَلَمَة . قالت : فلما دنونا من المدينة نزلنا منزلاً فبات به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعض الليل ، ثم ادّلج وأَذَّن للناس بالرحيل فارتحل العسكر . وذهبتُ لحاجتى فمشيت حتى جاوزت العسكر وفى عُنُقى عِقْدٌ لى من جَزْع ظَفار[1] ، وكانت أُمّى أَدخلتنى فيه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما قضيت حاجتى انسلّ من عُنُقى فلا أدرى به ، فلمّا رجعت إلى الرَّحْلِ ذهبتُ أَلتمسه فى عُنُقى فلم أَجده ؛ وإذا العسكر قد نغضوا[2] إلّا عِيرات[3] ، وكنت أَظنّ أَنى لو أَقمت شهرًا لم يبعث بعيرى حتى أَكون فى هودجى ، فرجعت فى التماسه فوجدته فى المكان الذى ظننت أنه فيه ، فحبسنى ابتغاؤه وأَتى الرجلان خِلافى ، فرحّلوا البعير وحملوا الهودج وهم يظنّون أنى فيه ، فوضعوه على البعير ولا يشكّون أنى فيه – وكنت قَبْلُ لا أَتكلّم إذ أَكون عليه فلم يُنكروا شيئاً – وبعثوا البعير فقادوا بالزمام وانطلقوا ، فرجعتُ إلى العسكر وليس فيه داعٍ ولا مُجيب ، ولا أَسمع صوتاً ولا زَجْرًا . قالت : فأَلتفعُ بثوبى واضطجعتُ وعلمت أَنى إن افْتُقِدتُ رُجِع إلىّ . قالت : فوالله ، إنى لمضطجعة فى منزلى ، قد غلبتنى عينى فنمت . وكان صَفوان ابن مُعطَّل السُّلَمىّ ثم الذَّكْوَانىّ على ساقة الناس من ورائهم ، فادّلج فأَصبح عند منزلى فى عماية الصبح ، فيرى سواد إنسان فأَتانى ، وكان يرانى قبل أن ينزل الحجاب . وأَنا مُتلفّعة ، فأَثبتنى فاستيقظت باسترجاعه حين

(١) ظفار : موضع باليمن قرب صنعاء ، ينسب إليه الجزع . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٨١) .

(٢) نغضوا : تحركوا . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .

(٣) فى ب : « إلا غيرات » .

عرفني . فخمّرت وجهي بمِلْحَفتي ، فواللهِ إن كلّمني كلمةً غير أني سمعت استرجاعه حين أناخ بعيره . ثم وطى على يده مُولِّياً عني ، فركبت على رحله ، وانطلق يقود بي حتى جئنا العسكر شَدَّ الضحا ، فارتعج العسكر وقال أصحاب الإفك الذي قالوا — وتولّى كِبْرَهُ عبدُ الله بن أُبَيّ — ولا أشعر من ذلك بشيء والناس يخوضون في قول أصحاب الإفك .

ثم قدمنا فلم أنشب أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى ذلك إلى أَبَوَيَّ ، وأبواي لا يذكران لي من ذلك شيئاً ، إلّا أني قد أنكرت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لُطْفَه بي ورحمته ، فلا أعرف منه اللطف الذي كنت أعرف حين اشتكيت ، إنما يدخل فيُسلِّم فيقول : كيف تِيكُم ؟ فكنت إذا اشتكيت لطف بي ورحمني وجلس عندي . وكنا قوماً عرباً لا نعرف الوضوء في البيوت ، نَعافُها ونقذرها ، وكنا نخرج إلى المَناصع[1] بين المغرب والعشاء لحاجتنا . فذهبت ليلةً ومعي أمّ مِسْطَح مُلتفعة في مِرْطِها ، فتعلّقت به فقالت : تَعِس مِسْطَح ! فقلت : بئسَ لَعَمْرُ الله ما قلتِ ، تقولين هذا لرجلٍ من أهل بدر ؟ فقالت لي مُجيبة : ما تدرين وقد سال بك السيل . قلت : ماذا تقولين ؟ فأخبرتني ول أصحاب الإفك ، فقلّص ذلك مني ، وما قدرت على أن أذهب لحاجتي . وزادني مرضاً على مرضي ، فما زلت أبكي ليلي ويومي . قالت : ودخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك فقلت : ائْذَن لي أذهب إلى أبويَّ . وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلهما . فأذن لي فأتيت أبويَّ فقلت لأُمّي : يغفر الله لكِ ، تحدّث الناس بما تحدّثوا به وذكروا ما ذكروا ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! فقالت : يا بُنَيَّة ، خَفِّضي عليك الشأنَ . فواللهِ ما كانت جارية حسناء عند رجلٍ يحبُّها ولها ضرائرُ إلّا كثَّرن عليها القالة

(١) هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة . واحدها منصع . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٤٩) .

وكثَّر الناس عليها . فقلت : سبحان الله ، وقد تحدّث الناس بهذا كلِّه ؟ قالت : فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم.

قالت : فدعا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عَليّاً وأُسامة فاستشارهما فى فراق أهله .

قالت : وكان أَحد الرجلَيْن أَلينَ قولاً من الآخر . قال أُسامة : يا رسول الله ، هذا الباطل والكذب ، ولا نعلم إلاَّ خيرًا ، وإنَّ بُرَيْرَة تصدُقك . وقال عَلِىٌّ عليه السلام : لم يُضيّق الله عليك ، النساء كثيرٌ وقد أَحلّ الله لك وأطاب ، فطَلِّقْها وانكحْ غيرها . قالت : فانصرفا ، وخلا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ببُرَيْرَة فقال : يا بُرَيْرَة ، أَىّ امرأةٍ تعلمين عائشة ؟ قالت : هى أَطيب من طيّب الذهب ، واللهِ ما أَعلم عليها إلاّ خيرًا ، واللهِ يا رسول الله ، لئن كانت على(1) غير ذلك ليُخبرنَّك الله عزَّ وجلّ بذلك ، إلاَّ أَنها جاريةٌ ترقد عن العجين حتى تأْتى الشاة فتأكل عجينها ، وقد لُمْتُها فى ذلك غير مرّة . وسأَل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم زَيْنَب بنت جَحْش ولم تكن امرأة تُضاهى(2) عائشة عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم غيرها . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد كنت أَخاف عليها أن تهلِك لِلغَيْرَة على ، فقال لها النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : يا زينب ، ماذا علمتِ على عائشة ؟ قالت : يا رسول الله ، حاشَى سمعى وبصرى ، ما علمت عليها إلاّ خيرًا . واللهِ ، ما أُكلّمها وإنى لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلاّ الحقّ . قالت عائشة رضى الله عنها : أَما زينب ، فعصمها الله ، وأَما غيرها فهلك مع من هلك . ثم سأَل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أُمّ أَيْمَن فقالت : حاشَى سمعى

(١) فى ب : « لئن كانت على ذلك » .

(٢) فى ب : « تناصى » .

وبصرى أن أكون علمت أو ظننت بها قَطُّ. إلّا خيرًا . ثم صعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : من يعذرنى مِمّن يُؤذينى فى أهلى ؟ ويقولون لرجل . واللهِ ما علمتُ على ذلك الرجل إلّا خيرًا ، وما كان يدخل بيتاً من بيوتى إلّا معى . ويقولون عليه غير الحقّ . فقام سعد بن مُعاذ فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ؛ إن يك من الأوس آتك برأسه . وإن يك من إخواننا من الخزرج فمُرْنا بأمرك نمضى لك . فقام سعد بن عُبادة — وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن الغضب بلغ منه ، وعلى ذلك ما غُمِص[1] عليه فى نفاق ولا غير ذلك إلّا أنّ الغضب يبلغ من أهله — فقال : كذبت لَعمر اللهِ ، لا تقتله ولا تقدر على قتله . واللهِ ، ما قلتَ هذه المقالة إلّا أنك قد عرفت أنه من الخزرج ؛ ولو كان من الأوس ما قلت ذلك ، ولكنك تأْخذنا بالذُّحول[2] كانت بيننا وبينك فى الجاهلية ، وقد محا الله ذلك ! فقال أُسَيد بن حُضَير : كذبت واللهِ ، لنقتلنّه وأَنْفُك راغِمٌ ، فإنك منافقٌ تُجادل عن المنافقين ! واللهِ ، لو نعلم ما يهوَى رسول الله من ذلك فى رهطى الأدنين ما رام رسول الله مكانه حتى آتيه برأْسه ؛ ولكنى لا أدرى ما يهوَى رسول الله ! قال سعد بن عُبادة : تأْبون يا آل أوس إلّا أن تأْخذونا بذحولٍ كانت فى الجاهلية. واللهِ ، ما لكم بذكرها حاجة ، وإنكم لتعرفون لمن الغلبة فيها ، وقد محا الله بالإسلام ذلك كلّه . فقام أُسَيد بن حُضَير فقال : قد رأيتَ موطننا يوم بعاث ! ثم تغالظوا ، وغضب سعد بن عُبادة فنادى : يا آل خزرج ! فانحازت الخزرج

---

(١) تقول هو مغموص عليه ، أى مطعون فى دينه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٣١٠) .

(٢) فى الأصل : « بدخول » ، وما أثبتناه هو قراءة ب . والذحول : العداوة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤٣) .

كلّها إلى سعد بن عُبادة . ونادى سعد بن مُعاذ : يال أَوس ! فانحازت الأَوس كلّها إلى سعد بن مُعاذ . وخرج الحارث بن حَزْمَة مُغيرًا حتى أَتى بالسيف يقول : أَضرب به رأس النفاق وكهفَه . فلقيه أُسَيد بن حُضَير وهو فى رهطه وقال : ارمِ به ، يُحمل السلاح من غير أَمر رسول الله ! لو علمنا أن لرسول الله فى هذا هوىً أَو طاعةً ما سبقتَنا إليه. فرجع الحارث[1] واصطفّت الأَوس والخزرج ، وأَشار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الحيّين جميعاً أَنِ اسكتوا ، ونزل عن المنبر فهدّأَهم وخفَّضهم حتى انصرفوا .

قالت عائشة رضى الله عنها : وجاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فدخل علىَّ فجلس عندى ، وقد مكث شهرًا قبل ذلك لا يُوحَى إليه فى شأْنى . قالت : فتشهَّد رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين جلس ، ثم قال : أَمّا بعد يا عائشة ، فإنه بلغنى كذا وكذا ، فإن كنتِ بريئةً يُبرِّئكِ الله ، وإن كنتِ أَلممتِ بشىءٍ ممّا يقول الناس فاستغفرى الله عز وجل ، فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . قالت : فلمّا قضى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كلامه ذهب دمعى حتى ما أَجد منه شيئاً ، وقلت لأَبى : أَجِبْ رسول الله . فقال : واللهِ ، ما أَدرى ما أَقول وما أُجيب به عنك. قالت : فقلت لأُمّى : أَجيبى عنّى رسولَ الله . فقالت : واللهِ ، ما أَدرى ما أُجيب عنك لرسول الله . وأَنا جاريةٌ حديثة السِّن ، لا أَقرأ كثيرًا من القرآن . قالت : فقلت : إنى واللهِ قد علمتُ أَنكم سمعتم بهذا الحديث ، فوقع فى أَنفسكم فصدّقتم به ، فلئن قلتُ لكم إنى بريئة لا تُصدّقونى ، ولئن اعترفتُ لكم بأَمرٍ يعلم الله أَنى منه بريئة لتصدّقونى . وإنى

(١) فى ب : « فرجع الحارث بسيفه ولغطت الأوس والخزرج » .

واللهِ ما أجد لى مثلاً إلَّا أبا يوسف إذ يقول : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعانُ عَلَى ما تَصِفُونَ﴾[١] واللهِ ما يحضرنى ذكر يعقوب ، وما أهتدى من الغيظ الذى أنا فيه . ثم تحوّلتُ فاضطجعتُ على فراشى وقلت : والله يعلم أنى بريئة ، وأنا بالله واثقةٌ أن يَبرّئنى الله ببراءتى . فقال أبو بكر رضى الله عنه : فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر . واللهِ ، ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا نعبد الله ولا ندع له شيئاً ، فيقال لنا فى الإسلام ! قالت : وأقبل علىَّ أبى مُغضَباً . قالت : فاسْتَعْبَرْتُ فقلتُ فى نفسى : « واللهِ لا أتوب إلى الله مما ذكرتم أبدًا » ، وأيْمُ اللهِ لأنا كنت أحقرَ فى نفسى وأصغر شأْناً من أن ينزل فىَّ قرآنٌ يقرأه الناس فى صلاتهم ، ولكن قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى نومه شيئاً يُكذِّبهم[٢] الله عنى به لِما يعلم من براءتى ، أو يُخبَر خبرًا ؛ فأما قرآن ، فلا واللهِ ما ظننته ! قالت : فواللهِ ، ما برح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من مجلسه ، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى يغشاه من أمر الله ما كان يغشاه . قالت : فسُجِّى بثوبه وجُمِعَت وسادةٌ من أدَم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت ما رأيت فواللهِ لقد فرحْتُ به وعلمتُ أنى بريئة ، وأنَّ الله تعالى غير ظالمٍ لى . قالت : وأما أبواى فوالذى نفسى بيده ما سُرِّىَ عن النبى صلَّى الله عليه وسلَّم حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما فَرَقاً أن يأتى أمرٌ من الله تحقيق ما قال الناس . ثم كشف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن وجهه وهو يضحك ، وإنه لَيتحدّر منه مثل الجُمان ، وهو يمسح جبينه ، فكانت أوّل كلمة قالها

---

(١) سورة ١٢ يوسف ١٨ .

(٢) فى ب : « يكذب الله عنى به » .

«يا عائشة ، إنَّ الله قد أنزل براءتك » . قالت : وسُرِّى عن أَبَوَىَّ وقالت أُمّى : قومى إلى رسول الله . فقلت : واللهِ ، لا أقوم إلاّ بحمد الله لا بحمدك . فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ﴾(١) الآية . قالت : فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الناس مسرورًا . فصعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم تلا عليهم بما نُزِّل عليه فى براءة عائشة . قالت : فضربهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الحَدَّ . وكان الذى تولَّى كِبْرَه عبدُ الله بن أُبَىّ ، وكان مِسْطَح بن أُثاثَة ، وحَسّان ابن ثابت . قال أبو عبد الله : ويقال إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم يضربهم — وهو أثبت عندنا .

وكان سَعيد بن جُبَير يقول فى هذه الآية : مَن رمى مُحْصَنة لعنه اللهُ فى الدنيا والآخرة . فقال : إنما ذاك لأُمّ المؤمنين خاصّة .

فحدّثنى ابن أبى حَبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن أبى سُفيان ، عن أفلح مولى أبى أيّوب ، أنّ أُمّ أيّوب قالت لأبى أيّوب : ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟! قال : بلى ، وذلك الكذب ، أفكنتِ يا أُمّ أيّوب فاعلة ذلك ؟ فقالت : لا واللهِ . قال : فعائشة واللهِ خير منك . فلما نزل القرآن وذكر أهل الإفك قال الله تعالى : ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (٢) ، يعنى أبا أيّوب حين قال لأُم أيّوب ، ويقال إنما قالها أُبَىّ بن كَعب .

فحدّثنى خارجة بن عبد الله بن سُلَيمان ، عن إبراهيم بن يحيى ، عن أُمّ سعد بنت سعد بن ربيع ، قالت : قالت أُمّ الطُّفَيل لأُبىّ بن كَعب : ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : أىّ ذلك ؟ قالت : ما يقولون .

(١) سورة ٢٤ النور ١١ .
(٢) سورة ٢٤ النور ١٢ .

فال : هو واللهِ الكذب ، أوَ كنتِ تفعلين ذلك ؟ قالت : أعوذ بالله . قال : فهى واللهِ خير منك . قالت : وأنا أشهد ، فنزلت هذه الآية .

قالوا : ومكث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أيّاماً ، ثم أخذ بيد سعد ابن مُعاذ فى نفر . فخرج يقود به حتى دخل به على سعد بن عُبادة ومن معه ، فتحدّثا عنده ساعة ، وقرب سعد بن عُبادة طعاماً ، فأصاب منه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسعد بن مُعاذ ومن معه ، ثم خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمكث أيّاماً ، ثم أخذ بيد سعد بن عُبادة ، ونفرٌ معه : فانطلق به حتى دخل منزل سعد بن مُعاذ ، فتحدّثا ساعةً وقرب سعد بن مُعاذ طعاماً ، فأصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسعد بن عُبادة ومن معهم ، ثم خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وإنما فعل ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأن يذهب ما كان فى أنفسهم من ذلك القول الذى تقاولا .

فحدّثنى مَعْمر ، عن الزُّهرىّ ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس ، عن عَمّار بن ياسر قال : كنا مع رسول الله صلّى الله عليه سلّم حين احتبس على قلادة عائشة رضى الله عنها بذات الجيش ، فلما طلع الفجر أو كاد نزلت آية التَّيَمُّم ، فمسحنا الأرض بالأيدى ثم مسحنا الأيدى إلى المناكب ظهرًا وبطناً ، وكان يجمع بين الصلاتين فى سفره .

فحدّثنى عبد الحَميد بن جَعفر ، عن ابن رُومان ، ومحمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، وعبد الله بن يزيد بن قُسَيط ، عن أمّه ؛ فكلٌّ قد حدّثنى من هذا الحديث بطائفة ، وعماد الحديث عن ابن رُومان ، وعاصم وغيرهم ، قالوا : لمّا قال ابن أُبَىّ ما قال ، وذكر جُعَيل بن سُراقة وجَهْجا ، وكانا من فقراء المهاجرين ، قال : ومثل هذَيْن يُكثر على قومى ، وقد

أنزلنا محمّدًا فى دور[1] كِنانة وعزّها ! واللهِ ، لقد كان جُعَيل يرضى أن يسكت فلا يتكلّم ، فصار اليوم يتكلّم . وقول ابن أُبىّ أيضاً فى صَفوان ابن معَطّل وما رماه به ، فقال حَسّان بن ثابت :

أَمْسَى الجَلابيبُ قد راعوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيعةِ أَمْسى بَيْضَةَ البَلَدِ[2]

فلمّا قدموا المدينة جاءَ صَفوان إلى جُعيل بن سُراقة فقال : انطلق بنا ، نضرب حَسان ، فواللهِ ما أَراد غيرك وغيرى ، ولَنَحن أَقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منه . فأَبى جُعَيل أن يذهب ، فقال له : لاأفعل إلّا أن يأمرنى رسول الله ، ولا تفعل أنت حتى تُؤامر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذلك . فأَبى صَفوان عليه ، فخرج مُصْلِتاً السيفَ حتى ضرب حَسّان ابن ثابتٍ فى نادى قومه ، فوثبت الأَنصار إليه فأَوثقوه رباطاً — وكان الذى وَلِىَ ذلك منه ثابت بن قيس بن شَمّاس — وأَسروه أسرًا قبيحاً . فمرّ بهم عُمارة بن حَزم فقال : ما تصنعون ؟ أمن أَمْر رسول الله ورضائه أم من أمرٍ فعلتموه ؟ قالوا : ما علم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال[3] : لقد اجترأتَ ، خَلِّ عنه ! ثم جاءَ به وبثابتٍ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسوقهم ، فأَراد ثابتٌ أن ينصرف ، فأَبى عُمارة حتى جاءَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال حَسّان : يا رسول الله ، شَهَر علىّ السيف فى نادى قومى ، ثم ضربنى لأَن أموت ، ولا أَرانى إلّا ميّتاً من جراحتى . فأَقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على صَفوان فقال : ولِمَ ضربتَه وحملتَ

---

(١) هكذا فى الأصل . وفى ب : « ذروة » .

(٢) بيضة البلد : يعنى واحداً لا يحاربه أحد ، وهو فى هذا الموضع مدح . وقد يكون بيضة البلد ذماً ، وأصل ذلك أن يؤخذ بيضة واحدة من بيض النعام ليس معها غيرها ، فإذا أريد به الذم شبه بها الرجل الذى لا رهط له ولا عشيرة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٦) .

(٣) أى قال لثابت بن قيس بن شماس .

السلاح عليه ؟ وتغيّظ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله آذانى وهَجانى وسفَّه علىّ وحسدنى على الإسلام . ثم أقبل على حَسّان فقال : أَسَفِهْتَ على قوم أسلموا ؟ ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : احبِسوا صَفوان ، فإن مات حَسّان فاقتلوه به . فخرجوا بِصفوان[1] ، فبلغ سعدَ بن عُبادة ما صنع صَفوان ، فخرج فى قومه من الخزرج حتى أتاهم ، فقال : عمدتم إلى رجلٍ من أصحاب رسول الله تُؤْذونه وتهجونه بالشِّعر وتشتمونه ، فغضب لِما قيل له ، ثم أسرتموه أقبح الإسار[2] ورسول الله بين أظهركم ! قالوا : فإنَّ رسول الله أمرنا بحبسه وقال : إن مات صاحبُكم فاقتلوه . قال سعد : واللهِ ، إنَّ أحبّ إلى رسول الله لَلعفو ، ولكن رسول الله قد قضى بينكم بالحقّ ، وإنَّ رسول الله يعنى[3] لَيُحبّ أن يُتْرَك صَفوان . واللهِ ، لا أبرح حتى يُطْلَق ! فقال حَسّان : ما كان لى من حقٍّ فهو لك يا أبا ثابت . وأبى قومُه ، فغضب قيس ابنه غضباً شديدًا فقال : عجباً لكم ، ما رأيت كاليوم ! إنَّ حسّان قد ترك حقّه وتأبون أنتم ! ما ظننتُ أنَّ أحدًا من الخزرج يردّ أبا ثابتٍ فى أمرٍ يهواه . فاستحيا القوم وأطلقوه من الوَثاق ؛ فذهب به سعدٌ إلى بيته فكساه حُلَّة ، ثم خرج صَفوان حتى دخل المسجد ليُصلّى فيه ، فرآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : صَفوان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : مَن كساه ؟ قالوا : سعد بن عُبادة ، فقال : كساه الله من حُلَل[4] الجنَّة . ثم كلَّم سعدُ بن عُبادة حَسّانَ بن ثابت فقال : لا أُكلِّمك أبدًا إن لم تذهب إلى رسول الله فتقول : كلُّ حقٍّ لى

---

(١) فى الأصل : « بحسان » ؛ والتصحيح من ب .

(٢) فى ب : « أقبح الأسر » .

(٣) كذا فى الأصول .

(٤) فى ب : « ثياب » .

قِبَل صَفوان فهو لك يا رسول الله . فأَقبل حَسّان فى قومه حتى وقف بين يدى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله ، كلّ حقٍّ لى قِبَل صَفوان بن مُعَطَّل فهو لك . قال : قد أحسنتَ وقبلتُ ذلك . فأَعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَرضاً بَراحاً[١] وهى بَيْرَحاء[٢] وما حولها وسِيرِين ، وأَعطاه سعد بن عُبادة حائطاً كان يَجُدّ[٣] مالاً كثيرًا عِوَضاً له مما عفا عن حقّه .

قال أَبو عبد الله : فحدّث هذا الحديث ابن أَبى سَبْرَة فقال : أَخبرنى سُلَيمان بن سُحَيم ، عن نافع بن جُبَير ، أَنَّ حَسّان بن ثابت حبس صَفوان ، فلمّا برئ حَسّان أرسل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليه فقال : يا حَسّان ، أَحْسِنْ فيما[٤] أصابك . فقال : هو لك يا رسول الله . فأَعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بَراحاً وأَعطاه سِيرِين عوضاً .

فحدّثنى أَفلح بن حُمَيد ، عن أَبيه ، قال: ما كانت عائشة رضى الله عنها تذكر حَسّان إلّا بخير . ولقد سمعتْ عُروة بن الزُّبَير يوماً يسبّه لِما كان منه ، فقالت : لا تسبّه يا بُنَىّ ، أَليس هو الذى يقول :

فإنَّ أَبى ووَالِدَهُ وعِرْضى ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ منكم وِقاءُ

وحدّثنى سَعيد بن أَبى زيد الأَنصارىّ قال : حدّثنى من سمع أَبا عُبَيدة

---

(١) البراح : المتسع من الأرض ، لا زرع بها ولا شجر . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢١٥) .

(٢) ويقال أيضاً « بيرحى » ، وبكسر الباء وبضم الراء . (النهاية ، ج ١ ، ص ٧١) . وهى مال كانت لأبى طلحة بن سهل ، وتصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣١٩) .

(٣) الجداد : صرام النخل ، وهو قطع ثمرتها ؛ يقال جد الثمرة يجدها جداً . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٧) .

(٤) فى ب : « مما أصابك » .

ابن عبد الله بن زَمعة الأَسدىّ يُخبر أنه سمع حَمزة بن عبد الله بن عمر ، أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول : سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : حَسّان حِجازٌ بين المؤمنين والمنافقين . لا يُحبّه منافقٌ ولا يبغضه مؤمن . وقال حَسّان يمدح عائشة رضى الله عنها :

حَصانٌ رَزانٌ[١] لا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصبح غَرْثَى[٢] مِن لُحوم الغَوافِلِ[٣]
فإن كان ما قد جاءَ عنّىَ قُلْتُهُ فَلا رَفَعَتْ سَوْطِى إلىَّ أناملِى

هى أبيات أنشدنيها ابن أَبى الزِّناد وابن جَعفر .

حدّثنى عبد الله بن جَعفر بن مُسلم ، عن أَبى عَتيق ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنت رفيق عبد الله بن رَواحة فى غزوة المُرَيْسِيع ، فأقبلنا حتى انتهينا إلى وادى العَقيق فى وسط الليل فإذا الناس مُعرِّسون[٤] . قلنا : فأين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ قالوا : فى مقدّم الناس ، قد نام . فقال لى عبد الله بن رَواحة : يا جابر ، هل لك بنا فى التقدّم والدخول على أهلنا ؟ فقلت : يا أبا محمّد ، لا أُحبّ أن أُخالف الناس ، لا أرى أحدًا تقدّم . قال ابن رَواحة : واللهِ ، ما نهانا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن تقدُّم . قال جابر : أمّا أنا فلستُ ببارح . فودعنى وانطلق إلى المدينة ، فأنظر إليه على ظهر الطريق ليس معه أحد ، فطرق أهله بَلْحارث بن الخزرج ، فإذا مصباحٌ فى وسط بيته وإذا مع امرأته إنسانٌ طويل ، فظنّ

---

(١) الحصان هنا : العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها التى لا تتصرف كثيراً . ولا تزن : أى لا تتهم . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٧) .

(٢) غرثى : جائعة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٧) .

(٣) الغوافل : جمع غافلة ، ويعنى بهذا الكلام أنها كافة عن أعراض الناس . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٧) .

(٤) التعريس : نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨٠) .

أنه رجل ، وسُقط في يديه وندم على تقدّمه . وجعل يقول ، الشيطان مع الغرّ ، فاقتحم البيت رافعاً سيفه ، قد جرّده من غِمْدِه يُريد أن يضربهما . ثم فكّر واذّكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت فصاحت وهى تَوَسَّن ، فقال : أنا عبد الله ، فمَن هذا ؟ قالت : رُجَيلَة [ما شطتى] (١) ، سمعنا بمقدمكم فدعوتُها تُمشّطني فباتت عندى . فبات فلمّا أصبح خرج مُعترضاً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلقيه ببئر أبى عُتبة ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسير بين أبى بكر وبَشير بن سعد ، فالتفت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بَشير فقال : يا أبا النُّعمان . فقال : لبّيك . قال : إنّ وجه عبد الله ليُخبرك أنه قد كره طروق أهله . فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال رسول الله : خَبَرَك يا ابن رَواحة . فأخبره كيف كان تقدّم وما كان من ذلك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تطرقوا النساء ليلاً . قال جابر : فكان ذلك أوّل ما نهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال جابر : فلم أرَ مثل العسكر ولزومه والجماعة ، لقد أقبلنا من خَيْبَر ، وكنا مررنا على وادى القُرَى فانتهينا إلى الجُرْف (٢) ليلاً ، فنادى مُنادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تطرقوا النساء ليلاً . قال جابر : فانطلق رجلان فعَصَيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فرأيا جميعاً ما يكرهان .

غزوة الخَنْدَق

عسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الثلاثاء لثمانٍ مضت من ذى القعدة ، فحاصروه خمس عشرة ، وانصرف يوم الأربعاء لسبعٍ بقين سنة

(١) الزيادة من نسخة ب .

(٢) الجرف على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) .

خمس ؛ واستعمل على المدينة ابن أُمّ مَكتوم .

فحدّثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه ، وربيعة ابن عُثمان ، ومحمّد عن الزُّهرىّ ، وعبد الصَّمَد بن محمّد ، ويونس بن محمّد الظَّفَرىّ ، وعبد الله بن جَعفر ، ويحيى بن عبد الله بن أبى قَتادة ، وابن أبى سَبْرَة ، وعبد الحَميد بن جَعفر ، ومَعْمَر بن راشد ، وحِزام بن هِشام ، ومحمّد بن يحيى بن سَهل ، وأيّوب بن النُّعمان بن عبد الله بن كعب بن مالك ، وموسى بن عُبَيدة ، وقُدامة بن موسى ، وعائذ بن يحيى الزُّرَقىّ ، ومحمّد بن صالح ، وعبد الرحمن بن عبد العَزيز ، وهِشام بن سعد ، ومُجَمِّع ابن يَعقوب ، وأبو مَعشَر ، والضَّحّاك بن عُثمان ، وعبد الرحمن بن محمّد ابن أبى بكر ، وابن أبى حَبيبة ، وابن أبى الزِّناد ، وأُسامة بن زيد ؛ فكلٌّ قد حدّثنى من هذا الحديث بطائفة ، وبعضهم أوعى له من بعض ، وغير هؤلاء قد حدّثنى ، فكتبت كلّ ما حدّثونى ، قالوا : لمّا أجلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنى النَّضير ساروا إلى خَيْبَر ، وكان بها من اليهود قومٌ أهلُ عَدَدٍ وجَلَدٍ ، وليست لهم من البيوت والأحساب[1] ما لبنى النَّضير — كان بنو النَّضير سِرَّهم ، وقُرَيْظَة من ولد الكاهن من بنى هارون — فلما قدموا خَيبر خرج حُيَىّ بن أَخطَب ، وكِنانة بن أبى الحُقَيق ، وهوْذَة بن الحُقَيق ، وهَوْذَة بن قيس الوائلىّ من الأوس من بنى خَطْمَة ، وأبو عامر الراهب فى بضعةَ عشر رجلاً إلى مكّة يدعون قُرَيشاً وأتباعها إلى حرب محمّد صلّى الله عليه وسلّم فقالوا لقُرَيش : نحن معكم حتى نستأصل محمّدًا . قال أبو سُفيان : هذا الذى أقدمكم ونزعكم[2] ؟ قالوا : نعم ، جئنا

---

(١) فى الأصل : « والأخشاب » ، والتصحيح من نسخة ب .

(٢) فى ب : « نزغكم » .

لنُحالِفَكم على عداوة محمّدٍ وقتاله . قال أَبو سُفيان : مرحباً وأَهلاً ، أَحب الناس إلينا مَن أَعاننا على عداوة محمّد . قال النفر : فأَخْرِجْ خمسين رجلاً من بطون قُرَيشٍ كلّها أَنت فيهم ، وندخل نحن وأَنتم بين أَستار الكعبة حتى نُلصق أَكبادنا بها ، ثم نحلف بالله جميعاً لا يخذل بعضنا بعضاً ، ولتكوننّ كلمتنا واحدةً على هذا الرجل ما بقى منا رجل . ففعلوا فتحالفوا على ذلك وتعاقدوا ، ثم قالت قُرَيش بعضها لبعض : قد جاءكم روساء أَهل يَثْرِب وأَهل العِلم والكتاب الأَوّل ، فسلوهم عما نحن عليه ومحمّدٌ؛ أَينا أَهدى ؟ قالت قُرَيش : نعم . فقال أَبو سُفيان : يا معشر اليهود ، أَنتم أَهل الكتاب الأَوّل والعلم ، أَخْبِرونا عمّا أَصبحنا نحن فيه ومحمّد ، ديننا خيرٌ أَم دين محمّد ؟ فنحن عُمّار البيت ، وننحر الكُوم ، ونسقى الحَجيج ، ونعبد الأَصنام . قالوا : اللّهمّ ، أَنتم أَولى بالحقّ منه ؛ إنكم لتُعظِّمون هذا البيت ، وتقومون على السِّقاية ، وتنحرون البُدْن ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم ، فأَنتم أَولى بالحقّ منه . فأَنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُون بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا ﴾[1] . فاتّعدوا لوقتٍ وقّتوه ، فقال صَفوان بن أُمَيّة : يا معشر قُرَيش ، إنكم قد وعدتم هؤلاء القوم لهذا الوقت وفارقوكم عليه ، فَفُوا لهم به ! لا يكون هذا كما كان ، وَعدْنا محمّدًا بَدْرَ الصَّفْراء فلم نَفِ بموعده ، واجترأَ علينا بذلك ، وقد كنتُ كارهاً لميعاد أَبى سُفيان يومئذ . فخرجت اليهود حتى أَتت غَطَفان ، وأَخذت قُرَيشٌ فى الجَهاز ، وسيّرت فى العرب تدعوهم إلى نصرها ، وأَلّبوا أَحابيشَهم ومَن تبعهم . ثم خرجت اليهود حتى جاءوا بنى سُلَيم ،

---

(١) سورة ٤ النساء ٥١ .

فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قُرَيش . ثم ساروا[1] فى غَطَفان ، فجعلوا لهم تمر خَيْبَر سنة ، وينصرونهم ويسيرون مع قُرَيش إلى محمد إذا ساروا . فأنعمت بذلك غَطَفان ، ولم يكن أحدٌ أسرع إلى ذلك من عُيَيْنَة بن حِصن .

وخرجت قُرَيش ومَن تبعها من أحابيشها أربعة آلاف ، وعقدوا اللواءَ فى دار النَّدْوَة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس ، وكان معهم من الظَّهر ألفُ بعيرٍ وخمسمائة بعير . وأقبلت سُلَيم فلاقَوْهم بمَرّ الظَّهْران ، وبنو سُلَيم يومئذٍ سبعمائة ، يقودهم سُفيان بن عبد شمس حليفُ حَرب بن أميّة ، وهو أبو أبى الأَعْوَر الذى كان مع مُعاوية بن أبى سُفيان بصِفِّين . وخرجت قُرَيشٌ يقودها أبو سُفيان بن حَرب ، وخرجت بنو أَسَد وقائدها طَلْحَة بن خُوَيْلِد الأَسَدىّ ، وخرجت بنو فَزارَة وأوعبت[2] ، وهم ألفٌ يقودهم عُيَيْنَة بن حِصْن ، وخرجت أَشْجَع وقائدها مَسعود بن رُخَيلة وهم أربعمائة — لم تُوعِب أَشْجَع . وخرج الحارث بن عَوف يقود قومه بنى مُرَّة وهم أربعمائة . لما أجمعت غَطَفان السير أبى الحارث بن عَوف المسير وقال لقومه : تفرّقوا فى بلادكم ولا تسيروا إلى محمّد ، فإنى أرى أنّ محمّدًا أَمْرُهُ ظاهر ، لو ناوأه مَن بين المشرق والمغرب لكانت له العاقبة . فتفرّقوا فى بلادهم ولم يحضر واحدٌ منهم ؛ وهكذا روى الزُّهرى وروت بنو مُرَّة .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حَزم ، وعاصم بن عمر بن قَتادة قالا : شهدت بنو مُرَّة الخَنْدَقَ وهم أربعمائة وقائدهم الحارث بن عَوف المُرّىّ ، وهجاه حسّان وأنشد[3]

---

(١) فى ب : « ثم سارت » .
(٢) أى خرجوا بأجمعهم فى الغزو . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٢٠) .
(٣) فى ب « وأنشدوا » .

شعرًا ، وذكروا مُجاورةَ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ . فكان هذا أثبت عندنا أنه شهد الخَنْدَق فى قومه ، ولكنه كان أمثلَ تقيّةً من عُيَيْنَة .

قالوا : وكان القوم جميعاً الذين وافوا الخَنْدَق من قُرَيش ، وسُليم ، وغَطَفان ، وأسد ، عشرة آلاف ؛ فهى عساكر ثلاثة ، وعِناج[1] الأَمر إلى أبى سُفيان . فأقبلوا فنزلت قُرَيْش برُومة[2] ووادى العَقيق فى أحابيشها ومَن ضَوَى إليها من العرب ، وأقبلت غَطَفان فى قادتها حتى نزلوا بالزّغابة إلى جانب أُحُد . وجعلت قُرَيْش تُسرّح رِكابها فى وادى العَقيق فى عِضاهِه ، وليس هناك شىءٌ للخيل إلّا ما حملوه معهم من عَلَف ــ وكان عَلَفهم الذُّرَة ــ وسرّحت غَطَفان إبلها إلى الغابة فى أَثْلِها وطَرْفائها فى عِضاه الجُرْف . وقدموا فى زمان ليس فى العِرْضِ[3] زَرْع ، فقد حصد الناس قبل ذلك بشهر ، فأدخلوا حصادهم وأتبانهم . وكانت غَطَفان تُرسل خيلها فى أثر الحصاد ــ وكان خيل غَطَفان ثلاثمائة ــ بالعِرْض فيُمسك ذلك من خيلهم[4] ، وكادت إبلهم تهلِك من الهزال . وكانت المدينة ليالى قدموا جَديبة .

فلمّا فَصَلت قُرَيْش من مكّة إلى المدينة خرج رَكْبٌ من خُزاعة إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبروه بفصول قُرَيش ، فساروا من مكّة إلى المدينة أربعاً ، فذلك حين ندب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الناسَ وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم فى أمرهم بالجِدّ والجهاد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتّقوا ، وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله . وشاورهم رسول الله صلَّى الله عليه

(١) فى الأصل : « عياج » ، والتصحيح من ب .

(٢) رومة : أرض بالمدينة بين الجرف و زغابة . (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٦) .

(٣) يقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض . . وقال الأصمعى : أخصب ذلك العرض وأخصبت أعراض المدينة وهى قراها التى فى أوديتها . . وقال شمر: أعراض المدينة بطون سوادها حيث الزروع والنخل . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ١٤٦) .

(٤) فى ب : « من خيولهم » .

وسلّم ، وكان رسول الله يُكثر مشاورتهم فى الحرب ، فقال : أَنبرز لهم من المدينة ، أَم نكون فيها ونُخَنْدِقُها علينا ، أَم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل ؟ فاختلفوا ، فقالت طائفة : نكون ممّا يلى بُعاث إلى ثنيّة الوَداع إلى الجُرْف . فقال قائل : ندع المدينة خُلوفاً ! فقال سَلْمان : يا رسول الله ، إنا إذ كنا بأَرض فارس وتخوّفنا الخيل خندقْنا علينا ؛ فهل لك يا رسول الله أَن نُخَنْدِق ؟ فأَعجب رأْىُ سَلْمان المسلمين ، وذكروا حين دعاهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم أُحُد أَن يُقيموا ولا يخرجوا ، فكره المسلمون الخروج وأَحبّوا الثباتَ فى المدينة .

فحدّثنى أَبو بكر بن أَبى سَبْرَة قال : حدّثنى أَبو بكر بن عبد الله بن جَهم أَنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ركب فرساً له ومعه نفرٌ من أَصحابه من المهاجرين والأَنصار ، فارتاد موضعاً ينزله ، فكان أَعجب المنازل إليه أَن يجعل سَلْعاً [1] خلف ظهره ، ويُخَنْدِق من المَذاد [2] إلى ذُباب إلى راتِج [3] . فعمل يومئذٍ فى الخندق ، وندب الناس ، فخبّرهم بدُنُوّ عدوّهم ، وعسكرهم إلى سَفْح سَلْع ، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يُبادرون قدوم العدوّ عليهم ، وأَخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعمل معهم فى الخندق ليُنَشّط المسلمين ؛ وعملوا ، واستعاروا من بنى قُرَيظة آلةً كثيرةً من مَساحى ، وكَرازين [4] ومَكاتل ، يحفرون به الخندق — وهم يومئذٍ سِلْمٌ للنبىّ صلّى

---

(١) سلع : الجبل المعروف الذى بسوق المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٤) .

(٢) المذاد : اسم أُطم لبنى حرام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٧٠) .

(٣) راتج : الجبل الذى إلى جنب جبل بنى عبيد غربى بطحان . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣١٠) .

(٤) مساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . وكرازين : جمع كرزن ، وهو الفأس . ومكاتل : جمع مكتل ، وهو الزبيل الكبير ، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٩٤ ، ١٤ ، ٨) .

الله عليه وسلَّم يكرهون قدوم قُرَيش . ووكّل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بكلِّ جانبٍ من الخندق قوماً يحفرونه ، فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتِج إلى ذُباب ، وكانت الأَنصار تحفر من ذُباب إلى جبل بنى عُبَيد ، وكان سائر المدينة مشبَّكاً بالبنيان .

فحدّثنى محمّد بن يحيى بن سَهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت أنظر إلى المسلمين[1] والشباب ينقلون التراب ، والخندق بَسْطَة[2] أو نحوها ، وكان المهاجرون والأَنصار ينقلون على رؤوسهم فى المكاتل ، وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأْتون بها من جبل سَلْع . وكانوا يجعلون التراب مما يلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، وكانوا يسطرون الحجارة ممّا يليهم كأَنّها حِبال[3] التمر – وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها .

فحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن مَروان بن أَبى سعيد ، قال : كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ يحمل التراب فى المكاتل ويطرحه ، والقوم يرتجزون ، ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول :

هذا الجَمالُ لا جَمالُ خَيْبَرُ هذا أَبَرُّ رَبَّنا وأَطْهَرُ

وجعل المسلمون يومئذٍ إذا رأَوا من الرجل فُتورًا ضحكوا منه . وتنافس الناس يومئذٍ فى سَلْمان الفارسىّ ، فقال المهاجرون : سَلْمان منا ! . . وكان قويًّا عارفاً بحفر الخنادق . وقالت الأَنصار : هو منا ونحن أَحقّ به ! فبلغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قولُهم فقال : سَلْمان رجلٌ منا أَهل

(١) فى ث : « كنت أنظر إلى المسلمين يمرون » .
(٢) بسطة : أى قامة . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) .
(٣) فى ب : « جبال » .

البيت . ولقد كان يومئذٍ يعمل عمل عشرة رجالٍ حتى عانَه[1] يومئذٍ قيس بن أبي صَعْصَعَة ، فلُبِط به[2] ، فسألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : مُروه فَلْيَتَوَضّأ له ، وَلْيَغْتَسِلْ به ، ويكْفَإ الإناءَ خَلْفَهُ. ففعل فكأنما حُلّ من عِقال .

فحدثني ابن أبي سَبْرَة ، عنَ الفُضَيل بن مُبَشِّر قال : سمعتُ جابر ابن عبد الله يقول : لقد كنت أرى سَلْمان يومئذٍ ، وقد جعلوا له خمسة أذرعٍ طولا وخمساً فى الأرض ، فما تحيّنته حتى فرغ وَحْدَه ، وهو يقول : اللّهمّ ، لا عَيْشَ إلّا عَيْشُ الآخرة .

وحدّثنى أيّوب بن النّعمان ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن كعب بن مالك قال : جعلنا يوم الخَنْدَق نرتجز ونحفر ، وكنا — بنى سَلِمَة — ناحيةً ، فعزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ ألاّ أقول شيئاً ، فقلت : هل عزم على غيرى ؟ قالوا : حَسّان بن ثابت . قال : فعرفت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنما نهانا لوجدنا له وقلّته على غيرنا ، فما تكلّمت بحرفٍ حتى فرغنا من الخَنْدَق . وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ : لا يغضب أحدٌ ممّا قال صاحبه ، لا يُريد بذلك سوءًا ، إلّا ما قال كعب وحَسّان فإنهما يجدان ذلك .

وحدّثنى يحيى بن عبد العَزيز ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، قال : كان جُعَيل بن سُراقة رجلاً صالحاً ، وكان ذميماً قبيحاً ، وكان يعمل مع المسلمين يومئذٍ فى الخَنْدَق ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد غيّر اسمه يومئذٍ فسمّاه عَمرًا ، فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون :

(١) عانه : أى أصابه بالعين . (لسان العرب ، ج ١٧ ، ص ١٧٦) .
(٢) لبط : أى صرع وسقط إلى الأرض . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٤٦) .

سَمّاهُ مِن بعد جُعَيْلٍ عَمْرا   وكان للبائِسِ يوماً ظَهْــرا

قال : فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لا يقول من ذلك شيئاً إلَّا أن يقول « عمرا » [١] .

فبينا المسلمون يحفرون ، وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب مع المسلمين ، فنظر إليه سعد بن مُعاذ وهو جالسٌ مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : الحمد لله يا رسول الله الذى أبقانى حتى آمنت بك ؛ إنى عانقت أبا هذا يوم بُعاث ، ثابت بن الضَّحّاك ، فكانت اللُّبْجَة [٢] به ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أما إنه نِعْمَ الغلام ! وكان زيد بن ثابت قد رقد فى الخَنْدَق ، غلبته عيناه حتى أُخِذ سلاحه وهو لا يشعر ، وهو فى قُرٍّ شديدٍ ــ تُرْسه ، وقَوْسه ، وسيفه ــ وهو على شَفير الخَنْدَق مع المسلمين ، فانكشف المسلمون يُريدون يُطيفون بالخَنْدَق ويحرسونه ، وتركوا زيدًا نائماً ، ولا يشعرون به حتى جاءه عُمارة بن حَزم فأخذ سلاحه ، ولا يشعر حتى فزع بَعْدَ فَقْدِ سلاحه ، حتى بلغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فدعا زيدًا فقال : يا أبا رُقاد ، نمتَ حتى ذهب سلاحك ! ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَن له علمٌ بسلاح هذا الغلام ؟ فقال عُمارة بن حَزم : أنا يا رسول الله ، وهو عندى . فقال : فرُدَّه عليه ، ونهى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُروِّع المسلم أو يُؤْخَذ مَتاعه لاعباً جادًّا [٣] .

حدّثنى عَلِىّ بن عيسى ، عن أبيه ، قال : ما كان فى المسلمين يومئذٍ أحَدٌ إلَّا يحفر فى الخَنْدَق أو ينقِل التراب ، ولقد رُئِى رسول الله صلَّى

(١) أى إذا وصلوا إلى آخر البيت قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا قالوا : « وكان للبائس يوماً ظهرا » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرا » . (شرح أبى ذر ، ص ٣٠٠) .

(٢) اللبجة : من قولك لبج به ، أى صرع . (أساس البلاغة ، ص ٨٤٢) .

(٣) أى لا يأخذه على سبيل الهزل ثم يحبسه فيصير ذلك جداً . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٧)

الله عليه وسلَّم وأبو بكر ، وعمر – وكان أبو بكر وعمر لا يتفرّقان فى عمل ، ولا مسير ، ولا مَنزِل – ينقلان التراب فى ثيابهما يومئذٍ من العجلة ، إذ لم يجدا مَكاتِل لعجلة المسلمين .

وكان البَراء بن عازب يقول : ما رأيت أحدًا أحسن فى حُلَّةٍ حمراءَ من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فإنه كان أبيضَ شديد البياض ، كثير الشعر ، يضرب الشعر مَنكِبَيْه . ولقد رأيته يومئذٍ يحمل التراب على ظهره حتّى حال الغُبار بينى وبينه ، وإنى لأنظر إلى بياض بطنه .

وقال أبو سَعيد الخُدرى : لكأنّى أنظر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم وهو يحفر فى الخَنْدَق مع المسلمين ، والتراب على صدره وبين عُكَنه[1] ، وإنه ليقول :

اللّهمّ لولا أنت ما اهْتَدَيْنا ولا تَصَدّقْنا ولا صَلَّينـــا

يُردّد ذلك .

وحدّثنى أُبَىّ بن عبّاس بن سَهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم الخَنْدق ، فأخذ الكَرْزَن وضرب به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حجرًا فصَلَّ الحجر ، فضحك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقيل : يا رسول الله ، مِمَّ تضحك ؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أضحك من قوم يُؤْتَى بهم من المشرق فى الكُبول[2] ، يُساقون إلى الجنَّة وهم كارهون .

فحدّثنى عاصم بن عبد الله الحَكَمىّ ، عن عمر بن الحَكَم ، قال : كان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يضرب يومئذٍ بالمِعْوَل ، فصادف

---

(١) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤٩) .
(٢) الكبول : جمع كبل ، وهو قيد ضخم . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٦) .

حجرًا صلْدًا ، فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منه المِعْول ، وهو عند جبل بنى عُبيد ، فضرب ضربةً فذهبت أوّلها بَرْقَةٌ إلى اليمَن ، ثم ضرب أُخرى فذهبت برْقَةٌ إلى الشام ، ثم ضرب أُخرى فذهبت بَرْقَةٌ نحو المشرق ، وكُسِر الحجر عند الثالثة . فكان عمر بن الخطّاب يقول : والذى بعثه بالحقّ ، لصار كأنه سِهْلَة [1] وكان كلَّما ضرب ضربةً يتبعه سَلْمان ببَصَرِه[2] ، فيبصر عند كلّ ضربةٍ بَرْقَة ، فقال سَلْمان : يا رسول الله ، رأيت المِعْول كلَّما ضربتَ به أضاءَ ما تحته . فقال : أليس قد رأيتَ ذلك ؟ قال : نعم . قال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى رأيت فى الأُولى قصور الشام ، ثم رأيت فى الثانية قصور اليَمَن ، ورأيت فى الثالثة قصر كِسْرى الأبيضَ بالمَدائن . وجعل يصفه لِسَلْمان فقال : صدقتَ والذى بعثك بالحقّ ، إنَّ هذه لَصفتُه ، وأشهد أنك لَرسول الله ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هذه فتوحٌ يفتحها الله عليكم بعدى يا سَلْمان ، لتُفْتَحَنَّ الشام ، ويهرب هِرَقْلُ إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشام فلا يُنازعكم أحد ، ولتُفْتَحَنَّ اليَمن ، وليُفْتَحَنَّ هذا المشرِق، ويُقْتَل كِسْرى بعده . قال سلْمان : فكلّ هذا قد رأيت .

قالوا : وكان الخَنْدَق ما بين جبل بنى عُبَيد بخُرْبَى إلى راتِج ، فكان للمهاجرين من ذُباب إلى راتِج ، وكان للأنصار ما بين ذُباب إلى خُرْبَى ، فهذا الذى حفر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون ، وشبَّكوا المدينة بالبنيان من كلّ ناحيةٍ وهى كالحصن . وخندقت بنو عبد الأَشْهَل عليها يما يلى راتِج إلى خلفها ، حتى جاءَ الخَنْدَق من وراءِ المسجد ، وخندقت

(١) السهلة : رمل ليس بالدقاق . (الصحاح ، ص ١٧٣٣).
(٢) فى الأصل : « بفصر به » ؛ والتصحيح من نسخة ب .

بنو دينار من عند خُرْبَى إلى موضع دار ابن أَبى الجَنوب اليوم . ورفع المسلمون النساءَ والصبيان فى الآطام ، ورفعت بنو حارثة الذَّرارىّ فى أُطْمهم ، وكان أُطْماً منيعاً ، وكانت عائشة يومئذٍ فيه . ورفع بنو عمرو بن عَوف النساءَ والذُّرّيّة فى الآطام ، وخندق بعضهم حول الآطام بقُباء ، وحصّن بنو عمرو بن عَوف ولفّها[١] ، وخَطْمَة ، وبنو أُمَية ، ووائل ، وواقف، فكان ذراريّهم فى آطامهم .

فحدّثنى عبد الرحمن بن أَبْجَر[٢] ، عن صالح بن أَبى حَسّان ، قال : أَخبرنى شيوخ بنى واقف أَنهم حدّثوه أَنَّ بنى واقف جعلوا ذراريّهم ونساءَهم فى أُطْمهم ، وكانوا مع النبى صلّى الله عليه وسلّم ، وكانوا يتعاهدون أَهليهم بأَنصاف النهار بإذن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فبينهاهم النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فإذا أَلحّوا أَمرهم أَن يأْخذوا السلاح خوفاً عليهم من بنى قُرَيْظَة .

فكان هِلال بن أُمَية يقول : أَقبلتُ فى نفرٍ من قومى وبنى عمرو بن عَوف ، وقد نكبنا عن الجِسْر وصَفْنَة[٣] فأَخذنا على قُباء ، حتى إذا كنا بعَوْسا[٤] إذا نفرٌ منهم فيهم نَبّاش بن قيس القُرَظىّ ، فنضحونا بالنَّبل ساعة ، ورميناهم بالنبل ، وكانت بيننا جِراحة ، ثم انكشفوا على حاميتهم ورجعنا إلى أَهلنا ، فلم نَرَ لهم جمعاً بعد .

وحدّثنى أَفْلَح بن سَعيد ، عن محمّد بن كعب ، قال : كان الخَنْدَق الذى خندق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما بين جبل بنى عُبيد إلى راتِج

---

(١) اللف : القوم المجتمعون . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٩٦) .
(٢) فى ب : « عبد الرحمن بن الحارث » .
(٣) كذا فى الأصل ؛ وفى نسخة ب : « وصقنة » . وصفنة : منزلة بنى عطية بن زائد ، ذكرها السمهودى ، (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٦) .
(٤) عوسا : موضع بوادى رانونا . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢١٣) .

ـ وهذا أثبت الأَحاديث عندنا . وذكروا أَنّ الخَنْدَق له أَبواب ، فلسنا ندرى أَين موضعُها .

فحدّثنى محمّد بن زِياد بن أَبى هُنَيدة ، عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث ، عن جابر بن عبد الله ، قال : أَصاب الناس كُدْيَةٌ يوم الخَنْدَق فضربوا فيها بمَعاوِلِهم حتى انكسرت ، فدعَوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فدعا بماءٍ فصبّه عليها فعادت كثيباً . قال جابر بن عبد الله : فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحفر ، ورأيته خَميصاً ، ورأيت بين عُكَنه الغُبار ، فأَتيت امرأتى فأَخبرتها ما رأيت من خَمص بطن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت : واللهِ ، ما عندنا شىءٌ إلّا هذه الشاة ومُدٌّ من شَعير . قال جابر : فَاطْحَنى وأَصْلِحى . قالت : فطبخنا بعضها وشَوَينا بعضها ، وخُبِز الشعيرُ . [قال جابر] : ثم أَتيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فمكثتُ حتى رأيت أَنَّ الطعام قد بلغ ، فقلت : يا رسول الله ، قد صنعتُ لك طعاماً فأْتِ أَنت ومن أَحببتَ من أَصحابك . فشبّك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَصابعه فى أَصابعى ، ثم قال : أَجيبوا ، جابرٌ يدعوكم ! فأَقبلوا معه فقلت : واللهِ ، إنها الفَضيحة ! فأَتيتُ المرأة فأَخبرتها فقالت : أَنت دعوتهم أَو هو دعاهم ؟ فقلت : بل هو دعاهم ! قالت : دعهم ، هو أَعلم . قال : فأَقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأَمر أَصحابه ، فكانوا فِرَقاً ، عشرةً عشرةً ، ثم قال لنا : اغْرِفوا وغَطّوا البُرْمَة ، وأَخرِجوا من التّنّور الخبز ثم غَطّوه . ففعلنا فجعلنا نغرف ونُغطّى البُرْمَة ثم نفتحها ، فما نراها نَقَصت شيئاً ، ونُخرِج الخبز من التّنّور ثم نُغطّيه ، فما نراه ينقص شيئاً . فأَكلوا حتى شبِعوا ، وأَكلنا وأَهدينا ، فعمل الناس يومئذٍ كلّهم والنبى صلّى الله عليه وسلّم . وجعلت الأَنصار ترتجز وتقول :

نحن الَّذينَ بايعــوا محمّدا   على الجِهادِ ما بقينا أبَدا

فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم :

اللَّهمّ لا خَيْرَ إلَّا خَيْرُ الآخِرَه   فَاغْفِر لِلأَنصارِ والمُهاجِرَه

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن صالح بن محمّد بن زائدة ، عن أَبى سَلَمَة ابن عبد الرحمن بن عَوف ، عن أَبى واقد اللَّيثىّ ، قال : رأَيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يعرض الغِلْمان وهو يحفر الخَنْدق ، فأَجاز مَن أَجاز وردّ من ردّ ، وكان الغِلْمان يعملون معه ، الذين لم يبلغوا ولم يُجِزهم ، ولكنه لما لحم الأَمر أَمر مَن لم يبلغ أَن يرجع إلى أَهله إلى الآطام مع الذرارىّ . وكان المسلمون يومئذٍ ثلاثة آلاف ، فلقد كنت أَرى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وإنه لَيضرب مرةً بالمِعول ، ومرّةً يغرف بالمِسحاة التراب ، ومرّةً يحمل التراب فى المِكتل . ولقد رأَيته يوماً بُلِغ منه ، فجلس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثم اتّكأَ على حجرٍ على شِقّه الأَيسر ، فذهب به النوم . فرأَيت أَبا بكر وعمر واقفَيْن على رأْسه يُنحّيان الناس أَن يمرّوا به فيُنبّهوه ، وأَنا قريبت منه ، ففزِع ووثب ، فقال : أَلا أَفزعتمونى ! فأَخذ الكَرْزَن يضرب به ، وإنه ليقول :

اللّهمّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَه   فَاغْفِر للأَنْصارِ والمُهاجِــرَه
اللّهمّ الْعَنْ عَضَلاً والقَــارَه   فهم كَلَّفونى أَنْقُــلُ الحِجارَه

فكان ممّن أَجاز رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ ابن عمر ؛ وهو ابن خمسَ عشرة ، وزيد بن ثابت ؛ وهو ابن خمسَ عشرة ، والبَراء بن عازب ؛ وهو ابن خمسَ عشرة .

حدّثنى عبد الحَميد بن جَعفر ، عن أَبيه ، قال : لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخَنْدَق ، وكان حفره ستّة أيام وحصنه ، ونزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دَبْرَ سلْع ، فجعله خلف ظهره والخَنْدق أمامه ، وكان عسكره هنالك . وضرب قُبّة من أَدَم ، وكانت القُبّة عند المسجد الأَعلى الذى بأَصل الجبل - جبل الأَحْزاب - وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يُعقب بين نسائه ، فتكون عائشة أياماً ، ثم تكون أُمّ سَلَمَة ، ثم تكون زَيْنَب بنت جَحش ، فكان هؤلاء الثلاث اللّاتى يُعقب بينهنّ فى الخَندَق ، وسائر نسائه فى أُطْم بنى حارثة . ويقال : كنّ فى المُسَيْر[١] ، أُطْم فى بنى زُرَيق ، وكان حصيناً . ويقال : كان بعضهنّ فى فارِع[٢] وكلّ هذا قد سمعناه .

فحدّثنى أَبو أَيّوب بن النُّعمان ، عن أَبيه ، قال : كان حُيَى بن أَخْطَب يقول لأَبى سُفيان بن حَرب ولقُريش فى مسيره معهم : إنّ قومى قُرَيْظَة معكم ، وهم أَهل حلْقَة وافِرة ، هم سبعمائة مقاتِلٍ وخمسون مقاتلا . فلمّا دنَوْا قال أَبو سُفيان لحُيَى بن أَخْطَب : ائْتِ قومك ، حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمّد . فذهب حُيَىّ حتى أتى بنى قُرَيظَة ؛ وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين قدم صالَح قُرَيْظَة والنَّضير ومن بالمدينة من اليهود أَلّا يكونوا معه ولا عليه . ويقال : صالحهم على أن ينصروه ممّن دَهَمَه منهم ، ويُقيموا على مَعاقلهم[٣] الأُولى التى بين الأَوس والخزرج . ويقال إنّ حُيَىّ

---

(١) قال السمهودى : إنه أطم بنى عبد الأشهل ، كان لبنى حارثة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٧٣) .

(٢) فارع : أطم كان فى دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٤) .

(٣) أى يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١١٧) .

عدل من ذى الحُلَيفة فسلك على العَصْبَة حتى طرق كعب بن أسد، وكان كعب صاحب عقد بنى قُرَيْظَة وعهدها .

فكان محمد بن كعب القُرَظى يحدّث يقول : كان حُيَىّ بن أخْطَب رجلاً مشئوماً ؛ هو شأم بنى النَّضير قومه، وشأم قُرَيْظَة حتى قُتِلوا، وكان يُحبّ الرئاسة والشرف عليهم ، وله فى قُرَيش شَبَهٌ — أبو جَهل بن هِشام . فلما أتى حُيَىّ إلى بنى قُرَيْظَة كرهت بنو قُرَيْظَة دخولَه دارَهم ، فكان أول من لقيه غزّال بن سَمَوْأل ، فقال له حُيَىّ : قد جئتك بما تستريح به من محمّد ، هذه قُرَيْش قد حلّت وادى العَقيق ، وغَطَفان بالزّغابَة . قال غَزّال : جئتَنا واللهِ بِذُل الدهر ! قال حُيَىّ : لا تقلْ هذا ! ثم وجّه إلى باب كعب بن أسد فدقّ عليه ، فعرفه كعب وقال : ما أصنع بدخول حُيَىّ علىّ ، رجل مشئوم قد شأم قومَه ، وهو الآن يدعونى إلى نقض العهد ! قال : فدقّ عليه ، فقال كعب : إنك امرؤٌ مشئومٌ قد شأمتَ قومك حتى أهلكتَهم ، فارجع عنا فإنك إنما تُريد هلاكى وهلاك قومى ! فأبى حُيَىّ أن يرجع ، فقال كعب : يا حُيَىّ ، إنى عاقدت محمّدًا وعاهدته ، فلم نر منه إلاّ صدقاً ؛ واللهِ ، ما أخفر[1] لنا ذِمّةً ولا هتك لنا سِترًا ، ولقد أحسن جِوارنا . فقال حُيَىّ : ويحك ! إنى قد جئتك ببحرٍ طامٍ وبعزّ الدهر ، جئتُك بقُرَيش على قادتها وسادتها ، وجئتُك بكِنانة حتى أنزلتُهم برُومَة، وجئتك بغَطَفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتُهم بالزّغابة إلى نَقْمَى[2] ، قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل ، والعدد عشرة آلاف ، والخيل ألف فرس ، وسلاح كثير ، ومحمّدٌ لا يُفلت فى فَوْرنا هذا ، وقد تعاقدوا

---

(١) أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٠٦) .

(٢) نقمى : موضع بقرب أحد كان لأبى طالب . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٨٤) .

وتعاهدوا ألّا يرجعوا حتى يستأْصلوا محمّدًا ومن معه . قال كعب : ويحك ! جئتَنى واللهِ بِذُلّ الدهر وبسحابٍ يبرُق ويرعُد ليس فيه شىء . وأنا فى بَحْرٍ لُجِّىٍّ ، لا أَقدر على أن أَريم دارى ، ومالى معى والصبيان والنساء ؛ فارجع عنى ، فإنه لا حاجةَ لى فيما جئتَنى به . قال حُيَىّ : ويحك ! أُكلِّمك. قال كعب : ما أنا بفاعل . قال : واللهِ ، ما أَغلقتَ دونى إلّا لجَشيشتك أَن آكل معك منها ، فلك ألاَّ أُدخل يدى فيها . قال : فأَحفظه (١) ، ففتح الباب فدخل عليه ، فلم يزل يَفْتِله فى الذِّرْوَة والغارِب (٢) حتى لان له ، وقال : ارجعْ عنى يومك هذا حتى أُشاور رؤساء اليهود . فقال : قد جعلوا العهد والعقد إليك فأَنت ترى لهم . وجعل يُلحّ عليه حتى فتله عن رأْيه ، فقال كعب بن أَسَد : يا حُيَىّ ، قد دخلتُ فيما ترى كارهاً له ، وأنا أَخشى ألاَّ يُقْتَل محمّد ، وتنصرف قُرَيشٌ إلى بلادها ، وترجع أنت إلى أهلك ، وأَبقى فى عُقر الدار وأُقْتَل ومن معى . فقال حُيَىّ : لك ما فى التوراة التى أُنْزِلَت على موسى يومَ طُور سَيناء ، لئن لم يُقْتَل محمّدٌ فى هذه الفَورة ورجعت قُرَيشٌ وغَطَفان قبل أن يُصيبوا محمّدًا ، لأَدخلنَّ معك حِصْنك حتى يُصيبنى ما أَصابك . فنقض كَعب العهد الذى كان بينه وبين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ودعا حُيَىّ بالكتاب الذى كتب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بينهم فشقَّه حُيَىّ ، فلمّا شقَّه حُيَىّ علم أَنَّ الأَمر قد لَحَم وفَسَد ، فخرج على بنى قُرَيْظَة وهم حِلَقٌ حول منزل كعب بن أَسَد ، فخبّرهم الخبر . يقول الزَّبير بن باطا : وَاهَلاكَ اليهود ! تُولِّى قُرَيْش وغَطَفان

---

(١) أحفظ : أى أغضب ، والحفيظة : الغضب . (شرح أبى ذر ، ص ٣٠١) .

(٢) فى الذروة والغارب : هذا مثل ، وأصله فى البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ١٨٩) .

ويتركوننا فى عُقر دارنا وأموالنا وذرارينا ، ولا قوّة لنا بمحمّد! ما بات يهودىٌّ على حَزم قَطّ ، ولا قامت يهوديّةٌ بيَثْرِب أبدًا . ثم أرسل كعب بن أَسَد إلى نفرٍ من رؤساءِ اليهود خمسة – الزَّبير بن باطا ، ونَبّاش بن قيس ، وغَزّال ابن سَمَوْأَل ، وعُقبة بن زيد ، وكعب بن زيد ، فخبّرهم خبر حُيَىّ ، وما أعطاه حُيَىّ أن يرجع إليه فيدخل معه فيُصيبه ما أصابه . يقول الزَّبير ابن باطا : وما حاجتك إلى أن تُقْتَل ويُقْتَل معك حُيَىّ ! قال : فأُسكت كعب وقال القوم : نحن نكره نُزرى برأْيك أو نُخالفك ، وحُيى مَن قد عرفت شومه . وندم كعب بن أسد على ما صنع من نقض العهد ، ولَحَم الأَمر لِما أراد الله تعالى من حربهم وهلاكهم .

فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون فى الخَنْدَق أَتى عمر بن لخطّاب رضى الله عنه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى قُبّته – وقُبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مضروبة من أَدَمٍ فى أَصل الجبل عند المسجد الذى فى أَسفل الجبل – معه أَبو بكر رضى الله عنه والمسلمون على خَنْدَقهم يتناوبون ، معهم بضعةٌ وثلاثون فرساً ، والفرسان يطوفون على الخَنْدَق ما بين طرَفَيْه ، يتعاهدون رجالاً وضعوهم فى مواضعَ منه ، إلى أن جاءَ عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغنى أَنَّ بنى قُرَيْظَة قد نقضت العهد وحاربت. فاشتدّ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال : مَن نبعث يعلم لنا علْمهم ؟ فقال عمر : الزُّبَير بن العوام . فكان أَوّل الناس بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الزُّبَير بن العَوام ، فقال : اذهب إلى بنى قُرَيْظَة . فذهب الزُّبَير فنظر ، ثم رجع فقال : يا رسول الله ، رأَيتهم يُصلحون حصونهم ويُدرّبون طرقهم ، وقد جمعوا ماشيتهم . فذلك حين قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنَّ لكل نبىٍّ حَوارِيًّا ، وحَوارىَّ الزُّبيرُ وابن عمّتى .

ثم دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سعد بن مُعاذ ، وسعد بن عُبادة ، وأُسَيد بن حُضَير ، فقال : إنه قد بلغني أنّ بني قُرَيْظَة قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم وحاربوا ، فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني حقًّا ؛ فإن كان باطلاً فأظهروا القول ، وإن كان حقًّا فتكلّموا بكلام تَلْحَنون لي به أعرفه ، لا تَفُتُّوا أعضاد المسلمين . فلما انتهَوْا إلى كعب بن أسَد وجدوا القوم قد نقضوا العهد ، فناشدوهم الله والعهدَ الذي كان بينهم ، أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك قبل أن يلتحم الأمر ، وألاّ يُطيعوا حُيَيّ بن أخْطَب . فقال كعب : لا نردّه أبدًا ؛ قد قطعته كما قطعتُ هذا القِبال[1] لِقبال نعله . ووقع كعب بسعد بن مُعاذ يسبّه ، فقال أُسيد بن حُضَير : تسبّ سيّدك يا عدوّ الله ؟ ما أنت له بكفء ! أما واللهِ يا ابن اليهود[2] ، لتُولِّينّ قُرَيش -إن شاء الله مُنهزمةً وتتركك في عُقر دارك ، فنسير إليك فتنزل من جُحْرك هذا على حكمنا . وإنك لتعلم النَّضير ؛ كانوا أعزّ منك وأعظم بهذه البلدة ، دِيَتك نصف ديتهم ، وقد رأيتَ ما صنع الله بهم . وقبل ذلك بنو قَيْنُقاع ، نزلوا على حكمنا . قال كعب : يا ابن الحُضَير ، تُخوّفونني بالمسير إليّ ؟ أما والتوراةِ ، لقد رآني أبوك يوم بُعاث ــ لولا نحن لأجلته الخزرج منها . إنكم واللهِ ما لقيتم أحدًا يُحسن القتال ولا يعرفه ؛ نحن والله نُحسن قتالكم ! ونالوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن المسلمين أقبح الكلام ، وشتموا سعد بن عُبادة شتماً قبيحاً حتى أغضبوه . فقال سعد بن مُعاذ : دعهم فإنّا لم نأتِ لهذا ، ما بيننا أشدّ من المشاتمة ــ السيف ! وكان

---

(١) قبال النعل : زمام ما بين الإصبع الوسطى والتي تليها . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٤) .

(٢) في ب : « يا ابن اليهودية » .

الذى يشتم سعدَ بن عُبادةَ نَبّاش بن قيس فقال : عضضت بِبَظْر[١] أُمّك! فانتفض سعد بن عُبادة غضباً ، فقال سعد بن مُعاذ : إنى أخاف عليكم مثل يوم بنى النَّضير . قال غَزّال بن سَمَوْأَل : أكلتَ أَيْر أبيك ! قال سعد بن مُعاذ غير هذا القول أحسنَ منه . قال : ثم رجعوا إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ،فلما انتهَوْا إلى النبىّ صَلَّى الله عليه وسلَّم قال سعد بن عُبادة : عضَل والقارة . وسكت الرجلان - يُريد بعَضَل والقارة غدْرَهم بخُبَيب وأصحاب الرَّجيع - ثم جلسوا . فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وقال : أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه . وانتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بنى قُرَيْظَة العهد ، فاشتدّ الخوف وعَظُم البلاء .

قُرِئَ على ابن أبى حبيبة وأنا أسمع ، قال : حدّثنا محمّد بن الثَّلجىّ قال : حدّثنا الواقدىّ ، قال : فحدّثنى عبد الرحمن بن محمّد بن أبى بكر ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حَزم قال : أرسل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سعد بن عُبادة ، وسعد بن مُعاذ ، وعبد الله بن رَواحة ،وخَوّات بن جُبَير إلى بنى قُرَيْظَة . قال ابن واقد : والأول أثبت عندنا .

قالوا : ونَجَم النفاق ، وفَشِل الناس ، وعَظُم البلاءُ ، واشتدّ الخوف ، وخِيف على الذرارىّ والنساء ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ﴾[٢] ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون وُجاه العدوّ ، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم ، يعتقبون خَنْدَقهم ويحرسونه . وتكلَّم قومٌ بكلامٍ قبيح ، فقال مُعَتِّب بن قُشَير : يَعِدُنا محمدٌ كُنوزَ كِسرى وقيصر ، وأحدنا لا

---

(١) فى الأصل : « ببطن أمك » ، وما أثبتناه من نسخة ب .

(٢) سورة ٣٣ الأحزاب ١٠ .

يأْمن أن يذهب إلى حاجته ، وما وعدَنا اللهُ ورسوله إلّا غرورًا !

فحدّثنى صالح بن جَعفر ، عن ابن كعب ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى لأرجو أن أطوف بالبيت العَتيق وآخذ المِفتاح ، وليُهلكنّ الله كِسرى وقَيْصَر ، ولتُنفَقنّ أموالهم فى سبيل الله — يقول ذلك حين رأى ما بالمسلمين من الكَرْب . فسمعه مُعَتِّب فقال ما قال .

فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن الحارث بن الفُضَيل قال : همّت بنو قُرَيْظَة أن يُغيروا على بَيْضَة المدينة ليلاً ، فأرسلوا حُيَىّ بن أَخْطَب إلى قُرَيشٍ أن يأْتيهم منهم أَلفُ رجلٍ ، ومن غَطَفان أَلف ، فيُغيروا بهم[1]. فجاءَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبرُ بذلك فعَظُمَ البلاء ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبعث سَلَمَة بن أَسْلَم بن حُرَيش الأَشْهَلىّ فى مائتى رجل ، وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة يحرسون المدينة ويُظهرون التكبير ، ومعهم خيل المسلمين ، فإذا أصبحوا أَمِنوا . فكان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يقول : لقد خِفنا على الذّرارىّ بالمدينة من بنى قُرَيْظة أشدَّ [من] خوفنا من قُريشٍ وغَطَفان ، ولقد كنت أُوفى على سَلْع فأَنظر إلى بيوت المدينة ، فإذا رأَيتهم هادين[2] حمدت الله عزَّ وجلّ ، فكان ممّا ردّ الله به قُرَيْظَة عمّا أَرادوا أنّ المدينة كانت تُحْرس .

حدّثنى صالح بن خَوّات ، عن ابن كعب ، قال : قال خَوّات بن جُبَير : دعانى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن مُحاصِرو الخَنْدَق ، فقال : انطلق إلى بنى قُرَيْظَة فانظر هل ترى لهم غِرَّةً أو خَلَلاً من موضعٍ فتُخبرنى . قال : فخرجتُ من عنده عند غروب الشمس ، فتدلّيت من سَلْعٍ وغَرَبت

---

(١) فى ث : « ليغيروا بهم على الذرارى » .

(٢) هكذا فى كل النسخ ؛ ولعله من تسهيل أهل الحجاز للهمزة ، فتكون الكلمة « هادئين » .

لى الشمس فصلّيت المغرب ، ثم خرجت حتى أخذتُ فى راتِج ، ثم على عبد الأَشْهَل ، ثم فى زُهْرَة ، ثم على بُعاث . فلما دنوتُ من القوم قلت : أكمُن لهم . فكمنتُ ورمقت الحصون ساعة ، ثم ذهب بى النوم فلم أشعر إلاّ برجلٍ قد احتملنى وأنا نائم ، فوضعنى على عُنُقه ثم انطلق يمشى. قال : ففزعت ورجلٌ يمشى بى على عاتقه ، فعرفت أنه طَليعة من قُرَيْظَة واستحييت تلك الساعة من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حياءً شديدًا ، حيث ضيّعت ثَغْرًا أمرنى به ، ثم ذكرت غلبة النوم . قال : والرجل يُرقل بى إلى حصونهم ، فتكلّم باليهوديّة فعرفتُه ، قال : أبشر بِجَزْرَةٍ سمينة ! قال : وذكرت وجعلت أضرب بيدى – وعهدى بهم لا يخرج منهم أحدٌ أبدًا إلاّ بمِعولٍ فى وسطه . قال : فأضع يدى على المِعول فأنتزعه ، وشُغل بكلام رجل من فوق الحصن ، فانتزعته فوجأْت به كبده فاسترخى وصاح : السَّبُع ! فأوقدت اليهود النار على آطامها بشُعَل السَّعَف. ووقع ميّتاً وانكشف ، فكنتُ لا أُدْرَك ،[1] وأُقبلُ من طريقى التى جئتُ منها . وجاءَ جبريل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ظَفرتَ يا خَوّات ! ثم خرج فأخبر أصحابه فقال : كان من أمر خَوّات كذا وكذا . وآتى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو جالسٌ فى أصحابه وهم يتحدّثون ، فلما رآنى قال : أفلح وجهك ! قلت : ووجهُك يا رسول الله ! قال : أخْبِرنى خبرك . فأخبرته ، فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : هكذا أخبرنى جبريل . وقال القوم : هكذا حدثنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . قال خَوّات : فكان ليلنا بالخَنْدَق نهارًا . قال غير صالح : قال خَوّات : رأيتنى

---

(١) فى الأصل : « لا أدرى » ؛ وما أثبتناه من ب ، ث .

وأنا أتذكّر سُوءَ أثرى عندهم بعد مُمالَحةٍ وخِلْصِيّةٍ منى لهم ، فقلت :
هم يمثلون بى كلّ المَثْل حتى ذكرت المِعول .

حدّثنى أبو بكر بن أبى سَبْرَة ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حَزم ، قال : خرج نَبّاش بن قيس ليلةً من حِصنهم يُريد المدينة ، ومعه عشرةٌ من اليهود من أشدّائهم وهم يقولون : عسى أن نُصيب منهم غِرّة . فانتهوا إلى بَقيع الغَرْقَد ، فيجدون نفرًا من المسلمين من أصحاب سَلَمَة بن أَسْلَم بن حُرَيش ، فناهضوهم فراموهم ساعةً بالنَّبل ، ثم انكشف القُريظيّون مُولّين . وبلغ سَلَمَة بن أَسْلَم وهم بناحية بنى حارثة ، فأقبل فى أصحابه حتى انتهوا إلى حصونهم ، فجعلوا يُطيفون بحصونهم حتى خافت اليهود ، وأوقدوا النيران على آطامهم وقالوا : البَيات ! وهدموا قَرْنَى [1] بئر لهم وهوّروها [2] عليهم ، فلم يقدروا يطلعوا من حصنهم وخافوا خوفاً شديدًا .

وحدّثنى شيخٌ من قُرَيْش ، قال ابن أبى الزِّناد وابن جَعفر هذا أَثبت من الذى فى أُحُد ، قال : كان حَسّان بن ثابت رجلاً جباناً ، فكان قد رُفِعَ مع النساء فى الآطام ، فكانت صَفيّة فى أُطُم فارِع ، ومعها جماعةٌ وحَسّان معهم . فأقبل عشرةٌ من اليهود ورأْسهم غَزّال بن سَمَوْأَل من بنى قُرَيْظَة نهارًا ، فجعلوا ينقمعون [3] ويرمون الحصن ، فقالت صَفيّة لحَسّان : دونَك يا أبا الوليد ! قال : لا واللهِ ، لا أُعرِّضُ نفسى لهؤلاء اليهود . ودنا أحدُهم إلى باب الحصن يُريد أن يدخل ، فاحتجزت صَفيّة بثوبها ، ثم

---

(١) القرنان : منارتان تبنيان على رأس البئر ، و يوضع فوقهما خشبة فتعلق البكرة فيها . (الصحاح ، ص ٢١٨٠) .
(٢) هوروها : أى هدموها . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٦٢) .
(٣) انقمع : أى دخل . (لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ١٦٨) .

أخذت خشبةً فنزلت إليه فضربتْه ضربةً شَدَخَت رأسه فقتلته ، فهرب مَن بقى منهم .

واجتمعت بنو حارثة فبعثوا أوس بن قَيْظىّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقالوا : يا رسول الله ، إنَّ بيوتَنا عَورة ؛ وليس دارٌ مِن دور الأنصار مثلَ دارنا ، ليس بيننا وبين غَطَفان أحد يَرُدّهم عنّا ، فأْذَنْ لنا فلنَرْجعْ إلى دُورنا فنمنع ذراريّنا ونساءنا . فأَذِنَ لهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فرجعوا بذلك وتهيّئوا للانصراف . فبلغ سعدَ بن مُعاذ ، فجاءَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله ، لا تأْذَنْ لهم ؛ إنّا واللهِ ما أصابنا وإيّاهم شِدّةٌ قَطُّ إلاّ صنعوا هكذا . ثم أقبل عليهم فقال لبنى حارثة : هذا لنا منكم أبدًا ؛ ما أصابنا وإيّاكم شِدَّةٌ إلاّ صنعتم هكذا . فردّهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

وكانت عائشة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم تقول : لقد رأيت لسعد ابن أبى وَقّاص ليلةً ونحن بالخَنْدَق لا أزال أُحِبُّه أبدًا . قالت : كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يختلف إلى ثُلْمَة فى الخَنْدَق يحرسها ، حتى إذا آذاه البرد جاءنى فأدفأْته فى حِضنى ، فإذا دَفِئَ خرج إلى تلك الثُّلْمَة يحرسها ويقول : ما أخشى أن يُؤْتَى الناسُ إلّا منها . فبينا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى حِضنى قد دَفِئَ وهو يقول : ليتَ رجلًا صالحاً يحرسنى[1] ! قالت : إلى أن سمعتُ صوت السلاح وقعقعةَ الحديد ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَن هذا ؟ فقال : سعد بن أبى وَقّاص . قال : عليك بهذه الثُّلْمَة فاحرُسْها . قالت : ونام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى سمعتُ غَطِيطه .

قال الواقدى : حدّثنى عبد الرحمن بن محمّد بن أبى بكر ، عن عبدالله

(١) فى ب : « يحرسنى الليلة » .

ابن أبي بكر بن حَزم قال : قالت أمّ سَلَمَة : كنتُ مع رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم فى الخَنْدَق فلم أُفارقه مُقامَه كلّه ، وكان يحرس بنفسه فى الخَنْدَق ، وكنا فى قُرٍّ شديد ، فإنى لأَنظُر إليه قام فصلّى ما شاء الله أن يُصلّى فى قُبَّته ، ثم خرج فنظر ساعةً فأَسمعُه يقول : هذه خيل المشركين تُطِيف بالخَنْدَق ، مَن لهم ؟ ثم نادى : يا عَبّاد بن بِشر . فقال عَبّاد : لبَّيك ! قال : أمعك أحد ؟ قال : نعم ، أنا فى نفرٍ مِن أصحابى كنّا حول قُبَّتك . قال : فَانْطَلِقْ فى أصحابك فأَطِفْ بالخَنْدَق ، فهذه خيلٌ من خيلهم تُطيف بكم يطمعون أن يُصيبوا منكم غِرّة . اللّهمّ ادفَعْ عنا شرّهم وانصرنا عليهم واغلبهم، لا يغلبُهم غيرُك ! فخرج عَبّاد بن بِشر فى أصحابه، فإذا بأَبى سُفيان فى خيلٍ من المشركين يُطيفون بمَضيق الخَنْدَق . وقد نَذِر بهم المسلمون ، فرموهم بالحجارة والنَّبل . فوقفنا معهم فرميناهم حتى أذلقناهم[١] بالرمى فانكشفوا راجعين إلى منزلهم . ورجعتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَجدُه يُصلِّى فأَخبرتُه . قالت أمّ سَلَمَة : فنام حتى سمعتُ غَطيطه فما تحرّك حتى سمعتُ بِلالاً يُؤَذِّن بالصبح وبياض الفجر ، فخرج فصلّى بالمسلمين . فكانت تقول : يرحم الله عَبّاد بن بِشر ، فإنه كان أَلزمَ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقُبَّة رسول الله يحرسها أبدًا .

فحدّثنى أيّوب بن النُّعمان ، عن أبيه ، قال : كان أُسَيد بن حُضَير يحرس الخَنْدَق فى أصحابه ، فانتهوا إلى مكان من الخَنْدَق تَطْفُرُه[٢] الخيل ،

---

(١) أذلقناهم : أى أضعفناهم . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٢٤) .

(٢) طفر : وثب فى ارتفاع ، وطفر الحائط : وثبه إلى ما وراءه . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١٧٣) .

فإذا طليعةٌ من المشركين ، مائة فارس أو نحوها ، عليهم عمرو بن العاص يُريدون أن يُغيروا إلى المسلمين ، فقام أُسَيد بن حُضير عليها بأَصحابه ، فرموهم بالحجارة والنَّبل حتى أَجهضوا عنا وولَّوا . وكان فى المسلمين تلك الليلة سَلْمان الفارسىّ ، فقال لأُسَيد : إنَّ هذا مكان مِن الخَنْدَق متقارب ، ونحن نخاف تَطْفُره خيلهُم — وكان الناس عجِلوا فى حفره . وبادروا فباتوا يُوسّعونه حتى صار كهيئة الخَنْدَق وأمنوا أن تَطْفُره خيلهم . وكان المسلمون يتناوبون الحراسة ، وكانوا فى قُرٍّ شديدٍ وجوع .

فحدّثنى خارجة بن الحارث ، عن أَبى عَتيق السُّلَمىّ ، عن جابر بن عبد الله قال : لقد رأَيتُنى أَحرسُ الخَنْدَق ، وخيلُ المشركين تُطِيف بالخَنْدَق وتطلب غِرَّةً ومَضيقاً من الخَنْدَق فتقتحم فيه ، وكان عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد هما اللذان يفعلان ذلك ، يطلبان الغفلة من المسلمين . فلقينا خالد بن الوليد فى مائة فارس ، قد جال بخيله يُريد مَضيقاً من الخَنْدق يُريد أَن يعبر فرسانه ، فنَضَحناهم بالنَّبل حتى انصرف[1] .

فحدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أَبيه ، قال : قال محمّد بن مَسْلَمَة : أَقبل خالد بن الوليد تلك الليلة فى مائة فارس ، فأَقبلوا من العَقيق حتى وقفوا بالمَذاد وُجاه[2] قُبَّة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم . فنذِرت بالقوم فقلتُ لعَبَّاد بن بِشر ، وكان على حرس قُبَّة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكان قائماً يُصلِّى ، فقلت : أُتِيت ! فركع ثم سجد ، وأَقبل خالد فى ثلاثة نَفَرٍ هو رابعهم ، فأَسمَعُهم يقولون : هذه قُبَّة محمّد ، ارموا ! فرمَوا ، فناهضناهم حتى وقفنا على شَفير الخَنْدَق ، وهم بشفير[3] الخَنْدَق من الجانب الآخر ،

(١) هكذا فى الأصل . وفى ب : « أصبحوا » .
(٢) فى الأصل : « وجاء » . وما أثبتناه من نسخة ب .
(٣) فى ب : « بشفيرة » .

فترامينا، وثاب[١] إلينا أصحابُنا، وثاب إليهم أصحابُهم ، وكثرت الجِراحَةُ بيننا وبينهم . ثم اتبعوا الخَنْدَق على حافَّتَيْه وتبعناهم والمسلمون على مَحارسهم ، فكلَّما نمرُّ بِمَحْرِس نهض معنا طائفةٌ وثبت طائفة ، حتى انتهينا إلى راتِجٍ فوقفوا وقفةً طويلة ، وهم ينتظرون قُرَيْظَةَ يُريدون أن يُغِيروا على بَيْضَة المدينة ، فما شعرنا إلّا بخيل سَلَمة بن أَسْلَم بن حُرَيش يحرس ، فيأْتون من خلف راتِج ، فلاقوا خالد بن الوليد فاقتتلوا واختلطوا ، فما كان إلّا حَلْب شاةٍ حتى نظرتُ إلى خيل خالد مُولِّية ، وتبعه سَلَمَة بن أَسْلَم حتى رَدّه من حيث جاءَ . فأَصبح خالد وقُريشٌ وغَطَفان تَزرِى عليه وتقول : ما صنعت شيئاً فيمن فى الخَنْدَق ولا فيمن أصحر لك[٢] . فقال خالد : أنا أَقعدُ الليلة ، وابعثوا خيلاً حتى أَنظرَ أَىّ شىءٍ تصنع .

فحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن عبد الواحد بن أَبى عَون ، عن أُمّ سَلَمة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قالت : واللهِ ، إنى لفِى جوف الليل فى قُبَّة النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم وهو نائم ، إلى أن سمعتُ الهَيْعة[٣] ، وقائلٌ يقول : يا خيلَ الله ! وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل شعار المهاجرين « يا خيل الله » ففزِع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصوته فخرج من القُبَّة ، فإذا نَفَرٌ من الصحابة عند قُبَّته يحرسونها ، منهم عَبّاد بن بِشر ، فقال : ما بالُ الناس ؟ قال عَبّاد : يا رسول الله ، هذا صوت عمر بن الخطاب ؛ الليلة نَوْبَته يُنادى : « يا خيلَ الله » والناس يثوبون إليه ، وهو من ناحية حُسَيْكَة ما بين ذُباب ومسجد الفَتْح . فقال رسول الله صلّى الله عليه

(١) ثاب : أى رجع . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٣٧) .
(٢) أصحر : برز . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٦٧) .
(٣) الهيعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من عدو . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٦١) .

وسلَّم لعَباد بن بِشر : اذهبْ فانظرْ ، ثم ارجع إلىّ إن شاءَ الله فأَخْبرنى ! قالت أُمّ سَلَمَة : فقمتُ على باب القُبَّة أَسمعُ كلّ ما يتكلَّمان به . قالت : فلم يزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قائماً حتى جاءَه عَباد بن بِشر فقال : يا رسول الله ، هذا عمرو بن عبد فى خيل المشركين ، معه مسعود بن رُخية ابن نُويَرة بن طَريف بن سُحْمَة بن عبد الله بن هِلال بن خَلاوة بن أَشْجَع ابن رَيث بن غَطَفان ، فى خيل غَطَفان ، والمسلمون يُرامونهم بالنَّبل والحجارة . قالت : فدخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلَبِس دِرْعَه ومِغْفَره ، وركب فرسه ، وخرج معه أَصحابُه ، حتى أَتى تلك الثُّغْرَة ، فلم يلبث أَن رجع وهو مسرورٌ فقال : صَرَفهم اللهُ ، وقد كثُرت فيهم الجراحة . قالت : فنام حتى سمعتُ غَطيطه ؛ وسمعت هائِعةً أُخرى ، ففزِع فوثب فصاح : يا عَبّاد ابن بِشر ! قال : لَبَّيك ! قال : انظرْ ما هذا . فذهب ثم رجع فقال : هذا ضِرار بن الخطَّاب فى خيلٍ من المشركين ، معه عُيَيْنَة بن حِصن فى خيل غَطَفان عند جبل بنى عُبَيد ، والمسلمون يُرامونهم بالحجارة والنَّبل . فعاد رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم فلبس دِرْعَه وركب فرسه ، ثم خرج معه أَصحابُه إلى تلك الثُّغْرَة ، فلم يأْتنا حتى كان السَّحَر ، فرجع وهو يقول : رجعوا مفلولين ، قد كثُرت فيهم الجراحة . ثم صلَّى بأَصحابه الصبح وجلس . فكانت أُمّ سَلَمَة تقول : قد شهدتُ معه مشاهد فيها قتالٌ وخوف ــ المُرَيْسِيع ، وخَيْبَر ، وكنا بالحُديبية ، وفى الفَتْح ، وحُنَين ــ لم يكن من ذلك شىءٌ أَتعبَ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولا أَخوفَ عندنا مِن الخَنْدَق . وذلك أَنَّ المسلمين كانوا فى مثل الحَرَجة(١) ، وأَنَّ قُرَيْظَة لا نأْمنها على الذَّرارىّ ، والمدينة تُحرَس حتى الصباح ، يُسمَع تكبير المسلمين فيها حتى يُصبحوا

(١) الحرجة : الشجرة الكثيرة الأغصان . (شرح أبى ذر ، ص ١٥٩) .

خوفاً ، حتى ردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا [وكفى الله المؤمنين القتال] (١) .

حدّثنى إبراهيم بن جَعفر ، عن أبيه ، عن محمّد بن مَسْلَمَة ، قال : كنا حول قُبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نحرسه ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم نائمٌ نسمع غَطيطه ، إذ(٢) وافت أفراسٌ على سَلْع ، فبصُر بهم عَبّاد بن بِشر فأخبرنا بهم ،قال : فأمضى إلى الخيل ، وقام عَبّاد على باب قُبّة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم آخِذًا بقائم السيف ينظرنى ، فرجعتُ فقلت : خيل المسلمين أشرفت ، عليها سَلَمَة بن أسلم بن حُرَيش ، فرجعتْ إلى موضعنا . ثم يقول محمّد بن مَسْلَمَة : كان ليلنا بالخَنْدَق نهارًا حتى فرّجه الله .

حدّثنى خارجة بن الحارث ، عن أبى عَتيق ، عن جابر ، وحدّثنى الضّحّاك ابن عُثمان ، عن عُبيد الله بن مِقْسَم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان خوفنا على الذّرارىّ بالمدينة من بنى قُرَيْظَة أشدَّ مِن خوفنا من قُرَيشٍ! حتى فرّج الله ذلك .

قالوا : فكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سُفيان بن حَرب فى أصحابه يوماً ، ويغدو هُبَيرة بن أبى وَهب يوماً ، ويغدو عِكْرِمَة بن أبى جهل يوماً ، وضِرار بن الخطّاب يوماً ، فلا يزالون يُجيلون خيلَهم ما بين المُذاد إلى راتِج ، وهم فى نَشَرٍ (٣) من أصحابهم ، يتفرّقون مرة ويجتمعون أخرى ، حتى عظُم البلاءُ وخاف الناسُ خوفاً شديدًا . ويُقدّمون رُماتهم — وكان معهم رُماة ؛ حِبّان بن العَرِقة ، وأبو أُسامة الجُشَمىّ ، وغيرهم من

---

(١) زيادة فى ب .

(٢) فى ب : « إذا أوفت » .

(٣) أى كانوا منتشرين متفرقين . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٤٤) .

أفناءِ[1] العرب – فعمدوا يوماً من ذلك فتناوشوا بالنَّبل ساعة ، وهم جميعاً فى وجهٍ واحد وُجاه قُبَّةِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قائم ، عليه الدِّرْع والمِغْفَر ، ويقال على فرسه . فيرمى حِبّانُ بن العَرِقَة سعدَ بنَ مُعاذ بسهم فأصاب أَكحَلَه[2] ، فقال : خُذْها وأنا ابن العَرِقَة ! قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : عرّق الله وجهَك فى النار ! ويقال أبو أُسامة الجُشَمىّ رماه ، وكان دارعاً . فكانت عائشة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم تقول : كنا فى أُطْم بنى حارثة قبل الحجاب ومعنا أُمُّ سعد بن مُعاذ ، فمرّ سعد بن مُعاذ يومئذ عليه رَدْعُ خَلوقٍ[3] ما رأيتُ أحدًا فى الخَلوق مثله ، وعليه دِرْعٌ له ، مُشمرة عن ذراعيه ؛ واللهِ ، إنى لأَخافُ عليه يومئذٍ من تشميرة دِرْعه ما أصابه ، فمرّ يَرْفُل فى يده الحَرْبة ، وهو يقول :

لَبِّثْ قَليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا[4] حمَلْ[5] ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأَجَلْ

وأمه تقول : الحقْ برسول الله يا بُنىّ ! وقد واللهِ تأخّرت ، فقلت : واللهِ يا أُمّ سعد ، لوددْتُ أَنَّ دِرْعَ سعد أُسبغ على بَنانِه . قالت أُم سعد : يقضى الله ما هو قاض ! فَقَضَى له أن أُصيب يومئذٍ ، ولقد جاء الخبر بأنه قد رُمِى ، تقول أُمّه : واجَبَلاه !

---

(١) يقال : هو من أفناء الناس، إذا لم يعلم ممن هو . (الصحاح ، ص ٢٤٥٧) .

(٢) الأكحل : عرق فى اليد ، أو عرق الحياة . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٤٤) .

(٣) فى الأصل : « درع حلوق » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والردع : أثر الطيب فى الجسد. (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٩) . والخلوق : طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ؛ وتغلب عليه الحمرة والصفرة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣١٧) .

(٤) الهيجا : الحرب . (الصحاح ، ص ٣٥٢) .

(٥) قال السهيلى: هو بيت تمثل به ، عنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبى . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ١٩٢) .

ثم إنَّ روساءَهم أجمعوا أن يغدوا جميعاً ، فغدا أبو سُفيان بن حرب ، وعِكْرِمَة بن أَبى جهل ، وضِرار بن الخطَّاب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص . وهُبَيرة بن أَبى وَهب ، ونَوفل بن عبد الله المخزومىّ ، وعمرو بن عبد ، ونَوفل بن مُعاوية الدِّيلىّ ، فى عدّة ، فجعلوا يُطيفون بالخَنْدَق ؛ ومعه روساءُ غَطَفان ــ عُيَيْنَة بن حِصن ، ومَسعود[١] بن رُخَيلة ، والحارث بن عوف ؛ ومن سُلَيم رؤساوهم ؛ ومن بنى أَسَد طُلَيحة بن خُوَيلد . وتركوا الرجال منهم خُلُوفاً ، يطلبون مَضيقاً يُريدون يقتحمون خيلهم إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأَصحابه ، فانتهوا إلى مكانٍ[٢] قد أَغفله المسلمون ، فجعلوا يُكْرِهون خيلَهم ويقولون : هذه المَكيدة ، ما كانت العرب تصنعها ولا تكيدها . قالوا[٣] : إنَّ معه رجلًا فارِسيًّا : فهو الذى أَشار عليهم بهذا . قالوا : فمَن هناك إذًا ؟ فعَبَر عِكْرِمة بن أَبى جَهل ، ونَوفل بن عبد الله ، وضِرار ابن الخطَّاب ، وهُبَيرة بن أَبى وَهب ، وعمرو بن عبد ، وقام سائر المشركين مِن وراء الخَنْدَق لا يعبرون ، وقيل لأَبى سُفيان : أَلا تعبر ؟ قال : قد عبرتم ، فإن احتجتم إلينا عبرنا . فجعل عمرو بن عبدٍ يدعو إلى البِراز ويقول :

ولقد بُححتُ من النـدا ء لجمعكمْ هل من مُبـارزْ

وعمرو يومئذٍ ثائر ، قد شهد بدرًا فارتُثَّ جريحاً فلم يشهد أُحُدًا ، وحرّم الدُّهنَ حتى يثأَر من محمّدٍ وأَصحابِه ، وهو يومئذٍ كبير ــ يقال بلغ تسعين سنة . فلما دعا إلى البِراز قال عَلىٌّ عليه السلام : أَنا أُبارزه يا رسول الله ! ثلاثَ مرّات . وإنَّ المسلمين يومئذٍ كأَنَّ على رءُوسهم الطَّير ، لمكان

---

(١) فى الأصل : « سعود بن رحيلة » ؛ والتصحيح من ب ، ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٣٩٢) .

(٢) فى ب : « إلى مكان ضيق » .

(٣) فى ب : « فيقولون » .

عمرو وشجاعته . فأعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سيفَه ، وعمَّمه وقال : اللّهمّ أَعِنْه عليه ! قال : وأَقبل عمرو يومئذٍ وهو فارسٌ وعَلِيٌّ راجل ، فقال له عليّ عليه السلام : إنك كنت تقول فى الجاهلية : لا يدعونى أحدٌ إلى واحدةٍ مِن ثلاث إلاَّ قبلتُها ! قال : أَجَل ! قال عليّ : فإنِّى أَدعوك أَن تشهد أن لا إله إلاَّ الله وأَنَّ محمّدًا رسولُ الله ، وتُسلمَ لله رب العالمين . قال : يا ابن أخى ، أَخر هذا عنّى . قال : فأُخرى ؛ تَرْجع إلى بلادك ، فإن يكن محمّدٌ صادِقاً كنت أَسعدَ [الناس] به ، وإن غير ذلك كان الذى تُريد . قال : هذا ما لا تتحدّث به نساءُ قُرَيشٍ أبدًا ، وقد نَذَرْتُ ما نذرت وحَرَّمتُ الدُّهْن . قال : فالثالثة ؟ قال : البِراز . قال فضحك عمرو ثم قال : إنَّ هذه الخَصْلَة ما كنتُ أَظنّ أَنَّ أَحدًا من العرب يرومنى عليها ! إنى لأَكره أَن أَقتلَ مثلك ، وكان أَبوك لى نَدِيماً ؛ فَارْجعْ ، فأَنت غلامٌ حَدَث ، إنما أَردتُ شَيْخَى قُرَيش ! أَبا بكر وعمر . قال فقال عَلِيٌّ عليه السلام : فإنى أَدعوك إلى المُبارزة فأَنا أُحِبّ أَن أَقتلك . فأَسِفَ عمرو ونزل وعَقَل فرسه .

فكان جابر يُحدّث يقول : فدَنا أَحدُهما مِن صاحبه وثارت بينهما غَبرَةٌ فما نَراهما ، فسمعنا التكبيرَ تحتها فعرفنا أَنَّ عَلِيّاً قَتلَه . فانكشف أَصحابُه الذين فى الخَنْدَق هاربين ، وَطَفَرتْ بهم خيلهم ، إلاَّ أَنَّ نَوفل ابن عبد الله وَقَع به فَرَسُه فى الخَنْدَق ، فَرُمِى بالحجارة حتى قُتِل . ورجعوا هاربين ، وخرج فى أَثرهم الزُّبَير بن العوّام وعمر بن الخطّاب ، فناوشوهم ساعة . وحمل ضِرار بن الخطّاب على عمر بن الخطّاب بالرمح ، حتى إذا وجد عمرُ مسَّ الرمح رفَعه عنه وقال : هذه نِعْمة مشكورة ، فَاحْفَظْها يا ابن الخطّاب ! إنى قد كنتُ حلفتُ لا تمكِّننى يَداىَ من رجلٍ من قُريْشٍ أَبدًا . فانصرف ضِرار راجعاً إلى أَبى سُفيان وأَصحابه وهم قيامٌ عند جبل بنى عُبَيد .

ويقال : حمل الزُّبَير على نَوفل بن عبد الله بن المُغيرة بالسيف حتى شَقَّه باثنين وقطع أُنْدوج[١] سَرْجه ـ والأُندوج : اللِّبْد الذى يكون تحت السرج ـ ويقال إلى كاهل الفرس . فقيل : يا أَبا عبد الله ، ما رأَينا سيفاً مثل سيفك ! فيقول : واللهِ ، ما هو بالسيف ولكنَّها الساعد . وهرب عِكْرِمَة وهُبَيرة فلحقا بأَبى سُفيان ، وحمل الزُّبَيرُ على هُبَيرة فضرب ثَفَر[٢] فرسه فقُطع ثَفَر فرسه وسقطت دِرْعٌ كان مُحقِبَها الفرَس ، فأَخذ الزُّبَير الدِرْعَ ،وفرّ عِكْرِمَة وأَلقى رمحه . فلمّا رجعوا إلى أَبى سُفيان قال : هذا يومٌ لم يكن لنا فيه شيء ، ارجعوا ! فنفرت[٣] قُرَيشٌ فرجعتْ إلى العَقيق ، ورجعت غَطَفان إلى منازلها ، واتّعدوا يغدون جميعاً ولا يتخلّف منهم أَحد . فباتت قُرَيش يُعبّئون أَصحابهم ، وباتت غَطَفان يُعبّئون أَصحابهم ، ووافَوا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالخَنْدَق قبل طلوع الشمس . وعبّأَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَصحابه وحضّهم على القتال ، ووعدهم النصر إن صَبَروا ، والمشركون قد جعلوا المسلمين فى مثل الحِصْن من كتائبهم[٤] فأَخذوا بكلّ وجهٍ من الخَنْدَق .

فحدّثنى الضَّحّاك بن عُثْمان ، عن عُبَيد الله بن مِقْسَم ، عن جابر بن عبد الله قال : قاتلونا يومَهم وفرّقوا كتائبهم ،ونحوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كتيبةً غليظةً فيها خالد بن الوليد ، فقاتلهم يومه ذلك إلى هَوِيٍّ من الليل ، ما يقدر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولا أَحدٌ من المسلمين أَن يزولوا من مواضعهم ، وما يقدر[٥] رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على صلاة الظُّهر

(١) فى ب : « ابذوج » .
(٢) الثفر ، بالتحريك : السير فى مؤخر السرج . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٣) .
(٣) فى ب : « فتفرقت » .
(٤) فى الأصل : « كثائبهم » ؛ والتصحيح من نسخة ب .
(٥) فى ب : « وما قدر » .

ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ، فجعل أَصحابُه يقولون : يا رسول الله ، ما صلَّينا ! فيقول : ولا أنا واللهِ ما صلَّيت ! حتى كَشَفهم الله تعالى فرجعوا متفرّقين . فرجعت قُرَيشٌ إلى منزلها ، ورجعت غَطَفان إلى منزلها ، وانصرف المسلمون إلى قُبَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وأَقام أُسَيد بن حُضَير على الخَنْدَق فى مائتين من المسلمين ، فهم على شَفير الخَندَق إذ كرّت خيلٌ من المشركين يطلبون غِرَّةً ، عليهم خالد بن الوليد ؛ فناوشوهم ساعةً ومع المشركين وَحشيّ ، فزرق الطُّفَيلَ بن النُّعمان من بنى سَلِمَة بمِزْراقه فقتله ، فكان يقول : أَكرم الله تعالى حمزةَ والطُّفَيل بحَرْبَتى ولم يُهِنى بأَيديهما . فلما صار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى موضع قُبَّته أَمر بِلالاً فأَذَّن . وكان عبد الله بن مَسعود يقول : أَمره رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأَذَّن وأَقام للظهر ، وأَقام بعْدُ لكل صلاةٍ إقامةً إقامةً .

وقد حدّثنى ابنُ أَبى ذِئب – وهو أَثبت الحديثَيْن عندنا – قال : أَخبرنى المَقْبُرىّ ، عن عبد الرحمن بن أَبى سَعيد الخُدرى ، عن أَبيه قال : جلسنا يوم الخَنْدَق حتى كان بعد المغرب بهَوِيٍّ من الليل حتى كُفِينا ، وذلك قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنينَ القِتالَ وَكانَ اللهُ قَوِيًّا عزِيزًا ﴾ (١) . فدعا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بِلالاً فأَمره ، فأَقام صلاة الظهر فصلَّاها كأَحسن ما كان يُصلِّيها فى وقتها . ثم أَقام صلاة العصر فصلَّاها كأَحسن ما كان يُصلِّيها فى وقتها ، ثم أَقام المغرب فصلَّاها كأَحسن ما كان يُصلِّيها فى وقتها ، ثم أَقام العشاء فصلَّاها كأَحسن ما كان يُصلِّيها فى وقتها . قال : وذلك قبل أَن يُنزل اللهُ صلاةَ الخوف : ﴿ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً ﴾ (٢) .

(١) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٥ .
(٢) سورة ٢ البقرة ٢٣٩ .

وكان ابن عبّاس يُحدّث يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ : شغلنا المشركون عن صلاة الوسْطى – يعني العصر – ملأ الله أجوافهم وقُبورَهم نارًا !

وأرسلت بنو مَخزوم إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يطلبون جِيفَةَ نَوفل ابن عبد الله يشترونها بالدِّيَة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما هي جِيفَةُ حِمار ! وكره ثَمَنَه .. فلمّا انصرف المشركون تلك الليلة لم يكن لهم قتالٌ جميعاً حتى انصرفوا ، إلاّ أنّهم لا يدَعون يبعثون الطلائع بالليل ، يطمعون في الغارة . وخرجتْ بعد ذلك طليعتان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلًا ، فالتقيا ولا يشعر بعضُهم ببعض ، ولا يظنّون إلاّ أنّهم العدوّ ، فكانت بينهم جِراحَةٌ وقَتْلٌ ؛ ولسنا نعرف مَن قُتِل ولم يُسَمّ لنا . ثم نادَوْا بشعار الإسلام ، وكفّ بعضُهم عن بعض ، وكان شعارهم : حم لا يُنْصَرون ! فجاءوا إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبروه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : جِراحُكم في سبيل الله ، ومَن قُتِل منكم فإنه شهيد . فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضُهم من بعضٍ نادَوْا بشعارهم ؛ لأن يكفّ بعضهم عن بعض ، فلا يرمون بنَبلٍ ولا بحجر . كانوا يُطيفون بالخَنْدَق بالليل حتى الصباح يتناوبون ، وكذلك يفعل المشركون أيضاً ، يُطيفون بالخَنْدَق حتى يُصبحوا . قال : فكان رجالٌ مِن أهل العوالى يطلعون إلى[1] أهليهم ، فيقول لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إني أخافُ عليكم بني قُرَيْظَة . فإذا ألَحّوا في كثرة ما يستأذنونه يقول : من ذهب منكم فليأخذْ سِلاحَه فإني لا آمنُ بني قُرَيْظَة ، هم على طريقكم . وكان كلّ مَن يذهب منهم إنما يسلكون على سَلْعٍ حتى يدخلوا المدينة ، ثم يذهبون إلى العالية .

---

(١) في ب : « يطلعون أهليهم » .

فحدّثنى مالك بن أَنَس ، عن صيفىّ مولى ابن أَفْلَح ، عن أَبى السائب مولى هِشام بن زُهْرَة أنه دخل على أَبى سعيد الخُدرىّ فى بيته فوجده يُصلّى ، قال : فجلستُ أَنتظره حتى يقضىَ صلاته . قال : فسمعتُ تحريكاً تحت سريره فى بيته فإذا حَيَّة ، فقمت لأَقتلَها فأَشار إلىَّ أَن اجلِس . فلمّا جلستُ سلّم وأَشار إلى بيتٍ فى الدار ، فقال لى : أَترَى هذا البيت ؟ فقلت : نعم . فقال : إنه كان فيه فتىً حديثُ عهدٍ بعُرس ، فخرجنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الخَنْدَق فكان يستأْذنه بأَنصاف النهار ليطلع إلى أَهله ، فاستأْذن رسولَ اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم يوماً ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : خُذْ سلاحك فإنى أَخشَى عليك بنى قُرَيْظَة . قال : فأَخذ الرجلُ سلاحَه وذهب فإذا امرأَته قائمةٌ بين البابَيْن ، فهيّأَ لها الرمحَ ليطعُنَها ، وأَصابته غَيرةٌ فقالت : اكفُفْ عليك رُمْحَك حتى ترَى ما فى بيتك ! فكفّ ودخل فإذاهو بحيّةٍ منطوية على فِراشه ، فركز فيها رمحَه فانتظمها فيه ، ثم خرج به فنصبه فى الدار ، فاضطربت الحيّة فى رأس الرمح وخرّ الفتى ميتاً ، فما ندرى أَيّهما كان أَسرع مَوْتاً ، الفتَى أَو الحيّة . قال أَبو سَعيد : فجئنا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فذكرنا ذلك له فقلنا : يا رسول الله ، ادْعُ الله أَن يُحييه . فقال : استغفروا لصاحبكم . ثم قال : إنَّ بالمدينة جِنًّا قد أَسلموا ، فإذا رأَيتم منهم شيئاً فآذِنوه ثلاثةَ أَيّام ، فإن بدَا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

فحدّثنى قُدامة بن موسى ، عن عائشة بنت قُدامة ، عن أَبيها ، قال : بَعَثْنا ابنَ أُختِنا ابنَ عمر يأْتينا بطعامٍ ولُحُفٍ وقد بلغْنا مِن الجوع والبرد ، فخرج ابنُ عمر حتى إذا هبط من سَلْع — وذلك ليلاً — غلبته عيناه فنام حتى أَصبح . فاهتممنا به فخرجتُ أَطلبه فأَجدُه نائماً ، والشمس قد ضَحَتْه ، فقلتُ : الصلاةَ ، أَصلَّيتَ اليوم ؟ قال : لا . قلتُ : فصَلِّ . فقام سريعاً

إلى الماء ، وذهبتُ إلى منزلنا بالمدينة فجئتُ بتمرٍ ولِحاف واحد ، فكنّا نلبس ذلك اللحاف جميعاً — مَن قام منّا فى المَحْرَس ذهب مقرورًا ثم رجع حتى يدخل فى اللِّحاف ، حتى فرّج الله ذلك . وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور .

وكان ابن عَبّاس رضى الله عنه يقول : جاءَت الجَنُوب إلى الشَّمال فقالت : انطلِق بنصر الله ورسوله . فقالت الشَّمال : إنَّ الحُرَّة لا تَسْرى بليل . فبعث الله عزّ وجلّ الصَّبا ، فأطفأت نِيرانَهم وقَطعت أطناب فساطيطهم .

حدّثنى عمر بن عبد الله بن رِياح الأَنصارىّ ، عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، من بنى عَدىّ بن النجّار ، قال : كان المسلمون قد أَصابتهم مجاعةٌ شديدة ، فكان أَهلوهم يبعثون إليهم بما قدَروا عليه ، فأَرسلت عَمْرَة بنت رَواحة ابنتَها بَجْفنَةِ تمرٍ عَجْوَةٍ فى ثوبها ، فقالت : يا بُنَية ، اذهبى إلى أبيك بَشير بن سعد ، وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . فانطلقت الجارية حتى تأْتى الخَنْدَق ، فتجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالساً فى أَصحابه وهى تلتمسهما ، فقال : تعالَىْ يا بُنَيّة ، ما هذا معك ؟ قالت : بعثتنى أُمّى إلى أَبى وخالى بغدائهما . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هاتِيه ! قالت : فأَعطيته فأَخذه فى كفّيه ، ثم أَمر بثوبٍ فبُسِط له ، وجاءَ بالتمر فنَثَره عليه فوق الثوب ، فقال لجُعال بن سُراقة : نادِ[1] بأَهل الخَنْدَق أَن هلمّ إلى الغداء . فاجتمع أَهلُ الخَنْدق عليه يأْكلون منه ، حتى صَدَر أَهلُ الخَنْدَق وإنه لَيفِيضُ مِن أَطراف الثوب .

وحدّثنى شُعَيب بن عُبادة ، عن عبد الله بن مُعَتِّب ، قال : أَرسلت

---

(١) فى ب ، ت « اصرخ بأهل الخندق » .

أمُّ عامر الأَشْهَليّة بقَعْبة فيها حَيْسٌ (١) إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى قُبَّته وهو عند أُمّ سَلَمَة ، فأكلتْ أُمُّ سَلَمَة حاجتَها ، ثم خرج بالبقيّة فنادَى منادى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عَشائه ، فأكل أهلُ الخَنْدَق حتى نَهِلوا وهى كما هى .

حدّثنا محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، عن سَعيد بن المُسَيِّب ، قال : حُصِرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه بِضْعَ عشرةَ حتى خَلَص إلى كلّ امرىءٍ منهم الكرْبُ ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمّ إنى أنشُدك عهدَك ووعدَك ، اللّهمّ إنّك إنْ تشأْ لا تُعبَد ! فبيناهم على ذلك من الحال أرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عُيَيْنَة بن حِصن وإلى الحارث بن عَوف — ولم يحضر الخَنْدَق الحارث بن عوف ولا قومُه ، ويقال حَضَرها الحارثُ بن عَوف . قال ابن واقد : وهو أثبتُ القولَيْن عندنا . وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرسل إليه وإلى عُيَيْنَة : أرأيتَ إن جعلتُ لكم ثُلُثَ تمرِ المدينة ترجعان بمن معكم وتُخذّلان بين الأعراب ؟ قالا : تُعطينا نِصْفَ تمر المدينة . فأبَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يَزيدهما على الثُّلُث ، فرضيا بذلك وجاءَا فى عشْرةٍ من قومهما حين (٢) تقارب الأَمرُ ، فجاءوا وقد أحضر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابَه وأحضر الصحيفة والدَّواة ، وأحضر عُثمان بن عفّان فأعطاه الصحيفة وهو يُريد أن يكتب الصلح بينهم ، وعبّاد بن بِشر قائمٌ على رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُقَنَّعٌ فى الحديد . فأقبل أُسَيد بن حُضَير إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٠٩) .

(٢) فى ب : « حتى » .

ولا يدرى بما كان من الكلام ، فلمّا جاءَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجاءَ عُيَيْنَة مادًّا رِجْلَيه بين يَدَى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلم ما يُريدون ، فقال : يا عَيْنَ الهِجْرِس[١] ، اقبِضْ رجلَيْك ! أتمدّ رجلَيْك بين يَدَىْ رسولِ الله ؟ ومعه الرمح . واللهِ ، لولا رسولُ الله لأنفذتُ خِصْيَتَيك بالرُّمح ! ثم أقبل على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله ، إن كان أمرًا من السماءِ فامضِ له ، وإن كان غيرَ ذلك فواللهِ لا نُعطيهم إلاَّ السيف ! مَتى طَمِعوا[٢] بهذا منَّا ؟ فأسكت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ودعا سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة فاستشارهما فى ذلك، وهو مُتَّكِئٌ عليهما ، والقوم جُلوسٌ ،فتكلَّم بكلامٍ يُخفيه ، وأخبرهما بما قد أراد من الصلح . فقالا : إن كان هذا أمرًا من السماءِ فامضِ له ، وإن كان أمرًا لم تُؤْمَر فيه ولك فيه هَوًى فامضِ لما كان لك فيه هَوًى ، فسمعاً وطاعةً ، وإن كان إنما هو الرأىُ فما لهم عندنا إلاَّ السيف . وأخذ سعد بن مُعاذ الكتاب ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى رأيتُ العَرَبَ رَمَتْكم عن قوسٍ واحدةٍ فقلتُ أُرضيهم ولا أُقاتِلُهم . فقالا : يا رسول الله ، إنْ كانوا لَيأكلون العِلْهِز[٣] فى الجاهلية مِن الجَهْد ، ما طَمِعوا بهذا منَّا قَطُّ ، أن يأخذوا تمرةً إلَّا بشِرًى أو قِرًى ! فحين أتانا الله تعالى بك ، وأكرمنا بك ، وهَدَانا بك نُعطِى الدَّنيَّة ! لا نُعطيهم أبدًا إلّا السيف ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : شُق الكتاب . فتَفَل سعد فيه ، ثم شَقَّه وقال : بيننا السيف ! فقام عُيَيْنَة وهو يقول : أما واللهِ لَلَّتى تركتم خيرٌ لكم من الخُطَّة التى أخذتم ،

---

(١) الهجرس : ولد الثعلب ، والهجرس أيضاً القرد . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٤٠) .
(٢) فى الأصل : « متى طمعتم بهذا منا » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب .
(٣) العلهز : هو شيء يتخذونه فى سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه ، وقيل كانوا يخلطون فيه القردان . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٤) .

وما لكم بالقوم طاقة . فقال عَبَّاد بن بِشر : يا عُيَيْنَة ، أبالسيف تُخوِّفنا ؟ ستعلم أيّنا أجزع ! وإلاّ فواللهِ لقد كنتَ أنت وقومك تأكلون العِلْهِز والرِّمّة(١) من الجَهد فتأتون هاهنا ما تطمعون بهذا منّا إلاّ قِرىً أو شِرًى ، ونحن لا نعبد شيئاً ، فلمّا هدانا اللهُ وأيّدنا بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم سألتمونا هذه الخُطّة ! أما واللهِ ، لولا مكانُ رسولِ الله ما وصلتم إلى قومكم . فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : ارجعوا ، بيننا السيف ! رافعاً صوته . فرجع عُيَيْنة والحارث وهما يقولان : واللهِ ، ما نرى أن نُدرك منهم شيئاً ، ولقد أنهجَتْ للقوم بصائرُهم ! واللهِ ، ما حضرتُ إلّا كُرْهاً لقومٍ غلبونى ، وما مُقامنا بشىء ، مع أنّ قُرَيشاً إن علمت بما عرضنا على محمّدٍ عَرَفت أنّا قد خذلناها ولم ننصرها . قال عُيينَة : هو واللهِ ذلك ! قال الحارث : أما إنّا لم نُصِب بتعرّضنا لنَصْر قُرَيش على محمّد ، واللهِ لئن ظهرت قُرَيشٌ على محمّدٍ ليكوننَّ الأمرُ فيها دون سائر العرب ، مع أنى أرَى أمر محمّدٍ أمرًا ظاهرًا . واللهِ ، لقد كان أحبار يهود خَيْبَر وإنهم يُحدّثون أنهم يجدون فى كُتُبهم أنه يُبعَث نبىٌّ من الحَرَم على صفته . قال عُيَينَة : إنا واللهِ ما جئنا ننصر قُرَيْشاً ، ولو استنصرنا قُرَيشاً ما نصرتنا ولا خَرَجَتْ معنا مِن حَرَمها . ولكنى كنتُ أطمع أن نأخذ تمر المدينة فيكون لنا به ذِكْرٌ مع ما لنا فيه من منفعة الغنيمة ، مع أنّا ننصر حُلفاءنا مِن اليهود فهم جَلَبونا إلى ما هاهنا . قال الحارث : قد واللهِ أبت الأوس والخزرج إلاّ السيف ، والله لَتقاتلنّ(٢) عن هذا السَّعَف ، ما بقى منها رجلٌ مُقيم(٣) ، وقد أجدَ...

---

(١) الرمة ، بالكسر : العظام البالية . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ١٢٢) .

(٢) فى الأصل : « لتقاتلن على » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب .

(٣) فى ب : « مقيم مقامنا » .

الجَنابُ وهلك الخُف والكُراع . قال عُيَيْنَة : لا شيء . فلمَّا أتَيا منزلهما جاءَتهما غَطَفانُ فقالوا : ما وراءكم؟ قالوا : لم يتمّ الأمرُ؛ رأينا قوماً على بصيرةٍ وبَذْلِ أنفُسهم دون صاحبهم ، وقد هلكنا وهلكت قُرَيش ، وقُرَيشٌ تنصرف ولا تُكلِّم محمّدًا ! وإنما يقع حَرُّ محمّدٍ ببنى قُرَيْظَة ؛ إذا ولَّينا جثم عليهم فحصرهم جمعةً حتى يُعطوا بأيديهم. قال الحارث : بُعْدًا وسُحْقاً! محمدٌ أحبُّ إلينا من اليهود .

ذكر نُعَيم بن مَسعود

حدّثنا عبد الله بن عاصم الأَشْجَعىّ ، عن أبيه ، قال : قال نُعَيم بن مَسعود : كانت بنو قُرَيْظَة أهلَ شرف وأموال ، وكُنَّا قوماً عَرَباً ، لا نَخْلَ لنا ولا كَرْم ، وإنما نحن أهل شاةٍ وبعير . فكنتُ أقدَمُ على كعب بن أَسَد ، فأُقيم عندهم الأيّام ، أشربُ مِن شرابهم وآكلُ مِن طعامهم ، ثم يُحمّلوننى تمرًا على ركابى ما كانت ، فأرجعُ إلى أهلى . فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سرتُ مع قومى ، وأنا على دينى ، وقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عارفاً ، فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدَبَ الجَناب وهَلَكَ الخُفُّ والكُراع ، وقَذَف اللهُ عزّ وجلّ فى قلبى الإسلام . وكتمتُ قومى إسلامى ، فأخرجُ حتى آتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين المغرب والعشاء وأجدُه يُصلِّى ، فلمّا رآنى جَلس ثم قال : ما جاءَ بك يا نُعَيم ؟ قلتُ : إنى جئتُ أُصدّقك وأشهدُ أنَّ ما جئتَ به حقّ ، فمُرْنى بما شئتَ يا رسول الله ، فواللهِ لا تأمرنى بأمرٍ إلّا مضيتُ له ؛ قومى لا يعلمون بإسلامى ولا غيرهم . قال : ما استطعتَ أن تُخَذِّلَ الناسَ فَخَذِّلْ ! قال ، قلت : أفعلُ ، ولكن

يا رسول الله أقولُ فَأْذَنْ لى . قال : قُلْ ما بدا لك فأنت فى حِلٍّ . قال : فذهبتُ حتى جئت بنى قُرَيْظَة ، فلمّا رأونى رحّبوا وأكرموا وحيّوا وعرضوا علىَّ الطعامَ والشراب ، فقلتُ : إنى لم آتِ لشىءٍ من هذا ؛ إنما جئتُكم نَصَباً بأمرِكم ، وتَخوّفاً عليكم ؛ لأُشير عليكم برأى ، وقد عرفتم وُدّى إيّاكم وخاصّةَ ما بينى وبينكم . فقالوا : قد عرفنا ذلك وأنت عندنا على ما تُحبّ من الصِّدْق والبِرّ . قال : فاكتموا عنِّى . قالوا : نفعل . قال : إنَّ أمرَ هذا الرجلِ بَلاء – يعنى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم – صنع ما قد رأيتم ببنى قَيْنُقَاع وبنى النَّضير ، وأجلاهم عن بلادهم بعد قَبْض الأموال . وكان ابن أبى الحُقَيق قد سار فينا فاجتمعنا معه لنصركم ، وأرى الأمر قد تَطَاول كما ترون ، وإنكم واللهِ ، ما أنتم وقُرَيشٌ وغَطَفان من محمّدٍ بمنزلةٍ واحدة ؛ أمّا قُرَيشٌ وغَطَفان فهم قومٌ جاءوا سَيَّارَةً حتى نزلوا حيث رأيتم ، فإن وجدوا فُرصةً انتهزوها ، وإن كانت الحربُ ، أو أصابهم ما يكرهون انشمروا إلى بلادهم . وأنتم لا تقدرون على ذلك ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، وقد غَلُظَ عليهم جانِبُ محمّد ، أجلبوا عليه أمس إلى الليل ، فقَتَل رأسَهم عمرو بن عبد ، وهربوا منه[1] ، مُجَرَّحينوهم لا غَنَاءَ[2] بهم عنكم ؛ لِما تعرفون عندكم . فلا تُقاتلوا مع قريشٍ ولا غَطَفان حتى تأْخذوا منهم رَهْناً مِن أشرافهم تستوثقون به منهم ألاّ يناجزوا محمّداً قالوا : أشرت بالرأى علينا والنُّصْح . ودَعَوا له وتشكّروا ، وقالوا : نحن فاعلون . قال : ولكن اكتموا عنِّى . قالوا : نعم ، نفعل . ثم خرج إلى أبى سُفيان بن حَرْب فى رجالٍ من قُرَيشٍ فقال : يا أَبا سُفيان ، قد جئتُك بنصيحةٍ فاكتم عنِّى . قال : أفعل . قال : تعلم أنَّ قُرَيْظَةَ قد نَدِموا على ما صنعوا فيما بينهم

---

(١) فى ب : « هربوا منه هربا » .

(٢) فى ب : « لا عناء بهم » .

وبين محمّد ، وأرادوا إصلاحَه ومُراجعته . أرسلوا إليه وأنا عندهم : إنّا سنأْخذُ مِن قُرَيش وغَطَفان من أشرافهم سبعين رجلًا نُسلِّمهم إليك تضرب أعناقَهم وتردّ جَناحنا الذى كسرت إلى ديارهم — يعنون بنى النَّضير — ونكون معك على قُرَيش حتى نَردَّهم عنك . فإن بعثوا إليكم يسألونكم رَهْناً فلا تدفعوا إليهم أحدًا واحذروهم على أشرافكم ، ولكن اكتموا عنّى ولا تذكروا من هذا حرفاً . قالوا : لا نذكره . ثم خرج حتى أتى غَطَفان فقال : يا معشر غَطَفان ، إنى رجلٌ منكم فاكتموا عنّى ، واعلموا أنّ قُرَيْظَةَ بعثوا إلى محمّد — وقال لهم مثل ما قال لقُرَيش — فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحدًا مِن رجالكم . وكان رجلاً منهم فصدّقوه ، وأرسلت اليهودُ غَزّال بن سَمَوْأل إلى أبى سُفيان بن حَرب وأشراف قُرَيش : إنّ ثَواءكم قد طال ولم تصنعوا شيئاً وليس الذى تصنعون برأى ، إنكم لو وعدتمونا يوماً تزحفون[1] فيه إلى محمّد ، فتأْتون من وجهٍ وتأْتى غَطَفان من وجهٍ ونخرج نحن مِن وجهٍ آخر ، لم يُفلت من بعضنا . ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برِهان من أشرافكم يكونون عندنا ، فإنا نخافُ إن مسّتكم الحرب وأصابكم ما تكرهون شَمَّرتم وتركتمونا فى عُقْر دارِنا وقد نابذنا محمّدًا بالعداوة . فانصرف الرسول إلى بنى قُرَيْظَة ولم يرجعوا إليهم شيئاً ، وقال أبو سُفيان : هذا ما قال نُعَيم . فخرج نُعَيم إلى بنى قُرَيْظَة فقال : يا معشر بنى قُرَيْظَة ، أنا عند أبى سُفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرِّهان ، فلم يردّ عليه شيئاً فلما ولّى قال : لو طلبوا منّى عَناقاً[2] ما رهنتُها ! أنا أرهنهم سَرَاة أصحابى يدفعونهم إلى محمّدٍ يقتلهم ! فارتأوا آراءكم حتى تأْخذوا الرَّهْن ، فإنكم إن لم تُقاتلوا محمّدًا وانصرف أبو سُفيان تكونوا على مواعدتكم[3] الأُولى . قالوا :

(١) فى ب : « ترجعون » .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٦٩) .

(٣) فى ب : « موادعتكم » .

ترجو ذلك يا نُعيم ؟ قال : نعم . قال كعب بن أَسَد : فإنَّا لا نُقاتله . واللهِ ، لقد كنتُ لهذا كارهاً ولكن حُيَيّ رجلٌ مشئوم . قال الزَّبير بن باطا : إن انكَشَفَت قُرَيش وغَطَفان عن محمّدٍ لم يقبل منّا إلاَّ السيف . قال نُعيم : لا تخشَ ذلك يا أبا عبد الرحمن . قال الزَّبير : بَلَى والتوراة ، ولو أصابت اليهودُ رأْيَها ولَحَم الأَمر لتخرجنّ إلى محمّدٍ ولا يطلبون مِن قُرَيشٍ رَهْناً ، فإنَّ قُرَيشاً لا تُعطينا رهناً أبدًا ، وعلى أيّ وجهٍ تُعطينا قُرَيشٌ الرَّهْن وَعَدَدُهم أكثرُ من عددنا ، ومعهم كُراعٌ ولا كُراعَ معنا ، وهم يقدِرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه ؟ وهذه غَطَفان تطلب إلى محمّدٍ أن يُعطيها بعضَ تمرِ الأَوس وتنصرف ، فأَبَى محمّدٌ إلَّا السيف ، فهم ينصرفون بغير شيء . فلما كان ليلة السبت كان ممّا صنع الله تعالى لنبيّه أن قال أبو سُفيان : يا معشر قُريش ، إنّ الجَناب قد أَجْدَبَ ، وهَلَك الكُراع والخُفُّ ، وغدرت اليهود وكذبت ، وليس هذا بِحِين مُقامٍ فَانْصَرِفوا ! قالت قُرَيش : فَاعْلَمْ عِلْمَ اليهود واستيقِنْ خبرَهم . فبعثوا عِكْرِمَة بن أَبى جَهل حتى جاء بنى قُرَيْظَة عند غروب الشمس مساءَ ليلة السبت فقال : يا معشر اليهود إنه قد طال المُكْث وجَهَد الخُفُّ والكُراع وأَجْدَبَ الجَناب ، وإنَّا لسنا بدار مُقامة ، اخرجوا إلى هذا الرجل حتى نُناجزه بالغَدَاة . قالوا : غدًا السبت لا نُقاتل ولا نعمل فيه عملاً ، وإنَّا مع ذلك لا نُقاتل معكم إذا انقضى سبتنا حتى تُعطونا رِهاناً مِن رجالكم يكونون معنا لئلّا تَبرَحوا حتى نُناجزَ محمّدًا ، فإنَّا نَخْشَى إن أصابتكم الحربُ أن تُشمِّروا إلى بلادكم وَتَدَعونا وإيّاه فى بلادنا ولا طاقةَ لنا به ، معنا الذَّراريّ والنِّساءُ والأَموال . فرجع عِكْرِمةُ إلى أَبى سُفيان فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أَحلفُ باللهِ إنَّ الخبر الذى جاء به نُعَيمٌ حقٌّ ، لقد غَدَر أعداءُ الله . وأرسلت غَطَفان إليهم

مسعودَ بن رُخَيلة فى رجالٍ منهم بمثل رسالة أبى سُفيان ، فأجابوهم بمثل جواب أبى سُفيان . وقالت اليهود حيث رأوا ما رأوا منهم : نحلف بالله إنّ الخبر الذى قال نُعَيمٌ لحقٌّ . وعرفوا أنّ قُرَيشاً لا تُقيم فسُقط فى أيديهم ، فكرّ أبو سُفيان إليهم وقال : إنّا واللهِ لا نفعل ، إن كنتم تُريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت اليهود مثلَ قولهم الأوّل ، وجعلت اليهود تقول : الخبر ما قال نُعَيم . وجعلت قُرَيشٌ وغَطَفان تقول : الخبر ما قال نُعَيم . ويئس هؤلاءِ مِن نَصْرِ هولاءِ ، ويئس هؤلاءِ مِن نَصْرِ هؤلاءِ ، واختلف أمرهم ، فكان نُعَيمٌ يقول : أنا خذّلتُ بين الأحزاب حتى تفرّقوا فى كلّ وجه ، وأنا أمينُ رسولِ الله صلّى الله علَيه وسلّم على سِرّه . فكان صحيح الإسلام بعدُ .

فحدّثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : لما قالت قُرَيْظَة لعِكْرِمَة بن أبى جَهل ما قالت ، قال أبو سُفيان بن حَرب لِحُيَىّ ابن أخْطَب : أين ما وعدْتَنا مِن نَصْر قومِك ؟ قد خَذَّلونا وهم يُريدون الغَدر بنا ! قال حُيَىّ : كلاَّ والتوراة ، ولكن السبت قد حضر ونحن لا نكسر السبت ، فكيف نُنصَر على محمّدٍ إذا كَسرْنا السبت ؟ فإذا كان يوم الأحد اغْدوا[1] على محمدٍ وأصحابه بمثل حَرْق النار . وخرج حُيىّ بن أخْطَب حتى أتى بنى قُرَيْظَة فقال : فداءكم أبى وأُمّى ، إنّ قُرَيْشاً قد اتّهمتكم بالغدر واتّهمونى معكم ، وما السبت لو كسرتموه لِمَا قد حَضَر مِن أمر عدوِّكم ؟ قال : فغضب كعب بن أسَد ، ثم قال : لو قتلهم محمّدٌ حتى لا يبقى منهم أحدٌ ما كسرْنا سبتنا . فرجع حُيَىّ إلى أبى سُفيان بن حَرب فقال : ألم أُخْبِرك يا يهودىّ أنّ قومك يُريدون الغَدْر ؟ قال حُيَىّ : لا واللهِ ، ما يُريدون الغَدر، ولكنهم يُريدون الخروج يوم الأحد. فقال أبوسُفيان :

---

(١) فى ب : « عدوا على محمد » .

وما السبت ؟ قال : يوم من أيّامهم يُعظِمون القتال فيه ، وذلك أنَّ سِبْطاً منّا أكلوا الحِيتانَ يوم السبت فمسخهم اللهُ قِرَدةً وخنازير . قال أبو سُفيان : لا أرانى أستنصر بأُخُوّة القِردة والخنازير ! ثم قال أبو سُفيان : قد بعثتُ عِكْرِمَة بن أبي جَهل وأصحابَه إليهم فقالوا : لا نُقاتل حتى تبعثوا لنا[1] بالرِّهان من أشرافكم . وقبل ذلك ما جاءَنا غَزَّال بن سَمَوْأَل برسالتهم . قال أبو سُفيان : أحلفُ باللّات إن هو إلّا غَدْركم ، وإنى لأحسبُ أنّك قد دخلتَ فى غَدر القوم ! قال حُيىّ : والتوراةِ التى أُنْزِلتْ على موسى يومَ طُور سَيْناء ما غدرتُ ! ولقد جئتُك من عند قومٍ هم أَعْدَى الناسِ لمحمّد وأحرصُهم على قِتاله ، ولكن ما مُقام يومٍ واحدٍ حتى يخرجوا معك ! قال أبو سُفيان : لا واللهِ ولا ساعة ، لا أُقيم بالناس انتظارَ غَدْرِكم . حتى خاف حُيَىّ ابن أَخْطَب على نفسه من أبي سُفيان ، فخرج معهم من الخوف حتى بلغ الرَّوْحاءَ ، فما رجع إلّا مُتسرِّقاً لِما أعطَى كَعب بن أَسَد من نفسه ليرجعنَّ إليه ، فدَخَل مع بنى قُرَيْظَة حِصْنهم ليلاً ويجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد زَ- ف إليهم ساعةَ ولَّت الأَحْزاب .

فحدّثنى صالح بن جَعفر ، عن أبي كعب القُرَظىّ ، قال : كان حُيىّ بن أَخْطَب قال لكعب بن أسد حين جاءه ، وجعل كعب يأْبَى فقال حُيىّ : لا تُقاتل حتى تأْخذ سبعين رجلاً من قُرَيشٍ وغَطَفان رِهاناً عندكم . وذلك من حُيَىّ خَديعة لكعب حتى ينقض العهدَ ، وعرف أنه إذا نقض العهد لَحَم الأمرُ . ولم يُخبر حُيَى قُرَيشاً بالذى قال لبنى قُرَيْظة ، فلمّا جاءهم عِكْرِمَة يطلب منهم أن يخرجوا معه السبت قالوا : لا نكسر السبت ، ولكن يوم الأحد ، ولا نخرج حتى تُعطونا الرِّهان . فقال عِكْرِمَة : أىّ

(١) فى ب : « تبعثوا إلينا » .

رِهان ؟ قال كعب : الذى شرطتم لنا . قال : ومَن شرطها لكم ؟ قالوا : حُيَىّ بن أَخْطَب . فأخبر أبا سُفيان ذلك فقال لحُيَىّ : يا يهودىّ ، نحن قلنا لك كذا وكذا ؟ قال : لا والتوراة ، ما قلتَ ذلك . قال أبو سفيان : بل هو الغَدْر من حُيَىّ . فجعل حُيَىّ يحلف بالتوراة ما قال ذلك .

حدّثنى موسى بن يَعقوب ، عن عمّه قال ، قال كعب : يا حُيَىّ ، لا نخرج حتى نأخذَ مِن كلّ أَصحابك مِن كلّ بطن سبعين رجلاً رَهْناً فى أَيدينا . فذكر ذلك حُيَىّ لقُرَيْش ولغَطَفان [1] وقيس . ففعلوا وعقدوا بينهم عقدًا بذلك حتى شَقّ كعبٌ الكتاب . فلما أَرسلت إليه قُرَيْش تستنصره قال : الرَّهْن ! فأَنكروا ذلك واختلفوا ؛ لِما أَراد الله عزّ وجلّ .

وحدّثنى مَعْمَر ، عن الزُّهرىّ قال ، سمعته يقول : أَرسلت بنو قُرَيْظَة إلى أَبي سفيان أَن ائتوا فإنا سنغير على بَيْضَة المسلمين مِن ورائهم . فسمع ذلك نُعَيم بن مَسعود . وكان مُوادِعاً للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عند عُيَيْنَة حين أَرسلت بذلك بنو قُرَيْظَة إلى أَبي سفيان وأَصحابه ، فأَقبل نُعَيم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَخبره خبرَها وما أَرسلت به قُرَيْظَة إلى الأَحْزاب ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فلعلّنا أَمرناهم بذلك . فقام نُعَيم بكلمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تلك من عند رسول الله . قال : وكان نُعَيم رجلًا لا يكتم الحديث ، فلمّا ولّى من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذاهباً إلى غَطَفان قال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : يا رسول الله ، ما هذا الذى قلتَ ؟ إن كان أَمرٌ مِن الله تعالى فامضِه ، وإن كان هذا رأياً من قِبلِ نفسك فإنّ شأن بنى قُرَيْظَة هو أَهونُ مِن أَن تقول شيئاً يُؤْثَر عنك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بل هو رأى رأيتُه ،

(١) فى ب : « وللغطفانيين » .

الحرب خُدْعَة . ثم أرسل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى أثر نُعَيم ، فدعاه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أرأيتَ الذى سمعتَنى قلتُ آنِفاً ؟ اسكُتْ عنه فلا تذكره ! فانصرفَ من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى جاءَ عُيَيْنَةَ بن حِصْن ومَن معه مِن غَطَفان . فقال لهم : هل علمتم محمّدًا قال شيئاً قَطُّ إلاَّ كان حقًّا ؟ قالوا : لا . قال : فإنه قال لى فيما أرسلتْ به إليكم بنو قُرَيْظَة : « فلعلَّنا نحن أمرناهم بذلك » ، ثم نَهانى أذكره لكم . فانطلق عُيَيْنَة حتى لقى أبا سُفيان بن حَرب . فأخبرَه خبرَ نُعَيم عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال لهم : إنما أنتم فى مَكْر بنى قُرَيْظَة . فقال أبو سُفيان : نُرسل إليهم الآن فنسأَلهم الرَّهْن . فإن دفعوا الرَّهْن إلينا فقد صدَقونا ، وإن أبَوا ذلك فنحن منهم فى مَكْر . فجاءَهم رسولُ أبى سُفيان فسأَلهم الرَّهْن ليلةَ السبت فقالوا : هذه ليلة السبت ولسنا نقضى فيها ولا فى يومها أمْرًا ، فَأَمْهِلْ حتى يذهب السبت . فخرج الرسول إلى أبى سُفيان فقال أبو سُفيان ، ورءوس الأحزاب معه : هذا مَكْر من بنى قُرَيْظَة ، فارتحِلوا فقد طالت إقامتُكم . فآذنوا بالرحيل ، وبعث الله تعالى عليهم الريح ، حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع رحله ، فارتحلوا فولَّوا منهزمين.

ويقال إنّ حُيَىّ بن أخْطَب قال لأبى سُفيان : أنا آخذُ لك من بنى قُرَيْظَة سبعين رجلاً رَهْناً عندك حتى يخرجوا فيُقاتلوا ، فهم أعْرَفُ بقتال محمّدٍ وأصحابه . فكان هذا الذى قال إنَّ أبا سفيان طلب الرَّهْن . قال ابنُ واقد : وأثبَتُ الأشياءِ عندنا قولُ نُعَيم الأوّل .

وكان عبد الله بن أبى أوفَى يُحدِّث أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم دعا على الأحزاب فقال : اللّهمّ مُنْزِلَ الكِتاب ، سَرِيعَ الحِساب ، اهْزِمِ الأحزاب ! اللّهمّ اهْزِمْهُم !

فحدّثنى كُثَيِّر بن زيد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دعا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الأحزاب فى مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستُجيب له بين الظُّهر والعصر يوم الأربعاء . قال : فعرفنا السرورَ فى وجهه . قال جابر : فما نزل بى أمرٌ غائظٌ مهمٌّ إلاَّ تحيَّنتُ تلك الساعة من ذلك اليوم ، فأدعو الله فأعرفُ الإجابة .

وكان ابن أبى ذِئب يُحدِّث ، عن رجلٍ من بنى سَلِمَة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الجبل الذى عليه المسجد ، فدعا فى إزارٍ ورفع يديه مدًّا ، ثم جاءه مرّةً أُخرى فصلَّى ودعا .

وكان عبد الله بن عمر يقول : صلَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الخَريقِ القابلِ الصَّابِّ على أرض بنى النَّضير ، وهو اليوم موضع المسجد الذى بأسفل الجبل . ويقال إنَّه صلَّى فى تلك المساجد كلّها التى حول المسجد الذى فوق الجبل . قال ابن واقد : وهذا أثبت الأحاديث .

وقالوا : لما كان ليلة السبت بعث الله الريح فقلعت [1] وتركت ، وقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُصلِّى إلى أن ذهب ثُلُث الليل ، وكذلك فعل ليلةَ قتْل ابن الأشْرَف ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا حَزَبَه [2] الأمرُ أكثَرَ الصلاة . قالوا : وكان حصار الخَنْدَق فى قُرٍّ شديدٍ وجُوع ، فكان حُذَيفة بن اليَمان يقول : لقد رأيتنا فى الخَنْدق مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى ليلةٍ شديدة البرد ، قد اجتمع علينا البردُ والجوع والخوف ،

---

(١) فى ب : « ففعلت » .

(٢) فى ب : « أحزنه » . وحزبه : أى أصابه غم . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٢) .

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَن رجلٌ ينظر لَنا ما فعل القومُ جعَله الله رفيقى فى الجَنَّة . فقال حُذَيفة : يشرط له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الجَنَّة والرجوعَ ، فما قام منَّا رجلٌ ! ثم عاد يقول ذلك ثلاث مرات ، وما قام رجلٌ واحدٌ من شدّة الجوع والقُرّ والخوف . فلمّا رأى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذلك لا يقوم أحد ، دعانى فقال : يا حُذَيفة ! قال : فلم أجد بُدًّا من القيام حين فَوَّه (١) باسمى ، فجئتُه ولقَلبى وجَبان فى صدرى ؛ فقال : تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم ؟ فقلت : لا ، والذى بعَثَك بالحقّ ، إن قَدِرتُ على ما بى من الجوع والبرد . فقال : اذهبْ فانظرْ ما فعل القومُ ، ولا ترمينَّ بسهمٍ ولا بحجر ، ولا تطعَن برمح ، ولا تضربنَّ بسيفٍ حتى ترجع إلىّ . فقلت : يا رسول الله ، ما بى يقتلونى ولكنّى أخافُ أن يُمثّلوا بى . قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ليس عليك بأس ! فعرفتُ أنه لا بأْس علىّ مع كلام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الأوّل . ثم قال : اذهبْ فادخلْ فى القوم فانظرْ ماذا يقولون . فلمّا ولَّى حُذَيفة قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اللّهم ، احفَظْه مِن بين يدَيْه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شِماله ، ومن فوقه ومن تحته ! فدخل عسكرَهم فإذا هم يصطلون على نِيرانهم ؛ وإنَّ الريح تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقِرُّ لهم قَرارًا (٢) ولا بِناء . فأقبلتُ فجلستُ على نارٍ مع قوم ، فقام أبو سُفيان فقال : احذروا الجواسيس والعيون ، ولينظرْ كلُّ رجلٍ جليسَه . قال ، فالتفتُّ إلى عمرو بن العاص فقلت : من أنت ؟ وهو عن يمينى . فقال : عمرو بن العاص . والتفتُّ إلى مُعاوية بن أبى سُفيان فقلت : مَن أنت ؟ فقال : مُعاوية بن أبى سُفيان . ثم قال أبو سُفيان :

---

(١) فى ب : « ذوه » .

(٢) فى ب : « لا تقر لهم قدرا » .

إنكم واللهِ لستم بدار مُقام ؛ لقد هلك الخُفُّ والكُراع ، وأجدب الجَناب ، وأخلفتنا بنو قُرَيظَة ، وبلَغنا عنهم الذى نكره ، وقد لقينا من الريح ما ترون ! واللهِ ، ما يثبت لنا بناءٌ ولا تطمئنّ لنا قِدْر ، فارتحِلوا فإنى مُرتحل . وقام أبو سُفيان ، وجلس على بعيره وهو معقول ، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم ، فما أطلق عِقاله إلّا بعد ما قام . ولولا عهدُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلىّ : « لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأْتى » ثم شئت ، لقتلتُه . فناداه عِكْرِمَة ابن أبى جَهل : إنكَ رأْسُ القوم وقائدُهم ، تَقْشَع وتترك الناس ؟ فاستحيى أبو سفيان فأناخ جمله ونزل عنه ، وأخذ بزِمامه وهو يقوده ، وقال : ارحلوا ! قال : فجعل الناس يرتحلون وهو قائمٌ حتى خفّ العسكر ، ثم قال لعمرو ابن العاص : يا أبا عبد الله ، لا بُدّ لى ولك أن نُقيم فى جريدةٍ[1] من خيلٍ بإزاء محمّدٍ وأصحابه ، فإنّا لا نأْمنُ أن نُطْلَب حتى ينفذ العسكر . فقال عمرو : أنا أُقيم . وقال لخالد بن الوليد : ما تَرى يا أبا سُلَيمان ؟ فقال : أنا أيضاً أُقيم . فأقام عمرو وخالد فى مائتى فارس ، وسار العسكر إلّا هذه الجريدة على متون الخيل .

قالوا : وذهب حُذَيفة إلى غَطَفان فوجَدَهم قد ارتحلوا ، فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره . وأقامت الخيل حتى كان السَّحر ، ثم مَضَوا فلحقوا الأثقال والعسكر مع ارتفاع النهار بِمَلَل ، فغدَوا إلى السيّالة . وكانت غَطَفان لمّا ارتحلت وقف مَسعود بن رُخَيلة فى خيلٍ من أصحابه ، ووقف الحارث بن عَوف فى خيلٍ من أصحابه ، ووقف فرسان من بنى سُلَيم فى أصحابهم ، ثم تحمّلوا جميعاً فى طريقٍ واحدة ، وكرهوا أن يتفرّقوا حتى

(١) هى التى جردت من معظم الخيل لوجه . (أساس البلاغة ، ص ١١٦) .

أتوا على المَراض (١) ، ثم تفرّقت كلُّ قبيلةٍ إلى محالِّها .

حدّثنى عبد الله بن جَعفر ، عن عُثمان – يعنى ابن محمّد الأَخْنَسىّ – قال : لما انصرف عمرو بن العاص قال : قد علم كلُّ ذِى عَقْلٍ أَنَّ محمّدًا لم يَكْذِب . فقال عِكْرِمَة بن أبى جَهل : أنت أَحَقُّ الناسِ ألاّ يقولَ هذا . قال عمرو : لِمَ ؟ قال : لأَنه نزل على شرف أَبيك وقَتل سيّد قومك . ويقال : الذى تكلّم به خالد بن الوليد ، ولا ندرى ، لعلّهما قد تَكلّما بذلك جميعاً . قال خالد بن الوليد : قد علم كلُّ حَليمٍ أَنَّ محمّدًا لم يَكْذِب قَطُّ . قال أبو سُفيان بن حَرب : إنَّ أَحَقَّ الناسِ أَلاَّ يقول هذا أَنت . قال : ولِمَ ؟ قال : نزل على شرف أبيك ، وقتل سيّد قومك أَبا جهل .

حدّثنى محمّد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن ابن المُسَيِّب ، قال : كان محاصرةُ المشركين رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الخَنْدَق بضعة عشر يوماً . وحدثنى الضَّحّاك بن عُثمان ، عن عُبَيد الله بن مِقْسَم ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : عشرين يوماً . ويقال خمسةَ عشرَ يوماً ، وهذا أَثبتُ ذلك عندنا . فلمّا أَصبح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالخَنْدَق أَصبحَ وليس بحضرته أَحدٌ من العساكر ، قد هربوا وذهبوا . وجاءَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، الثبتُ أَنهم انقشعوا إلى بلادهم ، ولمّا أَصبحوا أَذِن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمسلمين فى الانصراف إلى منازلهم ، فخرجوا مُبادِرين مسرورين بذلك . وكَرِه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَن تعلم بنو قُرَيْظَة رجعتَهم (٢) إلى منازلهم ، فأَمر بردّهم ، وبَعثَ مَن يُنادى فى أَثرهم ، فما

---

(١) المراض : موضع بناحية الطرف على ستة وثلاثين ميلا من المدينة . (وفاء الوفا، ج ٢ ، ص ٣٧٠) .

(٢) فى ب : « حب رجعتهم » .

رجع رجلٌ واحد . فكان ممّن يَرُدُّهم عبدُ الله بن عمر ، أَمَره رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . قال عبد الله : فجعلتُ أَصِيح فى أثرهم فى كلّ ناحية : إنَّ رسولَ اللهِ أَمَرَكم أن ترجعوا ، فما رجع رجلٌ واحدٌ منهم من القُرّ والجوع . فكان يقول : كَرِهَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم يَرَى سرعتَهم ، وكَرِهَ أن يكون لقُرَيش عيون . قال جابر بن عبد الله : أمرنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن أَردَّهم ، فجعلتُ أَصِيح بهم فما يرجع أحد ، فانطلقت فى أثر بنى حارثة ، فواللهِ ما أدركتُهم حتى دخلوا بيوتهم ، ولقد صِحت فما يخرج إلىَّ أحدٌ من جَهد الجوع والقُرّ ، فرجعت إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فألقاه فى بنى حَرام منُصرِفاً ، فأخبرتُه فضَحِكَ صلَّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبى وَجْزَة ، قال : لما مَلَّت قُرَيشٌ المُقام ، وأجدب الجَناب ، وضاقوا بالخَنْدَق ، وكان أبو سُفيان على طمعٍ أن يُغير على بَيْضَة المدينة ، كتب كتاباً[1] فيه : باسمك اللّهمّ ، فإنى أحلف باللّات والعُزَّى ، لقد سرتُ إليك فى جمعنا ، وإنّا نُر .. ألاّ نعود إليك أبدًا حتى نستأْصلك ، فرأيتُك[2] قد كرهتَ لقاءَنا ، وجعلت مضايِقَ وخَنادقَ ، فليت شِعرى مَن علّمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلكم منّا يومٌ كيوم أُحُد ، تُبْقَر فيه النِّساءُ . وبعث بالكتاب مع أبى أسامة الجُشَمىّ ، فلما أتى بالكتاب دعا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أُبَىّ بن كعب ، فدخل معه قُبَّته ، فقرأ عليه كتاب أبى سُفيان . وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : مِن محمّد رسولِ الله إلى أبى سُفيان بن حَرب . . . أمّا بعد ، فقديماً غرّك بالله الغرور ، أمّا ما ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم ، وأنك لا تُريد

(١) أى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) فى ب : « فرأيتكم » .

أن تعود حتى تستأْصلنا ، فذلك أمرُ اللهُ يحول بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقِبَة حتى لا تذكر اللَّات والعُزَّى . وأمّا قولُك : « مَن علّمك الذى صَنعنا من الخَنْدَق » ، فإنّ الله تعالى ألهمنى ذلك لِمَا أراد من غيظك به وغيظ أصحابِك ، وليأْتينَّ عليك يومٌ تُدا فعنى بالرَّاح ، وليأْتينَّ عليك يومٌ أكْسِرُ فيه اللَّاتَ ، والعُزَّى ، وإساف ، ونائلة ، وهُبَل ، حتى أُذكِّرك ذلك . قال أبو عبد الله : فذكرتُ ذلك لإبراهيم بن جَعفر فقال : أخبرنى أبى أنَّ فى الكتاب « ولقد علمتَ أنِّى لقيتُ أَصحابَك بأَحْياء[1] وأنا فى عِيرٍ لقُرَيش ، فما حصر أَصحابُك منّا شعرةً ، ورضُوا بمُدافعتنا بالرّاح . ثم أقبلتُ فى عِير قُرَيش حتى لقيتُ قومى ، فلم تَلقنا ، فأَوقعتَ بقومى ولم أَشْهَدْها من وقعة . ثم غزوتُكم فى عُقْر دارِكم فقتلتُ وحَرقتُ – يعنى غزوةَ السَّويق – ثم غزوتُك فى جمْعنا يوم أُحُد ، فكانت وقعتُنا فيكم مثلَ وقعتِكم بنا ببدر ، ثم سِرْنا إليكم فى جَمْعِنا ومَن تألَّب إلينا يوم الخَنْدق ، فلزمتم الصَّياصِى[2] وخندقتم الخنادقَ » .

(١) أحياء : اسم ماء أسفل من ثنية المرة برابغ . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٤٤) .

(٢) الصياصى : جمع صيصة ، وهى الحصن وكل ما امتنع به . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٠٧) .

باب ما أنزل الله من القرآن فى الخَنْدَق

حدّثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس ، قال : وأنزلَ الله عزَّ وجل فى شأْن الخَنْدَق يَذكُر نِعْمتَه وكفايتَه عدوَّهم بعد سوء الظنِّ منهم ومقالةِ من تكلَّم بالنِّفاق ، فقال : ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْها﴾ (١). قال : وكانت الجنود التى أتت المؤمنين قُرَيشاً وغَطَفان وأَسَدًا وسُلَيماً ، وكانت الجنودُ التى بعث الله تعالى عليهم الريح . وذكر : ﴿إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصارُ وبَلَغَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ وَتظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونا﴾ (٢) وكان الذين جاءوهم مِن فوقهم بنو قُرَيْظَة ، والذين جاءوا مِن أسفل منهم قُرَيش وأَسَد وغَطفان وسُلَيم . ﴿هُنالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيدًا﴾(٣) . ﴿وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُون وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَض ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾(٤) ، قول مُعَتِّب بن قُشَير ومَن كان معه على مثل رأْيه . ﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرارًا﴾(٥) ، يقول أَوْس بن قَيْظىّ ومن كان معه من قومه على مثل رأْيه . ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِها﴾(٦) مِن نواحيها ؛ ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيرًا﴾ ، يعنى المنافقين . ﴿وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ﴾(٧) إلى قوله تعالى

(١) سورة ٣٣ الأحزاب ٩
(٢) سورة ٣٣ الأحزاب ١٠ .
(٣) سورة ٣٣ الأحزاب ١١ .
(٤) سورة ٣٣ الأحزاب ١٢ .
(٥) سورة ٣٣ الأحزاب ١٣
(٦) سورة ٣٣ الأحزاب ١٤ .
(٧) سورة ٣٣ الأحزاب ١٥ .

﴿وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ ، كان ثَعْلَبَة عاهَد اللهَ يومَ أُحُد لا يُولِّى دُبُرًا أبدًا بعد أُحُد . ثم ذكر أهلَ الإيمان حين أتاهم الأحزاب فحصروهم ، وظاهرتهم بنو قُرَيْظَة فى الخَنْدَق فاشتدّ عليهم البلاءُ ، فقالوا لمّا رأوا ذلك : ﴿هذا ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ وصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾(١) ، وذلك قوله فى البَقَرَة : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجنَّةَ وَلمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾(٢) ، وفى قوله : ﴿رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾(٣) ، يقول قُتِل أو أُبلى ؛ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ ، أن يُقْتَل أو يُبْلَى ؛ ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ ، ما تغيّرت نِيّاتُهم . ﴿لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كان غَفُورًا رَحِيماً﴾(٤) .

حدّثنى إسحاق بن يحيى ، عن مُجاهد ، قال : نظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى طَلحة بن عُبَيد الله فقال : هذا مِمّن قَضَى نَحْبَه .

ذِكْر مَن قُتِل من المسلمين يوم الخَنْدَق

من بنى عبد الأَشْهَل : سعد بن مُعاذ ، رَمَاه حِبّان بن العَرِقَة فمات ، ويقال رماه أبو أُسامة الجُشَمىّ ؛ وأَنَس بن أوس بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأَعْلَم بن زَعوراء بن جُشَم بن عبد الأَشْهَل ، قتله خالد بن الوليد ، رماه بسهم ؛ وعبد الله بن سَهل الأَشْهَلىّ ، رماه رجلٌ من بنى عُوَيف فقتَله .

---

(١) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٢ .
(٢) سورة ٢ البقرة ٢١٤ .
(٣) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٣ .
(٤) سورة ٣٣ الأحزاب ٢٤ .

ومن بنى سَلِمَة : الطُّفَيل بن النُّعمان ، قتله وَحشىّ ، وكان وَحشى يقول : أكرمَ اللهُ بحربتى حمزةَ والطُّفَيل ؛ وثَعْلَبَة بن غَنَمَة بن عَدىّ بن نابى ، قتله هُبَيرة بن أبى وَهب المَخزومىّ . ومن بنى دينار : كعب بن زيد ، وكان قد ارْتُثّ يومَ بئر مَعونة فصَحّ حتى قُتِل فى الخَنْدَق ، قتله ضِرارُ بن الخطّاب. فجميع من استُشهد من المسلمين ستّة نفر .

ذكر مَن قُتِل من المشركين

وقُتِل من المشركين : عمرو بن عبد بن عبد بن أبى قيس بن عبد وُدّ ، قتله عَلىّ بن أبى طالب عليه السلام ؛ ونَوفل بن عبد الله بن المُغيرة المَخزومىّ ، قتله الزُّبير بن العَوّام ، ويقال عَلىّ بن أبى طالب عليه السلام . ومن بنى عبد الدار : عُثمان بن مُنَبِّه بن عُبَيد بن السَّبّاق ، مات بمكّة من رميةٍ رُميها يوم الخَنْدَق ؛ وهم ثلاثة نفر .

ذكر ما قيل من الشعر فى الخَنْدَق .

قال ضِرار بن الخطّاب : هكذا كان . . .

باب غزوة بنى قُرَيْظَة

سار إليهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم الأربعاء لسبعٍ بقين من ذى القعدة ، فحاصرهم خمسةَ عشَرَ يوماً ، ثم انصرف يوم الخميس لسبعٍ خلون من ذى الحجّة سنة خمس . واستخلف على المدينة ابنَ أمّ مَكْتوم .

قالوا : لمّا انصرف المشركون عن الخَنْدَق ، وخافت بنو قُرَيْظَة خوفاً شديداً ، وقالوا : محمّدٌ يزحف إلينا ! وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم

يُؤْمَر بقتالهم حتى جاءَ جبريل عليه السلام . وكانت امرأة نَبّاش بن قَيس قد رأت ، والمسلمون فى حصار الخَنْدَق ، قالت : أرى الخَنْدق ليس به أحد ، وأرى الناسَ تحوّلوا إلينا ونحن فى حُصُوننا قد ذُبِحْنا [ذَبْحَ] الغنم. فذكرتْ ذلك لزوجها ، فخرج زوجُها فذكَرها للزَّبِير بن باطا ، فقال الزَّبِير : ما لها لا نامت عينها ، تُوَلِّى قُرَيْشٌ ويحصُرنا محمّد ! والتوراةِ ، ولَمَا بعدَ الحصارِ أشدُّ منه !

قالوا : فلمّا رجع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الخَنْدَق دخل بيت عائشة رضى الله عنها فغسل رأْسَه واغتسل ، ودعا بالمِجْمَرَة لِيُجمر ، وقد صلَّى الظُّهر ، وأتاه جبريل على بغلةٍ عليها رِحالة [١] وعليها قطيفة ، على ثَنَايَاه النَّقْع ، فوقف عند موضع الجنائز فنادى : عَذِيرَك مِنْ مُحارِب ! قال : فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فَزِعاً فقال[٢] : ألاَ أراكَ وضعتَ اللَّأْمَةَ ولم تَضَعْها الملائكةُ بعدُ ؟ لقد طردناهم إلى حَمْراء الأَسَد ؛ إنَّ الله يأْمرك أن تسير إلى بنى قُرَيْظَة ، فإنى عامِد إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم حُصونَهم . ويقال جاءَه على فرسٍ أَبْلَق . فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عَلِيًّا عليه السلام فدفع إليه لِواء ، وكان اللواء على حالِه لم يُحَلّ مِن مَرجعه مِن الخَندَق ، وبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بِلالاً فأَذّن فى الناس : إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأْمركم ألاَّ تُصلّوا العصرَ إلّا ببنى قُرَيْظَة . ولَبِسَ رسولُ لله صلَّى الله عليه وسلَّم السلاح والمِغْفَر والدِّرْع والبَيْضَة ، وأخذ قناةً بيده ، وتقلّد التُّرْسَ وركب فرسه ، وحفّ به أصحابُه وتلبّسوا السلاح وركبوا الخيل ، وكانت ستّةً وثلاثين فَرَساً ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

---

(١) الرحالة : سرج من جلود لا خشب فيها . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٥٢) .
(٢) أى جبريل .

قد قاد فرسَيْن وركب واحدًا ، يقال له اللُّحَيْف ، فكانت ثلاثة أفراس معه . وعلىٌّ عليه السلام فارِس ، ومَرْثَد بن أَبِى مَرْثَد . وفى بنى عبد مَناف : عثمان بن عَفَّان رضى الله عنه فارس ، وأبو حُذَيفة بن عُتبة بن رَبيعة ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن فارس ، وسالم مولى أَبِى حُذَيفة ، والزُّبَير بن العوّام . ومن بنى زُهرة : عبد الرحمن بن عَوف ، وسعد بن أَبِى وَقَّاص . ومن بنى تَيم : أبو بكر الصدِّيق ، وطَلحة بن عبيد الله . ومن بنى عَدىّ : عمر بن الخطَّاب . ومن بنى عامر بن لُؤىّ : عبد الله بن مَخْرَمة . ومن بنى فِهر : أَبو عُبَيدة بن الجَرّاح . ومن الأَوس : سعد بن مُعاذ ، وأُسَيد بن حُضَير ، ومحمّد بن مَسْلَمَة ، وأبو نائِلة ، وسعد بن زيد . ومن بنى ظَفَر : قتادة ابن النُّعمان . ومن بنى عمرو بن عَوف : عُوَيم بن ساعدة ، ومَعن بن عَدى ، وثابت بن أَقْرَم ، وعبد الله بن سَلَمَة . ومن بنى سَلِمَة : الحُباب بن المُنذر بن الجَموح ، ومُعاذ بن جَبَل ، وقُطبة بن عامر بن حَديدة . ومن بنى مالك بن النَّجار : عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ . وفى بنى زُرَيق : رُقاد بن لَبيد ، وفَروة بن عمرو ، وأَبو عَيّاش ، ومُعاذ بن رِفاعة . ومن بنى ساعدة : سعد ابن عُبادة .

فحدّثنى ابن أَبِى سبْرَة ، عن أَيّوب بن عبد الرحمن بن أَبِى صَعْصَعَة ، قال : فسار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى أَصحابه والخيلُ والرَّجّالةُ حوله ، فمرّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بنفرٍ من بنى النَّجّار بالصَّوْرَين[1] فيهم حارثة بن النُّعمان ، قد صَفُّوا عليهم السلاح ، فقال : هل مَرّ بكم أَحد ؟ قالوا : نعم ، دِحْيَة الكَلْبِىّ مَرّ على بغلةٍ عليها رِحالةٌ ، عليها قَطيفةٌ من

---

(١) الصورين : موضع بأقصى البقيع مما يلى طريق بنى قريظة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٧) .

سْتَبْرَق ، فأَمَرَنا بِلُبْس السلاح ، فأَخذنا سِلاحَنا وصففنا ، وقال لنا : هذا رسول الله يطلع عليكم الآن . قال حارثة بن النُّعمان : فكنَّا صَفَّين ، فقال لنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ذلك جبريل ! فكان حارثة بن النُّعمان يقول : رأَيتُ جبريل من الدَّهْر مرّتين – يومَ الصَّوْرَين ويومَ موضع الجنائز حين رجعنا من حُنَين . وانتهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بنى قُرَيْظَة فنَزلَ على بئر لنَا[١] أَسفلَ حَرَّة بنى قُرَيْظَة ، وكان عَلىٌّ عليه السلام قد سبق فى نفرٍ من المهاجرين والأَنصار فيهم أَبو قَتادة .

فحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن أُسَيد بن أَبى أُسَيد ، عن أَبى قتادة ، قال : انتهينا إليهم فلمّا رأَونا أَيقنوا بالشرّ ، وغرز عَلىٌّ عليه السلام الرايةَ عند أَصل الحِصْن ، فاستقبلونا فى صَياصيهم يشتمون رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأَزواجه . قال أَبو قَتادة : وسكتنا وقلنا : السيفُ بيننا وبينكم ! وطلع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلما رآه عَلىٌّ عليه السلام رجع إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأَمرنى أَن أَلزم اللواءَ فلزمته ، وكره أَن يسمع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَذَاهم وشَتْمَهم . فسار رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم ، وتقدّمه أُسَيدُ بن حُضَير فقال : يا أَعداءَ اللهِ ، لا نبرح حِصْنَكم حتى تموتوا جوعاً . إنما أَنتم بمنزلة ثعلبٍ فى جُحْر . قالوا : يا ابنَ الحُضَير ، نحن مواليكم دون الخزرج ! وخاروا[٢] ، وقال : لا عَهْدَ بينى وبينكم ولا إلّ[٣] . ودَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهم ، وترّسنا عنه ، فقال :

---

(١) هكذا فى النسخ ؛ ولعل الصواب « بئر أنا » كما فى ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٢٤٥) . وأنا : بئر من آبار بنى قريظة . (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٠) .

(٢) فى الأصل : « وجاروا » ؛ وما أثبتناه من ب . وخاروا : أى خافوا . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ١١٥) .

(٣) الإل ، بالكسر : العهد والحلف . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٣٠) .

يا إخوةَ القِرَدَة والخنازير وعَبَدَة الطَّواغيت ، أتشتموننى ؟ قال : فجعلوا يحلفون بالتَّوراة التى أُنزلت على موسى : ما فعلنا ! ويقولون : يا أبا القاسم ، ما كنتَ جَهُولاً ! ثم قدّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الرُّماةَ مِن أصحابه .

فحدّثنى فَروة بن زُبَيد ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها ، قال : قال لى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا سعد ، تقدَّمْ فَارْمِهِمْ ! فتقدّمتُ حيث تَبلُغهم نَبْلى ، ومعى نَيِّفٌ على الخمسين ، فرميناهم ساعةً وكأنّ نبلنا مثلَ[1] جراد ، فانجحروا فلم يطلع منهم أحد . وأشفقنا على نبلنا أن يذهب ، فجعلنا نرمى بعضَها[2] ونُمسك البعض . فكان كعب بن عمرو المازنىّ – وكان رامِياً – يقول : رميتُ يومئذٍ بما فى كِنانتى ، حتى أمسكنا عنهم بعد أن ذهبت ساعةٌ من الليل . قال : وقد رمونا ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم واقِفٌ على فرسه عليه السلاح ، وأصحاب الخيل حوله ، ثم أمرَنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فانصرفنا إلى منزلنا وعسكرنا فبِتْنا ، وكان طعامنا تمرًا بعث به سعد بن عُبادة ، أحمالَ تمر ، فبتنا[3] نأْكل منها ، ولقد رُئِى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبو بكر وعمر يأْكلون من ذلك التمر ، ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : نِعمَ الطعامُ التمرُ ! واجتمع المسلمون عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عِشاءً ، فمنهم مَن لم يُصَلِّ حتى جاءَ بنى قُرَيْظَة ، ومنهم مَن قد صلَّى ، فذكروا ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فما عاب على أحدٍ صلَّى ، ولا على أحد لم يُصَلِّ حتى بلغ بنى قُرَيْظَة . ثم غدونا

---

(١) فى ب : « رجل من جراد » .
(٢) فى ب : « يرمى بعضنا و يمسك بعض » .
(٣) فى الأصل : « فبينا » ؛ وما أثبتناه من ب .

عليهم بسُحْرَة ، فقدّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الرُّماة ، وعبّأ أصحابَه فأحاطوا بحُصونهم مِن كلّ ناحية ، فجعل المسلمون يُرامونهم بالنبل والحجارة ، وجعل المسلمون يعتقبون فيعقب بعضُهم بعضاً ؛ فما برح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُراميهم حتى أيقنوا بالهلكة .

فحدثنى الضَّحّاك بن عثمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانوا يرامونا مِن حُصونهم بالنبل والحجارة أشدَّ الرَّمْى ، وكنا نقوم حيث تبلغهم نبلُنا .

فحدّثنى الضَّحّاك بن عثمان ، عن جعفر بن محمود ، قال : قال محمّد ابن مسْلَمَة : حَصرناهم أشدَّ الحِصار ، فلقد رأيتنا يوم غدونا عليهم قبل الفجر ، فجعلنا ندنو من الحِصْن ونرميهم مِن كَثَب ، ولزمنا حصونَهم فلم نُفارقها حتى أمسينا ، وحَضّنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الجهاد والصبر . ثم بتنا على حصونهم ، ما رجعنا إلى معسكرنا حتى تركوا قتالنا وأمسكوا عنه وقالوا : نُكلّمك . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : نعم . فأنزلوا نَبّاش بن قيس ، فكلّم رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ساعةً وقال : يا محمّد ، ننزل على ما نزلتْ عليه بنو النَّضير ؛ لك الأموال والحَلْقَةُ وتَحْقِن دماءنا ، ونخرج من بلادكم بالنساء والذّراريّ ، ولنا ما حملت الإبلُ إلّا الحَلْقَة . فأبى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقالوا : فتَحقِن دماءنا وتُسلِم لنا النساءَ والذُّرّيّة ، ولا حاجةَ لنا فيما حملت الإبل . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا ، إلّا أن تنزلوا على حكمى . فرجع نَبّاش إلى أصحابه بمقالة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال كعب ابن أَسَد : يا معشر بنى قُرَيْظَة ، واللهِ إنكم لتعلمون أنَّ محمّدًا نبىُّ الله ، وما منعنا مِن الدخول معه إلّا الحَسَدُ للعرب ، حيث لم يكن نبيًّا من بنى

إسرائيل فهو حيث جعله الله . ولقد كنت كارهاً لنقض العَهْد والعَقْد . ولكنّ البلاء وشؤم هذا الجالس[١] علينا وعلى قومه ، وقومُه كانوا أسوأ[٢] منّا . لا يستبقى محمدٌ رجلاً واحدًا إلَّا مَن تبعه . أتذكرون ما قال لكم ابن خِراش[٣] حين قدم عليكم فقال : تركتُ الخَمْرَ والخمير والتأمير ، وجئتُ إلى السّماء والتمر والشعير ؟ قالوا : وما ذلك ؟ قال : يخرج مِن[٤] هذه القرية نبيّ ؛ فإن خرج وأنا حيٌّ اتّبعتُه ونصرته . وإن خرج بعدى فإيّاكم أن تُخدَعوا عنه . فاتّبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه . وقد آمَنتم بالكتابَيْن كليهما الأوّل والآخر قال كعب : فتعالَوا فلْنُتابِعْه ولنُصدقه ولنُؤْمن به . فنأْمن على دمائنا وأبنائنا ونسائنا وأموالنا ، فنكون بمنزلة مَن معه . قالوا : لا نكون تَبَعاً لغيرنا ، نحن أهل الكتاب والنُّبوّة ، ونكون تَبَعاً لغيرنا ؟ فجعل كعب يرد عليهم الكلام بالنصيحة لهم . قالوا : لا نُفارق التوراة ولا نَدَعُ ما كنّا عليه من أمر موسى . قال : فهلمّ فلنقتلْ أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج فى أيدينا السيوفُ إلى محمّد وأصحابه . فإن قُتلنا قُتلنا وما وراءنا أمرٌ نهتمّ به ، وإن ظفِرنا فلَعَمرى لنتخذنّ النساءَ والأبناءَ . فتضاحك حُيَى بن أَخْطَب ثم قال : ما ذَنْبُ هؤلاء المساكين ؟ وقالت رؤساء اليهود ، الزَّبِير بن باطا وذووه : ما فى العيش خيرٌ بعد هولاء . قال : فواحدةٌ قد بقيتْ مِن الرأْى لم يَبْقَ غيرُها ، فإن لم تقبلوها فأنتم بنو إسْتِها . قالوا : ما هى ؟ قال : الليلة السبت ، وبالحَرِيّ[٥] أن يكون محمّدٌ وأصحابه آمنين لنا فيها أن نُقاتله ، فنخرج

(١) يعنى حيى بن أخطب .
(٢) فى ب : « أشوى منا » .
(٣) فى الأصل : « حواش » . وفى ب : « جواش » ؛ وعلى هامش ب : « مطلب بن جواش » . وما أثبتناه من ث ، ومن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١١٦) .
(٤) فى ب : « إنه يخرج بهذه القرية » .
(٥) فى الأصل : « بالجرى » ؛ والتصحيح من ب .

فلعلنا أن نُصِيب منه غِرَّة . قالوا : نُفسِد سبتنا ، وقد عرفتَ ما أصابنا فيه ؟ قال حُيَىّ : قد دعوتُك إلى هذا وقُرَيْشٌ وغَطَفان حُضورٌ فأَبيتَ أن تكسر السبت ، فإن أَطاعتنى اليهود فعلوا . فصاحت اليهود : لا نكسر السبت . قال نَبّاش بن قَيس : وكيف نُصِيب منهم غِرَّة وأنت ترى أَنَّ أَمرهم كلَّ يوم يشتدّ . كانوا أَوّلَ ما يُحاصروننا إنما يُقاتلون بالنهار ويرجعون الليل ، فكان هذا لك قولاً «لو بيّتناهم» . فهم الآن يُبيّتون الليل ويَظلّون النهار ، فأَىّ غِرَّةٍ نُصِيب منهم ؟ هى مَلْحَمة وبلاء كُتب علينا . فاختلفوا وسُقط فى أَيديهم ، وندموا على ما صنعوا ، وَرَقُّوا على النساء والصبيان ، وذلك أَنَّ النساءَ [والصبيان] لمّا رأوا ضَعْفَ أنفسهم هلكوا ، فبكى النساء والصبيان ، فرَقُّوا عليهم .

فحدّثنى صالح بن جَعفر ، عن محمّد بن عُقبة ، عن ثَعلبة بن أَبى مالك ، قال : قال ثَعلبة وأُسَيد ابنا سَعِيّة[١] ، وأَسد بن عُبَيد عمّهم[٢] : يا معشر بنى قُرَيْظَة ، واللهِ إنكم لَتعلمون أنه رسول الله وأَنَّ صفته عندنا ، حدّثنا بها علماونا وعلماء بنى النَّضير . هذا أَوّلهم — يعنى حُيَىّ بن أَخْطَب — مع جُبَير بن الهَيِّبان[٣] أَصدقُ الناسِ عندنا ، هو خبّرنا بصفته عند موته . قالوا : لا نُفارق التوراة ! فلمّا رأَى هؤلاء النفر إباءهم ، نزلوا فى الليلة التى فى صُبْحِها نزلت قُرَيْظَة ، فأَسلموا فأَمنوا على أَنفسهم وأَهلهم وأَموالهم .

فحدّثنى الضَّحّاك بن عثمان ، عن محمّد بن يحيى بن حِبّان ، قال عمرو بن سُعْدَى ، وهو رجلٌ منهم : يا معشر اليهود ، إنكم قد حالفتم محمّدًا على ما حالفتموه عليه ، أَلاَّ تنصروا عليه أَحدًا من عدوّه ، وأَن تنصروه

(١) فى الأصل : «شعية» ؛ وما أثبتناه من ب ، ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٩٦) .
(٢) فى ب : «ابن عمهم» .
(٣) على هامش نسخة ب : «مطلب بن الهيبان» .

ممّن دهمه ؛ فنقضتم ذلك العهد الذى كان بينكم وبينه ، فلم أدخل فيه ولم أشرَكْكم فى غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا [على] اليهودية وأعطوا الجزية ، فوالله ما أدرى يقبلها أم لا . قالوا : نحن لا نُقرّ للعرب بخَرْجٍ فى رِقابنا ياخذوننا به ، القتلُ خير من ذلك ! قال : فإنى برىءٌ منكم. وخرج فى تلك الليلة مع بنى سَعِيَّة فمرَّ بحرس النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وعليهم محمَّد بن مَسْلَمة ، فقال محمّد بن مَسْلَمَة : مَن هذا ؟ فقال : عمرو بن سُعْدَى . فقال محمّد : مُرّ ! اللّهمّ ، لا تحرمْنى إقالةَ عَثَراتِ الكِرام . فخلَّى سبيلَه وخرج حتى أَتى مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فبات به حتى أَصبح ، فلمّا أَصبح غدا فلم يُدرَ أَين هو حتى الساعة ، فسُئِل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عنه فقال : ذلك رجلٌ نجّاه اللهُ بوَفائِه . ويقال إنه لم يطلع أَحدٌ منهم ولم يُبادر(١) للقتال ، فى روايتنا .

حدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : مرّ عمرو بن سُعْدَى على الحرس ، فناداه محمّد بن مَسْلَمَة : مَن هذا ؟ قال : عمرو بن سُعْدَى . قال محمّد : قد عرفناك . ثم قال محمّد : اللّهمّ ، لا تحرِمنى إقالةَ عَثَراتِ الكِرام .

حدثنى الثّورىّ ، عن عبد الكَريم الجَزَرىّ ، عن عِكْرِمَة ، قال : لمّا كان يوم بنى قُرَيْظَة قال رجلٌ من اليهود : مَن يُبارز ؟ فقام إليه الزُّبَير فبارزه . فقالت صَفيّة : وَاجَدِّى ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَيّهما علا صاحبَه قَتَله . فعلاه الزُّبَير فقتله ، فنفله رسولُ الله صلَّى الله عليه عليه وسلَّم سَلَبه .

---

(١) فى ب : «ولم يبارز» .

قال ابن واقِد : ولم يُسْمَع بهذا الحديث فى قتالهم وأراه وَهَل – هذا فى خَيْبَر .

حدثنى مَعْمَر بن راشد ، عن الزُّهرىّ ، عن ابن المُسَيِّب ، قال : كان أوّل شىءٍ عتب فيه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أبى لُبابة بن عبد المُنذر أنه خاصم يتيماً له فى عَذْق . فقضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالعَذْق لأبى لُبابة ، فصيّح[1] اليتيمُ واشتكى إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأبى لُبابة : هَبْ لى العَذْق يا أبا لُبابة – لكى يردّه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى اليتيم . فأبى أبو لبابة أن يهبه لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا أبا لُبابة ، أعطِه اليتيم ولك مثله فى الجنَّة . فأبى أبو لُبابة أن يُعطيه .

قال الزُّهرى : فحدّثنى رجلٌ من الأنصار قال : لمّا أبى أن يُعطيه قال ابن الدَّحْداحة – وهو رجلٌ من الأنصار : أرأيتَ يا رسول الله إن ابتعتُ هذا العَذْقَ فأعطيتُه هذا اليتيمَ ، ألِىَ مثلُه فى الجنَّة ؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : نعم . فانطلق ابن الدَّحْداحة حتى لقى أبا لُبابة فقال : أبتاعُ منك عَذْقَك بحديقتى – وكانت له حديقة نخل . قال أبو لُبابة : نعم . فابتاع ابن الدَّحْداحة العَذْقَ بحديقةٍ من نخل ، فأعطاه اليتيم . فلم يلبث ابن الدَّحْداحة أن جاء كفَّارُ قُرَيش إلى أُحُد ، فخرج ابن الدَّحْداحة فقُتل شهيدًا ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : رُبَّ عَذْقٍ مُذلَّلٍ لابن الدَّحْداحة فى الجنَّة .

قالوا : فلمّا اشتدّ عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أرسلْ إلينا أبا لُبابة بن عبد المُنذر .

---

(١) فى ب : « فضج اليتيم » .

فحدّثنى رَبيعة بن الحارث ، عن عبد الله بن محمّد بن عَقيل ، عن السائب بن أَبى لبابة بن عبد المُنذر ، عن أَبيه ، قال : لمّا أَرسلت بنو قُرَيْظَة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يسأَلونه أَن يُرسلنى إليهم ، دعانى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : اذهبْ إلى حلفائك ، فإنهم أَرسلوا إليك من بين الأَوس . قال : فدخلت عليهم وقد اشتدّ عليهم الحصار ، فبَهَشوا[1] إلىّ وقالوا : يا أَبا لُبابة ، نحن مواليك دون الناس كلِّهم . فقام كعب بن أَسَد فقال : أَبا بَشير ، قد علمتَ ما صنعنا فى أَمرك وأَمرِ قومك يوم الحدائق وبُعاث ، وكلِّ حربٍ كنتم فيها . وقد اشتدّ علينا الحصار وهلكنا ، ومحمّدٌ يأْبى يُفارق حصنَنا حتى ننزل على حُكمه . فلو زال عنّا لحقْنا بأرض الشام أَو خَيْبَر ، ولم نَطأْ له حَرا [2] أَبدًا ، ولم نُكثر عليه جمعاً أَبدًا . قال أَبو لُبابة : أَما ما كان هذا معكم ، فلا يدع هلاككم — وأَشرتُ إلى حُيَىّ بن أَخْطَب . قال كعب : هو واللهِ أَوْرَدنى ثم لم يُصْدِرْنى . فقال حُيَىّ : فما أَصنع ؟ كنتُ أَطمع فى أَمرِه ، فلمّا أَخطأَنى آسيتُك بنفسى ، يُصيبنى ما أَصابك . قال كعب : وما حاجتى إلى أَن أُقتَل أَنا وأَنت وتُسْبَى ذَراريّنا ؟ قال حُيَىّ : ملحمةٌ وبلاءٌ كُتب علينا . ثم قال كعب : ما ترى ، فإنّا قد اخترناك على غيرك ؟ إنّ محمّدًا قد أَبى إلّا أَن ننزل على حُكْمِه ، أَفننزل[3] ؟ قال : نعم ، فانزِلوا — وأَومأَ إلى حَلْقِه ، هو الذبح . قال : فندمتُ فاسترجعت ، فقال لى كعب : ما لك يا أَبا لُبابة ؟ فقلت : خنتُ اللهَ ورسوله . فنزلت وإنّ لِحيتى لَمُبتلّةٌ من الدموع ،

---

(١) بهشوا إلى : أسرعوا إلى . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٠١) .

(٢) الحرا ، بالفتح والقصر : جناب الرجل. (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٢) .

(٣) فى ب : « فننزل » .

والناسُ ينتظرون رجوعى إليهم ، حتى أخذتُ من وراء الحِصْن طريقاً آخر حتى جئت إلى المسجد فارتبطت ، فكان ارتباطى إلى الأُسطوانة المُخَلَّقَة[1] التى تقال أُسطوانة التَّوْبَة – ويقال ليس تلك ، إنما ارتبط إلى أُسطوانةٍ كانت وُجاه المنبر عند باب أُمّ سَلَمَة زوجِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهذا أثبتُ القولين – وبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ذهابى وما صنعت فقال : دعوه حتى يُحدث اللهُ فيه ما يشاء . لو كان جاءنى استغفرت له ؛ فأمّا إذ لم يأتنى وذهب فدعوه ! قال أبو لُبابة : فكنت فى أمرٍ عظيمٍ خمس عشرة ليلة ، وأذكرُ رؤيا رأيتُها .

فحدّثنى موسى بن عُبَيدة ، عن أيّوب بن خالد : قال ، قال أبو لُبابة : رأيت فى النوم ونحن محاصرو بنى قُرَيْظَة كأنّى فى حَمْأَةٍ آسِنة ، فلم أخرج منها حتى كدتُ أموت مِن ريحها . ثم أرَى نهرًا جارياً ، فأرانى اغتسلت منه حتى استنقيت ، وأرانى أجد ريحاً طيّبة . فاستعبرها أبا بكر فقال : لتدخلنّ فى أمرٍ تغتمّ له ، ثم يُفرَّج عنك . فكنتُ أذكر قول أبى بكر رضى الله عنه وأنا مرتبط ، فأرجو أن تنزل توبتى .

فحدّثنى مَعْمَر ، عن الزُّهرىّ ، قال : وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد استعمل أبا لُبابة على قتالهم ، فلمّا أحدث ما أحدث عزله واستعمل أُسَيد بن حُضَير . وارتبط أبو لُبابة سبعاً بين يومٍ وليلةٍ عند الأُسطوانة التى عند باب أُمّ سَلَمَة فى حرٍّ شديد ، لا يأكل فيهنّ ولا يشرب ، وقال : لا أزال هكذا حتى أُفارق الدنيا أو يتوبَ الله علىّ . قال : فلم يزل كذلك حتى ما يسمع الصوت من الجَهد ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينظر إليه بُكْرةً

---

(١) أى التى طليت بالخلوق ، وهو ما يخلق به من الطيب . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

وعشيةً ، ثم تابَ اللهُ تعالى عليه فنُودى : إنَّ الله قد تابَ عليك ! وأَرسل النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إليه ليُطلَقَ عنه رِباطه ، فأَبَى أَن يُطلقه عنه أَحدٌ غير رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فجاءَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بنفسه فأَطلقه .

قال الزُّهرىّ : فحدّثتنى هِند بنت الحارث ، عن أُمّ سَلَمَة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم قالت : رأَيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يحلّ عنه رِباطه ، وإنَّ رسول الله ليرفع صوته يُكلّمه ويُخبره بتوبته ، وما يدرى كثيرًا ممّا يقول من الجَهد والضعف . ويُقال مكث خمسَ عشرةَ مربوطاً ، وكانت ابنته تأْتيه بتمرات لفطره ، فيلوك منهنّ ويترك ويقول : واللهِ ، ما أَقدِرُ على أَن أُسيغها فَرَقاً أَلاَّ تنزل توبتى . وتطلقه عند وقت كلّ صلاة ، فإن كانت له حاجةٌ توضّأَ ، وإلا أَعادت الرِّباط . ولقد كان الرباط حزّ فى ذراعيه ، وكان من شَعَر ، وكان يُداويه بعد ذلك دَهْرًا ، وكان ذلك يَبين فى ذراعيه بعد ما بَرِئَ . وقد سمعنا فى توبته وجهاً آخر .

حدّثنا عبد الله بن يزيد بن قُسَيط ، عن أَبيه ، عن محمّد بن عبد الرحمن ابن ثَوبان (١) ، عن أُمّ سَلَمَة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : إنَّ توبة أَبى لُبابة نزلت فى بيتى . قالت أُمّ سَلَمَة : فسمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يضحك فى السَّحَر فقلت : مِمّ تضحك يا رسول الله ، أَضحك الله سِنَّك ؟ قال : تِيب على أَبى لُبابة . قالت ، قلت : أُوذِنه بذلك يا رسول الله ؟ قال : ما شئتِ . قالت : فقمت على باب الحجرة ، وذلك قبل أَن يُضْرَب الحجاب ، فقلت : يا أَبا لُبابة ، أَبشرْ فقد تاب الله عليك

(١) فى الأصل : « لوبان » ؛ والتصحيح من ب ، ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٢١٧) .

فثار الناس إليه لِيُطلقوه ، فقال أبو لُبابة : لا ، حتى يأتى رسولُ الله فيكونَ هو الذى يُطلق عنّى . فلمّا خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الصبح أطلقه . ونزلت فى أبى لبابة بن عبد المُنذر : ﴿وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ . .﴾[١] الآية . ويقال نزلت : ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ ﴾ [٢]. وحدّثنى محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، قال : نزلت فيه : ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فى الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ﴾.[٣] الآية . وأثبتُ ذلك عندنا قوله عزّ وجلّ : ﴿وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً﴾ .

وحدّثنى مَعْمر ، عن الزُّهرىّ ، عن ابن كعب بن مالك ، قال : جاءَ أبو لُبابة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : أنا أهجرُ دار قومى التى أصبتُ فيها هذا الذنب ، فأُخرج من مالى صدقةً إلى الله ورسوله . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : يُجزئ عنك الثُّلُث . فأَخرج الثُّلُث ، وهجر أبو لُبابة دار قومه . ثم تاب الله عليه ، فلم يَبِن فى الإسلام منه إلّا خيرٌ حتى فارق الدنيا .

قالوا : ولمّا جهدهم الحصارُ ونزلوا على حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمر رسول الله بأسراهم فكُتِّفوا رِباطاً ، وجُعل على كِتافهم محمّد بن مَسْلَمَة ، ونُحُّوا ناحيةً ، وأخرجوا النساءَ والذُّرّيّة من الحُصون فكانوا ناحيةً . واستعمل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن سَلام ، وأمر رسول الله صلّى الله

---

(١) سورة ٩ التوبة ١٠٢ .
(٢) سورة ٨ الأنفال ٢٧ .
(٣) سورة ٥ المائدة ٤١ .

عليه وسلّم بجمع أمتعتهم وما وُجد فى حُصونهم من الحَلْقَة والأثاث والثياب .

فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن المِسْوَر بن رِفاعة ، قال : وُجد فيها ألف وخمسمائة سيف ، وثلثمائة دِرْع ، وألفا رُمْح ، وألف وخمسمائة تُرْس وحَجَفَة [١] . وأخرجوا أثاثاً كثيرًا ، وآنيةً كثيرة ، ووجدوا خمرًا وجِرارَ سَكَرٍ ، فهُريق ذلك كلّه ولم يُخمَّس . ووجدوا من الجمال النواضح عِدّة ، ومن الماشية ، فجُمع هذا كلّه .

حدّثنى عمر بن محمد ، عن أبى سعيد ، عن جابر بن عبد الله قال : أنا كنت ممّن كسر جِرارَ السَّكَر يومئذ .

حدّثنى خارجة بن عبد الله ، عن داود بن الحُصَين ، عن أبى سُفيان ، عن محمّد بن مَسْلَمَة ، قال : وتَنحّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس ، ودنت الأوس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : يا رسول الله ، حلفاؤنا دون الخَزْرَج ، وقد رأيت ما صنعتَ ببنى قَيْنُقاع بالأمس حلفاء ابنِ أُبَىّ ، وهبتَ له ثلثمائة حاسرٍ وأربعمائة دارع . وقد ندم حلفاؤنا على كان من نَقْضِهم العهدَ ، فهَبْهُم لنا . ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساكت ، لا يتكلّم حتى أكثروا عليه وألحّوا ونطقت الأوس كلّها ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أما ترضَون أن يكون الحكم فيهم إلى رجلٍ منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن مُعاذ . وسعد يومئذ فى المسجد فى خيمة كُعَيبة [٢] بنت سعد بن عُتبة ، وكانت تُداوى الجَرْحى ، وتَلُمّ الشَّعَث ، وتقوم على الضائع والذى لا أحدَ له وكان لها خيمة فى المسجد ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل سعدًا فيها . فلمّا جعل رسول الله

(١) الحجفة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . (الصحاح ، ص ١٣٤١) .

(٢) هكذا فى النسخ . ويقال أيضاً «رفيدة» كما ذكر ابن إسحق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٥٠) .

صلّى الله عليه وسلّم الحُكْم إلى سعد بن مُعاذ خرجت الأَوس حتى جاءوه ، فحملوه على حمارٍ بشَنَذَةٍ [١] من لِيفٍ ، وعلى الحمار قَطيفةٌ فوقَ الشَّنَذَة وخِطامه حبلٌ من لِيف . فخرجوا حولَه يقولون : يا أَبا عمرو ، إنَّ رسول الله قد ولاَّك أمرَ مواليك لتُحسن فيهم فأَحسِنْ ، فقد رأَيتَ ابنَ أُبَىّ وما صنع فى حلفائه . والضَّحّاك بن خَليفة يقول : يا أَبا عمرو ، مَواليك، مَواليك ! قد منعوك فى المواطن كلّها ، واختاروك على مَن سِواك ورجوا عِياذَك [٢] ، ولهم جِمالٌ وعدد . وقال سَلَمَة بن سَلامة بن وَقَش : يا أَبا عمرو ، أَحسِنْ فى مواليك وحلفائك ؛ إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُحبّ البَقيَّة ! نصروك يوم البُعاث والحَدائق والمَواطن ، ولا تكن شَرًّا من ابن أُبَىّ .

قال إبراهيم بن جعفر ، عن أَبيه : وجعل قائلهم يقول : يا أَبا عمرو . وإنّا واللهِ قاتلنا بهم فقَتلنا ، وعازَزنا بهم فَعَزنا ! قالوا : وسعد لا يتكلّم ، حتى إذا أَكثروا عليه قال سعد : قد آنَ لِسعد أَلاَّ تأْخذه فى الله لَومةُ لائم . فقال الضَّحّاك بن خَليفة : وَاقَوْماه ! ثم رجع الضَّحّاك إلى الأَوس فنَعَى لهم بنى قُرَيظة . وقال مُعَتِّب بن قُشَير : وَاسُوءَ صَباحَاه ! وقال حاطب بن أُمَيّة الظَّفَرىّ : ذهب قومى آخرَ الدهر . وأَقبل سعد إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، والناس حول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم جُلوس ، فلمّا طلع سعد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قوموا إلى سيّدكم . فكان رجالٌ من بنى عبد الأَشْهَل يقولون : فقمنا له على أَرجلنا صَفَّين ، يُحيّيه كلّ رجلٍ منا حتى انتهى إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وقائل يقول : إنما عنى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بقوله « قوموا إلى سيّدكم » يعنى به الأَنصار دون

---

(١) فى الأصل : « بسند » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . والشنذة : شبه إكاف يجعل لمقدمته حنو. (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣٨) .

(٢) فى ب : « عائذيك » .

قُرَيش . قالت الأَوس الذين بقوا عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لسعد : يا أَبا عمرو ، إنَّ رسول الله قد ولاَّك الحُكم ، فأَحسِنْ فيهم وَاذكر بلاءهم عندك . فقال سعد بن مُعاذ : أترضون بحكمى لبنى قُرَيْظَة ؟ قالوا : نعم ، قد رضينا بحكمك وأنت غائبٌ عنَّا ، اختيارًا منَّا لك ورجاءَ أن تمنّ علينا كما فعله غيرُك فى حلفائه مِن قَيْنُقاع ، وأثَرُنا عندك أثَرُنا ، وأحوجُ ما كنَّا اليومَ إلى مجازاتك . فقال سعد : لا آلوكم جَهدًا . فقالوا : ما يعنى بقوله هذا ؟ ثم قال : عليكم عهدُ اللهِ وميثاقُه أنّ الحكم فيكم ما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . فقال سعد للناحية الأُخرى التى فيها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو مُعرِضٌ عنها إجلالاً لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : وعلى مَن هاهنا مثلُ ذلك ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومَن معه : نعم . قال سعد : فإنى أحكمُ فيهم أن يُقتَل مَن جَرَتْ عليه المُوسَى ، وتُسْبَى النساءُ والذُّرِّيَّة ، وتُقْسم الأَموال . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لقد حكمتَ بحكم الله عزَّ وجلَّ مِن فوق سبعة أرْقِعَة[1] . وكان سعد بن مُعاذ فى الليلة التى فى صبحها نزلت قُرَيْظَة على حكم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد دعا فقال : اللَّهمّ ، إن كنتَ أبْقيتَ من حرب قُرَيْش شيئاً فأَبقِنى لها ، فإنه لا قَوْمَ أحبّ إلىّ أن أُقاتل من قومٍ كذَّبوا رسول الله ، وآذَوه وأخرجوه ! وإن كانت الحربُ قد وضعت أوزارَها عنّا وعنهم فَاجْعَلْه لى شهادة ، ولا تُمِتنى حتى تُقِرَّ عينى من بنى قُرَيْظَة ! فأَقرَّ اللهُ عينه منهم . فأَمر بالسَّبْى فسِيقوا إلى دار أُسامة بن زيد ، والنساء والذُّرِّيَّة إلى دار ابنةِ الحارث[2] وأَمرَ رسول

(١) الأرقعة : السموات ، الواحدة رقيع . (شرح ابى ذر ، ص ٣٠٦) .

(٢) هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٦٤) . وقال السهيلى : اسمها كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ١٩٨) .

الله صلَّى الله عليه وسلَّم بأَحمال التمر فنُثرت عليهم ، فباتوا يَكدُمونها كَدْمَ الحُمُرِ ، وجعلوا ليلتَهم يدرسون التوراة ، وأَمر بعضُهم بعضاً بالثبات على دينه ولزوم التوراة . وأَمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالسلاح والأَثاث والمَتاع والثِّياب ، فحُمل إلى دار بنت الحارث ؛ وأَمر بالإبل والغنم ، فتُركت هناك ترعى فى الشجر . قالوا : ثم غدا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى السوق ، فأَمرَ بخُدودٍ(١) فخُدَّت فى السُّوق ما بين موضع دار أَبى جَهم العَدوىّ إلى أَحجار الزيت بالسوق ، فكان أَصحابه يحفرون هناك ، وجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه عِلْيَة أَصحابِه ،ودعا برجال بنى قُرَيْظَة ،فكانوا يخرجون رَسْلاً رَسْلاً ، تُضْرَب أَعناقُهم . فقالوا لكعب بن أَسَد : ما ترى محمّدًا ما يصنع بنا ؟ قال : ما يَسوؤ كم وما يَنُوؤكم ، ويلكم ! على كلّ حال لا تَعقلون ! أَلا ترون أَنَّ الداعى لا يَنزِع ، وأَنه مَن ذهب منكم لا يرجع ؟ هو واللهِ السيف ، قد دعوتُكم إلى غير هذا فأَبيتم ! قالوا : ليس هذا بحين عِتاب ، لَولا أَنَّا كرهنا أَن نُزرى برأيك ما دخلنا فى نَقض العهد الذى كان بيننا وبين محمّد . قال حُيَىّ : اتركوا ما تَرون من التَّلاوم فإنه لا يردّ عنكم شيئاً ، واصبروا للسيف . فلم يزالوا يُقتَلون بين يدى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكان الذين يَلون قَتْلَهم عَلِىٌّ والزُّبَير . ثم أُتى بحُيَىّ بن أَخْطب مجموعةً يداه إلى عُنُقه ، عليه حُلَّةٌ شَقْحيَّة(٢) قد لبسها للقتل ، ثم عمد إليها فشقّها أُنْمُلَةً لئلاّ يسلبه إيّاها أَحدٌ ، وقد قال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين طلع : أَلم يُمكِّن اللهُ منك يا عدوَّ الله ؟ قال :

---

(١) الخدود : الحفر المستطيلة فى الأرض . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٩٠) .

(٢) حلة شقحية : أى حمراء . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٢٩) . وعلى هامش ب : « تشبيه بالبلح إذا شقح وهو إذا بدأ يحمر » .

بلى واللهِ ، ما لمتُ نفسى فى عداوتِك ، ولقد التمستُ العِزَّ فى مكانه[١] ، وأَبى الله إلَّا أن يُمكِّنك منِّى ، ولقد قلقلتُ كلَّ مُقَلقَل[٢] ، ولكنه مَن يخذُل اللهُ يُخذَل . ثم أَقبل على الناس فقال : يا أَيّها الناس ، لا بأْس بأمرِ اللهِ ! قَدَرٌ وكِتابٌ ، مَلْحَمَةٌ كُتِبت على بنى إسرائيل ! ثم أمر به فضُرب عنقه ، ثم أُتى بغَزَّال بن سَمَوْأَل فقال : أَلم يُمكِّن اللهُ منك ؟ قال : بلى يا أَبا القاسم . فأَمر به النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم فضُربت عنقه . ثم أُتى بنَبّاش بن قيس ، وقد جابذ[٣] الذى جاءَ به حتى قاتله فَدقّ الذى جاءَ به أنفَه فأَرعَفَه ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للذى جاءَ به : لِمَ صنعتَ به هذا ؟ أَما كان فى السيف كفاية ؟ فقال : يا رسول الله ، جابذنى لأَن يهرُب . فقال : كذب والتوراةِ يا أَبا القاسم ، ولو خلاَّنى ما تأَخَّرت عن موطنٍ قُتل فيه قومى حتى أكون كأَحدهم . قال ، ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَحسِنوا إسارَهم ، وقَيِّلوهم ، وأَسقوهم حتى يُبردوا فتقتلوا من بقِى ، لا تَجمعوا عليهم حَرَّ الشمس وحَرَّ السلاح – وكان يوماً صائفاً . فقيّلوهم وأَسقَوهم وأَطعموهم ، فلمّا أَبردوا راح رسول الله صلَّىالله عليه وسلَّم يقتل مَن بقِى ، ونظر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى سَلْمَى بنت قيس ، وكانت إحدى خالاته ، وكانت قد صَلَّت القِبْلَتين وبايَعَته ، وكان رِفاعة بن سمَوْأَل له انقطاع إليها وإلى أَخيها سَليط بن قيس وأَهل الدار ، وكان حين حُبس أَرسل إليها أَن كَلِّمى محمَّدًا فى تَركى ، فإنَّ لى بكم حُرْمةً ، وأَنتِ إحدى أُمّهاته ، فتكون لكم عندى يداً إلى يوم القيامة . فقال رسول الله صلَّى الله

(١) فى ب : « فى مظانه » .

(٢) أى ذهبت فى كل وجه فى البلاد . (أساس البلاغة ، ص ٧٨٨) .

(٣) جابذ : مقلوب جاذب .

عليه وسلّم : ما لكِ يا أُمّ المُنْذِر ؟ قالت : يا رسول الله ، رِفاعة بن سَمَوْأَل كان يَغشانا وله بنا حُرمةٌ فهَبْهُ لى . وقد رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَلُوذ بها ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، هو لكِ . ثم قالت : يا رسول الله ، إنه سيُصلّى ويأْكل لحم الجمل . فتبسّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : إن يُصلِّ فهو خيرٌ له ، وإن يثبت على دينه فهو شرٌّ له . قالت : فأَسلم ، فكان يقال له مولى أُمّ المُنْذِر ، فشقّ ذلك عليه واجتنب الدار ، حتى بلغ أُمَّ المُنْذِر ذلك فأَرسلت إليه : إنى واللهِ ما أَنا لك بمولاة ، ولكنّى كلّمت رسولَ الله فوهبك لى ، فحقنت دَمَك وأَنت على نَسبك. فكان بعدُ يَغشاها ، وعاد إلى الدار .

وجاء سعد بن عُبادة ، والحُباب بن المُنْذِر فقالا : يا رسول الله ، إنّ الأَوْس كرهت قتلَ بنى قُرَيْظَة لِمكان حِلفهم . فقال سعد بن مُعاذ : يا رسول الله ، ما كرهه من الأَوْس مَن فيه[١] خير ، فَمن كرهه من الأَوْس لا أَرضاه اللهُ ! فقام أُسَيد بن حُضَير فقال : يا رسول الله ، لا تُبقينّ دارًا من دور الأَوْس إلّا فرّقتَهم فيها ، فمَن سَخِط ذلك فلا يُرغم اللهُ إلّا أَنفَه ، فَابعثْ إلى دارى أَوّل دُورِهم . فبعث إلى بنى عبد الأَشْهَل باثنين ، فضرب أُسيد بن حُضَير رقبة أَحدهما ، وضرب أَبو نائلة الآخر . وبعث إلى بنى حارثة باثنين ، فضرب أَبو بُرْدَة بن النِّيار رقبة أَحدهما ، وذَفّف[٢] عليه مُحَيِّصةُ ، وضرب الآخرَ أَبو عَبس بن جَبر ، ذَفّف عليه ظُهَير بن رافع . وبعث إلى بنى ظَفَر بأَسيرين .

فحدّثنى يَعقوب بن محمّد ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، قال :

---

(١) فى ب : « أحد فيه خير » .

(٢) ذفف عليه : أجهزه . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٤٢) .

قتل أحدَهما قَتادة بن النُّعمان ، وقتل الآخرَ نَضْر بن الحارث . قال عاصم : وحدّثنى أيّوب بن بَشير المُعاوىّ قال : أرسل إلينا — بنى مُعاوية — بأَسيرين ، فَقَتل أحدَهما جَبر بن عَتيك ، وقتل الآخرَ نُعمان بن عَصر ؛ حليفٌ لهم من بَلِىّ . قالوا : وأَرسل إلى بنى عمرو بن عَوف بأَسيرين ، عُقبة بن زيد وأَخيه وَهب بن زيد ، فقتل أَحدَهما عُوَيم بن ساعِدَة ، والآخرَ سالم بن عُمَير . وأَرسل إلى بنى أُميّة بن زيد . وأُتِى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بكعب ابن أَسد مجموعةٌ يداه إلى عُنُقِه ، وكان حَسَن الوجه ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : كعب بن أَسَد ؟ قال كعب : نعم يا أَبا القاسم . قال: وما انتفعتم بنصح ابن خِراش[1] وكان مُصدّقًا بى ، أما أَمَركم باتِّباعى وإن رأَيتمونى تُقرِئونى منه السَّلام ؟ قال : بلى والتَّوراةِ يا أَبا القاسم ، ولولا أَن تُعيّرنى اليهودُ بالجَزَع من السيف لاتَّبعتُك ، ولكنّى على دين اليهود . قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قَدِّمْه فاضربْ عنقَه . فقدّمه فضرب عنقه .

فحدّثنى عُتبة بن جَبيرة ، عن الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن مُعاذ ، قال : لمّا قتل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حُيَىّ بن أَخْطَب ، ونبّاش بن قَيس ، وغَزَّال بن سَمَوْأَل ، وكعب بن أَسَد وقام ، قال لسعد بن مُعاذ : عليك بمَن بقِى . فكان سعد يُخرجهم رَسْلاً رَسْلاً يقتلهم .

قالوا : وكانت امرأَةٌ من بنى النَّضير يقال لها نُباتَة ، وكانت تحت رجلٍ من بنى قُرَيْظَة فكان يُحبّها وتُحبّه ، فلمّا اشتدّ عليهم الحِصار بكت إليه وقالت : إنّك لمُفارقى . فقال : هو والتَّوراةِ ما تَرَين ، وأَنتِ امرأَةٌ فدَلِّى عليهم هذه الرَّحَى ، فإنّا لم نقتل منهم أَحدًا بعدُ ، وأَنتِ امرأَةٌ ، وإن

(١) فى الأصل : « جواس » ، وفى ب : « جواش » . وما أثبتناه من ث ، ومن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١٢٠) .

يظهر محمّدٌ علينا لا يقتل النساء . وإنما كان يكره أن تُسبَى ، فأَحبّ أن تُقتَل بجُرمها . وكانت فى حِصن الزَّبِير بن باطا . فدلّت رَحىً فوق الحِصن ، وكان المسلمون ربّما جلسوا تحت الحِصن يستظلّون فى فَيْئِه ، فأَطلعت الرَّحَى ، فلمّا رآها القوم انفضّوا ، وتُدرك خلاّد بن سُوَيد فتَشدَخ رأْسَه ، فحَذِر المسلمون أصل الحِصن . فلمّا كان اليوم الذى أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم أن يُقتَلوا ، دخلت على عائِشة فجعلت تضحك ظَهْرًا لِبَطْنٍ وهى تقول : سَراةُ بنى قُرَيْظَة يُقتَلون ! إذ سمعت صوت قائل يقول : يا نُباتَة قالت : أنا واللهِ التى أُدْعى . قالت عائشة : ولِمَ ؟ قالت : قَتَلنى زَوجى – وكانت جاريةً حلوة الكلام . فقالت عائشة : وكيف قتلكِ زوجُكِ ؟ قالت : كنت فى حِصن الزَّبِير بن باطا ، فأَمرنى فدلَّيت رَحىً على أَصحاب محمّد فشدخت رأس رجلٍ منهم فمات وأَنا أُقتل به . فأَمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بها فقُتلت بخَلاَّد بن سُوَيد . قالت عائشة : لا أَنسى طِيب نَفس نُباتَة وكثرةَ ضَحكِها ، وقد عرفتْ أَنها تُقتَل . فكانت عائشة تقول : قُتلت بنو قُرَيْظَة يومَهم حتى قُتلوا بالليل على شُعَل السَّعَف .

حدّثنى إبراهيم بن ثُمامة ، عن المِسْوَر بن رِفاعة عن محمّد بن كعب القُرَظىّ ، قال : قُتلوا إلى أَن غاب الشَّفَق ، ثم رُدّ عليهم الترابُ فى الخَنْدَق . وكان مَن شُكّ فيه منهم أن يكون بلغ نُظر إلى مُؤتزَره ، إن كان أنبت قُتل ، وإن كان لم يُنبِت طُرح فى السَّبْى .

فحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العَزيز ، عن عبد الله بن أَبى بكر بن حَزم ، قال : كانوا ستّمائة إلّا عمرو بن السُّعْدى وُجدت رِمَّتُه[١] ونَجا . قال ابن واقد : خروجه من الحِصن أثبتُ .

---

(١) انظر ابن إسحق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٤٩) .

وحدّثنى موسى بن عُبَيدة(١) ، عن محمّد بن المُنْكَدِر ، قال : كانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة . وكان ابن عباس رحمه الله يقول : كانوا سبعمائة وخمسين .

قالوا : وكان نساءُ بنى قُرَيْظَة حين تحوّلوا فى دار رَمْلَة بنت الحارث وفى دار أُسامة يَقلن : عسى محمّدٌ أن يَمنَّ على رجالنا أو يقبل منهم فِدْية . فلما أصبحن وعلمن بقتل رجالهنّ صِحن وشققن الجُيوب ، ونشرن الشُّعور ، وضربن الخُدود على رجالهنّ . فملأْن المدينة . قال ، يقول الزَّبِير بن باطا : اسكتن ؛ فأَنتنَّ أَوّلُ من سُبى من نساءِ بنى إسرائيل منذ كانت الدنيا ؟ ولا يُرفع السَّبْى عنهم حتى نلتقى نحن وأنتنّ(٢) ، وإن كان فى رجالكنّ(٣) خيرٌ فَدَوكنّ(٤) ، فالزمْنَ(٥) دينَ اليهود فعليه نَموت وعليه نَحيى .

فحدّثنى عبد الحَميد بن جعفر ، عن محمّد بن يحيى بن حِبّان ، وحدّثنى ابن أَبى حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، وكلٌّ قد حدّثنى من هذا الحديث بطائفة ، قالا : كان الزَّبِير بن باطا مَنَّ على ثابت بن قيس يومَ بُعاث ، فأَتى ثابت الزَّبِيرَ فقال : يا أَبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مِثلى مِثلَك ؟ قال ثابت : إنَّ لك عندى يدًا ، وقد أَردتُ أن أَجزيك بها . قال الزَّبير : إنَّ الكريم يجزى الكريم ، وأَحوج ما كنت إليه اليوم . فأَتى ثابت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى ابن حجر . (تهذيب التهذيب ، ج ١ ، ص ٣٥٦) . وفى ب : « موسى بن عبيد » .
(٢) فى كل النسخ : « أنتم » .
(٣) فى كل النسخ : « رجالكم »
(٤) فى الأصل : « فدوكم » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب .
(٥) فى ب : « فلزمن » .

الله إنه كان للزَّبير عندى يد ، جزَّ ناصِيَتى يومَ بُعاث فقال : اذْكُرْ هذه النعمةَ عندك . وقد أحببتُ أن أجزيه بها فهَبْه لى . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : فهو لك . فأتاه فقال : إنَّ رسول الله قد وهبك لى . قال الزَّبِير : شيخٌ كبير . لا أهلَ ولا وَلَدَ ولا مالَ بيَثْرِب . ما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: يا رسول الله ، أعطِنى ولده . فأعطاه ولده فقال : يا رسول الله ، أعطِنى مالَه وأهلَه . فأعطاه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مالَه ووَلَده وأهلَه . فرجع إلى الزَّبِير فقال : إنَّ رسول الله قد أعطانى ولدَك وأهلَك ومالَك . فقال الزَّبِير : يا ثابت ، أمّا أنت فقد كافأْتنى وقضيتَ بالذى عليك . يا ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مِرآةٌ صينيّةٌ تتراءى عَذارى الحىّ فى وجهه – كعب بن أسَد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ؛ سيّد الحَيَّيْن كليهما ، يحملهم فى الحرب ويُطعمهم فى المَحْل – حُيَىّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل أول غادية اليهود إذا حملوا ، وحاميتهم إذا وَلَّوا – غَزَّال بن سَمَوْأل ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل الحُوَّل القُلَّب الذى لا يوْمٌ جماعةً إلَّا فضَّها ولا عُقدَةً إلاّ حَلَّها – نَبّاش بن قيس ؟ قال : قُتل . [قال :] فما فعل لِواءُ اليهود فى الزَّحْف – وهْب بن زيد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل والى رِفادة اليهود وأبو الأيتام والأرامل من اليهود – عُقبة بن زيد؟ قال : قُتل . قال : فما فعل العَمران اللَّذان كانا يلتقيان بدراسة التوراة ؟ قال : قُتلا . قال : يا ثابت ، فما خيرٌ فى العيش بعد هؤلاء ! أأرجعُ إلى دار كانوا فيها حُلولاً فأخلد فيها بعدَهم ؟ لا حاجة لى فى ذلك ، فإنى أسألُك بيدى عندك إلاَّ قدمتَنى إلى هذا القتَّال الذى يقتل سَراة بنى قُرَيْظَة ثم يُقدّمنى إلى مَصارع قومى ، وخُذْ سيفى فإنه صارم فَاضْرِبنى به ضربةً وأَجْهِزْ ، وارفع يدك

عن الطعام ، وألصقْ بالرأْس واخفضْ عن الدِّماغ ، فإنه أحسنُ للجسد أن يبقى فيه العنق . يا ثابت ، لا أصبرُ إفراغَ دَلْوٍ مِن نَضح حتى ألقى الأحبّة . قال أبو بكر . وهو يسمع قوله : ويْحك يا ابن باطا ، إنه ليس إفراغ دلو ، ولكنه عذابٌ أبَدىّ . قال : يا ثابت ، قَدِّمنى فاقتلْنى ! قال ثابت : ما كنت لأقتلَك . قال الزَّبير : ما كنت أبالى مَن قتلنى ! ولكن يا ثابت ، انظرْ إلى امرأتى وولدى فإنهم جزِعوا من الموت ، فاطلبْ إلى صاحبك أن يُطلقهم وأن يردّ إليهم أموالَهم . وأدناه إلى الزُّبير بن العَوّام ، فقدمه فضرب عنقه . وطلب ثابت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أهله وماله وولده ، فردّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كلَّ ما كان من ذلك على ولده ، وترك امرأته من السِّبا ، وردّ عليهم الأموال من النخل والإبل والرِّثّة إلاّ الحَلْقَة ، فإنه لم يردها عليهم . فكانوا مع آل ثابت بن قيس بن شَمّاس .

قالوا : وكانت رَيْحانَة بنت زيدٍ من بنى النَّضير متزوّجةً فى بنى قُريْظَة ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذها لنفسه صَفِيًّا ، وكانت جميلة ، فعرض عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن تُسلم ، فأبت إلاّ اليهوديّة . فَعَزلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ووَجَد فى نفسه ، فأرسل إلى ابن سَعِيَّة فذكر له ذلك ، فقال ابن سَعِيَّة : فداك أبى وأُمّى ، هى تُسلم ! فخرج حتى جاءها ، فجعل يقول لها : لا تتبعى قومَك ، فقد رأيتِ ما أدخل عليهم حُيَىّ بن أخْطَب ، فأسلِمى يصطفيكِ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لنفسه . فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه إذ سمع وقع نعْلَين فقال : إنَّ هاتين لَنعلا ابن سعِيَّة يبشّرنى بإسلام رَيْحانة . فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت رَيْحانة ! فسرّ بذلك .

فحدّثنى عبد الملك بن سُلَيمان ، عن أيّوب بن عبد الرحمن بن أبى

صَعْصَعَة ، عن أيّوب بن بَشير المُعاوِىّ ، قال : أرسل بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيت سَلْمى بنت قيس أُمّ المُنْذِر ، وكانت عندها حتى حاضت حَيْضَةً ، ثم طهُرت من حيضها ، فجاءت أُمّ المُنْذِر فأخبرت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فجاءها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى منزل أُم المُنْذِر ، فقال لها رسول الله : إن أحببتِ أُعتقكِ وأتزوّجكِ فعلتُ ، وإن أحببتِ أن تكونى فى مِلكى أطؤكِ بالمِلْك فعلتُ . فقالت : يا رسول الله ، إنه أخفّ عليك وعلىّ أن أكون فى مِلْكك . فكانت فى مِلْك النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يطؤها حتى ماتت عنده .

فحدّثنى ابن أبى ذِئب قال : سألتُ الزُّهرىّ عن رَيْحانة فقال : كانت أَمة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأعتقها وتزوّجها ، وكانت تحتجب فى أهلها وتقول : لا يرانى أحدٌ بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فهذا أثبت الحديثَيْن عندنا . وكان زوج رَيْحانة قبل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الحَكَم .

ذكر قَسْم المغنم وبيعه

قالوا : لما اجتمعت المغانم أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمَتاع فبِيع فيمن يُريد ، وبِيع السَّبْى فيمن يُريد ، وقُسمت النخل . فكان بنو عبد الأشهَل ، وظَفَر ، وحارثة ، وبنو مُعاوية ، وهؤلاء النَّبيت[1] ، لهم سهم . وكان بنو عمرو بن عَوف ومَن بَقِى من الأوس سهماً . وكانت بنو النَّجّار ، ومازِن ، ومالك ، وذُبْيان ، وعَدىّ ، سهماً . وكانت سَلِمة ، وزُرَيق ، وبَلْحارث بن الخزرج ، سهماً . وكانت الخيل ستةً وثلاثين فرساً ، فكانت أوّلَ ما أُعلِمت سُهمانُ الخيل يوم المُرَيْسِيع ، ثم فى بنى

---

(١) أى من ولد النبيت ، وهو عمرو بن مالك بن الأوس . (جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٢) .

قُرَيْظَة أيضاً عُمل فيها ما عُمل فى المُرَيْسِيع . أُسهِم للفرس سهمان ولصاحبه سهمٌ ، وللراجل سهمٌ . وأَسهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لخَلَّاد بن سُوَيد ، قُتل تحتَ الحِصن ، وأَسهم لأَبى سِنان بن مِحْصَن ، مات ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم محاصرهم ، وكان يُقاتل مع المسلمين . وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والخيل ستّةً وثلاثين فرساً ، فكانت السُّهمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً ، للفرس سهمان ولصاحبه سهم .

وحدّثنى إبراهيم بن جَعفر ، عن أَبيه ، قال : كانت الخيل فى بنى قُرَيْظَة ستًّا وثلاثين فرساً ، وقاد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثلاثة أَفراس ، فلم يضرب إلاَّ سهماً واحدًا ، وكانت السُّهمان ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً ، وأَسهم يومئذٍ على الأَموال ، فجُزِّئَت خمسةَ أَجزاء ، وكُتب فى سهمٍ منها « لله » ، وكانت السُّهمان يومئذٍ بَواء[1] ، فخرجت السُّهمان ، وكذلك الرِّثَّة والإبل والغنم والسَّبْى . ثم فَضَّ أَربعة أَسهم على الناس ، وأَحذى[2] النساءَ يومئذٍ اللاّتى حضرن القتال ، وضرب لرجلَيْن ــ واحد[3] قُتل وآخر مات . وأَحذى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم نساءً شهدن بنى قُرَيْظَة ولم يُسهِم لهنَّ ــ صفيّة بنت عبد المطلب ، وأُمّ عُمارة ، وأُمّ سَليط ، وأُمّ العَلاء ، والسمَيراء بنت قيس ، وأُمّ سعد بن معاذ .

فحدّثنى محمّد بن عبد الله بن مالك بن محمّد بن إبراهيم بن أَسْلَم بن نَجْرَة الساعدىّ ، عن جده ، قال : حضرتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يبيع سَبْىَ بنى قُرَيْظَة ، فاشترى أَبو الشَّحْم اليهودىّ امرأَتين ، مع كلّ

(١) بواء : أى سواء . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٩) .
(٢) هكذا فى الأصل . وفى ب : « وأخذ » . وأحذى الغنيمة : أى أعطى منها . (الصحاح ، ص ٢٣١١) .
(٣) فى الأصل : « واحداً » .

واحدة منهما ثلاثة أطفالٍ غِلمانٍ ، وجَوارٍ بخمسين ومائة دينار ، وجعل يقول : ألستم على دين اليهود ؟ فتقول المرأتان : لا نُفارق دين قومنا حتى نموت عليه ! وهنّ يبكين .

فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن يَعقوب بن زيد بن طَلحة ، عن أبيه ، قال : لمّا سُبى بنو قُرَيْظَة — النساءُ والذُّرّيّة — باع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم من عُثمان بن عَفّان وعبد الرحمن بن عَوف طائفةً ، وبعث طائفةً إلى نجد ، وبعث طائفةً إلى الشام مع سعد بن عُبادة ، يبيعهم ويشترى بهم سِلاحاً وخيلاً ، ويقال باعهم بيعاً من عُثمان بن عَفّان وعبد الرحمن بن عَوف ، فاقتسما فسَهَمه عُثمان بمالٍ كثير ، وجَعَل عُثمانُ على كلّ مَن جاءَ من سَبْيهم شيئاً مُوفياً(١) ، فكان يوجَد عند العجائز المالُ ولا يُوجد عند الشّوابّ ، فربح عثمانُ مالاً كثيرًا — وسهم عبد الرحمن — وذلك أنّ عُثمان صار فى سهمه العجائز . ويقال : لمّا قسم جعل الشّوابُّ على حِدةٍ والعجائز على حِدة ، ثم خيّر عبدُ الرحمن عُثمان ، فأخذ عُثمان العجائز .

حدّثنى عبد الحَميد بن جَعْفر ، عن أبيه ، قال : كان السَّبْى ألفاً من النّساء والصبيان ، فأخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خُمُسَه قبل بيع المَغنم ، جزّأ السَّبْى خمسةَ أجزاء ؛ فأخذ خُمُساً ، فكان يُعتِق منه ويهب منه ، ويُخدم منه مَن أراد . وكذلك صنع بما أصاب من رِثّتِهم ، قُسِمت قبلَ أن تُباع ؛ وكذلك النخلُ ، عُزل خُمُسه . وكلّ ذلك يُسهم عليه صلّى الله عليه وسلّم خمسةَ أجزاء ، ويُكتَب فى سهمٍ منها «لله» ثم يخرج السهم ، فحَيثُ صار(٢) سهمُه أخذَه ولم يتخيّر . وصار الخُمُس إلى مَحمية

---

(١) فى ب : « موقنا » . وموفيا : أى زيادة على الثمن الذى دفعه. (أساس البلاغة ، ص ١٠٢٤)

(٢) فى ب : « فحيث طار » .

ابن جَزْء الزُّبَيدىّ ، وهو الذى قَسَم المَغنم بين المسلمين .

حدّثنى عبد الله بن نافع ، عن أَبيه ، عن ابن عمر ، أَنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يُسهم ولا يتخيّر .

حدّثنى عبد الحَميد بن جَعفر ، عن أَبيه ، قال : نهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَن يفرّق بين سبْى بنى قُرَيْظَة فى القَسْم والبيع والنساء والذُّرّيّة .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله ، أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال يومئذٍ : لا يُفرَّق بين الأُمّ وولدِها حتّى يبلغوا . فقيل : يا رسول الله ، وما بُلوغهم ؟ قال : تحيض الجاريةُ ويحتلم الغلامُ .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن يَعقوب بن زيد ، عن أَبيه ، قال : كان يومئذٍ يُفرَّق بين الأُختين إذا بلغتا ، وبين الأُمّ وابنتها إذا بلغت ، وكانت الأُمّ تُباع ، وولدها الصِّغار ، من المشركين من العرب ، ومن يهود المدينة وتَيْماء وخَيْبر يخرجون بهم ، فإذا كان الوليد صغيرًا ليس معه أُمٌّ لم يُبَع من المشركين ولا من اليهود ، إلاَّ من المسلمين .

فحدّثنى عُتبة بن جَبيرة ، عن جعفر بن محمود ، قال : قال محمّد ابن مَسْلَمَة : ابتعتُ يومئذٍ من السَّبْى ثلاثة ، امرأَةً معها ابناها ، بخمسة وأَربعين دينارًا ، وكان ذلك حقّى وحقَّ فرسى من السَّبْى والأَرض والرِّثّة ، وغيرى كهَيئتى . وكان أَسهم للفارس ثلاثةَ أَسْهُم ، له سهم ولفرسه سهمان .

وحدّثنى المُغيرة بن عبد الرحمن الحِزامىّ — وكان يُلَقَّب قُصَيًّا — عن جَعفر بن خارجة قال : قال الزُّبَير بن العَوّام : شهدتُ بنى قُرَيْظَة فارساً ، فضُرب لى سهمٌ ، ولفرسى سهم .

وحدّثني عبد الملك بن يحيى ، عن عيسى بن مَعْمَر ، قال : كان مع الزُّبير يومئذٍ فرسان ، فأسهم له النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم خمسة أسْهُم .

ذكر سعد بن مُعاذ

قالوا : لمّا حكم سعدُ بن معاذ فى بنى قُرَيْظَة رجع إلى خيمة كُعَيبة بنت سعد الأَسْلميّة ، وكان رماه حِبّان بن العَرِقَة — ويقال أبو أُسامة الجُشَميّ — فقطع أكحَلَه ، فكواه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالنار ، وانتفخت يده فتركه فسال الدم ، فحسمه أُخرى فانتفخت يده ، فلما رأى ذلك قال : اللّهمّ ، ربَّ السمواتِ السَّبْعِ والأَرَضِين السَّبْع ، فإنه لم يكن فى الناس قومٌ أَحبُّ إلىّ أَن أُقاتل من قومٍ كذَّبوا رسولَك ، وأخرجوه من قُرَيش ! وإنى أظنّ أن قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، وإن كان بقى بيننا وبينهم فأبقِنى أُقاتلهم فيك ! وإن كنتَ قد وضعت الحرب ، فَافْجُرْ هذا الكَلْم واجعَلْ موتى فيه ، فقد أقررت عينى من بنى قُرَيْظَة ، لعداوتهم لك ولنبيّك ولأَوليائك ! ففجّره الله ، وإنه لراقِدٌ بين ظهرَى الليل وما يدرى به . ودخل عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يعوده ، فأتاه وهو يسوق فى نفرٍ من أصحابه ، فوجدوه قد سُجّى بمُلاءةٍ بيضاء ، وكان سعد رجلاً أبيض طويلاً ، فجلس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند رأسه وجعل رأسَه فى حِجْرِه ثم قال : اللّهمّ إنّ سعدًا قد جاهد فى سبيلك ، وصدّق رسولَك ، وقضى الذى عليه ، فاقبضْ روحَه بخير ما تقبض فيه أرواح الخَلْق . ففتح سعد عينيه حين سمع النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أنّك قد بلّغتَ رسالته . ووضع رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم

رأسُ سعد من حِجْرِه ثم قام وانصرف ، ولم يمت بعدُ ورجع إلى منزله ، فمكث ساعةً من نهارٍ أو أكثر من ساعة ومات خِلافَه . ونزل جبريل عليه السلام حين مات سعد على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، مُعتجرًا بعمامة من إسْتَبْرَق ، فقال : يا محمّد ، مَن هذا الرجل الصالح الذى مات فيكم ؟ فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزَّ له عرش الرحمن . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم لجبريل عليه السلام : عهدى بسعد بن مُعاذ وهو يموت ! ثم خرج فَزِعاً إلى خيمة كُعَيبة يجرّ ثوبَه مُسرعاً ، فوجد سعدًا قد مات . وأقبلت رجال بنى عبد الأَشْهَل ، فاحتملوه إلى منزله . قال : فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى أثره ، فينقطع نَعل أحدهم فلم يُعرّج عليها ، ويسقط رِداؤهُ فلم يَلْوِ عليه ، وما يعرّج أحدٌ على أحد حتى دخلوا على سعد. قال أبو عبد الله : وقد سمعنا أنَّ النبيّ حضره حين تُوفِّى .

وأخبرنى مُعاذ بن محمّد ، عن عَطاء بن أبى مُسلم ، عن عِكْرِمَة : عن ابن عبّاس ، قال : لمّا انفجرت يد سعد بالدم قام إليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فاعتنقه ، والدم يَنفَح فى وجه رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ولِحْيَتِه ، لا يُريد أحدٌ أن يقى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الدم إلَّا ازداد منه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قُربًا ، حتى قَضَى .

وحدّثنى سُلَيمان بن داود ، عن الحُصَين ، عن أبيه ، عن أبى سُفيان ، عن سَلَمَة بن خرَيش ، قال : رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ونحن على الباب نُريد أن ندخل على أثره ، فدخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم وما فى البيت أحدٌ إلَّا سعد مُسجًّى . قال : فرأيتُه يتخطَّى ، فلمّا رأيته يتخطَّى وقفتُ ، وأومأ إلىّ : قِفْ ! فوقفتُ ، ورددت مَن ورائى ، وجلس ساعةً ثم خرج فقلت : يا رسول الله ، ما رأيتُ أحدًا وقد رأيتُك تتخطَّى !

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملَكٌ من الملائكة أحد جَناحَيه ، فجلستُ . ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : هَنيئاً لك أبا عمرو ! هَنيئاً لك أبا عمرو ! .

حدّثنى محمّد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : فانتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأمُّ سعد تبكى وتقول :

وَيْلُ امِّ سَعْدٍ سَعْدَا جَلادَةً وَحَدًّا[1]

فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : مهلاً يا أمّ سعد ، لا تذكرى سعدًا . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : دَعْها يا عمر ، فكلُّ باكيةٍ مُكثرةٌ إلاّ أمّ سعد ، ما قالت مِن خيرٍ فلم تكذب . وأمّ سعد : كَبْشَة بنت عُبَيد بن مُعاوية بن عُبَيد بن الأَبْجَر بن عَوف بن الحارث بن الخَزْرَج ، وأختُها : الفارِعة بنت عُبَيد بن مُعاوية بن عُبَيد ، وهى أمّ سعد بن زُرارَة .

قالوا : ثم أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُغسّل ، فغسّله الحارثُ ابن أوس بن مُعاذ ، وأُسَيد بن حُضَير ، وسَلَمة بن سَلامة بن وَقَش يصبّ الماءَ ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاضر . فغُسّل بالماءِ الأُولى ، والثانية بالماءِ والسِّدْر ، والثالثة بالماءِ والكافور، ثم كُفِّن فى ثلاثة أثوابٍ صُحاريّة[2] وأُدرِج فيها إدراجاً ، وأُتى بسريرٍ كان عند آل سَبْط ، يُحمَل عليه الموتى ، فوُضع على السرير ، فرُئِى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحمله بين عمودَى سريره حين رُفع من داره إلى أن خرج .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العَزيز ، عن عبد الله بن أبى بكر بن

(١) فى الأصل : « جلادا موحداً » ؛ وما أثبتناه من ب .
(٢) نسبة إلى صحار ، قرية باليمن . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥٣) .

حَزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عَمرة ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يمشى أمام جِنازة سعد بن مُعاذ .

وحدّثنى سَعيد بن أبى زيد ، عن رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سَعيد الخُدرىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين بلغه موت سعد بن مُعاذ . فخرج بالناس ، فلمّا برز إلى البَقيع قال : خُذوا فى جهاز صاحبكم ! قال أبو سَعيد : وكنت أنا ممّن حَفَر له قبره ، وكان يفوح علينا المِسك كلَّما حفرنا قبره من تراب ، حتّى انتهينا إلى اللَّحد . قال رُبَيح : ولقد أخبرنى محمّد بن المُنْكَدِر ، عن محمّد بن شُرحبيل ابن حَسَنَة ، قال : أخذ إنسانٌ قَبضةً من قبر سعد بن مُعاذ فذهب بها ، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هى مِسك .

قالوا : ثم احْتُمِل ، فقيل : يا رسول الله ، إن كنتَ لتَقطعُنا فى ذَهابك إلى سعد ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : خَشِينا أن تسبقنا الملائكةُ إليه كما سبقتنا إلى غسل حَنْظَلَة(١) . وقالوا : يا رسول الله ، كان سعد رجلاً جَسيماً فلم نَرَ أخفَّ منه . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : رأيتُ الملائكة تحمله . قالوا : يا رسول الله ، إنَّ المنافقين يقولون إنما خفّ لأنه حَكَم فى بنى قُرَيْظَة . قال : كذبوا ، ولكنه خفّ لحمل الملائكة .

فكان أبو سَعيد الخُدرىّ يقول : طلع علينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وقد فرغنا من حُفرته ، ووضعنا اللَّبِنَ والماء عند القبر ، وحفرنا له عند دار عُقَيل اليوم ، وطلع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم علينا ، فوضعه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند قبره ثم صلَّى عليه ، فلقد رأيت من الناس ما ملأ البَقيع .

---

(١) أى حنظلة بن أبى عامر الغسيل . (الاستيعاب ، ص ٣٨١) .

قال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيم بن الحُصَين ، عن داود بن الحُصين ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لمّا انتهوا إلى قبره نزل فى قبره أربعةُ نَفَر : الحارث بن أوس بن مُعاذ ، وأُسَيد بن حُضَير ، وأبو نائلة ، وسَلَمَة بن سَلامة ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم واقفٌ على قَدَمَيْه على قبره ؛ فلمّا وُضع فى لَحْدِه تغيّر وجهُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسبّح ثلاثاً ، فسبّح المسلمون ثلاثاً حتى ارتجّ البَقيع . ثم كبّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً ، وكبّر أصحابُه ثلاثاً حتى ارتجّ البَقيع بتكبيره . فسُئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك فقيل : يا رسول الله ، رأينا لوجهك تغيّراً وسبّحتَ ثلاثاً ! قال : تَضايق على صاحبكم قبرُه ، وضُمّ ضمّةً لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعد ، ثم فرّج الله عنه .

حدّثنى إبراهيم بن الحُصين ، عن المِسْوَر بن رِفاعة ، قال : جاءت أُمّ سعد — وهى كَبْشَة بنت عُبَيد — تنظر إلى سعد فى اللّحد ، فردّها الناس فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : دَعوها ! فأقبلت حتى نظرت إليه ، وهو فى اللّحد قبل أن يُبْنَى عليه اللَّبِن والتراب ، فقالت : أحتسبُك عند الله ! وعَزّاها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على قبره ؛ وجلس ناحيةً ، وجعل المسلمون يردّون تراب القبر ويُسوّونه ، وتنحّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس حتى سُوِّى على قبره ورُشّ على قبره الماء ، ثم أقبل فوقف عليه فدعا له ، ثم انصرف .

ذكر من قُتل من المسلمين فى حصار بنى قُرَيْظَة

خَلّاد بن سُوَيد من بَلحارث بن الخَزْرج ، دلّت عليه نُباتَةُ رحىً فشدخت رأسَه ، فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : له أجر شهيدين ! وقتلها به . ومات أبوسِنان بن مِحْصَن ، فدفنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هناك ،

فهو فى مَقبرة بنى قُرَيْظَة اليوم .

حدّثنا الواقدىّ قال : حدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لمّا قُتلت بنو قُرَيْظَة ، قدم حُسَيل بن نُوَيرة الأشجَعىّ خَيْبَر ، قد سار يومين ،ويهود بنى النَّضير - سَلاَّم بن مِشْكَم ، وكِنانة بن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، ويهود خَيْبَر جُلوسٌ فى ناديهم يتحسّبون خبر قُرَيْظة ، قد بلغهم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد حصرهم وهم يتوقَّعون ما هو كائن ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ! قُتلت مُقاتلة قُرَيْظَة صبرًا بالسيف ! قال كِنانة : ما فعل حُيَىّ ؟ قال حُسَيل : حُيَىّ قد طاح ، ضُربت عنقُه صبرًا . وجعل يُخبرهم عن سَراتهم - كعب بن أَسَد ، وغَزَّال بن سَمَوْأَل ، ونَبّاش بن قيس - أنه حضرهم قُتلوا بين يدى محمّد . قال سَلاَّم بن مِشْكَم : هذا كلُّه عمل حُيَىّ بن أَخْطَب ، شأَمنا أوّلاً وخالفَنا فى الرأى ، فأخرجَنا من أموالنا وشرفنا وقتل إخواننا . وأَشدّ من القتل سباءُ الذُّرّيّة ؛ لا قامت يهودية بالحجاز أبدًا ، ليس لليهود عزمٌ ولا رأى . قالوا : وبلغ النساءَ فصَيَّحن ، وشققن الجُيوب، وجززن الشُّعورَ ، وأقمن المآتِم ، وضَوَى إليهنَّ نساءُ العرب . وفَزِعت اليهود إلى سَلاَّم بن مِشْكَم فقالوا : فما الرأى أبا عمرو ؟ ويقال أبا الحَكَم . قال : وما تصنعون برأى لا تأْخذون منه حَرفاً ؟ قال كِنانة : ليس هذا بحِين عتاب ، قد صار الأَمر إلى ما ترى . قال : محمّد قد فرغ من يهود يَثْرِب ، وهو سائرٌ إليكم ، فنازل بساحتكم ، وصانع بكم ما صنع ببنى قُرَيْظَة . قالوا : فما الرأى ؟ قال : نسير إليه بمن معنا من يهود خَيْبَر ، فلهم عدد ، ونستجلبُ يهود تَيْماءَ ، وفَدَك ، ووادى القُرَى ؛ ولا نستعين بأَحَدٍ من العرب ، فقد رأيتم فى غزوة الخَنْدَق ما صنعت بكم العرب بعد أن شرطتم لهم تمرَ خَيْبَر نقضوا ذلك وخذلوكم ، وطلبوا من محمّدٍ بعضَ تمر الأَوْس والخَزْرَج ، وينصرفون عنه ، مع أنَّ نُعَيم بن مَسعود

هو الذى كادهم بمحمّد ، ومعروفُهم إليه معروفُهم ! ثم نسير إليه فى عُقر داره فنُقاتل على وِتْرٍ حديثٍ وقديم . فقالت اليهود : هذا الرأى . فقال كِنانة : إنى قد خبرتُ العربَ فرأيتهم(١) أشدّاءَ عليه ، وحصونُنا هذه ليست مثل ما هناك ، ومحمّد لا يسير إلينا أبدًا لِما يعرف . قال سَلاّم بن مِشْكَم : هذا رجلٌ لا يُقاتل حتى يُؤخذ برقبته . فكان ذلك [والله] (٢) محمود !

وقال حَسّان بن ثابت يرثى سعد بن مُعاذ(٣) . . .

باب شأن سريّة عبد الله بن أُنَيس إلى سفيان بن خالد بن نُبَيح

قال عبد الله بن أُنَيس : خرجتُ من المدينة يوم الاثنين لخمسٍ خلون من المحرّم ، على رأس أربعةٍ وخمسين شهرًا ، فغبت اثنتى عشرة ليلة ، وقدمت يوم السبت لسبعٍ بقين من المحرّم .

قال الواقدىّ : حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن جُبَير ، عن موسى بن جُبَير ، قال : بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ سُفيان بن خالد بن نُبَيح الهُذَلىّ ، ثم اللِّحْيانىّ ، وكان نزل عُرَنَة(٤) وما حولها فى ناسٍ من قومه وغيرهم ، فجمع الجموع لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وضوى إليه بَشَرٌ كثيرٌ من أَفْناء الناس . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن أُنَيس ، فبعثه سريّةً وحدَه إليه ليقتله ، وقال له رسول الله صلّى الله عليه

(١) فى ب : « فرأيتهم ووجدتهم » .
(٢) زيادة من نسخة ب .
(٣) ذكر ابن إسحاق أبيات حسان بن ثابت . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٨٢) .
(٤) فى الأصل : « عزبة » ؛ وما أثبتناه من ب . وعرنة : موضع بقرب عرفة ، موضع الحجيج . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٧٦) .

وسلَّم : انتَسِبْ إلى خُزاعة . فقال عبد الله بن أُنَيس : يا رسول الله ما أعرفه ، فصِفْه لى . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : إنك إذا رأيتَه هِبْتَه وفَرِقْتَ منه وذكرتَ الشيطان . وكنتُ لا أهابُ الرجال ، فقلت : يا رسول الله ، ما فرقتُ من شيءٍ قَطُّ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : بلى ، آيةٌ بينك وبينه [١] أن تجد له قُشَعْرِيرَةً إذا رأيتَه . واستأْذنتُ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن أقول ، فقال : قُل ما بدا لك . قال : فأَخذتُ سيفِى لم أَزِدْ عليه . وخرجتُ أَعْتَزِى إلى خُزاعة ، فأَخذت على الطريق حتى انتهيت إلى قُدَيد ، فأَجدُ بها خُزاعة كثيرًا ، فعرضوا علىّ الحُملان والصحابة ، فلم أُرِد ذلك وخرجت[٢] حتى أَتيتُ بطن سَرِف ، ثم عدلت حتى خرجت على عُرَنَة ، وجعلت أُخبر مَن لقيت أنّى أُريد سُفيان بن خالد لأَكون معه ، حتى إذا كنت ببطن عُرَنَة لقيته يمشى ، ووراءه الأَحابيش ومن استجلب وضوى إليه . فلمّا رأيتُه هبتُه ، وعرفتُه بالنَّعْت الذى نعت لى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . ورأيتنى أَقْطُر[٣] فقلت : صدق الله ورسولُه ! وقد خلت فى وقت العصر حين رأيتُه ، فصلَّيت وأنا أمشى أُومئ إيماءً برأسى ، فلمّا دنوت منه قال : مَن الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من خُزاعة ، سمعتُ بجمعك لمحمّدٍ فجئتك لأَكون معك . قال : أَجَلْ ، إنى لَفِى الجمع له . فمشيتُ معه ، وحدّثته فاستحلى حديثى ، وأنشدته شعرًا ، وقلت : عجباً لِما أَحدث محمّد من هذا الدين المُحدَث ؛ فارق الآباءَ وسفَّه أَحلامَهم ! قال : لم يَلْقَ محمّدٌ أحدًا يُشبهنى ! قال : وهو يتوكّأُ على عصا يهد الأَرض ،

---

(١) فى ب : « بينك وبين ذلك » .

(٢) فى ب : « فخرجت أمشى » .

(٣) فى الأصل : « أنظر » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب .

حتى انتهى إلى خِبائه . وتفرّق عنه أصحابه إلى منازلَ قريبةٍ منه وهم مُطيفون به . فقال : هلمّ يا أخا خُزاعة ! فدنوت منه فقال لجاريته : احْلُبي ! فحلبت ثم ناولتنى . فمصصت ثم دفعته إليه ، فعبّ كما يعبّ الجمل حتى غاب أنفه فى الرَّغْوَة[١] . ثم قال : اجلسْ . فجلست معه ، حتى إذا هَدأَ الناسُ وناموا وهَدأَ ، اغتررته[٢] فقتلته وأخذت رأسه ؛ ثم أقبلتُ وتركت نساءه يبكين عليه ، وكان النَّجاءُ منّى حتى صعدت فى جبل فدخلت غارًا . وأقبل الطلبُ من الخيل والرجال تَوَزَّعُ فى كلّ وجهٍ ، وأنا مُختفٍ فى غار الجبل، وضربتِ العنكبوت على الغار ، وأقبل رجُلٌ ومعه إداوةٌ ضخمةٌ ونعلاه فى يده . وكنت حافياً ، وكان أهمّ أمرى عندى العطش ، كنتُ أذكر تِهامَةَ وحَرَّها . فوضع إداوته ونعله وجلس يبول على باب الغار ، ثم قال لأصحابه : ليس فى الغار أحد . فانصرفوا راجعين . وخرجتُ إلى الإداوة فشربت منها وأخذت النعلين فلبستهما . فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى جئت المدينة فوجدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى المسجد ، فلما رآنى قال : أفلح الوجه ! قلت : أفلح وجهك يا رسول الله ! فوضعت رأسه بين يديه ، وأخبرته خبرى ، فدفع إلىّ عصاً فقال : تخصّرْ[٣] بهذه فى الجنَّة . فإن المتخصّرين فى الجنّة قليل . فكانت عند عبد الله بن أُنَيس حتى إذا حضره الموتُ أوصى أهلَه أن يُدرجوها فى كَفَنه . وكان قتْله فى المحرّم على رأس أربعة وخمسين شهرًا .

---

(١) الرغوة : زبد اللبن . (الصحاح ، ص ٢٣٦٠) .

(٢) فى الأصل : «اغتزيته» ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب . واغتررته : أى أخذته فى غفلة . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٧٦) .

(٣) التخصر : الاتكاء على قضيب ونحوه . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٧٦) .

غزوة القُرْطاء(١)

حدّثنى خالد بن إلياس ، عن جعفر بن محمود ، قال : قال محمد ابن مَسْلَمَة : خرجت فى عشر ليالٍ خلون من المحرّم ، فغبت تسعَ عشرة ، وقدمت لليلةٍ بقيت من المحرّم على رأس خمسة وخمسين شهرًا .

حدّثنى عبد العزيز بن محمّد بن أَنَس الظَّفَرىّ ، عن أبيه ، وحدّثنا عبد العزيز بن سعد ، عن جعفر بن محمود ، زاد أحدهما على صاحبه فى الحديث ، قالا : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محمّدَ بن مَسْلَمَة فى ثلاثين رجلاً ، فيهم عَبّاد بن بِشر ، وسَلَمَة بن سَلامة بن وَقَش ، والحارث ابن خَزَمَة ، إلى بنى بكر بن كِلاب . وأمره أن يسير الليل ويكمُن النهارَ ، وأن يَشُنّ عليهم الغارة . فكان محمّد يسير الليل ويكمن النهار ، حتى إذا كان بالشَّرَبَة(٢) لقى ظُعُناً ، فأرسل رجلاً من أصحابه يسأل مَن هم . فذهب الرسول ثم رجع إليه فقال : قومٌ من مُحارِب . فنزلوا قريباً منه ، وحلّوا وروّحوا ماشيتهم . فأمهلهم حتى إذا ظعنوا أغار عليهم ، فقتل نفرًا منهم وهرب سائرهم . فلم يطلب مَن هرب ، واستاق نَعَماً وشاءً ولم يعرض للظُّعُن . ثم انطلق حتى إذا كان بموضعٍ يُطلعه على بنى بكرٍ بعث عَبّاد ابن بِشر إليهم ، فأوفى على الحاضر فأقام ، فلمّا روّحوا ماشيتهم وحلبوا وعطّنوا(٣) جاءَ إلى محمّد بن مَسْلَمَة فأخبره ، فخرج محمّد بن مَسْلمَة فشنّ عليهم الغارة ، فقتل منهم عشرةً ،واستاقوا النَّعَم والشاءَ ثم انحدروا

(١) القرطاء : بطن من بنى بكر . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

(٢) فى الأصل : « بالسرية » ؛ والتصحيح من نسخة ب . والشربة : موضع بين السليلة والربذة ؛ وقيل هى فيما بين نخل ومعدن بنى سليم . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٨) .

(٣) عطنت الإبل : رويت ثم بركت . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤٨) .

إلى المدينة ، فما أصبح حين أصبح إلّا بضَرِيَّة(١) . مسيرةَ ليلة أو ليلتين .
ثم حدرنا النَّعمَ ، وخفنا الطلب ، وطردنا الشاءَ أشدّ الطرد . فكانت تجرى معنا كأنّها الخيل ، حتى بلغنا العَدامَة . فأبطأ علينا الشاءُ بالرَّبَذَة(٢) . فخلّفناه مع نفرٍ من أصحابي يقصدون به ، وطُرد النَّعَم فقُدم به المدينة على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم . وكان محمّد يقول : خرجت من ضَرِيَّة . فما ركبت خطوةً حتى وردتُ بطن نَخْل(٣) ؛ فقُدم بالنَّعَم . خمسين ومائة بعير ، والشاءِ وهي ثلاثة آلاف شاة . فلمّا قدمنا خمّسه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم ثم فَضَّ على أصحابه ما بقي ، فعدلوا الجَزور بعشرٍ من الغنم ، فأصاب كلُّ رجلٍ منهم .

غزوة بني لِحيان

حدّثنى عبد الملك بن وَهْب أبو الحسن الأَسْلَميّ ، عن عَطاء بن أَبي مَروان ، قال : خرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لهلال ربيع الأوّل سنةَ ستٍّ فبلغ غُران وعُسفان(٤) ، وغاب أربعَ عشرةَ ليلة .

حدّثنى مَعْمَر ، عن الزُّهريّ ، عن ابن كعب بن مالك ، وحدّثنى يحيى بن عبد الله بن أَبي قَتادة ، عن عبد الله بن أَبي بكر بن حَزم ، وغيرهما قد حدّثنى ، وقد زاد أحدهما على صاحبه ، قالوا : وجد رسولُ الله صلَّى الله

---

(١) قال ابن سعد : إن ضرية على سبع ليال من المدينة . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٥٦) .
(٢) الربذة : قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها ، وقيل أربعة أيام . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .
(٣) نخل : مكان على يومين من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ص ٣٨١) .
(٤) فى الأصل : « غزان » ؛ وما أثبتناه من ب ، ومن ابن إسحاق. (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٩٢) . وغران : اسم وادى الأزرق خلف أمج بميل . وعسفان : قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ ، ٣٤٥) .

عليه وسلَّم على عاصم بن ثابت وأَصحابه (١) وَجدًا شديدًا . فخرج [فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرساً] (٢) فى أَصحابه فنزل بمَضْرِب القُبَّة (٣) من ناحية الجُرْف ، فعسكر فى أَوّل نهاره وهو يُظهر أنه يُريد الشامَ . ثم راح مُبردًا فمرّ على غُرابات (٤) ، ثم على بين (٥) ، حتى خرج على صُخَيرات الثُّمام (٦) ، فلقى الطريق هناك . ثم أَسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُران حيث كان مُصابهم ، فترحّم عليهم وقال : هَنيئاً لكم الشهادة ! فسمعت به لِحيان فهربوا فى رءُوس الجبال ، فلم نقدر منهم على أحد . فأَقام يوماً أو يومَين وبعث السَّرايا فى كلّ ناحية ، فلم يقدروا على أَحد ، ثم خرج حتى أَتى عُسفان ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأَبى بكر : إنَّ قُرَيشاً قد بلغهم مسيرى وأَنّى قد وردتُ عُسفان ، وهم يهابون أَن آتيهم ، فاخرجْ فى عشرة فوارس . فخرج أَبو بكر فيهم حتى أَتوا الغَميم ، ثم رجع أَبو بكر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يلق أَحدًا . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ هذا يبلغ قُرَيشاً فيَذْعَرهم . ويخافون أن نكون نُريدهم - وخُبيب بن عَدىّ يومئذٍ فى أَيديهم . فبلغ قُرَيشاً أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد بلغ الغَميم ، فقالت قُرَيش : ما أَتى محمّد الغَميم إلاَّ يُريد أن يُخلِّص

---

(١) قتلوا يوم بئر معونة .

(٢) زيادة من نسخة ب .

(٣) هكذا فى النسخ ؛ ولعله يريد قباء ، وهى قرية بعوالى المدينة (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٧) .

(٤) ويقال غراب ؛ بصيغة المفرد كما فى ابن إسحاق ، وهو جبل بناحيه المدينة . (السيرة النبويه ؛ ج ٣ ، ص ٢٩٢) .

(٥) بين : قرية من قرى المدينة تقرب من السيالة . (معجم ما استعجم ، ص ١٨٩) .

(٦) ويقال الثمامة ؛ كما ذكر السمهودى . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٧٣) . ورواه ابن إسحاق بالياء التحتية بدل المثلثة . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٩٢) .

خُبَيباً . وكان خُبَيب وصاحباه فى حديدٍ مُوثَقين ، فجعلوا فى رقابهم الجَوامع ، وقالوا : قد بلغ محمّد ضَجْنان وهو داخلٌ علينا ! فدخلت ماوِيَّة على خُبَيب فأخبرته الخبرَ وقالت : هذا صاحبك قد بلغ ضَجْنان يُريدكم . فقال خُبَيب : وهَلْ ؟ قالت : نعم . قال خُبَيب : يفعل الله ما يشاء ! قالت : واللهِ ، ما ينتظرون بك إلّا أن يخرج الشهر الحرام ، ويُخرجوك فيقتلوك ويقولون : أترى محمّدًا غزانا فى الشهر الحرام ونحن لا نستحلّ أن نقتل صاحبَه فى الشهر الحرام ؟ وكان مأْسورًا عندهم ، وخافوا أن يدخلها رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم عليهم . فانصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة وهو يقول : آئبون ، تائبون ، عابدون ، لربّنا حامدون ! اللّهمّ ، أنت الصاحب فى السفر ، والخَليفة على الأَهل ! اللّهمّ ، أعوذُ بك من وَعْثاءِ السفر ، وكآبة المنقلَب ، وسوءِ المنظر فى الأَهل والمال ! اللّهمّ ، بَلِّغْنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خير ، مَغْفِرَةً منك ورضواناً ! وغاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن المدينة أربعَ عشرةَ ليلةً ، وكان استخلف على المدينة ابن أُمّ مَكتوم ، وكانت سنة ستّ فى المحرّم ، وهذا أوّل ما قال هذا الدعاءَ ، ذكره أصحابُنا كلُّهم .

غزوة الغابة

حدّثنى عبد العَزيز بن عُقبة بن سَلَمَة بن الأَكْوَع ، عن إياس بن سَلَمَة ، عن أبيه ، قال : أغار عُيَيْنَة ليلةَ الأَربعاء لثلاثٍ خلون من ربيع الآخر سنة ستٍّ ، وغزونا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى طلبه يومَ الأَربعاءِ ، فغبنا خمسَ ليالٍ ورجعنا ليلةَ الاثنين . واستخلف رسولُ الله

صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة ابن أُمّ مكتوم .

حدّثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، وحدّثنى يحيى بن عبد الله بن أبى قَتادة ، وعلىّ بن يَزيد ، وغيرهم ، فكلٌّ قد حدّثنى بطائفة ، قالوا : كانت لِقاح [1] رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عشرين لِقْحَةً ، وكانت مِن شَتَّى ، منها ما أَصاب فى ذات الرِّقاع ، ومنها ما قدم به محمّد بن مَسْلَمَة من نَجد . وكانت ترعى البَيْضاءَ [2] ودون البَيْضاءِ ، فأَجْدَبَ ما هناك فقرّبوها إلى الغابة ، تُصيب من أَثْلها وطَرْفائها وتغدو فى الشجر ــ قال أبو عبد الله : الغادية : تغدو فى العِضاه ، أُم غَيلان وغيرها ؛ والواضعة : الإبل ترعى الحَمْض ؛ والأَوارك : التى ترعى الأَراك ــ فكان الراعى يَؤُوب بلبنها كلَّ ليلة عند المغرب . وكان أَبو ذَرّ قد استأْذن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى لِقاحه ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى أَخاف عليك من هذه الضاحية أَن تُغير عليك ، ونحن لا نأْمَنُ من عُيَيْنَة ابن حِصن وذويه ، هى فى طَرَف من أَطرافهم . فأَلحّ عليه أبو ذرّ فقال : يا رسول الله : ائذن لى . فلما أَلحّ عليه قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لكأَنى بك ، قد قُتل ابنك ، وأُخذت امرأَتُك ، وجئت تتوكأُ على عَصاك . فكان أَبو ذرّ يقول : عجباً لى ! إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول « لكأَنى بك » وأَنا أُلِحّ عليه . فكان والله على ما قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

وكان المِقداد بن عمرو يقول : لمّا كانت ليلةُ السَّرْح جعلتْ فرسى سَبْحَة لا تَقرُّ ضرباً بأَيديها وصهيلاً . فيقول أَبو مَعْبَد : واللهِ ، إنَّ لها شأْناً ! فننظر آرِيَّها [3] فإذا هو مملوءٌ عَلَفاً ، فيقول : عَطْشى ! . فيَعرِض الماءَ عليها فلا تُريده ، فلمّا طلع الفجر أَسرجها ولبس سلاحه ، وخرج حتى صلَّى الصبح مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلم يَرَ شيئاً . ودخل النبىّ

---

(١) اللقاح . الإبل الحوامل ذوات الألبان . (شرح أبى ذر ، ص ٣٢٩) .

(٢) البيضاء : موضع بلداء حمى الربذة . (معجم ما استعجم ، ص ١٨٤) .

(٣) الآرى : حبل تشد به الدابة فى محبسها . (الصحاح ، ص ٢٢٦٧) .

صلّى الله عليه وسلّم بيته ، ورجع المِقداد إلى بيته . وفرسه لا تَقِرّ . فوضع سرْجها وسلاحه واضطجع ، وجعل[1] إحدى رجلَيْه على الأُخرى . فأتاه آتٍ فقال : إنّ الخيل قد صِيح بها . فكان أبو ذرّ يقول : والله . إنّا لفى منزلنا . ولِقاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد رُوِّحت ، وعُطِّنت ، وحُلِبت عَتَمَتُها[2] ونمنا . فلمّا كان فى الليل أحدق بنا عُيَيْنَة فى أربعين فارساً ، فصاحوا بنا وهم قيامٌ على رءوسنا ، فأشرف لهم ابنى فقتلوه ، وكانت معه امرأته وثلاثة نَفَرٍ فنَجَوا ، وتنحّيت عنهم وشغلهم عنّى إطلاقُ عُقُل اللِّقاح ، ثم صاحوا فى أدبارها ، فكان آخرَ العهد بها . وجئتُ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبرتُه وهو يتبسّم . فكان سَلَمَة بن الأَكْوَع يقول : غدوتُ أريد الغابة للقاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأن أُبلِّغه لبنها ، حتى ألقَى غلاماً لعبد الرحمن بن عَوف كان فى إبلٍ لعبد الرحمن بن عَوف ، فأخطأوا مكانَها واهتدَوا إلى لِقاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرنى أنّ لِقاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أغار عليها عُيَيْنَة بن حِصن فى أربعين فارساً ، فأخبرنى أنهم قد رأوا مَدَدًا بعدَ ذلك أُمِدَّ به عُيَيْنَةُ . قال سَلَمَة : فأحضرتُ فرسى راجعاً إلى المدينة حتى وافيت على ثَنيّة الوَداع[3] فصرخت بأعلى صوتى : يا صَبَاحاه ! ثلاثاً ، أُسمع مَن بين لا بَتيْهَا .

فحدّثنى موسى بن محمّد ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لَبيد ، قال : نادى : الفَزَعَ ! الفَزَعَ ! ثلاثاً ، ثم وقف واقفاً على فرسه حتى طلع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الحديد مُقَنَّعاً فوقف واقفاً ، فكان أوّل من

---

(١) فى ب : « ووضع » .

(٢) فى الأصل : « غنمتها » ؛ وما أثبتناه من ب . والعتمة : ظلمة الليل ، وكانت الأعراب يسمون الحلاب باسم الوقت . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٧) .

(٣) ثنية الوداع : من يمين المدينة ودونها . (معجم ما استعجم ، ص ٨٤١) .
[illegible] ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، وقيل من يريد الشام . (وفاء الوفا ، [illegible] ٢ ، ص ٢٧٧) .

أَقبل إليه المِقداد بن عمرو ، عليه الدِّرع والمِغْفَر شاهرًا سيفه ، فعقد له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لِواءً فى رمحه وقال : امضِ حتى تلحقك الخيولُ ، إنَّا على أَثَرك . قال المِقداد : فخرجتُ وأَنا أَسأَل اللهَ الشهادة ، حتى أُدرك أُخرَيَات العدوّ ، وقد أَذَمّ (١) بهم فرسٌ لهم فاقتحم فارسَه وردَف أَحدَ أَصحابه ؛ فاخُذُ الفرس المُذِمّ فإذا هو ضَرَع (٢) ، أَشْقَر ، عتيق ، لم يَقْوَ على العَدْو ، وقد غَدوا عليه من أَقصى الغابة فحَسِر ، فأَربطُ فى عنقه قطعةَ وَتَرٍ وأُخلِّيه ،وقلت : إن مرّ به أَحدٌ فأَخذه جئتُه بعلامتى فيه .فأُدركُ مَسْعَدَة فأَطعنُه برمحٍ فيه اللواءُ ، فزلَّ الرمح وعَطفَ علىّ بوجهه فطعننى وآخذُ الرمح بعَضُدى فكسرته ، وأَعجزنى هَرَباً ، وأَنصبُ لِوائى فقلت : يَرَاه أَصحابى . ويلحقنى أَبو قَتادة مُعلِماً بعمامةٍ صفراءَ على فرسٍ له ، فسايرتُه ساعةً ونحن ننظر إلى دُبُر مَسْعَدَة ، فاستحثَّ فرسه فتقدّم على فرسى ، فبان سَبْقُه فكان أَجود من فرسى حتى غاب عنِّى فلا أَراه . ثم أَلحقُه فإذا هو يَنْزِع بُرْدَتَه ، فصحتُ : ما تصنع ؟ قال : خيرًا أَصنَعُ كما صنعتَ بالفرس . فإذا هو قد قتل مَسْعَدَة وسجَّاه ببُرْدَة . ورجعنا فإذا فرسٌ فى يد عُلْبَة بن زيد الحارثىّ ، فقلت : فرسى هذا وعلامتى فيه ! فقال : تعال إلى النبىّ ، فجعله مَغنماً .

وخرج سَلَمة بن الأَكْوع على رجلَيْه يعدو ليسبق الخيل مثل السَّبُع . قال سَلَمَة : حتى لحقتُ القومَ فجعلتُ أَرميهم بالنَّبل ، وأَقول حين أَرمى : خُذها منِّى وأَنا ابن الأَكْوَع ! فتكرُّ علىّ خيلٌ من خيلهم ، فإذا

---

(١) أذمت ركاب القوم أى أعيت وتأخرت عن جماعة الإبل . (الصحاح ، ص ١٩٢٦) .
(٢) الضرع : الضعيف . (الصحاح ، ص ١٢٤٩) .

وجّهتْ نحوى انطلقتُ هارباً فأسبقُها ، وأعمدُ إلى المكان المُعْوِر[١] فأُشرف عليه وأرمى بالنّبل إذا أمكننى الرمى وأقول :

خُذْها وَأَنا ابنُ الأَكْوَعِ وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ[٢]

فما زلتُ أُكافحهم وأقول : قِفوا قليلاً ، يلحقكم أربابكم من المهاجرين والأنصار . فيزدادون علىّ حَنَقاً فيكرّون علىّ ، فأُعجزهم هَرَباً حتى انتهيتُ بهم إلى ذى قَرَد[٣] . ولحقنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والخيولُ عِشاءً ، فقلت : يا رسول الله ، إنّ القوم عِطاشٌ وليس لهم ماءٌ دون أَحْساء كذا وكذا ، فلو بعثتنى فى مائةِ رجلٍ استنقذت ما بأَيديهم من السَّرْح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ملكتَ فَأَسْجِحْ[٤] . ثم قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : إنهم ليُقْرَون فى غَطَفان .

فحدّثنى خالد بن إلياس ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى جَهم ، قال : توافت الخيل وهم ثمانية ــ المِقداد ، وأبو قَتادة ، ومُعاذ بن ماعِص ، وسعد بن زيد ، وأبو عَيّاش الزُّرَقىّ ، ومُحرِز بن نَضْلَة ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، ورَبيعة بن أَكْثَم .

حدّثنى موسى بن محمّد ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، قال : من المهاجرين ثلاثة : المِقداد ، ومُحْرِز بن نَضْلَة ، وعُكّاشة بن مِحْصَن . ومن الأنصار : سعد بن زيد ، وهو أميرهم ، وأبو عَيّاش الزُّرَقىّ فارس جُلوَة[٥] ،

---

(١) مكان معور : أى ذو عورة . (أساس البلاغة ، ص ٦٦١) .

(٢) الرضع : جمع راضع وهو اللئيم ، وأراد أن هذا اليوم هو يوم هلاك اللئام . (شرح أبى ذر ، ص ٣٢٩) .

(٣) ذو قرد : على نحو يوم من المدينة مما يلى غطفان ، ويقال هو بين المدينة وخيبر على يومين من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٦٠) .

(٤) أى قدرت فسهل وأحسن العفو ، وهو مثل سائر . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٤٠) .

(٥) قال ابن إسحاق : وفرس أبى عياش جلوة . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٩٦) .

وعبّاد بن بِشر ، وأُسَيد بن حُضير ، وأَبو قَتادة .

قال أَبو عَيّاش : أُطلعُ على فرسٍ لى ، فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لو أَعطيتَ فرسَك من هو أَفرسُ منك فَتَبِعَ الخيولَ ! فقلت : أَنا يا رسول الله أفرسُ الناس . فركضتُه ، فما جرى بى خمسين ذِراعاً حتى صرعنى الفرس . فكان أَبو عَيّاش يقول : فعجباً ! إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : « لو أَعطيتَ فرسَك هذا مَن هو أَفرسُ منك » وأَقول : « أَنا أفرس الناس » .

قالوا : وذهب الصَّريخُ إلى بنى عمرو بن عَوف ، فجاءَت الأَمدادُ ، فلم تزل الخيل تأْتى ، والرجال على أَقدامهم ، والإبل ، والقوم يعتقبون البعيرَ والحمار ، حتى انتهوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بذى قَرَد ، فاستنقذوا عشرَ لقائح ، وأفلت القوم بما بقى وهى عشر . وكان مُحرِز بن نَضْلَة حليفاً فى عبد الأَشْهَل ، فلما نادى الصريخ : « الفَزَع ! الفَزَع ! » كان فرسٌ لمحمّد بن مَسْلَمَة يقال له ذو اللِّمّة مربوطاً فى الحائط ، فلمّا سمع صاهلةَ الخيل صهل وجال فى الحائط فى شَطَنه ، فقال له النساءُ : هل لك يا مُحْرِز فى هذا الفرس فإنه كما ترى صَنيعٌ [1] جامٌّ تركبه فتلحق اللِّواءَ ؟ وهو يرى راية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد مر بها العُقاب يحملها سعد . قالوا : فخرج فجَزِع وقطع وادى قَناة فسبق المِقداد ، فيُدرك القوم بهَيْقا[2] فاستوقفهم فوقفوا ، فطاعنهم ساعةً بالرمح ، ويحمل عليه مَسْعدَة

---

(١) الفرس الصنيع : هو الذى يخدمه أهله ويقومون عليه . (شرح أبى ذر ، ص ٣٢٩) .

(٢) هكذا فى النسخ ؛ ولعله يريد هيفا ، وهو موضع على ميل من بئر المطلب . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٨٧) .

فطعنه بالرمح فدقَّه فى صُلبه ، وتناول رمح مُحرِز ، وعار(١) فرسُه حتى رجع إلى آرِيِّهِ ، فلما رآه النساءُ وأهل الدار قالوا : قد قُتل . ويقال : كان مُحرِز على فرسٍ كان لعُكّاشة بن مِحْصَن يُدعى الجناح ، قاتل عليه . ويقال : الذى قَتل مُحرِز بن نضْلَة أوثار ، وأقبل عَبّاد بن بِشر فيُدرك أوثارًا ، فتواقفا فتطاعنا حتى انكسرت رماحهما ، ثم صارا إلى السيفَيْن فشدّ عليه عبّاد ابن بِشْر فعانقه ، ثم طعنه بخَنجرٍ معه فمات .

وحدّثنى عمر بن أَبى عاتكة ، عن أَبى الأَسود ، عن عُروة ، قال : كان أوثار وعمرو بن أوثار على فرسٍ لهما يقال [له] الفُرُط(٢) رديفَيْن عليه ، قتلهما عُكّاشة بن مِحصَن .

فحدّثنى زكريا بن زيد ، عن عبد الله بن أَبى سُفيان ، عن أَبيه ، عن أُمّ عامر بنت يزيد بن السَّكَن ، قالت : كنت ممّن حضّ مُحرِزًا على اللُّحوق برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فوالله إنّا لفى أُطُمنا ننظر إلى رَهَج الغُبار إذ أَقبل ذو اللِّمّة ، فرس محمّد بن مسْلَمَة ، حتى انتهى إلى آرِيِّهِ ، فقلت : أُصيب واللهِ ! فحملنا على الفرس رجلاً مِن الحىّ فقلنا : أَطلِعْ لنا رسول الله هل أَصابه إلّا خير ، ثم ارجعْ إلينا سريعاً . قال : فخرج مُحضِرًا(٣) حتى لحق رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بِهَيْقا فى الناس ، ثم رجع فأَخبرنا بسلامة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فحمدنا الله تعالى على سلامة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن صالح بن كَيسان قال ، قال مُحْرِز بن

---

(١) عار فرسه : أى أفلت وذهب على وجهه . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٤٣) .

(٢) فى ب : « القرط » .

(٣) أحضر الفرس، وكذلك الرجل : إذا عدا . (لسان العرب ، ج ٥ ، س ٢٧٧) .

نَضْلَة : قبل أن يلتقى القومُ بيومٍ رأيتُ السماءَ فُرجت لى ، فدخلت السماءَ الدُّنيا حتّى انتهيت إلى السابعة ، وانتهيت إلى سِدرة المنتهى ، فقيل لى : هذا منزلك . فعرضتُها على أبى بكر وكان من أعبر الناس ، فقال : أبشِر بالشهادة ! فقُتل بعد ذلك بيوم .

وحدّثنى يحيى بن عبد الله بن أبى قَتادة ، عن أُمّه ، عن أبيه ، قال : قال أبو قَتادة : إنى لأغسلُ رأسى ، قد غسلت أحدَ شِقَّيه ، إذ سمعتُ فرسى جَرْوَة تصهل وتبحث بحافرها ، فقلت : هذه حرب قد حَضَرت ! فقمتُ ولم أغسل شِقّ رأسى الآخر ، فركبت وعلىّ بردةٌ لى ،فإذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصيح : الفَزَعَ ! الفَزَعَ ! قال :وأُدرك المِقداد بن عمرو فسايرته ساعةً ، ثم تقدّمه فرسى وكانت أجود من فرسه ، وقد أخبرنى المِقداد — وكان سبقنى — بقتل مَسْعَدَة مُحرِزًا . قال أبو قَتادة لِلمقداد : يا أبا مَعبَد ، أنا أموت أو أقتل قاتلَ مُحْرِز . فضرب فرسه فلحقهم أبو قتادة ، ووقف له مَسْعَدَة ، وحمل عليه أبو قَتادة بالقَناة فدقّ صُلبه ويقول : خُذْها وأنا الخَزْرجى ! ووقع مَسْعَدَة ميتاً ، ونزل أبو قَتادة فسجاه ببُرْدَته ، وجنَّب فرسَه معه ، وخرج يُحضِر فى أثر القوم حتى تلاحق الناس . قال أبو قَتادة : فلمّا مرّ الناس ونظروا إلى بُرْدَة أبى قَتادة عرفوها فقالوا : هذا أبو قَتادة قتيل ! واسترجع أحدهم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : لا ، ولكنه قتيل أبى قتادة ، وجعل عليه بُرْدَته لتعرفوا أنه قتيلُه . فخلُّوا بين أبى قَتادة وبين قتيله وسَلَبه وفرسه ، فأخذه كلَّه ، وكان سعد بن زيد قد أخذ سَلَبَه ،فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلّم : لا واللهِ ! أبو قَتادة قتله ، ادفعه إليه .

فحدّثنى عبد الله بن أَبى قَتادة ، عن أَبيه أَبى قَتادة ، قال : لما أدركنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ ونظر إلىّ قال : اللّهمّ باركْ له فى شَعرِه وبَشَرِه ! وقال : أفلح وجهك ! قلت : ووجهك يا رسول الله ! قال : قتلت مَسْعَدَة ؟ قلت : نعم . قال : فما هذا الذى بوجهك ؟ قلت : سهمٌ رميت به يا رسول الله . قال : فَادْنُ منّى ! فدنوتُ منه فبَصَق عليه ، فما ضَرب[1] عليه قَطُّ ولا قاح . فمات أَبو قَتادة وهو ابن سبعين سنة ، وكأَنه ابن خمسَ عشرة سنة . قال : وأَعطانى يومئذٍ فرسَ مَسْعَدَة وسلاحه ، وقال : بارك الله لك فيه !

حدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن سُلَيمان بن سُحَيم ، قال : قال سعد بن زيد الأَشهَلِىّ : لمّا كان يوم السَّرْح أَتانا الصَّريخ ، فأَنا فى بنى عبد الأَشْهَل ، فأَلبسُ دِرعى وأَخذتُ سلاحى ، وأَستوى على فرس لى جامٌّ حصانٍ ، يقال له النَّجْل[2] ، فأَنتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعليه الدرع والمِغفر لا أَرى إلّا عيْنَيه ، والخيل تعدو قِبَل قَناة ، فالتفت إلىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا سعدُ امضِ ، قد استعملتُك على الخيل حتى أَلحقَك إن شاءَ الله . فقرّبْت فرسى ساعة ثم خلَّيته فمرّ يُحضر ، فأَمرُّ بفرسٍ حسير ، فقلت : ما هذا ؟ وأَمرُّ بمَسْعَدَة قتيل أَبى قَتادة ، وأَمرُّ بمُحرِز قتيلاً فساءَنى ، وأَلحقُ المِقداد بن عمرو ، ومُعاذ بن ماعِص ؛ فأَحضرْنا ونحن ننظر إلى رَهجِ القوم ، وأَبو قَتادة فى أَثرهم وأَنظرُ إلى ابن الأَكْوَع يسبق الخيل أَمام القوم يرشُقهم بالنَّبل ، فوقفوا وقفةً ونلحق بهم فتناوشنا ساعةً ، وأَحملُ على حُبَيب بن عُيَينة

---

(١) ضرب الجرح : اشتد وجعه . (أساس البلاغة ، ص ٥٥٨) .

(٢) فى ب : « النخل» .

بالسيف فأَقطعُ منْكِبَه الأَيسر ، وخلَّى العِنان ، وتَتايع[1] فرسُه ، فيقع لوجهه ، واقتحم عليه فقتله ، وأَخذتُ فرسَه . وكان شِعارنا : أَمِتْ أَمِتْ ! وقد سمعنا فى قتل حُبَيب بن عُيَيْنَة وجهاً آخر .

فحدثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أَبيه ، قال : إنَّ المسلمين لمّا تلاحقوا هم والعدوّ وقُتل منهم مُحرِز بن نَضْلَة ، وخرج أَبو قَتادة فى وجهه ، فقتل أَبو قَتادة مَسْعَدَة ، وقُتل أوثار وعمرو بن أوثار ، قتلهما عُكّاشة بن مِحْصَن ، وإنَّ حُبَيب بن عُيَيْنَة كان على فرسٍ له ، هو وفَرَقَة ابن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، قتلهم المِقداد بن عمرو . قالوا : وتلاحق الناس بذى قَرد ، وصلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلاة الخوف .

فحدّثنى سُفيان بن سَعيد ، وابن أَبى سَبْرة ، عن أَبى بكر بن عبد الله ابن أَبى جَهم ، عن عُبَيد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس رضى الله عنه ، قال : قام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى القِبْلَة ، وصفّ طائفةً خلفه ، وطائفة مواجهة العدوّ ، فصلَّى بالطائفة التى خلفه ركعةً وسجدتَيْن ، ثم انصرفوا فقاموا مقامَ أَصحابهم ، وأَقبلَ الآخرون فصلَّى بهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ركعةً وسجدتيْن ، فكان لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ركعتان ، ولكلِّ رجلٍ من الطائفتَيْن ركعة .

حدّثنى مالك بن أَبى الرِّجّال ، عن عبد الله بن أَبى بكر بن حزم ، عن عُمارة بن مَعْمر ، قال : أَقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بذى قرد يوماً وليلةً يتحسّب[2] الخبرَ ، وقسم فى كلّ مائةٍ من أَصحابه جَزوراً ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، ويقال كانوا سبعمائة . قالوا : واستخلف رسول الله صلَّى

---

(١) فى الأصل : « تتابع » ؛ وما أثبتناه من ب . والتتايع : التسارع . (الفائق ، ص ٧٤) .

(٢) التحسب : الاستخبار . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٥٥) .

الله عليه وسلَّم على المدينة ابن أُم مَكتوم . وأَقام سعد بن عُبادة فى ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة خمس ليالٍ حتى رجع النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وبعث إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بأَحمال تمر وبعشرة جزائر بذى قَرَد . وكان فى الناس قيس بن سعد على فرس له يقال له الوَرْد ، وكان هو الذى قرّب الجُزُر (١) والتمر إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا قيس ، بعثك أَبوك فارساً ، وقوّى المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو ؛ اللّهمّ ارحمْ سعدًا وآل سعد ! ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : نِعمَ المرءُ سعدُ بن عُبادة ! فتكلَّمت الخَزْرَج فقالت : يا رسول الله ، هو بَيْتُنا (٢) وسيّدنا وابن سيّدنا ! كانوا يُطعمون فى المَحْل ، ويحملون الكَلّ (٣) ويَقْرون الضيفَ ، ويُعطون فى النائبة ، ويحملون عن العشيرة ! فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : خِيارُ الناس فى الإسلام خِيارُهم فى الجاهلية إذا فَقُهوا فى الدين . ولما انتهى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بئر هَمّ قالوا : يا رسول الله ، أَلا تَسُمّ بئرَ هَمّ ؟ فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : لا ولكن يشتريها بعضكم فيتصدّق بها . فاشتراها طَلحة بن عُبَيد الله فتصدّق بها .

حدّثنى موسى بن محمّد ، عن أَبيه ، قال : كان أَمير الفرسان المِقداد حتى لحقهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بذى قَرَد .

حدّثنى محمّد بن الفَضل بن عبَيد الله بن رافع بن خَديج ، عن المِسْوَر ابن رِفاعة ، عن ثَعلبة بن أَبى مالك ، قال : كان سَعيد بن زيد أَمير القوم ،

---

(١) فى ب : « الجزور » .

(٢) فى الأصل : « هو بيننا » ؛ وما أثبتناه هو قراءة ب .

(٣) فى الأصل : « ويحملون فى الكل » ؛ وما أثبتناه من نسخة ب . والكل : العيال . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٣٢) .

وقال لحسّان بن ثابت : أرأيتَ حيث جعلتَ المِقداد رأس السّريّة وأنت تعلم أنّ رسول الله استعملنى على السّريّة ،وإنك لتعلم لقد نادى الصريخ : الفَزَعَ ! فكان المِقداد أوّل من طلع ،فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : امضِ حتى تلحقك الخيولُ . فمضى أوّل ، ثم توافينا بعدُ عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقد مضى المِقداد أوّلنا ، فاستعملنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على السّرية . فقال حسّان : يا ابن عمّ ، واللهِ ما أردتُ إلّا القافية حيث قلتُ : غَداةَ فَوارِسِ المِقْداد. . .[1]فحلف سعد بن زيد ألّا يُكلِّم حَسّاناً أبدًا . والثبت عندنا أنّ أميرهم سعد بن زيد الأَشْهَلىّ .

قالوا : ولمّا بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة أقبلت امرأة أبى ذَرّ على ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القَصْواء ، وكانت فى السَّرْح ، فكان فيها جمل أبى جَهل ، فكان مما تخلّصه المسلمون ، فدخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته من أخبار الناس ، ثم قالت : يا رسول الله ، إنى نذرتُ إن نجّانى الله عليها أن أنحرَها فآكل من كَبِدها وسَنامها . فتبسّم النبى صلّى الله عليه وسلّم وقال : بئس ما جزيتها أن حملكِ الله عليها ونجّاكِ ثم تنحرينها ! إنه لا نذرَ فى معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقةٌ من إبلى فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

حدّثنى فائد مولى عبد الله ، عن عبد الله بن علىّ ، عن جدّته سَلمى ، قالت : نظرتُ إلى لَقوح[2] على باب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقال لها السَّمْراءُ ، فعرفتها فدخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت :

---

(١) انظر ديوان حسان ، ص٦٠. وذكر ابن إسحاق أبيات حسان أيضاً. (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٨٩) .

(٢) ناقة لقوح : أى غزيرة اللبن . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٦٣) .

هذه لِقحتك السَّمْراء على بابك . فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مستبشرًا ، وإذا رأسُها بيد ابن أَخي عُيَيْنَة ، فلمّا نظر رسول الله صلَّى اللهعليه وسلَّم عرفها ثم قال : أَيْمَ بك ؟ فقال : يا رسول الله . أَهديتُ لك هذه اللِّقحة . فتبسم النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وقبضها منه ، ثم أَقام يوماً أَو يوميْن ، ثم أمر له بثلاث أَواقٍ من فضّة ، فجعل يتسخَّط . قال : فقلت : يا رسول الله ، أَتُثيبه على ناقةٍ من إبلك ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : نعم وهو ساخطٌ عليّ ! ثم صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الظُّهر ، ثم صعد على المنبر فحمد الله وأَثنى عليه . ثم قال : إنَّ الرجل ليُهدى لى الناقة من إبلى أَعرفُها كما أَعرفُ بعض أَهلى ، ثم أُثيبه عليها فيَظَلّ يتسخَّط عليَّ ، ولقد هممتُ أَلاَّ أَقبل هديّةً [إلاَّ من قُرَشيٍّ أَو أَنصاريّ ـ وكان أَبو هُريرة يقول : أَو ثَقَفيٌّ أَو دَوْسِيّ][1].

ذكر من قُتل من المسلمين ومن المشركين

من المسلمين واحد : مُحْرِز بن نَضْلة ، قتله مَسْعدَة .

وقُتل من المشركين : مَسْعَدَة بن حَكَمَة ، قتله أَبو قَتادة ؛ وأَوثار وابنه عمرو بن أَوثار ، قتلهما عُكّاشة بن مِحْصَن ؛ وحُبَيب بن عُيَيْنَة ، قتله المِقداد . وقال حَسّان بن ثابت . . .

---

(١) زيادة من ب .

سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن إلى الغَمْر (١)

فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ

حدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن عبد رَبِّه بن سَعيد ، قال : سمعتُ رجلاً من بنى أَسَد بن خُزَيمة يُحدِّث القاسمَ بن محمّد يقول : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عُكَّاشة بن مِحصَن فى أربعين رجلاً — منهم ثابت بن أَقْرَم ، وشُجاع بن وَهب ، ويزيد بن رُقَيش. فخرج سريعاً يُغِذُّ السير ، ونذر القوم فهربوا من مائهم فنزلوا عَلياءَ بلادهم ، فانتهى إلى الماء فوجد الدار خُلوفاً ، فبعث الطلائع يطلبون خبرًا أو يرون أثرًا حديثاً ، فرجع إليه شُجاع بن وَهب فأخبره أنه رأى أثر نَعَمٍ قريباً ، فتحمّلوا فخرجوا حتى يُصيبوا ربيئةً لهم قد نظر ليلتَه يسمع الصوت ، فلمّا أصبح نام فأخذوه وهو نائم ، فقالوا : الخبر عن الناس ! قال : وأين الناس ؟ قد لحقوا بعَلياءِ بلادهم ! قالوا : فالنَّعَم ؟ قال : معهم . فضربه أحدهم بسوطٍ فى يده . قال : تُؤمِّننى على دمى وأُطلعُك على نعمٍ لبنى عمٍّ لهم ، لم يعلموا بمسيركم إليهم ؟ قالوا : نعم . فانطلقوا معه ، فخرج حتى أمعن ، وخافوا أن يكونوا معه فى غَدر ، فقرّبوه فقالوا : واللهِ ، لتصدُقنا أو لنضربنّ عنقك! قال : تطلعون عليهم من هذا الظُّرَيب(٢) . قال : فأوفوا على الظُّرَيب فإذا نعمٌ رواتع ، فأغاروا عليه فأصابوه ، وهربت الأعراب فى كلّ وجه ، ونهى عُكَّاشة عن الطلب ، واستاقوا مائتى بعير فحدروها إلى المدينة ، وأرسلوا

(١) الغمر : هو ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد ، كما قال ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦١) .

(٢) الظريب : تصغير ظرب ، وهو الجبل المنبسط الصغير . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٩٩) .

الرجل ، وقدموا على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يُصَبْ منهم أحدٌ ولم يلقوا كيدًا .

سريّة محمّد بن مَسْلَمَة إلى ذى القَصّة
إلى بنى ثعلبة وعُوال فى ربيع الآخر

حدّثنى عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، قال : بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم محمّد بن مَسْلَمَة فى عشرة ، فورد عليهم ليلاً ، فكمن القوم حتى نام ونام أصحابه ، فأحدقوا به وهم مائة رجل ، فما شعر القوم إلّا بالنبل قد خالطتهم. فوثب محمّد بن مَسْلَمَة وعليه القوس. فصاح بأصحابه : السلاحَ ! فوثبوا فتراموا ساعةً من الليل ، ثم حملت الأعراب بالرّماح فقتلوا منهم ثلاثة ، ثم انحاز أصحاب محمّدٍ إليه فقتلوا من القوم رجلاً ، ثم حمل القوم فقتلوا مَن بقى . ووقع محمّد بن مَسْلَمَة جريحاً ، فضُرب كعبُه فلا يتحرّك ، وجرّدوهم من الثياب وانطلقوا . فمرّ رجلٌ على القتلى فاسترجع ، فلمّا سمعه محمّدٌ تحرّك له فإذا هو رجلٌ مُسلم ، فعرض على محمّدٍ طعاماً وشراباً وحمله حتى ورد به المدينة . فبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أبا عُبَيدة بن الجَرّاح فى أربعين رجلاً إلى مَصارعهم فلم يجد أحدًا واستاق نَعَماً ثم رجع. قال أبو عبد الله : فذكرت هذه السَّريّة لإبراهيم بن جعفر ابن محمود بن محمّد بن مَسْلَمَة فقال : أخبرنى أبى أنَّ محمّد بن مَسْلَمَة خرج فى عشرة نفر : أبو نائلة ، والحارث بن أوس ، وأبو عبس بن جَبر ، ونُعمان بن عَصر ، ومُحَيِّصَة بن مَسعود ، وحُوَيِّصَة ، وأبو بُردة ابن نِيار ، ورجلان من مُزَينة ، ورجلٌ من غَطَفان ، فقُتل المُزَنيّان

والغَطَفانىّ ، وارْتُثَّ محمّد بن مَسْلَمة من القتلى . قال محمّد : فلمّا كانت غزوة خَيْبَر نظرت إلى أحد النفر الذين كانوا وَلوا ضربى يوم ذى القَصَّة ، فلمّا رآنى قال : أَسلمتُ وجهى لِله ! فقلت : أَولى !

سريّة أميرُها أبو عُبيدة إلى ذى القَصَّة

فى ربيع الآخر سنة ستٍّ ليلةَ السبت ، وغاب ليلتين .

حدّثنى عبد الرحمن بن زِياد الأَشْجَعى ، عن عيسى بن عُمَيلة ، وحدّثنى عبد الله بن الحارث بن الفَضل ، عن أَبيه ، زاد أَحدهما على صاحبه ، قالا : أَجدبت بلاد بنى ثَعلبة وأَنْمار ، ووقعت سحابةٌ بالمَراض إلى تَغْلَمَيْن[1] ، فصارت بنو مُحارب وثَعلبة وأَنْمار إلى تلك السحابة ، وكانوا قد أجمعوا أَن يُغيروا على سَرْح المدينة ، وسَرْحهم يومئذٍ يرعى ببطن هَيقا ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَبا عُبَيدة بن الجرّاح فى أَربعين رجلاً من المسلمين حين صلّوا صلاة المغرب ، فباتوا ليلتهم يمشون حتّى وافوا ذى القَصَّة مع عَماية الصبح ، فأَغار عليهم فأَعجزهم هرباً فى الجبال ، وأَخذ رجلاً منهم ووجد نَعَماً من نَعَمهم فاستاقه ، ورِثَّةً من متاع ؛ فقدم به المدينة ، فأَسلم الرجل فتركه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا قدم عليه خمّسه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقسم ما بقى عليهم .

---

(١) التغلمين : موضع من بلاد بنى فزارة قبل ريم . (معجم ما استعجم ، ص ٣٠٢) .

سريّة زيد بن حارثة إلى العيص

فى جمادى الأُولى سنة ستّ

حدثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أَبيه ، قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الغابة بلغه أَنّ عِيرًا لقُرَيش أَقبلت من الشام ، فبعث زيد بن حارثة فى سبعين ومائة راكب ، فأَخذوها وما فيها . وأَخذوا يومئذٍ فضّةً كثيرةً لصَفوان[٢] ، وأَسروا ناساً ممّن كان فى العير معهم ، منهم أَبو العاص بن الرَّبيع ، والمُغيرة بن مُعاوية بن أَبى العاص . فأَما أَبو العاص فلم يَعْدُ أَن جاءَ المدينة ، ثم دخل على زَينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سَحَرًا ، وهى امرأَته ، فاستجارها فأَجارته . فلما صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الفجر قامت زَينب على بابها فنادت بأَعلى صوتها فقالت : إنى قد أَجرتُ أَبا العاص ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أَيّها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم . قال : فوالذى نفسى بيده ، ما علمت بشىءٍ ممّا كان حتى سمعتُ الذى سمعتم ، المومنون يَدٌ على مَن سِواهم ، يُجير عليهم أدناهم ، وقد أَجرنا مَن أَجارت . فلمّا انصرف النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى منزله دخلت عليه زَينب فسأَلته أَن يردّ إلى أَبى العاص ما أُخِذ منه من المال ، ففعل وأَمرها أَلّا يقربها ، فإنها لا تحلّ له ما دام مشركاً . ثم كلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أَصحابه ، وكانت معهُ بضائعُ لغير واحدٍ من قُرَيش ، فأَدّوا إليه كلّ شىءٍ ؛ حتى إنهم ليردّون

---

(١) العيص : بينها وبين المدينة أربع ليال ، وبينها وبين ذى المروة ليلة . (طبقات ابن سعد ، ج ٢ ، ص ٦٣) .

(٢) أى صفوان بن أمية .

الإداوة[١] والحبل ، حتى لم يبق شيءٌ . ورجع أبو العاص إلى مكّة فأدّى إلى كلّ ذى حقٍّ حقّه . قال : يا معشر قُرَيش ، هل بقى لأحدٍ منكم شى ؟ قالوا : لا واللهِ . قال : فإنى أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله ، لقد أسلمتُ بالمدينة ، وما منعنى أن أُقيم بالمدينة إلّا أن خشيتُ أن تظنّوا أنى أسلمتُ لأن أذهب بالذى لكم . ثم رجع إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فردّ عليه زينبَ بذلك النِّكاح . ويقال إنّ هذه العِير كانت أخذت طريق العراق ، ودليلها فُرات بن حَيّان العِجْلىّ .

قال محمّد بن إبراهيم : وأما المُغيرة بن مُعاوية فأفلت ، فتوجه تِلقاءَ مكّة فأخذ الطريق نفسَها ، فلقيه سعد بن أبى وَقّاص قافلاً فى سبعة نفر ، وكان الذى أسر المُغيرة خَوّات بن جُبَير ، فأقبل به حتى دخلوا المدينة بعد العصر وهم مُبرِدون .

قال محمّد بن إبراهيم ، فأخبرنى ذَكوان مولى عائشة ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال لها : احتفظى بهذا الأسير ! وخرج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . قالت عائشة : فلهوتُ مع امرأة أتحدّث معها ، فخرج وما شعرتُ به ، فدخل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ولم يَره فقال : أين الأسير ؟ فقلت : واللهِ ما أدرى ، غفلتُ عنه ، وكان هاهنا آنفاً . فقال : قطع الله يدكِ ! قالت : ثم خرج فصاح بالناس ، فخرجوا فى طلبه فأخذوه بالصَّوْرَيْن ، فأُتِى به إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . قالت عائشة : فدخل علىّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأنا أُقلّب بيدى ، فقال : ما لكِ ؟ فقلت : أنظرُ كيف تقطَع يدى ؛ قد دعوتَ علىّ بدعوتكم ! قالت : فاستقبل القِبلة فرفع يدَيْه ثم قال : اللّهمّ إنما أنا بَشَر ، أغضبُ وآسفُ

(١) الإداوة : المطهرة التى يتوضأ بها . (شرح أبى ذر ، ص ١٦٧) .

كما يغضب البَشَر . فأَيُّما مؤْمنٍ أَو مؤْمنةٍ دعوتُ عليه بدعوةٍ فاجعلها له رحمة .

سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف (١)

فى جمادى الآخرة سنة ستّ

حدثنى أُسامة بن زيد اللَّيثىّ ، عن عِمران بن مَنَّاح ، قال : بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيد بن حارثة إلى الطَّرَف إلى بنى ثَعلبة ، فخرج فى خمسةَ عشرَ رجلاً ، حتى إذا كانوا بالطَّرَف أَصاب نَعَماً وشاءً . وهربت الأَعراب وخافوا أَن يكون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد سار إليهم ، فانحدر زيد بن حارثة حتى صبّح المدينة بالنَّعَم ، وخرجوا فى طلبه حتى أَعجزهم ، فقدم بعشرين بعيرًا . ولم يكن قتالٌ فيها ، وإنما غاب أَربع ليال.

حدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن أَبى رُشد ، عن حُمَيد بن مالك ، عن مَن حضر السَّريّة ، قال : أَصابهم بعيران أَو حسابهما من الغنم ، فكان كلّ بعير عشرًا من الغنم ، وكان شِعارنا : أَمِتْ ! أَمِتْ !

سريّة زيد بن حارثة إلى حِسْمَى

فى جمادى الآخرة سنة ست

حدّثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أَبيه ، قال : أَقبل دِحْية الكَلبىّ من عند قَيْصَر ، قد أَجاز دِحْيَة بمالٍ وكساه كُسًى . فأَقبل حتى كان بحِسْمَى ، فلقيه ناسٌ من جُذام فقطعوا عليه الطريق ، وأَصابوا كلَّ شىءٍ

(١) زاد ابن سعد : هو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلا من المدينة . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٣) .

معه فلم يصل إلى المدينة إلّا بسَمَل(١) ، فلم يدخل بيته حتّى انتهى إلى باب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدقّه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مَن هذا ؟ فقال : دِحْيَة الكَلبيّ . قال : ادخلْ . فدخل فاستخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عمّا كان من هِرَقْل حتى أتى على آخر ذلك ، ثم قال : يا رسول الله ، أقبلتُ من عنده حتى كنت بحِسْمَى فأغار علىّ قومٌ من جُذام ، فما تركوا معى شيئاً حتى أقبلتُ بسَمَلى(٢) ، هذا الثوب .

فحدّثنى موسى بن محمّد قال : سمعت شيخاً من سعد هُذَيم كان قديماً يُخبر عن أبيه يقول : إنّ دِحْيَةَ لمّا أُصِيب ــ أصابه(٣) الهُنَيد بن عارِض وابنه عارض بن الهُنَيد ، وكانا واللهِ نَكِدَين مَشؤومَين ، فلم يُبقوا معه شيئاً ، فسمع بذلك نفرٌ من بنى الضُّبَيْب فنفروا إلى الهُنَيد وابنه . فكان فيمن نفر منهم النُّعمان بن أبى جُعال فى عشرة نفر ، وكان نُعمان رجل الوادى ذا الجَلَد والرِّماية(٤) . فارتمى النعمان وقُرَّة بن أبى أَصْفَر الصَّلعىّ ، فرماه قُرَّة فأصاب كَعْبَه فأقعده إلى الأرض . ثم انتهض النُّعمان فرماه بسهمٍ عريض السَّرْوَة(٥) ، فقال : خُذْها من الفتى ! فخلّ السهم فى رُكبتِه فشنَّجه وقعد ، فخلَّصوا لدِحْيَةَ متاعَه فرجع به سالماً إلى المدينة .

قال موسى ، فسمعتُ شيخاً آخر يقول : إنما خلَّص متاعَ دِحْيَة رجلٌ كان صَحِبَه من قُضاعة ، هو الذى كان استنقذ له كلّ شىءٍ أُخِذ منه

---

(١) فى الأصل : « بشمل » ؛ وما أثبتناه من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٣) . والسمل : الخلق من الثياب . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٨٣) .

(٢) فى الأصل : « بشملى » .

(٣) فى الأصل : « أصابوا » ؛ وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق .

(٤) فى الأصل : « وكان نعمان رجل الوادى الجلد والرماية » ؛ ولعل ما أثبتناه أحكم للسياق .

(٥) السروة : السهم العريض النصل . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٤٢) .

ردّه على دِحْيَة . ثم إنَّ دِحْيَة رجع إلى المدينة فذكر ذلك للنبي صلَّى الله عليه سلَّم فاستسعى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم دم الهُنَيد وابنِه ، فأمر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بالمسير ، فخرج زيد بن حارثة معه .

وقد كان رِفاعة بن زيد الجُذامىّ قدم على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وافدًا ، فأجازه النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأقام بالمدينة ، ثم سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يكتب معه كتاباً ، فكتب معه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : بسم الله الرحمن الرحيم ، لرِفاعة بن زيد إلى قومه عامّةً ومَن دخل معهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله . فمَن أقبل منهم فهو من حزب الله وحزب رسوله ، ومن ارتدّ فله أمان شهرين . فلمّا قدم رِفاعة على قومه بكتاب النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قرأه عليهم فأجابوه وأسرعوا ، ونفذوا إلى مُصاب دِحْيَة الكلبيّ (١) فوجدوا أصحابه قد تفرقوا .

وقدم زيد بن حارثة خِلافهم على رسول الله ، فبعثه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى خمسمائة رجل ، وردّ معه دِحْيَة الكلبيّ . وكان زيد يسير الليلَ ويكمُن النهارَ ، ومعه دليلٌ من بنى عُذْرَة . وقد اجتمعت غَطَفان كلُّها ووائِل ومَن كان من سَلامات وبَهراءَ حين جاءَ رِفاعة بن زيد بكتاب النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، حتى نزلوا ــ الرجال ورِفاعة ــ بكُراع (٢) رُؤيَّة لم يُعلم . وأقبل الدليل العُذرىّ بزيد بن حارثة حتى هجم بهم ، فأغاروا مع الصبح على الهُنَيد وابنه ومَن كان فى مَحلَّتهم ، فأصابوا ما وجدوا ، وقتلوا

---

(١) فى الأصل : « مصاب زيد بن حارثة » ؛ وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق . (انظر شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩٠) ؛ والسيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٣٠٢) .

(٢) الكراع : الجانب المستطيل من الحرة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٥) .

ورؤية : موضع فى ديار بنى مازن . (معجم ما استعجم ، ص ٣٤٢ ، ٣٨٨) .

فيهم فأَوجعوا (١) ، وقتلوا الهُنَيد وابنه ، وأَغاروا على ماشيتهم ونَعَمهم ونسائهم ، فأَخذوا من النعم أَلف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف شاة ، ومن السَّبْى مائة من النساءِ والصبيان . وكان الدليل إنما جاءَ بهم من قِبَل الأَولاج (٢) ، فلمّا سمعت بذلك الضُّبَيب بما صنع زيد بن حارثة ركبوا ، فكان فيمن ركب حِبّان بن مِلَّة (٣) وابنه ، فدنَوا من الجيش وتواصَوا لا يتكلَّم أَحد إلَّا حِبّان بن مِلَّة (٣) ، وكانت بينهم علامةٌ إذا أَراد أَحدهم أَن يضرب بسيفه قال « قَودى ! » فلمّا طلعوا على العسكر طلعوا على الدُّهْم من السَّبْى والنَّعم ، والنساءِ والأَسارى أَقبلوا جميعاً ، والذى يتكلَّم حِبّان بن مِلَّة يقول : إنَّا قومٌ مسلمون . وكان أَوّل من لقيهم رجلٌ على فرس ، عارضٌ رمحه ، فأَقبل يسوقهم ، فقال رجل منهم : قَوَدى ! فقال حِبّان : مهلاً ! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حِبّان : إنَّا قوم مسلمون . قال له زيد : اقرأْ أُمّ الكتاب ! وكان زيد إنما يمتحن أَحدَهم بأُمّ الكتاب لا يزيدُه . فقرأَ حِبّان ، فقال له زيد : نادوا فى الجيش « إنه قد حرُم علينا ما أَخذناه منهم بقراءَة أُمّ الكتاب » . فرجع القوم ونهاهم زيد أَن يهبطوا واديهم الذى جاءُوا منه ، فأَمسوا فى أَهليهم ، وهم فى رصدٍ لزيد وأَصحابه ، فاستمعوا حتى نام أَصحابُ زيد بن حارثة ، فلمّا هدأُوا وناموا ركبوا إلى رفاعة بن زيد — وكان فى الركب فى تلك الليلة أَبو زيد بن عمرو ، وأَبو أَسماءَ بن عمرو ، وسُوَيد بن زيد وأَخوه ، وبَرْذَع بن زيد ، وثَعلبة بن عَدىّ — حتى

---

(١) أى أكثروا فيهم . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩١) .

(٢) الأولاج : جمع ولجة ، وهى معطف الوادى . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢١١) . وهو اسم موضع هنا .

(٣) هكذا فى الأصل . وفى ابن إسحاق : « حسان بن ملة » ؛ وقال ابن هشام : « حيان بن ملة » (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٢٦١) .

صبّحوا رِفاعة بكُراع رُؤية ، بحرَّة ليلى [١] ،فقال حِبّان [٢] : إنك لجالس تحلب المعزى [ونساءُ جُذام أسارى] [٣] . فأخبره الخبر فدخل معهم حتى قدموا على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ــ ساروا ثلاثاً ــ فابتداهم رِفاعة فدفع إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم كتابه الذى كتب معه ، فلمّا قرأ كتابه استخبرهم فأخبروه بما صنع زيد بن حارثة . فقال : كيف أصنعُ بالقتلى ؟ فقال رفاعة : يا رسول الله أنت أعلم ، لا تُحرّم علينا حلالاً ولا تُحِلّ لنا حراماً . قال أبو زيد [٤] : أطلق لنا يا رسول الله مَن كان حيًّا ، ومَن قُتل فهو تحت قدمىّ هاتين . فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : صدق أبو زيد ! قال القوم : فابعث معنا يا رسول الله رجلاً إلى زيد بن حارثة ، يُخَلِّى بيننا وبين حَرَمنا وأموالنا . فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : انطلق معهم يا عَلى ! فقال عَلىٌّ : يا رسول الله ، لا يُطيعنى زيدٌ . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هذا سيفى فخُذْه . فأخذه فقال : ليس معى بعيرٌ أركبه . فقال بعض القوم : هذا بعير ! فركب بعير أحدهم وخرج معهم حتى لقوا رافع ابن مَكِيث بشيرَ زيد بن حارثة على ناقةٍ من إبل القوم ، فردّها عَلىٌّ على القوم . ورجع رافع بن مَكِيث مع عَلىٍّ عليه السلام رديفاً حتى لقوا زيد بن حارثة بالفَحْلَتَين [٥] ، فلقيه عَلىٌّ وقال : إنّ رسول الله يأمرك أن تردّ على هؤلاء القوم ما كان بيدك من أسيرٍ أو سَبْيٍ أو مال . فقال زَيد : علامة من رسول الله ! فقال عَلىٌّ : هذا سيفه ! فعرف زيد السيف فنزل فصاح

(١) حرة ليلى : لبنى مرة بن عوف بن سعد بن غطفان ، يطؤها الحاج الشامى فى طريقه إلى المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٨٨) .

(٢) أى قال لرفاعة بن زيد .

(٣) الزيادة من الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩٢) .

(٤) أى أبو زيد بن عمرو . انظر الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ١٩٢) .

(٥) الفحلتين : بين المدينة وذى المروة ، كما قال ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٤) .

بالناس فاجتمعوا فقال : مَن كان بيده شىءٌ من سَبْىٍ أو مالٍ فليردّه ، فهذا رسولُ رسولِ الله . فردّ إلى الناس كلَّ ما أخذ منهم ، حتى إن كانوا ليأْخذون المرأة من تحت فخِذ الرجل .

حدّثنى أُسامة بن زيد بن أسلم ، عن بُسْر بن مِحْجَن الدِّيلىّ ، عن أبيه ، قال : كنت فى تلك السَّرِيَّة ، فصار لكل رجلٍ سبعة أبعرةٍ وسبعون شاة ، ويصير له من السَّبْى المرأة والمرأتان ، فوُطئوا بالمِلْك بعد الاستبراء ، حتى ردّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك كلّه إلى أهله ، وكان قد فرّق وباع منه .

سريّةٌ أميرها عبد الرحمن بن عَوف إلى دُومة الجَنْدَل فى شعبان سنة ستّ

حدّثنى سعيد بن مسلم بن قَمّادين ، عن عطاء بن أبى رَباح ، عن ابن عمر ، قال : دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الرحمن بن عَوف فقال : وتجهّزْ فإنى باعثك فى سريّةٍ من يومك هذا ، أو من غدٍ إن شاء الله . قال ابن عمر : فسمعتُ ذلك فقلت : لأَدخلنَّ فلأُصلِّينّ مع النبىّ الغداة ، فلأَسمعنَّ وصيته لعبد الرحمن بن عوف . قال : فغدوتُ فصلّيت فإذا أبو بكر ، وعمر ، وناس من المهاجرين ، فيهم عبد الرحمن بن عَوف ، وإذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دُومة الجَنْدل فيدعوَهم إلى الإسلام ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعبد الرحمن: ما خلّفك عن أصحابك ؟ قال ابن عمر : وقد مضى أصحابُه فى السحَر ، فهم مُعسكرون بالجُرْف وكانوا سبعمائة رجلَ ، فقال : أحببتُ يا رسول الله أن يكون آخر عهدى بك ، وعلىّ ثيابُ سفرى . قال : وعلى عبد الرحمن ابن عَوف عِمامةٌ قد لفّها على راسه . قال ابن عمر : فدعاه النبى صلّى الله عليه وسلّم فأَقعده بين يديه فنقض عِمامته بيده ، ثم عممه بعمامة سوداء ،

فأرخى بين كتفيْه مِنها ، ثم قال : هكذا فاعتمّ يا ابنَ عوف ! قال : وعلى ابن عَوف السيف مُتوشِّحه . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اُغْزُ باسم الله وفى سبيل الله فقاتِلْ مَن كفر بالله ، لا تَغُل ولا تغدِر ولا تقتل وليدًا . قال ابن عمر : ثم بسط يده ، فقال : يا أيّها الناس ، اتّقوا خمساً قبل أن يُحلّ بكم ؛ ما نُقص مِكيال قوم إلّا أخذهم الله بالسِّنين ونَقْصٍ من الثَّمَرات لعلّهم يرجعون ، وما نكث قومٌ عهدهم إلّا سلّط الله عليهم عدوّهم ، وما منع قومٌ الزّكاة إلّا أمسك اللهُ عليهم قَطْرَ السماءِ ، ولولا البهائمُ لم يُسقَوا ، وما ظهرت الفاحشة فى قومٍ إلّا سلّط الله عليهم الطاعون ، وما حكم قومٌ بغيرِ آيِ القرآن إلّا ألبسهم اللهُ شِيَعاً ، وأذاق بعضهم بأْس بعض .

قال : فخرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه فسار حتى قدم دُومة الجَنْدَل ، فلمّا حلّ بها دعاهم إلى الإسلام ، فمكث بها ثلاثة أيّامٍ يدعوهم إلى الإسلام . وقد كانوا أبوا أوّل ما قدم يُعطونه إلّا السيف ، فلمّا كان اليوم الثالث أسلم الأَصْبَغ بن عمرو الكَلبيّ ، وكان نصرانيًّا وكان رأسهم . فكتب عبد الرحمن إلى النبى صلّى الله عليه وسلّم يُخبره بذلك ، وبعث رجلاً من جُهَينة يقال [له] رافع بن مَكِيث ، وكتب يُخبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قد أراد أن يتزوّج فيهم ، فكتب إليه النبى صلّى الله عليه وسلّم أن يتزوّج بنت الأَصْبَغ تُماضِر . فتزوجها عبد الرحمن وبَنَى بها ، ثم أقبل بها ؛ هى أمّ أبى سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عَوف .

حدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن ابن أبى عَوف ، عن صالح بن إبراهيم . أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعث عبد الرحمن بن عَوف إلى كلب ، وقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم أو ابنة سيدهم . فلما قدم دعاهم

إلى الإسلام فاستجابوا وأقام على إعطاء الجزية . وتزوّج عبد الرحمن بن عَوف تُماضِر بنت الأَصْبَغ بن عمرو ملكهم ، ثم قدم بها المدينة ، وهى أُمّ أبي سَلَمَة .

سريّة عَلىّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بنى سعد ، بفَدَك [١] فى شعبان سنة ستّ

حدّثنى عبد الله بن جَعفر ، عن يعقوب بن عُتبة ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَليًّا عليه السلام فى مائة رجلٍ إلى حَىّ سعد ، بفَدَك ، وبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ لهم جمعاً يُريدون أن يُمدّوا يهودَ خَيْبَر ، فسار الليلَ وكمن النهارَ حتى انتهى إلى الهَمَج [٢] ، فأصاب عيناً فقال : ما أنت ؟ هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد ؟ قال : لا علم لى به . فشدّوا عليه فأقر أنه عينٌ لهم بعثوه إلى خَيْبَر ، يعرض على يهود خَيْبَر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويَقْدَمون عليهم ، فقالوا له : فأين القوم ؟ قال : تركتُهم وقد تجمّع منهم مائتا رجل ، وراسهم وبَر ابن عُلَيم . قالوا : فسِرْ بنا حتى تدلّنا . قال : على أن تُؤمّنونى ! قالوا : إن دللتَنا عليهم وعلى سَرْحِهم أمّنّاك ، وإلّا فلا أمان لك . قال : فذاك ! فخرج بهم دليلاً لهم حتى ساء ظنُّهم به ، وأوفى بهم على فَدافِد وآكام ، ثم أفضى بهم إلى سهولةٍ فإذا نَعَمٌ كثيرٌ وشاءٌ ، فقال : هذا نَعَمهم وشاؤهم . فأغاروا عليه فضمّوا النَّعَمَ والشاءَ . قال : أرسِلونى ! قالوا : لا حتى نأمن الطلب ! ونذر بهم الراعى رعاءَ الغنم والشاء ، فهربوا إلى جمعهم فحذّروهم ،

---

(١) فدك : قرية قريبة من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٥٥)
(٢) الهمج : ماء بين خيبر وفدك . (طبقات ابن سعد ، ج ٢ ، ص ٦٥) .

فتفرّقوا وهربوا ، فقال الدليل : عَلامَ تحبسنى ؟ قد تفرّقت الأعراب وأنذرهم الرعاء . قال علىٌّ عليه السلام : لم نبلغ معسكرهم . فانتهى بهم إليه فلم يَرَ أحدًا . فأرسلوه وساقوا النَّعَم والشاء ، النَّعم خمسمائة بعير ، وألفا شاة .

حدّثنى أُبَير بن العَلاء ، عن عيسى بن عَليلة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : إنّى لَبِوادى الهَمَج إلى بَديع [1] ، ما شعرتُ إلّا ببنى سعد يحملون الظُّعُن وهم هاربون ، فقلت : ما دَهاهم اليوم ؟ فدنوت إليهم فلقيت رأْسهم وَبر بن عُلَيم ، فقلت : ما هذا المسير ؟ قال : الشرّ ، سارت إلينا جموع محمّدٍ وما لا طاقةَ لنا به ، قبل أن نأْخذ للحرب أُهْبَتَها ؛ وقد أَخذوا رسولاً لنا بعثناه إلى خَيْبر ، فأَخبرهم خبرنا وهو صنع بنا ما صنع . قلت : ومَن هو ؟ قال : ابن أخى ، وما كنا نعدّ فى العرب فتىً واحدًا أَجمعَ قلبٍ منه . فقلت : إنى أرى أمرَ محمّد أمرًا قد أمن وغلظ ، أوقع بقُرَيش فصنع بهم ما صنع ، ثم أَوقع بأَهل الحُصون بيَثْرِب ، قَيْنُقاع وبنى النَّضير وقُرَيْظَة ، وهو سائر إلى هؤلاء بَخيبر . فقال لى وبَر : لا تخش ذلك ! إنَّ بها رجالاً ، وحُصوناً منيعة ، وماءً واتِناً [2] ، لا دنا منهم محمد أبدًا ، وما أَحراهم أن يغزوه فى عُقر داره . فقلت : وترى ذلك ؟ قال : هو الرأْى لهم . فمكث عَلىٌّ عليه السلام ثلاثاً ثم قسم الغنائم وعزل الخُمُس وصفى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم لَقوحاً تُدْعى الحَفِدَة قدم بها .

---

(١) بديع : أرض من فدك ، وهى مال المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن المغيرة المخزومى . (معجم ما استعجم ، ص ١٤٤) .

(٢) وتن الماء ، أى دام ولم ينقطع . (الصحاح ، ص ٢٢١٢) .

سرية زيد بن حارثة إلى أُمّ قِرْفَة

فى رمضان سنة ستّ

حدّثنى أَبو عبد الله محمد بن عمر الواقدىّ قال : حدّثنا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن الحُسَين بن الحُسين بن على بن أَبى طالب ، قال : خرج زيد بن حارثة فى تجارةٍ إلى الشام ، ومعه بضائع لأَصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأَخذ خُصْيَتَى تَيس فدبغهما ثم جعل بضائعهم فيهما ، ثم خرج حتى إذا كان دون وادى القُرى ومعه ناسٌ من أَصحابه ، لقيه ناسٌ من بنى فَزارة من بنى بدر ، فضربوه وضربوا أَصحابه حتى ظنّوا أَن قد قُتلوا ، وأَخذوا ما كان معه ؛ ثم استبلّ[1] زيد فقدم المدينة على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فبعثه فى سَرِيّةٍ فقال لهم : اكمُنوا النهارَ وسيروا الليلَ . فخرج بهم دليلٌ لهم ، ونذرت بهم بنو بَدر فكانوا يجعلون ناطوراً[2] لهم حين يُصبحون فينظر على جبلٍ لهم مشرفٍ وجهَ الطريقِ الذى يرون أَنهم يأْتون منه ، فينظر قدر مسيرة يومٍ فيقول : اسرحوا فلا بأْس عليكم هذه ليلتكم ! فلما كان زيد بن حارثة وأَصحابه على نحو مسيرة ليلة أَخطأَ بهم دليلُهم الطريق ، فأَخذ بهم طريقاً أُخرى حتى أَمسوا وهم على خطأ ، فعرفوا خطأَهم ، ثم صمدوا[3] لهم فى الليل حتى صبّحوهم ، وكان زيد بن حارثة نهاهم حيث انتهوا عن الطلب . قال : ثم وعز إليهم أَلاّ يفترقوا . وقال :

---

(١) استبل : أى برأ . (الصحاح ، ص ١٦٤٠) .

(٢) الناطور : حافظ الكرم ، والمعنى هاهنا الطليعة . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٤٤) .

(٣) صمدوا لهم : أى ثبتوا لهم وقصدوهم وانتظروا غفلتهم . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٣٧٤) .

إذا كبّرت فكبِّروا . وأَحاطوا بالحاضر ثم كبّر وكبّروا ، فخرج سَلَمَة بن [1] الأَكْوَع فطلب رجلاً منهم حتّى قتله ، وقد أمعن فى طلبه ، وأخذ جارية بنت مالك بن حُذَيفة بن بدر وجدها فى بيتٍ من بيوتهم ؛ وأُمّها أُم قِرفَة ، وأُم قِرْفَة فاطمة بنت رَبيعة بن زيد . فغنموا ، وأَقبل زيد بن حارثة ، وأَقبل سَلَمة بن الأَكْوَع بالجارية ، فذكر ذلك للنبى صلَّى الله عليه وسلَّم فذكر له جمالها ، فقال : يا سَلَمَة ، ما جاريةٌ أَصبتَها ؟ قال : جارية يا رسول الله رجوتُ أَن أَفتدى بها امرأَةً منّا من بنى فَزارة . فأَعاد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مرّتين أَو ثلاثاً يسأَله : ما جاريةٌ أَصبتَها ؟ حتى عرف سَلَمَة أنه يُريدها فوهبها له ، فوهبها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحَزن بن أَبى وَهب ، فولدت له امرأَةً ليس له منها ولد غيرها .

فحدّثنى محمّد ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى بيتى ، فأَتى زيد فقرع الباب ، فقام إليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يجرّ ثوبه عُرياناً ، ما رأَيتُه عُرياناً قبلها ، حتّى اعتنقه وقبله ، ثم سأَله فأَخبره بما ظفَّره اللهُ .

ذكر من قتل أُم قِرْفَة

قتلها قيس بن المُحَسِّر قتلاً عنيفاً ؛ ربط بين رجلَيْها حبْلاً ثم ربطها بين بعيرَيْن ، وهى عجوزٌ كبيرة . وقُتل عبد الله بن مَسْعدَة ، وقُتل قيس بن النُّعمان بن مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن بَدر .

---

(١) كذا فى الأصل وابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٦٣٩) . وفى ابن سعد : « مسلمة بن الأكوع » . (الطبقات ، ج ٣ ، ص ٦٥) .

سريّة أميرها عبد الله بن رَواحة إلى أُسير بن زارم في شوّال سنة ستّ

قال الواقديّ : حدّثنى موسى بن يعقوب ، عن أبي الأسود ، قال : سمعت عُروة بن الزُّبير قال : غزا عبد الله بن رَواحة خَيْبَر مرّتين ؛ بعثه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم البعثة الأُولى إلى خَيْبر فى رمضان فى ثلاثة نفر ينظر إلى خَيْبَر . وحالِ أهلها وما يُريدون وما يتكلّمون به ، فأقبل حتّى أتى ناحية خَيْبَر فجعل يدخل الحوائط ، وفرّق أصحابه فى النَّطاة ، والشَّقّ ، والكَتيبة[١] . ووَعَوا ما سمعوا من أُسَير وغيره . ثم خرجوا بعد إقامة ثلاثة أيّام ، فرجع إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لليالٍ بقين من رمضان ، فخبّر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بكلّ ما رأى وسمع ، ثم خرج إلى أُسَير فى شوال .

فحدّثنى ابن أبي حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن أبي سُفيان ، عن ابن عبّاس ، قال : كان أُسَير رجلاً شجاعاً ، فلمّا قُتل أبو رافع أمّرت اليهود أُسيرَ بن زارم ، فقام فى اليهود فقال : إنه واللهِ ما سار محمّد إلى أحدٍ من اليهود إلّا بعث أحدًا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ، ولكنّى أصنع ما لا يصنع أصحابى . فقالوا : وما عسيتَ أن تصنع ما لم يصنع أصحابك ؟ قال : أسيرُ فى غَطَفان فأجمعهم . فسار فى غَطَفان فجمعها ، ثم قال : يا معشر اليهود ، نسير إلى محمّدٍ فى عُقْر دارِه ، فإنه لم يُغْزَ أحدٌ فى داره إلّا أدرك منه عدوّه بعضَ ما يُريد . قالوا : نِعمَ ما رأيتَ . فبلغ ذلك النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم . قال : وقدم عليه خارجة بن حُسَيل الأشْجعيّ ، فاستخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما وراءه فقال : تركت

---

(١) النطاة والشق والكتيبة من آطام خيبر . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٠، ٣٦٤ ، ٣٨٣) .

أُسير بن زارم يَسيرُ إليك فى كتائب اليهود . قال ابن عبّاس رضى الله عنه : فندب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الناسَ ، فانتدب له ثلاثون رجلاً . قال عبد الله بن أُنَيس : فكنت فيهم ، فاستعمل علينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عبد الله بن رَواحة . قال : فخرجنا حتّى قدمنا خَيْبر فأَرسلنا إلى أُسَير : إنّا آمِنون حتّى نأْتيك فنعرض عليك ما جئنا له ؟ فقال : نعم ، ولى مثل ذلك منكم؟ قلنا : نعم . فدخلنا عليه فقلنا : إنَّ رسول الله بعثَنا إليك أَن تخرج إليه فيستعملك على خَيْبَر ويُحسِن إليك . فطمع فى ذلك ، وشاور اليهود فخالفوه فى الخروج وقالوا : ما كان محمّدٌ يستعمل رجلاً من بنى إسرائيل . فقال : بلى ، قد مَللنا الحربَ . قال : فخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كلّ رجلٍ رديفٌ من المسلمين . قال : فسرنا حتّى إذا كنا بِقَرْقَرَة ثِبار [1] ندم أُسَير حتّى عرفنا الندامة فيه . قال عبد الله ابن أُنَيس : وأَهوى بيده إلى سيفى ففطنت له . قال : فدفعتُ بعيرى فقلت : غدرًا أَىْ عدوَّ اللهِ ! ثم تناومتُ فدنوت منه لأَنظرَ ما يصنع ، فتناول سيفى ، فغمزتُ بعيرى وقلت : هل مِن رجلٍ ينزل فيسوق بنا ؟ فلم ينزل أَحد ، فنزلتُ عن بعيرى فسقتُ بالقوم حتّى انفرد أُسَير ، فضربتُه بالسيف فقطعتُ مؤخرة الرِّجل وأَندرتُ [2] عامّةَ فَخِذه وساقِه ، وسقط عن بعيره وفى يده مِخْرَش من [3] شَوْحَط ، فضربنى فشجنى مأْمومةً [4] ، ومِلنا على

---

(١) فى مغازى موسى بن عقبة : « قرقرة تيار » . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٦١) .
وثبار : موضع على ستة أميال من خيبر . (وفاء الوفا ، ح ٢ ، ص ٢٧٣) .

(٢) أندره : أسقطه ، و يقال ضرب يده بالسيف فأندرها . (الصحاح . ص ٨٣٥) .

(٣) فى الأصل : « مخرش من سوط » ؛ وما أثبتناه من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٧)
والمخرش : عصا معوجة الرأس . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٨٨) . والشوحط : ضرب من شجر الجبال . (الصحاح ، ص ١١٣٦) .

(٤) يقال : شجة مأمومة ، أى بلغت أم الرأس . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٧٦) .

أَصحابه فقتلناهم كلَّهم غيرَ رجلٍ واحدٍ أَعجزَنا شَدًّا ، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ ، ثم أَقبلنا إِلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . قال : فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُحدِّث أَصحابه إذ قال لهم : تَمشَّوا بنا إلى الثَّنيّة نتحسَّب من أَصحابنا خبرًا . فخرجوا معه ، فلمّا أَشرفوا على الثَّنيّة فإِذا هم بسَرَعان أَصحابنا . قال : فجلس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى أَصحابه . قال : وانتهينا إليه فحدّثناه الحديثَ ، فقال : نجّاكم اللهُ من القوم الظالمين !

قال عبد الله بن أُنَيس : فدنوتُ إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فنفث فى شجّتى . فلم تَقِحْ بعد ذلك اليوم ولم تُؤْذنى ، وقد كان العظم فُلَّ ؛ ومسح على وجهى ودعا لى . وقطع قطعةً من عصاه فقال : أَمسكْ هذا معك علامةً بينى وبينك يومَ القيامة أعرفك بها ، فإنك تأْتى يومَ القيامة مُتخصِّرًا[(١)] . فلمّا دُفِن جُعِلت معه تَلِى جسده دون ثيابه .

فحدّثنى خارجة بن الحارث ، عن عَطيّة بن عبد الله بن أُنَيس ، عن أَبيه ، قال : كنت أُصلح قوسى . قال : فجئتُ فوجدتُ أَصحابى قد وجّهوا إلى أُسَير بن زارم . قال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : لا أَرى أُسَيرَ ابن زارم ! أَى اقتلْه .

سريّةٌ أميرها كُرْزُ بن جابر

لمّا أُغير على لِقاح النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بذى الجَدْر فى شوّال سنة ستٍّ ، وهى على ثمانية أميالٍ من المدينة[(٢)] .

---

(١) أى يأخذ بيده مخصرة ، وهى العصا . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٩٦) .

(٢) قال ابن سعد : الجدر ناحية قباء قريباً من عير على ستة أميال من المدينة . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٧) .

حدّثنا خارجة بن عبد الله ، عن يزيد بن رومان ، قال : قدم نفرٌ من عُرينة ثمانيةٌ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأسلموا ، فاستوبأوا [1] المدينة فأمر بهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى لِقاحه ، وكان سَرْح المسلمين بذى الجَدْر ، فكانوا بها حتى صحّوا وسمنوا . وكانوا استأذنوه يشربون من ألبانها وأبوالها ، فأذن لهم فغدوا على اللِّقاح فاستاقوها [2] ، فيُدرِكهم مولى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعه نَفَرٌ فقاتلهم ، فأخذوه فقطعوا يده ورجله ، وغرزوا الشَّوْك فى لِسانه وعينيه حتى مات . وانطلقوا بالسَّرْح ، فأقبلت امرأة من بنى عمرو بن عوف على حمارٍ لها حتى تمرّ بيَسار تحت شجرة ، فلمّا رأته وما به — وقد مات — رجعت إلى قومها وخبّرتهم الخبر . فخرجوا نحو يَسار حتى جاءوا به إلى قُباء ميتاً . فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كُرز بن جابر الفِهْرىّ ، فخرجوا فى طلبهم حتى أدركهم الليل ، فباتوا بالحرّة وأصبحوا فاغتدوا لا يدرون أين يسلكون ، فإذا هم بامرأة تحمل كَتِفَ بعير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا معك ؟ قالت : مررتُ بقومٍ قد نحروا بعيرًا فأعطونى . قالوا : أين هم ؟ قالت : هم بتلك القِفار من الحرّة ، إذا وافيتم عليها رأيتم دخانهم. فساروا حتى أتوهم حين فرغوا من طعامهم ، فأحاطوا بهم فسألوهم أن يستأسروا ، فاستأسروا بأجمعهم لم يُفلت منهم إنسانٌ ، فربطوهم ، وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، فوجدوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بالغابَة ، فخرجوا نحوه .

قال خارجة : فحدّثنى يزيد بن رومان قال : حدّثنى أَنَس بن مالك

(١) استوبأوا المدينة : أى وجدوها وبئة . (الصحاح ، ص ٧٩) .

(٢) وقد كفروا بعد إسلامهم .

قال : فخرجتُ أَسعَى فى آثارهم مع الغلمان حتى لقى بهم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالزَّغابَة بمَجمع السُّيول ، فأَمر بهم فقُطِعت أَيديهم وأَرجلهم ، وسُمِلت أَعينُهم وصُلِبوا هناك . قال أَنَس : إنى لواقفٌ أَنظرُ إليهم .

قال الواقدىّ : فحدّثنى إسحاق ، عن صالح مولى التَّوْءَمَه ، عن أَبى هُريرة ، قال : لما قطع النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَيدى أَصحاب اللِّقاح وأَرجلَهم وسَمَل أَعينَهم نزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسُولَهُ وَيَسْعونَ فى الأَرْضِ فَسادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِن خِلافٍ . . . ﴾ [١] الآية . قال : فلم تُسْمَل بعد ذلك عَيْن .

قال : فحدّثنى أَبو جعفر ، عن أَبيه ، عن جدّه ، قال : ما بعث النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعد ذلك بعثاً إلاّ نَهاهم عن المُثْلة .

وحدّثنى ابن بلال ، عن جعفر بن محمّد ، عن أَبيه ، عن جدّه ، قال : لم يقطع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لساناً قَطُّ ، ولم يسمُل عيناً ، ولم يزد على قطع اليد والرِّجْل .

وحدّثنى ابن أَبى حَبيبة ، عن عبد الرحمن بن عبد الرحمن ، قال : أَمير السَّريّة ابنُ زيد الأَشْهَلىّ .

حدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن مَروان بن أَبى سَعيد بن المُعَلَّى ، قال : لمّا ظفروا باللِّقاح خَلَّفوا عليها سَلَمَة بن الأَكْوَع ، ومعه أَبو رُهْم الغِفارىّ ، وكانت اللِّقاح خمسَ عشرةَ لِقْحةً غِزارًا . فلمّا أَقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة من الزَّغابَة وجلس فى المسجد ، إذا اللقاح على باب المسجد ، فخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فنظر إليها فتفقّد منها لِقْحَةً

---

(١) سورة ٥ المائدة ٣٣ .

له يُقال لها الحِناءُ[1] فقال : أى سَلَمَةُ ، أين الحِناءُ ؟ قال : نحرَها القومُ ولم ينحروا غيرها . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : انظر مكاناً ترعاها فيه . قال : ما كان أمثل من حيث كانت بذى الجَدْر . قال : فردّها إلى ذى الجَدْر . فكانت هناك ، وكان لبنُها يُراحُ به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كلَّ ليلةٍ وَطْبٌ من لبن .

قال ابن أبى سَبْرَة : فحدّثنى إسحاق بن عبد الله ، عن بعض ولد سَلَمَة بن الأَكْوَع ، أنه أخبره أنّ سَلَمَة بن الأَكْوَع أخبره بعِدّةِ العشرين فارساً فقال : أنا ، وأبو رُهم الغِفارىّ ، وأبو ذَرٍّ ، وبُرَيدة بن الخُصَيب ، ورافع بن مَكِيث ، وجُنْدُب بن مَكِيث ، وبِلال بن الحارث المُزَنىّ ، وعبد الله بن عمرو بن عَوف المُزَنىّ ، وجُعال بن سُراقة ، وصفوان بن مُعَطِّل ، وأبو رَوعة مَعبَد بن خالد الجُهَنىّ ، وعبد الله بن بَدر ، وسُوَيد بن صَخر ، وأبو ضُبَيس الجُهَنىّ .

غزوة الحُدَيبية[2]

قال : حدّثنا رَبيعة بن عُمَير بن عبد الله بن الهَرَم ، وقُدامةِ بن موسى ، وعبد الله بن يزيد الهُذَلىّ ، ومحمّد بن عبد الله بن أبى سَبْرَة ، وموسى بن محمّد ، وأُسامة بن زيد اللَّيثى ، وأبو مَعْشَر ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، ويونس بن محمّد ، ويعقوب بن محمّد بن

(١) فى الأصل : « الحيا » ؛ وما أثبتناه من الزرقانى ، يروى عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢١١) . ومن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٨) .

(٢) على هامش الأصل : « هى قرية صغيرة سميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجر وهى شجر سمر » . والحديبية على تسعة أميال من مكة . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢١٦) .

أَبى صَعْصَعَة ، ومُجَمِّع بن يعقوب ، وسَعيد بن أَبى زيد الزُّرَقىّ ، وعابد ابن يحيى ، ومحمّد بن صالح عن عاصم بن عمر ، ومحمّد بن يحيى ابن سَهل بن أَبى حَثْمَة ، ويحيى بن عبد الله بن أَبى قَتادة ، ومعاذ بن محمّد ، وعبد الله بن جعفر ، وحِزام بن هِشام عن أَبيه ؛ فكلٌّ قد حدّثنى من هذا الحديث بطائفة ، وبعضهم أَوعَى لهذا الحديث من بعض ، وغير هؤلاء المُسمَّين قد حدّثنى ، أَهل الثقة ، وكتبتُ كلّ ما حدّثونى ، قالوا : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد رأَى فى النوم أنه دخل البيت ، وحلّق رأسه ، وأَخذ مفتاح البيت ، وعرّف مع المُعرِّفين[١] ، فاستنفر أَصحابَه إلى العُمرة ، فأَسرعوا وتهيّئوا للخروج . وقدم عليه بُسْر بن سُفيان الكَعبىّ فى ليالٍ بقيت من شوّال سنة ستٍّ ، فقدم مسلِّماً على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زائرًا له ، وهو على الرجوع إلى أَهله ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا بُسْر ، لا تَبْرَح حتى تخرج معنا فإنّا إن شاءَ الله مُعتمرون . فأَقام بُسْر وأَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُسْربن سُفيان[٢] يبتاعُ له بُدْناً ، فكان بُسْر يبتاع البُدْن ويبعث بها إلى ذى الجَدْر حتى حضر خروجه ، فأَمر بها فجُلبت إلى المدينة ، ثم أَمر بها ناجية بن جُنْدُب الأَسْلَمىّ[٣] أن يُقدّمها إلى ذى الحُلَيفة ، واستعمل على هدْيِه ناجيةَ بن جُنْدُب . وخرج أَصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم معه ، لا يشكّون فى الفتح ، للرؤيا التى رأَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فخرجوا بغير سلاحٍ إلّا السيوف فى القُرُب ، وساق قومٌ من أَصحابه الهَدْى ، أَهل قوّة ـ أَبوبكر

---

(١) أى وقف على عرفة .

(٢) هكذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل : « الأشهلى » . وما أثبتناه من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) ومن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٥٢٢) .

وعبد الرحمن بن عَوف ، وعُثمان بن عفّان ، وطَلحة بن عُبيد الله رضى الله عنهم – ساقوا هَدْياً حتى وقف بذى الحُلَيفة ، وساق سعد بن عُبادة بُدْنًا . فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : أتخشَى يا رسول الله علينا من أبي سُفيان بن حَرب وأصحابه ، ولم نأْخذ للحرب عُدّتها ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما أدرى ، ولستُ أُحبّ أحمل السلاح مُعتمرًا . وقال سعد بن عُبادة : يا رسول الله ، لو حملنا السلاح معنا ، فإن رأينا من القوم رَيْباً كنّا مُعِدّين لهم ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لستُ أحمل السلاح ، إنما خرجتُ مُعتمِرًا . واستخلف على المدينة ابن أُم مَكتوم

وخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة يوم الاثنين لهلال ذى القعْدة ، فاغْتسل فى بيته ولبس ثَوْبيْن من نَسْج صُحَار[1] ، وركب راحلته القَصواءَ من عند بابه ، وخرج المسلمون ، فصلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الظهر بذى الحُلَيفة ، ثم دعا بالبُدْن فُجللَت[2] ، ثم أشعر[3] بنفسه منها عِدّة ، وهنّ مُوَجّهاتٌ إلى القِبلة ، فى الشقّ الأيمن . ويقال دعا ببَدَنَة واحدة فأشعرَها فى الجانب الأيمن ، ثم أمر ناجية بن جُنْدُب بإشعار ما بقى ، وقلّدها نَعْلاً نَعْلاً ، وهى سبعون بَدَنة فيها جمل أبي جَهل كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم غنِمه ببَدر ، وكان يكون فى لِقاحه بذى الجَدْر . وأشعر المسلمون بُدْنَهم ، وقلَّدوا النِّعال فى رِقاب البُدْن ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم بُسْر بن سُفيان من ذى الحُلَيفة فأرسله عَيْناً له ، وقال : إنَّ قُرَيشاً قد بلغها أنى أُريد العُمرة ، فخبِّر لى خبرهم ، ثم القَنى بما يكون منهم .

(١) صحار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥٣) .
(٢) تجليل الفرس : أن تلبسه الجل ؛ أى الغطاء . (الصحاح ، ص ١٦٦١) .
(٣) أشعر : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعاراً بأنه هدى . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢١٨) .

فتقدّم بُسْر أمامه ، ودعا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عبّاد بن بِشر فقدّمه أمامه طليعةً فى خيل المسلمين عشرين فارساً ، وكان فيها رجالٌ من المهاجرين والأنصار — المِقداد بن عمرو وكان فارساً ، وكان أَبو عَيّاش الزُّرَقِيّ فارساً ، وكان الحُباب بن المُنْذِر فارساً ، وكان عامر بن رَبيعة فارساً ، وكان سَعيد ابن زيد فارساً ، وكان أَبو قَتادة فارساً ، وكان محمّد بن مَسْلَمَة فارساً ، فى عدةٍ منهم . ويقال أَميرهم سعد بن زيد الأَشْهَلِيّ . ثم دخل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المسجد فصلَّى ركعتَيْن ، ثم خرج ودعا براحلته فركبها من باب المسجد ، فلما انبعثت به مُستقبلةً القبلة أَحرم ولبّى بأَربع كلمات : لبّيك اللّهمّ لبّيك ! لبّيك لا شريكَ لك ، لبّيك ! إنَّ الحمْد والنِّعْمَة لك ، والمُلْكَ ، لا شريكَ لك ! وأَحرم عامّةُ المسلمين بإحرامه ، ومنهم من لم يُحرم إلّا من الجُحْفَة . وسلك طريق البَيداءِ[1] ، وخرج معه المسلمون ستّ عشرة مائة ، ويقال أَلف وأَربعمائة ، ويقال أَلف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً ؛ خرج معه مِن أَسلم مائة رجلٍ ، ويقال سبعون رجلاً ؛ وخرج معه أَربع نسوة : أُمّ سَلَمَة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأُمّ عُمارة ، وأُمّ مَنيع ، وأُمّ عامر الأَشْهَلِيّة ، فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يمرّ بالأَعراب فيما بين مكَّة والمدينة فيستنفرهم ، فيتشاغلون[2] له بأَموالهم وأَبنائهم وذَرارِيِّهم — وهم بنو بَكر ، ومُزَينة ، وجُهَينة — فيقولون فيما بينهم : أَيُريد محمّد يغزو بنا إلى قوم مُعدِّين مُؤَيَّدين فى الكُراع والسلاح ؟ وإنما محمّد وأَصحابُه أَكَلَةُ جَزور ! لن يرجع محمّدٌ وأَصحابه مِن سفرهم هذا أَبدًا!

---

(١) البيداء : هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب . (وفاء الوفا ، ح ٢ ، ص ٢٦٧) .

(٢) فى الأصل : « فيتشاغلوا » .

قومٌ لا سِلاحَ معهم ولا عَدَد ، وإنما يَقْدَم على قومٍ حديثٍ عهدُهم بمن أُصِيب منهم ببدر !

وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُقدّم الخيل ، ثم يُقدّم ناجية بن جُنْدُب مع الهَدْى ، وكان معه فتيانٌ مِن أَسْلَم ، وقدّم المسلمون هَدْيهم مع صاحب هَدْى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ناجية بن جُنْدُب مع الهَدْى . وخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين أَصبح يوم الثلاثاء بمَلَل ، فراح من مَلَلٍ وتعشَّى بالسَّيَّالة ، ثم أَصبح بالرَّوْحاء ، فلقى بها أَصْراماً[1] من بنى نَهْد ، معهم نَعَمٌ وشاءٌ ، فدعاهم إلى الإِسلام فلم يستجيبوا له وانقطعوا من الإِسلام ، فأَرسلوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بلبنٍ مع رجل منهم . فأَبَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يقبل منهم وقال : لا أَقبل هديّة مُشرك . فأَمرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُبتاع منهم فابتاعوه من الأَعراب فسُرَّ القوم ؛ وجاءوا بثلاثة أَضُبٍّ أَحياءٍ يعرضونها ، فاشتراها قوم أَحِلَّة من العسكر ، فأَكلوا وعرضوا على المُحرمين فأَبَوا حتى سأَلوا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك فقال : كُلوا فكلُّ صيدٍ ليس لكم حَلالاً فى الإِحرام تأْكلونه ، إلَّا ما صِدتم أَو صِيد لكم . قالوا : يا رسول الله ، فوالله ما صِدنا ولا صادَدْنه إلَّا هؤلاءِ الأَعراب ، أَهدوا لنا وما يدرون أَن يلقونا ، إنما هم قوم سَيّارة يُصبحون اليومَ بأَرض وهم الغَدُ بأَرضٍ أُخرى يتبعون الغَيث ، وهم يُريدون سحابةً وقعت من الخريف بفَرْش[2] مَلَل . فدعَا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم برجلٍ منهم فسأَله : أَين تُريدون ؟ فقال : يا محمّد ، ذُكرت لنا سحابةٌ وقعت بفَرْش مَلَل منذ شهر ، فأَرسلنا رجلاً منَّا يرتاد

---

(١) أصرام : جمع صرمة ، وهى الجماعة . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ١٣٩) .

(٢) الفرش : الموضع يكثر فيه النبات . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٨٢) .

البلاد ، فرجع إلينا فخبّرنا أنّ الشاة قد شَبِعت وأنّ البعير يمشى ثقيلاً مما جمع من الحوض ، وأنّ الغُدُرَ كثيرةٌ مُرْوِيةٌ ، فأَرَدْنا أن نلحق به .

فحدّثنى عبد العزيز بن محمّد ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن المطّلب ابن عبد الله بن حَنْطَب ، عن أبى قَتادة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى عمرة الحُدَيبية ومنّا المُحِلّ والمُحْرِم ، حتى إذا كنّا بالأَبْواء ، وأنا مُحِلٌّ ، رأيتُ حمارًا وحشيًّا ، فأسرجت فرسى فركبت فقلت لبعضهم : ناوِلْنى سوطى ! فأبى أن يُناولنى فقلت : ناولنى رُمْحى ! فأبى ، فنزلتُ فأخذت سوطى ورمحى ثم ركبت فرسى ، فحملت على الحمار فقتلته ، فجئت به أصحابى المُحرِمين والمُحِلِّين ، فشَكَّ المُحرِمون فى أكْلِه ، حتى أدركنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد كان تَقدّمنا بقليل ، فأدركناه فسألناه عنه فقال : أمعكم منه شىءٌ ؟ قال : فأعطيتُه الذراع فأكلها حتى أتى على آخرها وهو مُحرِم . فقيل لأبى قَتادة : وما خَلَّفكم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال : طبخنا الحمار فلما نضِج لحقناه وأدركناه .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزُّهرىّ ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس ، عن الصَّعْب بن جَثّامة ، أنه حدّثه أنه جاءَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بالأَبْواءِ يومئذ بحمارٍ وحشىٍّ ، فأهْداه له فردّه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال الصَّعْب : فلما رآنى وما بوجهى من كراهية ردِّ هَدِيَّتى ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّا لم نردّه إلّا أنّا حُرُم . قال : فسألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ ، فقلت : يا رسول الله ، إنّا نُصبّح العدوّ والغارة فى غَلَس الصُّبح فنُصيب الوِلدان تحت بُطون الخيل ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هم مع الآباء .

وقال : سمعتُه يومئذٍ يقول : «لا حِمًى إلّا لِلّهِ ولرسولِهِ» . ويُقال إنّ الحمار يومئذٍ كان حَيًّا .

وحدّثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن جدّه ، عن أَبى رُهم الغِفارىّ ، قال : لمّا نزلوا الأَبْواءَ أَهدَى إيماءُ بن رَحْضَة جُزُرًا ومائةَ شاة ، وبعث بها مع ابنه خُفاف بن إيْماء وبعيرَيْن يحملان لبناً ، فانتهى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : إنّ أَبى أَرسلنى بهذه الجُزُر واللبن إليك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : متى حللتم ها هنا ؟ قال : قريباً ، كان ماءٌ عندنا قد أَجدب فسُقنا ماشيتنا إلى ماءٍ ها هنا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فكيف البلاد ها هنا ؟ قال : يتَغذّى بعيرها ، وأَما الشاة فلا تُذْكَر . فقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هديّته ، وأَمر بالغنم ففُرِّق فى أَصحابه ، وشربوا اللبن عُسًّا عُسًّا[1] حتى ذهب اللبن ، وقال : بارك اللهُ فيكم !

فحدّثنى أَبو جعفر الغِفارىّ ، عن أُسَيد بن أَبى أُسيد ، قال : أُهْدِى يومئذٍ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم من وَدّان ثلاثة أَشياء ؛ معيشاً[2] ، وعِتْرًا[3] ، وضَغابيس[4] ؛ وجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأْكل من الضَّغابيس والعِتْر وأَعجبه ، وأَمر به فأُدخل على أُمّ سَلَمَة زوجته ، وجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُعجبه هذه الهدية ويُرِى صاحبَها أَنها طريفة .

و حدّثنى سَيف بن سُلَيمان ، عن مُجاهد ، عن عبد الرحمن بن أَبى ليلى ،

---

(١) العس : القدح الكبير . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٩٥) .
(٢) المعيش : الطعام وما يعاش به والخبز . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) .
(٣) العتر : نبت ينبت متفرقاً فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٥) .
(٤) الضغابيس : صغار القثاء ، واحدها ضغبوس . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٢٥) .

عن كعب بن عُجْرَة ، قال : لمّا كنا بالأَبْواء وقف علىَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأَنا أَنفخ تحتَ قِدْرٍ لى ورأْسى يتهافت قَمْلاً وأَنا مُحرم ، فقال : هل يُؤْذيك هَوامُّك يا كعب ؟ قلتُ : نعم يا رسول الله . قال : فاحلِق رأسَك . قال : ونزلت فيه هذه الآية : ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَو صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[1]. فأَمرنى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَن أَذبح شاةً ، أَو أَصوم ثلاثةَ أَيَّام ، أَو أُطعم ستَّة مساكين ، كل مسكينٍ مُدَّين «أَىَّ ذلك فعلتَ أَجزأَك» . ويقال إنَّ كعب بن عُجْرَة أَهدى بقرةً قلَّدها وأَشعرها . وقال ناجية بن جُنْدُب : عَطِب لى بعيرٌ من الهَدْى حين نظرتُ إلى الأَبْواء ، فجئتُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالأَبواءِ فأَخبرتُه فقال : انحَرْها واصبُغْ قلائدها فى دَمِها ، ولا تأْكل أَنت ولا أَحدٌ من أَهل رُفْقتك منها شيئاً ، وخَلِّ بين الناس وبينها . فلمّا نزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الجُحْفَة لم يجد بها ماءً ، فبعث رجلاً فى الرَّوايا إلى الخَرّار ، فخرج الرجل غير بعيدٍ فرجع بالرَّوايا فقال : يا رسول الله ، ما أَستطيع أَن أَمضى قَدَماً رُعْباً ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اجلِسْ ! وبعث رجلاً آخر فخرج بالرَّوايا ، حتى إذا كان بالمكان الذى أَصاب الأَوَّلَ الرعبُ فرجع ، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما لك ؟ فقال : لا والذى بعثك بالحقّ ، ما أَستطيع أَن أَمضى رُعباً ! قال : اجلِسْ ! ثم بعث رجلاً آخر ، فلما جاوز المكان الذى رجع منه الرجلان قليلاً وجد مثل ذلك الرُّعب فرجع ، فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رجلاً مِن أَصحابه فأَرسله بالرَّوايا وخرج السُّقَّاءُ معه ، وهم لا يشكُّون فى الرجوع لِما رأَوا من رجوع النفر ، فوردوا الخَرّار فاستقوا ثم أَقبلوا بالماء ؛ ثم أَمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

(١) سورة ٢ البقرة ١٩٦ .

بشجرةٍ فقُمٍّ(١) ما تحتَها ، فخطب الناس فقال : أيُّها الناس ، إنى كائنٌ لكم فَرَطاً (٢) ، وقد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تَضِلُّوا ؛ كتاب الله وسُنَّته بأيديكم ! ويقال : قد تركتُ فيكم كتاب الله وسُنَّةَ نبيِّه .

ولما بلغ المشركين خروجُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى مكَّة راعَهم ذلك ، واجتمعوا له وشاوروا فيه ذوى رأيهم فقالوا : يُريد أن يدخل علينا فى جُنوده مُعتمِرًا ، فتسمع به العربُ ، وقد دخل علينا عَنْوَةً وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ! واللهِ ، لا كان هذا أبدًا ومنَّا عينٌ تَطرِف ، فارتأُوا رأيكم ! فأجمعوا أمرَهم ، وجعلوه إلى نفرٍ من ذوى رأيِهم — صَفوان بن أُميَّة ، وسَهْل بن عمرو ، وعِكْرِمَة بن أبى جهل — فقال صَفوان : ما كنَّا لنقطعَ أمرًا حتى نُشاوركم ؛ نَرَى أن نُقدِّم مائتى فارسٍ إلى كُراع الغَميم ونستعمل عليها رجلًا جَلْدًا . فقالت قُرَيش : نِعْمَ ما رأيتَ ! فَقدَّموا على خيلهم عِكْرِمَة ابن أبى جهل — ويقال خالد بن الوليد — واستنفرت قُرَيشٌ مَن أطاعها مِن الأحابيش ، وأجلبت ثَقيفٌ معهم ؛ وقدّموا خالد بن الوليد فى الخيل ، ووضعوا العيون على الجبال حتى انتهوا إلى جبلٍ يقال له وَزَر(٣) وَزَع ، كانت عيونُهم عشرةَ رجالٍ قام [عليهم] الحَكَم بن عبد مَناف ، يُوحى بعضُهم إلى بعضٍ الصوتَ الخفىّ : فعل محمّدٌ كذا وكذا ! حتى ينتهى ذلك إلى قُرَيشٍ ببلْدَح . وخرجت قُرَيشٌ إلى بَلْدَحَ فضربوا بها القِبابَ والأبنية ، وخرجوا بالنساءِ والصِّبيان فعسكروا هناك ، ودخل بُسْر بن سفيان مكَّة فسمع من كلامهم ورَأى منهم ما رأى ، ثم رجع إلى رسول الله صلَّى

---

(١) قم : كنس . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٧٨) .
(٢) فرطا : أى أجرا . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٩٤) .
(٣) هكذا فى الأصل . والوزر : الجبل المنيع . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٥٤) .

الله عليه وسلَّم فلقيه بغدير ذات الأَشطاط مِن وراءِ عُسْفان ، فلما رآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : يا بُسْر ، ما وراءَك ؟ قال : يا رسول الله ، تركتُ قومَك ، كعب بن لُؤى ، وعامر بن لُؤَىّ ، قد سمعوا بمسيرك ففزعوا وهابوا أَن تدخل عليهم عَنْوةً ، وقد استنفروا لك الأَحابيش ومَن أَطاعهم ، معهم العُوذُ المَطافِيل[1] ، قد لبسوا لك جِلْدَ النُّمور ليصدّوك عن المسجد الحرام ، وقد خرجوا إلى بَلْدَحَ وضربوا بها الأَبنية ، وتَركتُ عمادهم يُطعمون الجُزُر أَحابيشهم ومن ضَوَى إليهم فى دُورهم ، وقدّموا الخيل عليها خالد بن الوليد ، مائتى فرس ، وهذه خيلهم بالغَميم ، وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأَرصاد . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للناس : هذا خالد بن الوليد على خيل المشركين بالغَميم . ثم قام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى المسلمين فأَثنى على الله بما هو أَهله ، ثم قال : أَما بعد ، فكيف ترون يا معشر المسلمين فى هولاءِ الذين استنفروا إلىّ مَن أَطاعهم لِيَصدُّونا عن المسجد الحرام ؟ أَترون أَن نمضى لِوَجْهنا إلى البيت فمَن صَدّنا عنه قاتلناه ، أَم ترون أَن نُخَلِّف هؤلاءِ الذين استُنفِروا لنا إلى أَهليهم فنُصيبَهم ؟ فإن اتَّبعونا اتَّبعَنا منهم عُنُقٌ يقطعها الله ، وإن قعدوا قعدوا محزونين موتورين ! فقام أَبو بكر رضى الله عنه فقال : اللهُ ورسولُه أَعلم ! نَرَى يا رسول الله أَن نمضى لِوَجْهنا فمن صَدَّنا عن البيت قاتلناه . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : فإنَّ خيل قُرَيش فيها خالد بن الوليد بالغَميم . فقال أَبو هُرَيرة : فلم أَرَ أَحدًا كان أَكثرَ مشاورةً لأَصحابه مِن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكانت مشاورته أَصحابَه فى الحرب فَقَط . قال : فقام المِقْداد بن عمرو

---

(١) العوذ من الإبل : جمع عائذ ، وهى التى ولدت . والمطافيل : جمع مطفل ، وهى التى لها طفل . فاستعاره ها هنا للنساء والصبيان . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٩) .

فقال : يا رسول الله ، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (١) ولكن : اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا معكم مُقاتِلون . واللهِ يا رسول الله ، لو سِرْتَ إلى بِرْك الغِماد (٢) لَسِرْنا معك ما بقِى منا رجل . وتكلّم أُسَيد بن حُضَير فقال : يا رسول الله ، نَرى أن نَصمِد لِما خرجنا له ، فمن صَدّنا قاتلناه . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنّا لم نَخرج لِقتال أَحد ، إنما خرجنا عُمَّارًا . ولقيه بُدَيل بن وَرْقاء فى نفرٍ من أَصحابه فقال : يا محمّد ، لقد اغتررتَ بقتال قومك جَلابيبِ(٣) العرب ، واللهِ ما أَرى معك أَحدًا له وجه ، مع أنى أَراكم قوماً لا سِلاحَ معكم ! قال أَبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : عضِضتَ بَظْرَ اللّات ! قال بُدَيل : أَما واللهِ لولا يَدٌ لك عندى لأَجبتُك ، فواللهِ ما أَتَّهِمُ أنا ولا قومى أَلاَّ أَكونَ أُحِبُّ أَن يظهر محمّد ! إنى رأيتُ قُرَيشاً مُقاتلتك عن ذَرارِيّها وأَموالها ، قد خرجوا إلى بَلْدَح فضربوا الأَبنية ، معهم العُوذُ المَطافيل ، ورادفوا(٤) على الطَّعام ، يُطعمون الجُزُر مَنجاءهم ، يتقوَّون بهم على حربكم ، فَرَ رأيكَ !

حدّثنى سعيد بن مُسلم بن قَمادين ، عن عُثْمان بن أَبى سُلَيمان ، قال : كانت قُرَيشٌ قد توافدوا وجمعوا الأَموال يُطعمون بها مَن ضَوَى إليهم من الأَحابيش ، فكان يُطعَم فى أَربعة أَمكنة : فى دار النَّدْوَة لجماعتهم ،

---

(١) سورة ٥ المائدة ٢٤ .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤٩) .

(٣) فى الأصل : « جلا بت » . والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار والرداء . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٧٠) . والجلابيب : لقب كان المشركون فى مكة يلقبون به أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٣) .

(٤) أى يتبع بعضهم بعضاً . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٤٤) .

وكان صَفوان بن أُمَيّة يُطعم فى داره ، وكان سُهَيل بن عمرو يُطعم فى داره ، وكان عِكْرِمَة بن أَبى جَهل يُطعم فى داره ، وكان حُوَيطب بن عبد العُزّى يُطعم فى داره .

حدّثنى ابن أَبى حبيبة ، عن داود بن الحُصَين قال : ودَنَا خالدُ بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى أَصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فصفّ خيلَه فيما بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين القِبْلة ، وهى فى مائتى فرس ، وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَبّاد بن بِشر فتقدّم فى خَيْله فقام بإزائه فصَفّ أَصحابه .

قال داود : فحدّثنى عِكْرِمَة ، عن ابن عبّاس رضى الله عنه ، قال : فحانت صلاة الظُّهر فأَذّن بلال وأَقام ، فاستقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم القِبلة وصَفّ الناس خَلْفَه يركع بهم ويسجد ، ثم سلّم فقاموا على ما كانوا عليه من التّعبية . فقال خالد بن الوليد : قد كانوا على غِرّة ، لو كنّا حملنا عليهم لأَصبنا منهم . ولكن تأْتى الساعةَ صلاةٌ هى أَحبّ إليهم من أَنفسهم وأَبنائهم ! قال : فنزل جبريل عليه السلام بين الظُّهر والعصر بهذه الآية : ﴿وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ ..﴾[1] الآية . قال : فحانت العصر فأَذّن بلال ، وأَقام فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مُواجِهاً القِبلة ، والعدو أَمامَه ، وكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وكبّر الصَّفّان جميعاً . ثم ركع وركع الصَّفّان جميعاً ، ثم سَجَد فسجد الصّفُّ الذى يليه وقام الآخرون يحرسونه . فلمّا قَضَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم السجود بالصّفّ الأَوّل وقاموا معه سَجَد الصّفّ المُؤَخّر السجدتَيْن ، ثم استأْخر الصّفّ الذى يلونه ، وتَقدّم الصّفّ المُؤَخّر ، فكانوا يلون رسول

(١) سورة ٤ النساء ١٠٢ .

الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقاموا جميعاً ؛ ثم ركع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فركع الصَّفَّانِ جميعاً ، ثم سجد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسجد الصَّفّ الذى يلونه ، وقام الصَّفُّ المُؤخَّر يحرسونه مُقبِلين على العدوّ ، فلما رفع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رأسَه مِن السجدتَيْن سجد الصَّفُّ المُؤخَّر السجدتَيْن اللتَيْن بَقِيتا عليهم ، واستوى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جالساً فتشهّد ، ثم سَلَّم عليهم . فكان ابن عبّاس رضى الله عنه يقول : هذه أَوّلُ صلاةٍ صلاَّها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الخوف .

حدّثنى سُفيان بن سَعيد ، عن مَنصور ، عن مُجاهد ، عن ابن عَيّاش الزُّرَقىّ ، أنه كان مع النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ ، فذكر أَنَّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى هكذا . وذكر أبو عَيّاش أنه أَوّل ما صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلاةَ الخوف .

حدثنى ربيعة بن عُثمان ، عن وَهب بن كَيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَوّل صلاة الخوف فى غزوة ذات الرِّقاع ، ثم صلَّاها بعدُ بعُسْفان ، بينهما أربع سنين ؛ وهذا أَثبتُ عندنا .

قالوا : فلمّا أَمسَى قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : تَيامنوا فى هذا العَصَل[١] ، فإِنَّ عيون قُرَيش بمَرّ الظَّهْران أو بضَجْنان ، فأَيُّكم يعرف ثنيَّةَ ذات الحَنْظَل[٢] ؟ فقال بُرَيدة بن الحُصيب الأَسلمىّ : أنا يا رسول الله عالِمٌ بها . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اسلكْ أمامنا . فأَخذ به بُريدة فى العَصَل قِبَل جبال سراوِع قبل المغرب ، فسار قليلًا تُنَكِّبه الحجارةُ

---

(١) فى الأصل : « هذا العضل » ؛ والتصحيح من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ص ٦٩) . والعصل : الاعوجاج ، والمعنى هنا الرمل المعوج الملتوى . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٢) .

(٢) عند البكرى : « ذات الحناظل » بصيغة الجمع ، وهو موضع فى دبار بنى أسد . (معجم ما استعجم ، ص ٢٨٨) .

وتُعلِّقه الشَّجَر ، وحار حتى كأنه لم يعرفها قَطُّ . قال : فواللهِ إنْ كنتُ لأَسلُكها فى الجمعة مِرارًا . فلما رآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لا يتوجّه قال : اركبْ ! فركبتُ فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : مَن رجل يدلُّنا على طريق ذات الحَنْظَل ؟ فنزل حمزة بن عمرو الأَسلميّ فقال : أنا يا رسول الله أَدلُّك . فسار قليلاً ثم سقط فى خَمَر [١] الشجر ، فلا يدرى أين يتوجه ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اركبْ . ثم قال : منَ رجل يدلُّنا على طريق ذات الحَنْظَل ؟ فنزل عمرو بن عبد نُهْم [٢] الأَسْلَميّ فقال : أنا يا رسول الله أَدلُّك . فقال : انطلقْ أَمامَنا . فانطلق عمرو أَمامهَم حتى نظر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الثَّنيّة فقال : هذه ثنيّة ذات الحَنْظَل ؟ فقال عمرو : نعم يا رسول الله . فلمّا وقف على رأسها تحدّر به . قال عمرو : واللهِ إنْ كان لَيَهمُّنى نَفْسِى وحدِى ، إنما كانت مثل الشِّراك [٣] ، فاتسعتْ لى حتى برزتُ وكانت محجّة لاحِبة [٤] . ولقد كان النفر يسيرون تلك الليلةَ جميعاً مُعطِفين مِن سَعَتها يتحدّثون ، وأضاءت تلك الليلة حتى كأنّا فى قمر ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : فَوالذى نفسى بيده ، ما مِثْلُ هذه الثَّنيّةِ الليلةَ إلّا مثلُ الباب الذى قال الله لبنى إسرائيل : ﴿وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [٥] .

حدّثنى ابن أَبى حبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن الأَعرج ، عن أَبى

---

(١) فى الأصل : « جمر الشجر » ؛ وما أثبتناه أقرب الاحتمالات . والخمر : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٢٠) .

(٢) فى الأصل : « عبد يهم » . وما أثبتناه من ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١١٩٢) .

(٣) الشراك : سير النعل . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٠٨) .

(٤) اللاحب : الطريق الواسع . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٥٠) .

(٥) سورة ٢ البقرة ٥٨ .

هُرَيرة قال ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الكلمة التى عُرِضَتْ على بنى إسرائيل : «لا إله إلَّا الله وادخلوا الباب سُجَّدًا» . قال : باب بيت المقدس ، فدخلوا مِن قِبَل أستاههم ، وقالوا : «جَبّة فى شعيرةٍ» .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العَزيز ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، قال ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الكلمة التى عُرِضت على بنى إسرائيل أن يقولوا : «نستغفر الله ونتوب إليه» . فكلا هذَيْن الحديثَيْن قد رُوِى .

قالوا : ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا يجوز هذه الثَّنيّةَ أحدٌ إلَّا غفر الله له . قال أبو سَعيد الخُدْرىّ : وكان أخى لأُمّى قَتادة بن النُّعمان فى آخر الناس ، قال : فوقفتُ على الثَّنيّة فجعلت أقول للناس : إنَّ رسول الله قال : «لا يجوز هذه الثنية أحدٌ إلَّا غُفر له» . فجعل الناسُ يُسرعون حتى جاز أخى فى آخر الناس ، وفَرِقْتُ أن يُصبح قبل أن نجوز . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين نزل : مَن كان معه ثَقَلٌ فلْيصطنعْ . قال أبو سَعيد : وإنما معه صلَّى الله عليه وسلَّم ثَقَل – الثَّقَل : الدَّقيق – وإنما كان عامّةُ زادِنا التمر . فقلنا : يا رسول الله ، إنَّا نَخافُ مِن قُرَيش أن ترانا . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنهم لن يروكم ، إنَّ الله سيُعينكم عليهم . فأوقدوا النيران ، واصطنع مَن أراد أن يصطنع . فلقد أوقدوا أكثرَ من خمسمائة نار . فلمّا أصبحنا صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الصبح ، ثم قال : والذى نفسى بيده ، لقد غفر اللهُ لِلرَّكْب أجمعين إلَّا رُوَيكباً واحدًا على جملٍ أحمر ، التفت عليه رجال القوم ليس منهم . فطُلِبَ فى العسكر وهو يُظَنُّ أنه مِن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فإذا به ناحيةً إلى ذَرَى سَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل من بنى ضَمرة من

أهل سِيف البحر ، فقيل لسعيد: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال كذا وكذا . قال سَعيد : وَيْحك ! اذهبْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستغفرْ لك ! قال : بعيرى واللهِ أهمُّ إلى مِن أن يَستغْفِر لى ــ وإذا هو قد أضلّ بعيرًا له يتبع العسكر يتوصّل بهم ويطلب بعيرَه ــ وإنه لفى عسكركم ، فأدُّوا إلىّ بعيرى . فقال سعيد : تَحوَّلْ عنى لا حَيَّاك الله ! ألا لا أرى قُرْبى إلاّ داهيةً وما أشعر به ! فانطلق الأعرابىُّ يطلب بعيرَه بعد أن استبرأ العسكر ، فبينا هو فى جبال سُراوِع إذ زلقت نعله فتردّى فمات . فما عُلِم به حتى أكلتْه السِّباع .

وحدّثنى هِشام بن سعد ، عن زيد بن أَسْلَمَ ، عن عَطاء بن يَسار ، عن أبى سَعيد الخُدْرىّ ، قال ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنه سيأْتى قومٌ تَحقِرون أعمالكم مع أعمالهم . فقيل : يا رسول الله ، قُرَيش ؟ قال : لا ، ولكن أهل اليمن ، فإنهم أرقُّ أفئِدةً وألينُ قُلُوباً . قلنا : يا رسول الله ، هم خيرٌ منّا ؟ فقال بيدِه هكذا ــ ويصف هِشام فى الصفة كأنه يقول سَواء ــ ألاَ إنَّ فَضْلَ ما بيننا وبين الناس ﴿لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ﴾ (١)

حدّثنى ابن أبى ذِئْب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمّد بن جُبَير بن مُطعِم ، عن أبيه ، أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يومئذ : أتاكم أهلُ اليمن كأنّهم قِطَعُ السَّحاب ، هم خيرُ مَن على الأرض . قال رجلٌ من الأنصار : ولا نحن يا رسول الله ؟ فسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً ، ثم الرابعة قال قولًا ضعيفاً : إلاَّ أنتم .

حدّثنى مَعْمر وعبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزُّهرىّ ، عن عُروة ،

(١) سورة ٥٧ الحديد ١٠ .

عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة قال : وسار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمّا دَنا من الحُدَيبية وقعت يد راحلته على ثَنيَّة تُهْبِطه على غائط القوم ، فبركت راحلتُه فقال المسلمون : حَلْ ! حَلْ ! فأَبت أن تنبعث فقالوا : خَلأَت[١] القَصْواءُ ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنها ما خَلأَت ، ولا هو لها بِعادة ، ولكن حبسها حابسُ الفيل . أما واللهِ لا يسأَلونى اليومَ خُطَّةً فى تعظيم حُرمةِ الله إلَّا أعطيتُهم إيّاها . ثم زجرناها فقامت ، فولَّى راجعاً عَوْدَه على بدْئِه حتى نزل بالناس على ثَمَدٍ[٢] من ثِماد الحُدَيبية ظَنُون[٣] قليل الماء ، يتَبرَّض ماؤه تَبرُّضاً[٤] ، فاشتكى الناسُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قِلَّة الماءِ ، فانتزع سهماً من كِنانته فأَمر به فغُرِز فى الثَّمَد ، فجاشت لهم بالرَّواءِ حتى صَدَروا عنه[٥] بعَطَن . قال : وإنهم لَيغْرفون بآنيتهم جُلوساً على شفير البئر . والذى نزل بالسهم ناجية بن الأَعْجم مِن أَسْلَم . وقد رُوِى أَنَّ جاريةً من الأَنصار قالت لناجية بن جُنْدُب وهو فى القَليب :

يا أَيُّها الماتِحُ دلْوِى دونَكـــا　　　إنِّى رأَيتُ الناس يَحْمَدونكا

يُثْنونَ خيرًا ويُمجدونكا

فقال ناجية وهو فى القَليب :

---

(١) خلأت : أى بركت ، والخلاء فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤٠) .

(٢) الثمد : الماء القليل الذى لا مادة له . (الصحاح ، ص ٤٤٨) .

(٣) الظنون : البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا ، ويقال القليلة الماء . (الصحاح ، ص ٢١٦٠) .

(٤) برض الماء من العين إذا خرج وهو قليل . (الصحاح ، ص ١٠٦٦) .

(٥) أى تركوا الماء . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١١٨) . والعطن : مبرك الإبل حول الماء . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٧) .

قد علمتْ جـارِيةٌ يَمَانِيَهْ أَنِّى أَنا الماتِحُ واسمِى ناجِيَهْ
وَطعْنَةٍ مِنِّى رَشَاشٍ وَاهِيَـهْ طعنتُها تحتَ صُدُورِ العَالِيَهْ

أنشدنيها رجلٌ من ولد ناجية بن الأعجم يُقال له عبد الملك بن وَهب الأسلميّ . فحدّثنى موسى بن عُبَيد ، عن إياس بن سَلَمَة بن الأَكْوَع ، عن أبيه ، قال : الذى نزل بالسهم ناجية بن جُنْدُب .

وحدّثنى الهَيْثَم بن واقد ، عن عَطاءِ بن أَبى مَروان ، عن أبيه ، قال : حدّثنى رجلٌ مِن أسلم من أصحاب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَنَّ ناجية بن الأعجم — وكان ناجيةُ بن الأعجم يُحدّث — يقول : دعانى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين شُكِى إليه قِلّةُ الماءِ ، فأَخرج سهماً من كنانته ودفعه إلىّ ودعانى بِدَلْوٍ من ماءِ البئر ، فجئته به فتوضَّأَ ، فقال : مضمض فاه ، ثم مج فى الدلو ، والناسُ فى حَرٍّ شديدٍ وإنما هى بئر واحدة ، وقد سبق المشركون إلى بَلْدَحَ فغلبوا على مِياهه ، فقال : انزلْ بالماءِ فصُبَّه فى البئر وأَثِّرْ[1] ماءها بالسَّهْم . ففعلتُ ، فوالذى بعثه بالحقّ ما كنتُ أَخرجُ حتى كاد يغمرنى ، وفارتْ كما تفور القِدْر حتى طَمَّتْ ، واستوت بشفيرها يغترفونَ ماءَ جانبها حتى نَهِلوا مِن آخرهم . قال : وعلى الماءِ يومئذ نَفَرٌ من المنافقين ؛ الجَدّ بن قيس ، وأَوس ، وعبد الله بن أُبَىّ ، وهم جُلوسٌ ينظرون إلى الماءِ ، والبئر تجيش بالرَّواءِ وهم جُلوسٌ على شفيرها . فقال أَوس بن خَولِىّ : ويحك يا أبا الحُباب ! أما آن لك أن تُبْصِرَ ما أنت عليه ؟ أَبعْدَ هذا شىءٌ ؟ وردْنا بئرًا يتبرّض ماؤها — يتبرّض : يخرج فى القَعْب جرْعة ماءٍ — فتوضَّأَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الدَّلْو ومضمض فاه فى الدلو ،

(١) أثر فى الشىء : ترك فيه أثراً . (لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٦٠) .

ثم أَفرغ الدَّلْو فيها ونزل بالسهم فحشحشها[1] فجاشت بالرَّواء . قال : يقول ابنُ أُبىّ : قد رأَيتُ مثل هذا . فقال أوس : قَبَّحك اللهُ وَقبَّح رأيك ! فيقبل ابنُ أُبَىّ يُريد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أَى أَبا الحباب ، أَين رأَيتَ مثل ما رأَيتَ اليوم ؟ فقال : ما رأَيتُ مثلَه قَطُّ . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فلِمَ قلتَ ما قلت ؟ قال ابن أُبَىّ : أَستغفر الله ! قال ابنُه : يا رسول الله ، استغفِرْ له ! فاستغفر له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

وحدّثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عُبَيد ، عن جدّه عُبيد بن أَبى عُبيد ، قال : سمعتُ خالد بن عَبّاد الغِفارىّ يقول : أَنا نزلت بالسهم يومئذٍ فى البِئر .

حَدّثنى سُفيان بن سَعيد ، عن أَبى إسحاق الهمْدانىّ ، قال : سمعتُ البَراءَ بن عازِب يقول : أَنا نزلت بالسهم .

قالوا : ومُطِر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالحُدَيبية مِرارًا فكثرت المِياه.

حدّثنى سُفيان بن سَعيد ، عن خالد الحَذّاءِ ، عن أَبى المُلَيح الهُذَلىّ ، عن أَبيه ، قال : مُطِرنا بالحديبية مَطَرًا فما ابتلّت منه أَسفلُ نِعالنا ، فنادى مُنادى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنَّ الصلاة فى الرِّحال .

حدّثنى مالك بن أَنَس ، عن صالح بن كَيسان ، عن عُبَيد الله بن عُتبة ، عن زيد بن خالد الجُهَنى ، قال : صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصبح فى الحُدَيبية فى إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلمّا انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلم !

---

(١) حشحشها : حركها . (أساس البلاغة ، ص ١٥٣) .

قال : «أصبح من عِبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ[١] . فأما من قال مُطِرت بفضل الله ورحمتِه فذلك مُؤمن بى كافرٌ بالكواكب ؛ وأمّا من قال مُطِرنا بنَوءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بى مُؤْمنٌ بالكواكب .

حدثنى ابن أَبِى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أَبِى سَلَمَة الحَضرمىّ ، قال : سمعت أبا قَتادة يقول ، سمعتُ ابنَ أُبَىٍّ يقول - ونحن بالحُديبية ومُطِرْنا بها - فقال ابن أُبَى : هذا نَوءُ الخَريف ، مُطِرنا بالشِّعْرَى !

وحدّثنى محمّد بن الحِجازىّ ، عن أُسَيد بن أَبِى أُسَيد ، عن أَبِى قتادة ، قال : لما نزلنا على الحُدَيبية ، والماءُ قليل ، سمعتُ الجَدّ بن قيس يقول : ما كان خُروجُنا إلى هؤلاءِ القوم بشيءٍ ! نموت من العطش عن آخرنا ! فقلت : لا تَقُلْ هذا يا أَبا عبد الله ، فلِمَ خرجتَ ؟ قال : خرجتُ مع قومى . قلت : فَلَمْ تخرج معتمِرًا ؟ قال : لا واللهِ ، ما أَحرمتُ . قال أَبو قَتادة : ولا نويتَ العُمْرَة ؟ قال : لا ! فلمّا دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل فنزل بالسهم ، وتوضّأَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الدَّلْو ومجّ فاه فيه ، ثم رده فى البئر ، فجاشَت البئرُ بالرَّواء . قال أَبو قَتادة : فرأَيتُ الجَدَّ مادًّا رِجْلَيْه على شفير البئر فى الماءِ ، فقلتُ : أَبا عبد الله ! أَين ما قلتَ ؟ قال : إنما كنتُ أَمزح معك ، لا تَذكُرْ لمحمّد ممّا قلتُ شيئاً . قال أَبو قَتادة : وقد كنتُ ذكرته قبل ذلك للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : فغضب الجَدُّ وقال : بقِينا مع صِبيانٍ مِن قومنا لا يَعرفون لنا شَرَفاً ولا سِنًّا ، لَبطْنُ الأَرضِ اليومَ خيرٌ من ظَهْرها ! قال أَبو قَتادة :

---

(١) فى الأصل : « أصبح من عبادى مؤمناً وكافراً بى » ؛ وما أثبتناه من مسلم . (الصحيح ، ج ١ ، ص ٨٥) .

وقد كنتُ ذكرت قولَه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ابنُه خيرٌ منه ! قال أبو قَتادة : فلقيني نَفَرٌ من قومى فجعلوا يُؤنّبوننى ويَلومونني حين رفعتُ مقالته إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلتُ لهم : بِئسَ القومُ أنتم ! ويحكم ! عن الجَدّ بن قيس تذبّون ؟ قالوا : نعم ، كبيرُنا وسيّدُنا . فقلتُ : قد واللهِ طَرَح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سُؤدَدَه عن بنى سَلِمَة ، وسوّد علينا بِشر بن البَراء بن مَعرور[١] ، وهدمنا المنامات التى كانت على باب الجَدّ وبنيناها على باب بِشر بن البَراء ، فهو سيّدنا إلى يوم القيامة . قال أبو قتادة : فلما دعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى البيعة فرّ الجَدُّ بن قيس فدخل تحت بطن البعير ، فخرجتُ أعدو وأخذتُ بيد رجلٍ كان يُكلّمنى فأخرجناه من تحت بطن البعير ، فقلتُ : وَيحك ! ما أدخلَك ها هنا ؟ أفرارًا ممّا نزل به روحُ القُدُس ؟ قال : لا ، ولكنى رُعِبْتُ وسمعتُ الهَيْعَة[٢] . قال الرجل : لا نضحتُ[٣] عنك أبدًا ، وما فيك خَيْر . فلمّا مرض الجَدُّ بن قيس ونزل به الموتُ لزم أبو قَتادة بيتَه فلم يخرج حتى مات ودُفِن ، فقيل له فى ذلك فقال : واللهِ ، ما كنتُ لأُصلّيَ عليه وقد سمعتُه يقول يوم الحُدَيبية كذا وكذا ، وقال فى غزوة تَبوك كذا وكذا ، واستحييتُ من قومى يروننى خارجاً ولا أشهَده . ويقال : خرج أبو قَتادة إلى ماله بالواديَيْن فكان فيه حتى دُفِن ، ومات الجَدُّ فى خلافة عُثمان .

وقالوا : لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحُدَيبية أهدَى له عمرو

---

(١) فى الأصل : « مغرور » . والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) ، وعن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٦٧) .

(٢) الهيعة : الصوت تفزع منه وتخافه من عدو . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٦١) .

(٣) نضح عنه : ذب ودفع . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٥٣) .

ابن سالم وبُسر بن سُفيان الخُزاعيّان غَنَماً وجزورًا ، وأهدَى عمرو بن سالم لسعد بن عبادة جُزُرًا ، وكان صديقاً له ، فجاء سعد بالغنم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره أنَّ عَمرًا أهْداها له ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : وعمرو قد أهدَى لنا ما تَرَى ، فبارك اللهُ في عمرو ! ثم أمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالجُزُر ، تُنحَر وتُقسَم فى أصحابه ، وفرّق الغنم على أصحابه من آخرها . قالت أمُّ سَلَمَة زوج النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وكانت معه : فدخل علينا مِن لحم الجُزُر كنحوٍ ممّا دخل على رجل من القوم ، وشركنا فى شاةٍ فدخل علينا بعضُها . وكان الذى جاءنا بالهديّة غلامٌ منهم ، فأجلسَه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين يديه ، والغلام فى بُرْدَةٍ له بَلِيَّة[1] ، فقال : يا غلام ، أين تركتَ أهلك ؟ قال : تركتُهم قريباً بضَجْنانَ وما وَالاهُ . فقال : كيف تركتَ البلاد ؟ فقال الغلام : تركتُها وقد تيسّرت ، قد أمشر عِضاهُها[2] ، وأعْذَقَ إذخِرُها[3] ، وأسْلَبَ ثُمامُها[4] ، وأبْقَل حَمْضُها[5] ، وانبلَّت الأرضُ فتشبّعت شاتُها إلى الليل ، وشَبع بعيرُها إلى الليل ممّا جَمَع من خوصٍ وضَمْدِ الأرض[6] وبَقْل ، وتركتُ مِياهَهم كثيرةً تُشرِع فيها الماشيةُ ، وحاجة الماشية إلى الماء قليلٌ لرطوبة الأرض. فأعجب رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابَه لِسانُه ، فأمرَ له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بكسوةٍ فكُسِيَ الغلامُ ، وقال الغلام : إنى أُريد أن أمسَّ

---

(١) كلمة غامضة فى الأصل : ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

(٢) فى الأصل : «قد أمسن عضاهها» . وأمشر : خرج ورقه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٩٥) .

(٣) الإذخر : الحشيش الأخضر ، وحشيش طيب الريح . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٤) .

(٤) أسلب ثمامها : أى أخرج خوصها . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

(٥) أى نبت وظهر من الأرض . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٩) .

(٦) ضمد الأرض : رطبها . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٥) .

يدك أطلبُ بذلك البركة . فقال رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ادْنُ ! فدنا فأخذ يدَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقبّلها ، ومسح رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على رأسه وقال : بارك الله فيك ! فكان قد بلغ سِنًّا ، وكان له فضلٌ وحالٌ فى قومه حتى تُوفّى زمنَ الوليد بن عبد الملك .

قالوا : فلمّا اطمأنَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالحُدَيبية جاءه بُدَيل ابن وَرْقاء وَرَكْبٌ من خُزاعة ، وهم عَيْبَةُ نُصْحِ(١) رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بتِهامة ، منهم المسلم ومنهم المُوادِع ، لا يُخْفُون عليه بتِهامة شيئاً ، فأناخوا رَواحِلَهم عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم جاءُوا فسلَّموا عليه ، فقال بُدَيل : جئناك من عند قومك ، كعب بن لُؤَىّ وعامر بن لُؤَىّ ، قد استنفروا لك الأحابيشَ ومن أطاعهم ، معهم العُوذُ المَطافيلُ ، - النساءُ والصِّبْيان - يُقسِمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَبيدَ خَضْراؤُهم(٢) . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّا لم نأتِ لقتال أحد ، إنَّما جئنا لنَطوف بهذا البيت ، فمَن صَدَّنا عنه قاتلناه ؛ وقُرَيْش قومٌ قد أضرّتْ بهم الحرب ونَهِكَتْهم ، فإن شاءُوا ماددتُهم مُدَّةً يأْمنون فيها ، ويُخَلُّون فيما بيننا وبين الناس ، والناسُ أكثرُ منهم ، فإن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو يُقاتلوا وقد جمعوا ! واللهِ لأُجهَدنَّ على أمرى هذا حتى تنفردَ سالِفَتى(٣) أو يُنفِذَ اللهُ أمرَه !

---

(١) أى موضع الأمانة على سره . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢٢٤) .

(٢) فى الأصل : « حفراهم » ؛ والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٧٠) . وخضراؤهم : أى جماعتهم . (الفائق ، ص ١٧٥) .

(٣) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت لأنها لاتنفرد عما يليها إلا بالموت ، وقيل أراد حتى يفرق بين رأسى وجسدى . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٧٥) .

فوعَى بُدَيلٌ مقالتَه وركب ، ثم ركبوا إلى قُرَيش ، وكان فى الرَّكْب عمرو ابن سالم ، فجعل يقول : واللهِ لا تُنصرون على مَن يعرض هذا أبدًا ، حتى هبطوا على كُفَّار قُرَيش . فقال ناسٌ منهم : هذا بُدَيل وأصحابُه ، إنما جاءُوا يُريدون أن يستخبروكم ، فلا تسألوهم عن حرفٍ واحدٍ ! فلمّا رأى بُدَيل وأصحابُه أنَّهم لا يستخبرونهم قال بُدَيل : إنَّا جئنا من عند محمّد ، أتُحِبُّون أن نُخبركم ؟ قال عِكْرِمَة بن أبى جَهل والحَكَم بن العاص : لا واللهِ ، ما لنا حاجةٌ بأن تُخبرنا عنه ! ولكن أخبِروه عنَّا أنه لا يدخلها علينا عامَه هذا أبدًا حتى لا يبقى منَّا رجلٌ . فقال عُروة بن مَسعود : واللهِ ما رأيتُ كاليوم رأياً أعجبَ ! وما تكرهون أن تسمعوا مِن بُدَيل وأصحابه ؟ فإن أعجبكم أمرٌ قبلتموه ، وإن كرهتم شيئاً تركتموه ؛ لا يُفلح قومٌ فعلوا هذا أبدًا ! وقال رجالٌ مِن ذوى رأيهم وأشرافهم ، صَفوانُ ابن أُمَيّة والحارثُ بن هِشام : أخبِرونا بالذى رأيتم والذى سمعتم . فأخبروهم بمقالة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم التى قال ، وما عرض على قُرَيشٍ من المُدَّة ، فقال عُرْوة : يا معشر قُرَيش تتهموننى ؟ ألستم الوالدَ وأنا الولد ؟ وقد استنفرتُ أهلَ عُكاظ لِنَصْركم ، فلما بَلَّحوا[1] علىّ نفرتُ إليكم بنفسى وولدى ومَن أطاعنى ! فقالوا : قد فعلتَ ! فقال : وإنى ناصحٌ لكم شفيقٌ عليكم ، لا أدخرُ عنكم نُصحاً ، وإنَّ بُدَيلاً قد جاءكم بخُطَّةِ رُشْدٍ لا يَردُّها أحد أبدًا إلَّا أخذَ شرًّا منها ، فاقبلوها منه وابعثونى حتى آتيكُم بمِصْداقها مِن عنده ، وأنظر إلى من معه وأكون لكم عَيْناً آتيكم بخبره . فبعثَتْهُ قُرَيشٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقبل عُروة بن مَسعود حتى أناخ راحلته

---

(١) فى الأصل : « تلحوا » ؛ وما أثبتناه من الزرقانى . وبلحوا : أى امتنعوا من الإجابة . (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم أقبل حتى جاءه ، ثم قال : يا محمّد ، إنى تركتُ قومَك ، كَعبَ بن لُؤَىّ وعامر بن لُؤَىّ على أعداد[١] مياه الحُدَيبية معهم العوذُ المطافيل ، قد استنفروا لك أحابيشَهم ومَن أطاعهم ، وهم يُقسمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَجتاحهم . وإنما أنت مِن قتالهم بين أحدِ أمرين ، أن تجتاح قومك ، ولم نسمع برجلٍ اجتاح أصلَه قبْلَك ؛ أو بين أن يَخذُلك مَن نَرى معك ، فإنى لا أَرَى معك إلَّا أوباشاً[٢] من الناس ، لا أعرفُ وجوهَهم ولا أنسابَهم . فغضب أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه وقال : امْصَصْ بَظْرَ اللَّات ! أنحن نخذله ؟ فقال عُروة : أما واللهِ لولا يَدٌ لك عندى لم أَجْزِك بها بعدُ لأجبتُك ! وكان عُروة بن مَسعود قد استعان فى حَمْل دِيَةٍ ، فأعانه الرجل بالفريضتَيْن والثلاث وأعانَه أبو بكر بعَشْرِ فرائض ، فكانت هذه يد أبى بكر عند عُروة بن مَسْعود . فَطفِقَ عُروةُ وهو يُكلِّم رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يمسُّ لِحْيتَه - والمُغيرةُ قائمٌ على رأس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالسيف، على وجهه المِغْفر - فَطَفِق المغيرةُ كلَّما مسّ لِحيةَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قَرَع يدَه ويقول : اكفُفْ يدَك عن مسّ لحيةِ رسول الله قبل ألَّا تصلَ إليك ! فلمّا أكثر عليه غضب عروةُ فقال : ليت شِعْرِي مَن أنتِ يا محمد مِن هذا الذى أَرَى مِن بين أصحابِك ؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هذا ابنُ أخيك المغيرةُ بن شُعبة . قال : وأنت بذلك يا غُدَر ؟ واللهِ ما غسلتُ عنك عَذِرتَك إلَّا بعُلابِط.[١] أمس ! لقد أورثتنا العداوةَ مِن ثَقيف

(١) الأعداد : جمع العد بالكسر ، وهو الماء الذى له مادة لا تنقطع ، كماء العين والبئر . (الصحاح ، ص ٥٠٣) .

(٢) الأوباش من الناس : الأخلاط مثل الأوشاب ، ويقال: هو جمع مقلوب من البوش . (الصحاح ، ص ١٠٢٤) .

إلى آخر الدهر ! يا محمّد ، أتدرى كيف صنع هذا ؟ إنه خرج فى رَكْبٍ من قومه ، فلما كانوا بيننا وناموا فَطَرقهم فتَمَتَلَهم وأخذ حرائبهم وفَرّ منهم . وكان المُغيرة خرج مع نفرٍ من بنى مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِىّ – والمُغيرة أحدَ الأحلام[1] – ومع المُغيرة حليفان له يقال لأحدهما دَمُّون – رجل من كِندة – والآخر الشَّريد ، وإنما كان اسمه عمرو ، فلمّا صنع المُغيرةُ بأَصحابه ما صنع شَرّده فسُمّى الشَّريد . وخرجوا إلى المُقَوقَس صاحب الإسكندرية ، فجاءَ بنى مالك وآثرَهم على المُغيرة فأَقبلوا راجعين ، حتى إذا كانوا ببَيْسان[2] شربوا خمرًا ، فكفّ المغيرة عن بعض الشراب وأمسك نفسه ، وشربتْ بنو مالك حتى سكروا ، فوثب عليهم المُغيرة فقتلهم ، وكانوا ثلاثةَ عشرَ رجلاً . فلمّا قتلهم ونظر إليهم دَمُّون تَغيَّب عنهم ، وظنّ أنَّ المُغيرة إنما حمَله على قَتْلهم السُّكْرُ ، فجعل المُغيرةُ يطلب دمُّونَ ويصيح به فلم يأْتِ ، ويُقلِّب القتلى فلا يراه فبكى ، فلما رأى ذلك دَمُّون خرج إليه فقال المغيرة : ما غَيّبك ؟ قال : خشيتُ أَن تقتلنى كما قتلت القوم . قال المُغيرة : إنما قتلتُ بنى مالك بما صنع بهم المقَوقَس . قال : وأَخذ المُغيرةُ أَمتعتَهم وأَموالَهم ولحق بالنبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال النبى صلَّى الله عليه وسلَّم : لا أُخمّسُه ، هذا غَدْر ! وذلك حين أُخبر النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم خبرَهم . وأسلم المغيرةُ ، وأَقبل الشَّريدُ فقدم مكّة فأَخبر أَبا سُفيان ابن حَرب بما صنع المُغيرةُ ببنى مالك ، فبعث أَبو سُفيان مُعاويةَ بن أَبى

= فى الأصل : « بعلاط » ؛ ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . والعلابط : القطيع من الغنم . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٧٤) . وقد حمل عروة الدية عن الثقفيين الذين قتلهم المغيرة قبل إسلامه . [انظر السطر الأخير من الصفحة السابقة ٥٩٥]

(١) الأحلام : ذوو الألباب والعقول . (النهاية ج ١ ، ص ٢٥٥) .

(٢) بيسان : موضع بين خيبر والمدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٦٨).

سُفيان إلى عُروة بن مسعود يُخبره الخبر ـ وهو المُغيرة بن شُعبة بن أَبى عامر ابن مَسعود بن مُعَتِّب ـ فقال مُعاوية : خرجتُ حتى إذا كنت بنَعْمان[١] قلتُ فى نفسى : أين أَسلكُ ؟ [إن سلكتُ] ذا غِفار فهى أَبعدُ وأَسهل ، وإن سلكتُ ذا العَلَق[٢] فهى أَغلظُ وأقرب . فسلكتُ ذا غِفار فطرقتُ عُروةَ بن مَسعود بن عمرو المالكىّ ، فواللهِ ما كلَّمتُه منذ عشر سنين والليلةَ أُكلِّمُه . قال : فخرجنا إلى مَسعود فناداه عُروةُ فقال : مَن هذا ؟ فقال : عُروة . فأَقبل مَسعودٌ إلينا وهو يقول : أَطرقتَ [عراهية] [٣] أم طرقتَ بِداهية ؟ بل طرقتَ بِداهية ! أَقَتَلَ ركبُهم رَكْبَنا أَم قتل رَكْبُنا رَكبَهم ؟ لو قَتل ركبُنا ركبَهم ما طَرَقنى عروةُ بن مَسعود ! فقال عُروة : أَصبتَ ، قَتَل[٤] رَكْبِى رَكْبَكَ يا مسعود ، انظرْ ما أَنت فاعل ! فقال مَسعود : إنى عالم بحِدة بنى مالك وسُرعتهم إلى الحرب. فهَبْنى صَمْتاً . قال : فانصرفنا عنه ، فلمّا أَصبح غدا مسعود فقال : بنى مالك ، إنه قد كان من أَمر المُغيرة بن شُعبة أنه قَتلَ إخوانَكم بنى مالك فأَطيعونى وخُذوا الدِّيَة ، اقبلُوها مِن بنى عمِّكم وقومكم . قالوا : لا يكون ذلك أَبدًا ، واللهِ لا تُقِرّك الأَحلافُ أَبدًا حين تَقبلُها . قال : أَطيعونى واقبلوا ما قلتُ لكم ، فواللهِ لكأَنى بكِنانةَ بن عبد يالِيل قد أَقبل تضرب دِرعُه رَوْحَتَى[٥] رِجْلَيه ، لا يُعانِق رجلاً إلّا

---

(١) نِعمان : واد لهذيل على ليلتين من عرفات . وقال الأصمعى : واد يسكنه بنو عمرو بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل ، بين أدناه ومكة نصف ليلة ، به جبل يقال له المدراء . (معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٣٠٠) .

(٢) ذو علق : جبل معروف فى أعلاه هضبة سوداء . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٢١٠) .

(٣) كلمة غامضة فى الأصل. وما أثبتناه من النهاية لابن الأثير (ج ٣ ، ص ٨٩) ، وعنه نقل صاحب اللسان (ج ١٩ ، ص ١٨٠) ، والزّبيدى فى تاج العروس (ج ٩ ، ص ٣٩٨) .

(٤) فى الأصل : « قتلى ركبى » .

(٥) لأنه كان أروح . والأروح : هو الذى تتدانى عقباه ويتباعد صدرا قدميه . (النهاية ج ٢ ، ص ١١٠) .

صَرَعه ؛ واللهِ لكأنى بجُنْدُب بن عمرو وقد أقبلَ كالسِّيد عاضًا على سَهْمٍ مُفَوَّقٍ بآخر . لا يسير إلى أحدٍ بسهمه إلّا وضعه حيث يُريد ! فلما غلبوه أعدَّ للقتال واصطفّوا . أقبل كِنانةُ بن عبد ياليل يضرب دِرعُه رَوْحتَى رِجْلَيه يقول : مَن مُصارِع ؟ ثم أقبلَ جُنْدُب بن عمرو عاضًا سهماً مُفَوَّقاً بآخَر . قال مسعود : يا بنى مالكٍ أطيعُونى ! قالوا : الأمرُ إليك ! قال : فبرز مَسعود بن عمرو فقال : يا عُروة بن مَسعود اخرجْ إلىّ ! فخرج إليه فلمّا التقيا بين الصَّفّين قال : عليك ثلاث عشرة دِيةً ، فإنّ المُغيرة قد قتل ثلاثةَ عشَر رجلًا فاحمِلْ بدياتهم . قال عُروة : حملتُ بها ، هى علىّ ! قال : فاصطلح الناسُ . قال الأعشى أخو بنى بكر بن وائل :

تَحمّلَ عُرْوَةُ الأحلافِ[1] لمّا ... رأى أمرًا تَضيقُ به الصُّدورُ
ثلاثَ مِئينَ عاديةً وألفــاً ... كذلكَ يَفعلُ الجَلْدُ الصَّبورُ

قال الواقدىّ : فلما فرغ عُروة بن مَسعودٍ مِن كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورد عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما قال لبُدَيل بن وَرقاء وأصحابِه وكما عرض عليهم من المدّة ، ركب عُروةُ بن مسعود حتى أتى قُرَيشاً فقال : يا قوم ، إنى قد وفدت على الملوك ، على كِسرى وهِرَقْل والنَّجاشىّ ، وإنىّ واللهِ ما رأيتُ ملِكاً قَطُّ أطوعَ فيمن هو بينَ ظَهْرانَيْه من محمدٍ فى أصحابه ؛ واللهِ ما يُشِدّون إليه النظر ، وما يرفعون عنده الصوت ، وما يكفيه إلّا أن يُشير إلى أمرٍ فيُفعل ، وما يتنخّم وما يَبصُق إلّا وقعت فى يَدَىْ رجلٍ منهم يمسح بها جِلْدَه ، وما يتوضّأُ إلّا ازدحموا عليه أيُّهم يظفر منه بشىءٍ ؛ وقد حزرتُ القوم ، واعلموا أنّكم إن أردتم السيفَ بذَلُوه لكم ؛ وقد رأيتُ قوماً ما يُبالون ما يُصنَع بهم إذا منعوا صاحِبهم ؛ واللهِ لقد رأيتُ

(١) فى الأصل : « الأخلاف » .

نُسَيَّاتٍ معه إنْ كُنَّ لَيُسلمنه أبدًا على حال ؛ فروا رأيكم . وإيَّاكم وإضجاعَ الرأْى[١] . وقد عرض عليكم خُطَّةً فمادُّوه ! يا قوم . اقبلوا ما عرض فإنّى لكم ناصح ، مع أنّى أخافُ ألَّا تُنصَروا عليه ! رجلٌ أتى هذا البيتَ مُعظِّماً له ، معه الهَدْى ينحره وينصرف ! فقالت قُرَيش : لا تكلَّمْ بهذا يا أبا يعْفور[٢] ! لوغَيْرُك تكلَّم بهذا لَلُمْناه ، ولكن نردّه عن البيت فى عامِنا هذا ويرجع إلى قابِلٍ .

قالوا : ثم جاءَ مِكْرز بن حَفص بن الأَخيف ، فلما طلع ورآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إنَّ هذا رجلٌ غادر ! فلما انتهى إلى النبى صلَّى الله عليه وسلَّم كلَّمه بنحوٍ ممّا كلَّمه أَصحابُه ، فلمّا انتهى إلى قُريشٍ أخبرهم بما رد عليه . فبعثوا الحُلَيس بن عَلْقَمَة — وهو يومئذٍ سيّدُ الأَحابيش — فلما طلع الحُلَيس قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هذا مِن قوم يعظِّمون الهَدى ويتألَّهون[٣] ، ابعثوا الهَدْى فى وجهه حتى يَرَاه . فبعثوا الهَدْى ، فلمّا نظر إلى الهَدْى يَسيل[٤] فى الوادى عليه القلائد ، قد أَكلَ أَوْبارَه[٥] يُرجِّع الحنين . واستقبله القومُ فى وجهه يُلَبُّون ، قد أَقاموا نِصْفَ شهر قد تَفِلوا[٦] وشَعِثوا ، رجع ولم يَصِلْ إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إعظاماً لما رأَى ، حتى رجَعَ إلى قُرَيشٍ فقال : إنى قد رأَيت ما لا يَحِلُّ صَدُّه ، رأَيتُ الهدْىَ فى قلائدِه قد أَكل أَوبارَه ، مَعكُوفاً عن مَحِلِّه . والرجال قد تفِلُوا وقَمِلوا أَن يطُوفوا بهذا البيت ! أَما واللهِ ما على هذا حالفناكم ، ولا عاقدناكم

---

(١) أى الوهن فى الرأى . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

(٢) فى الأصل : « أبا يعقوب » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٧ ، ص ٣٦٩) .

(٣) التأله : التعبد والتنسك . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٨٠) .

(٤) يسيل : أى يسرع . (شرح أبى ذر ، ص ٢٤١) .

(٥) أى من طول الحبس . انظر ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٧٠) .

(٦) التفل : ترك استعمال الطيب . (النهاية ، ج ١ ، ص ١١٦)

على أن تَصدُّوا عن بيت الله مَن جاءَ مُعظِّماً لِحُرْمتِه مُؤَدِّيا لِحقِّه . وساق الهَدْىَ معكُوفاً أن يبلغ محِلَّه ؛ والذى نفسى بيده لَتُخَلُّنَّ بينَه وبين ما جاءَ به . أَو لأَنفِرَنَّ بالأَحابيش نفرةَ رجلٍ واحد ! فالوا : إنما كلُّ ما رأَيتَ مكيدةٌ من محمّدٍ وأَصحابه . فاكفُفْ عنَّا حتى نأْخذَ لأَنفسنا بعضَ ما نرضى به .

وكان أَوّلَ مَن بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى قُرَيشٍ خِراش بن أُمَيّة الكعبىّ على جملٍ لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُقال له الثَّعلب . لِيُبلِّغ أشرافَهم عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما جاءَ له . ويقول : إنما جئنا مُعتمِرين . معنا الهَدْى مَعْكُوفاً . فنطوف بالبيت ونُحِلّ وننصرف . فعقروا جملَ النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، والذى ولِىَ عَقْرَه عِكْرِمَةُ بن أَبى جهل وأَراد قَتْلَه . فمنعه مَن هناك مِن قومه حتى خَلُّوا سبيل خِراش ، فرجع إلى النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يكد[1] ، فأَخبر النبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم بما لقِى فقال : يا رسول الله ابعثْ رجلاً أَمنَع منِّى ! فدَعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عمرَ بن الخطَّاب ليبعثَه إلى قُرَيشٍ ، فقال : يا رسول الله ، إنى أَخافُ قُرَيشاً على نفسى ، قد عرفت قُريشٌ عداوتى لها ، وليس بها مِن بنى عَدىٍّ مَن يَمنعُنى ، وإن أَحببتَ يا رسول الله دخلتُ عليهم . فلم يقل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم شيئاً . قال عمر : ولكن أَدلُّك يا رسول الله على رجلٍ أَعزَّ بمكَّة منِّى ، وأَكثر عشيرةً وأَمنع ، عُثمان بن عَفَّان . فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عُثمانَ رضى الله عنه فقال : اذهَبْ إلى قُرَيش فخَبِّرْهم أَنَّا لم نأْت لقتال أَحد ، وإنما جئنا زُوّارًا لهذا البيت ، مُعظِّمين لِحُرمته ، معنا الهَدْى ننحره وننصرف . فخرج عُثمان حتى أَتى بَلْدَح . فيجدُ قُرَيشاً هنالك فقالوا : أَين تُريد ؟ قال : بعثنى رسولُ الله إليكم . يدعوكم إلى الله

(١) أى ما كاد يرجع إلا بشق النفس

وإلى الإسلام ، تدخلون فى الدين كافَّةً ، فإنَّ الله مُظهرُ دينِه ومُعزٌّ نبيِّه ! وأُخرى تكافُّون ، ويَلِى هذا منه غيرُكم ، فإن ظفروا بمحمّدٍ فذلك ما أردتم ، وإن ظفر محمّدٌ كنتم بالخِيار . أَن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أَو تُقاتلوا وأنتم وافرون جامّون ؛ إنَّ الحرب قد نهكتكم وأذهبتْ بالأَماثِلِ منكم ! وأُخرى ، إنَّ رسولَ الله يُخبركم أنه لم يأْت لقتال أحد ، إنما جاءَ مُعتمِرًا ، معه الهَدْى عليه القلائد ينحره وينصرف . فجعل عُثمانُ رضى الله عنه يُكلّمهم فيأْتيهم بما لا يُريدون ، ويقولون : قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبدًا ، ولا دخلها علينا عَنْوةً ، فارجعْ إلى صاحبك فأَخبرْه أنه لا يصل إلينا . فقام إليه أَبان ابن سعيد بن العاص ، فرحَّبَ به وأَجازَه وقال : لا تَقْصِرْ عن حاجتك ! ثم نزل عن فرسٍ كان عليه فحمَلَ عُثمانَ على السَّرْج ورَدَفه وراءَه ، فدخل عُثمانُ مكَّة ، فأَتى أشرافَهم رجلاً رجلاً ، أَبا سُفيان بن حَرب ، وصَفوانَ ابن أُمَيّة وغيرَهم ، منهم مَن لقى ببَلْدَح ومنهم مَن لقى بمكّة ، فجعلوا يردّون عليه : إنَّ محمّدًا لا يدخلها علينا أبدًا ! قال عُثمانُ رضى الله عنه : ثم كنت أَدخل على قوم مؤْمنين مِن رجالٍ ونساءٍ مُستضعَفين فأَقولُ : إنَّ رسولَ اللهِ يبشّركم بالفَتْح ويقول : «أُظلّكم حتى لا يستخفى بمكّة الإيمان»[1] . فقد كنتُ أَرى الرجل منهم والمرأة تنتحب حتى أظنَّ أنه يموت فرحاً بما خبَّرتُه ، فيسأَل عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيُخفِى المسأَلة ، ويشتدّ ذلك [على] أنفسهم ، ويقولون : اقْرَأْ على رسول الله منّا السلام ؛ إنَّ الذى أَنزله بالحُدَيبية لقادرٌ أَن يُدخله بَطْنَ مكَّة ! وقال المسلمون : يا رسول الله ، وصل عُثمانُ إلى البيت فطاف ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما أَظنُّ عُثمانَ يطوفُ بالبيت ونحن محصورون . قالوا : يا رسول الله ،

---

(١) فى الأصل : « بالإيمان » .

وما يمنعه وقد وصَل إلى البيت ؟ فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ظنّى به ألّا يطوفَ حتى نَطوف ، فلمّا رجع عُثْمان رضى الله عنه إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : اشتفيتَ مِن البيت يا عبد الله ! قال عُثْمان : بِئسَ ما ظننتم بى ! لو كنتُ بها سنةً والنبيُّ مقيمٌ بالحُدَيبية ما طفتُ ، ولقد دعتنى قُريشٌ إلى أن أَطوفَ فأَبيتُ ذلك عليها . فقال المسلمون : لَرسول الله كان أَعلمَنا بالله تعالى وأَحسنَنا ظنًّا .

وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأْمر أَصحابَه بالحُدَيبية يتحارسون الليل ، وكان الرجل من أَصحابه يبيت على الحرس حتى يُصبح يُطيف بالعسكر ، فكان ثلاثةٌ من أَصحابه يتناوبون الحِراسة : أَوس بن خَوْلىّ ، وعَبّاد بن بِشر ، ومحمّد بن مَسْلَمَة . فكان محمّد بن مَسْلَمَة على فرس النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ليلةً من تلك الليالى وعُثْمان بمكّة بعدُ ، وقد كانت قُرَيشٌ بعثت ليلًا خمسين رجلاً ، عليهم مِكْرَز بن حَفص ، وأمروهم أن يُطيفوا بالنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم رجاءَ أن يُصيبوا منهم أحدًا أو يُصيبوا منهم غِرَّة ، فأَخذهم محمّد بن مَسْلَمَة وأَصحابُه ، فجاءَ بهم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكان عُثْمان بمكّة قد أَقام بها ثلاثاً يدعو قُرَيشاً ، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكّة بإِذن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أهليهم ؛ فبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ عُثْمان وأَصحابَه قد قُتِلوا ، فذلك حين دعا إلى البيعة. وبلغ قُرَيشاً حَبْسُ أَصحابهم ، فجاءَ جَمْعٌ من قُرَيشٍ إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأَصحابِه حتى تَرامَوا بالنبل والحجارة ، وأَسروا أَيضاً مِن المشركين حينئذٍ أَسْرَى ، ثم إنَّ قُريشاً بعثوا سُهَيل بن عمرو وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ومِكْرَز بن حَفص ، فأَقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ يَؤُم منازِلَ بنى مازن بن النَّجار ، وقد نزلتْ فى ناحية من

الحُديبية جميعاً . قالت أُمُّ عُمارة : والرُّسُلُ تختلف بين رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبين قُرَيش ، فمرَّ بنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوماً فى منزلنا . قالت : فظننتُ أنه يُريد حاجةً فإذا هو قد بلغه أنَّ عُثمان بن عَفَّان رضى الله عنه قد قُتل ، فجلس فى رِحالنا ثم قال : إنَّ الله أمرنى بالبيعة . قالت : فأَقبل الناسُ يُبايعونه فى رِحالنا حتى تدارك الناسُ ، فما بقى لنا مَتاعٌ إلَّا وُطِىءَ ! وزوجُها غَزيةُ بن عمرو . وقالت : فبايع رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الناسُ يومئذٍ . قالت : فكأنّى أنظرُ إلى المسلمين قد تَلبَّسوا السِّلاح ، وهو معنا قليلٌ ؛ إنما خرجنا عُمارًا ، فأَنا أنظرُ إلى غَزيّة ابن عمرو وقد توشَّح بالسيف ، فقمتُ إلى عمودٍ كنَّا نستظل به فأَخذتُه فى يدى ، ومعى سِكِّين قد شددتُه فى وسطى ، فقلت : إنْ دنا منى أحدٌ رجوتُ أن أقتله . فكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ يبايع الناس ، وعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه آخِذٌ بيده ، فبايعهم على ألَّا يَفِرُّوا . وقال قائل : بايَعهم على الموت . ويُقال : أوَّلُ الناس بايع سِنانُ بن أبى سِنان ابن مِحصن ، فقال : يا رسول الله ، أُبايعك على ما فى نفسك . فكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُبايع الناس على بيعة سِنان بن أبى سِنان ، وكان المسلمون الذين دخلوا على أهليهم عشرةً من المهاجرين ؛ كُرز بن جابر الفِهْرىّ ، وعبدُ الله بن سُهَيل بن عمرو ، وعَياش بن أبى رَبيعة ، وهِشام بن العاص بن وائِل ، وحاطب بن أبى بَلْتَعَة ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد الشّمْس ، وعبد الله بن حُذافة ، وأبو الرُّوم بن عُمَير ، وعُمَير بن وهب الجُمحىّ ، وعبد الله بن أبى أُمَية بن وَهب حليف سُهَيل فى بنى أسد بن عبد العُزَّى .

فلما جاءَ سُهَيل بن عمرو قال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : سهُلَ أمرُهم !

قال : من قاتَلَك لم يكن مِن رأْى ذَوِى رأينا ولا ذوى الأَحلام منَّا ؛ بل كنَّا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به ، وكان مِن سفهائنا ! فابعث إلينا بأَصحابنا الذين أَسرتَ أَوّلَ مرة والذين أَسرتَ آخرَ مرّة ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنِّى غيرُ مُرسِلهم حتى تُرسل أَصحابى . قال سُهَيل : أَنصفتَنا ! فبعث سُهَيلُ بن عمرو وحُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى ومكرَزُ بن حَفص إلى قُرَيشٍ الشُّتَيْمَ بن عبد مَناف التَّيمىّ : إنكم حبستم رجالاً مِن أَصحاب محمدٍ بينكم وبينهم أَرحام ، لم تقتلوهم وقد كنَّا لذلك كارهين ! وقد أَبى محمّد أَن يُرسل مَن أَسر مِن أَصحابكم حتى تُرسلوا أَصحابَه ، وقد أَنصفَنا ، وقد عرفتم أَنَّ محمّدا يُطلق لكم أَصحابَكم . فبعثوا إليه بمَن كان عندهم ، وكانوا أَحدَ عشرَ رجلاً ، وأَرسل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَصحابَهم الذين أُسِروا أَولَ مرَّة وآخر مرَّة ، فكان فيمن أُسِر أَوّل مرَّة عمرو بن أَبى سُفيان . وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُبايع الناس يومئذ تحتَ شجرةٍ خضراءَ ، وقد كان ممّا صنع اللهُ للمسلمين أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَمر مناديه فنادى : إنَّ رُوحَ القُدُسِ قد نزل على الرسول وأَمر بالبيعة ، فاخْرُجوا على اسم الله فبايِعُوا . قال ابن عمر : فخرجتُ مع أَبى وهو يُنادى للبيعة ، فلمّا فرغ من النداء أَرسلنى أَبى إلى النبى صلَّى الله عليه وسلَّم أُخبِرُه أَنِّى قد أَذّنتُ الناس . قال عبد الله : فأَرجعُ فأَجدُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُبايع الناس ، فبايعتُه الثانيةَ . قال عبدُ الله لعمر أَن يرجعَ إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأَذن له فرجع ؛ وكان يُمسكُ بيد النبى صلَّى الله عليه وسلَّم وهو يُبايع . فلمّا نظرتْ قُرَيْش — سُهَيل بن عمرو ، وحُوَيْطِب ابن عبد العُزَّى ومن كان معه ، وعيون قُرَيش — إلى ما رأَت من سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ، اشتدَّ رعبُهم وخوفهُم وأَسرعوا إلى القضيّة .

فلما رجع عُثمانُ رضى الله عنه أَتَى به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الشجرة فبايعه ؛ وقد كان قبل ذلك حين بايع الناس قال : إنَّ عُثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله ، فأَنا أُبايع له ! فضرب بيمينه على شِماله .

قال الواقدىّ : حدّثنى جابر بن سُلَيم ، عن صفوان بن عُثمان ، قال : فكانت قُرَيش قد أَرسلت إلى عبد الله بن أُبَىّ : إن أَحببتَ أَن تدخل فتطوف بالبيت فافعلْ . وابنُه جالس عنده فقال له ابنُه : يا أَبتِ ، أُذكِّرك الله أَن تَفْضَحنا فى كلّ موطن ؛ تَطوف بالبيت ولم يَطُفْ رسولُ الله ؟ فأَبَى ابنُ أُبَىّ وقال : لا أَطوفُ حتى يطوف رسول الله . فبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كلامُه ذلك فسُر به . ورجع حُوَيْطِب بن عبد العُزّى وسُهَيل بن عمرو ومِكْرَز بن حَفص إلى قُرَيش ، فأَخبروهم بما رأَوا مِنْ سرعة أَصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى البيعة ، وما جعلوا له ، فقال أَهلُ الرأى منهم : ليس خيرٌ مِن أَن نُصالح محمّدًا على أَن ينصرف عنّا عامَه هذا ويرجعَ قابل ، فيقيم ثلاثاً وينحر هَدْيَه وينصرف ، ويُقيم ببلدنا ولا يدخل علينا . فأَجمعوا [على] ذلك ، فلمّا أَجمعتْ قُرَيشٌ على الصُّلْح والموادعة بعثوا سُهَيل بن عمرو ومعه حُوَيْطِب بن عبد العُزّى ومِكْرَز بن حَفص وقالوا : ائتِ محمّدًا فصالِحْه ، ولْيكنْ فى صُلْحك لا يدخل فى عامِه هذا ، فواللهِ لا يتحدّثُ العربُ أَنّك دخلتَ علينا عَنْوَةً . فأَتى سُهَيل للنبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلما رآه النبى صلَّى الله عليه وسلَّم حين طلع قال : أَراد القومُ الصُّلْح . فكلَّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأَطال الكلام ، وتراجعوا ، وترافعت الأَصوات وانخفضت .

فحدّثنى يعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الحارث ابن عبد الله بن كعب ، قال : سمعتُ أُمَّ عُمارة تقول : إنى لأَنظرُ إلى

رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم جالساً يومئذٍ مُتربِّعاً ، وإنَّ عبّادَ بن بِشر وسَلَمة بن أسلم بن حَريش مُقنَّعان بالحديد ، قائمان[١] على رأس النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، إذ رَفَع سُهَيل بن عمرو صوتَه قالا : اخفِضْ من صوتك عند رسول الله ! وسُهَيل بارِكٌ على رُكبتَيْه ، رافعٌ صوتَه كأنى أنظُر إلى عَلَمِ[٢] فى شفته وإلى أنيابه ، وإنَّ المسلمين لَحَوْلَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جُلوس .

قالوا : فلما اصطلحوا فلم يبق إلَّا الكتاب ، وثب عمر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله ، ألسنا بالمُسلمين ؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : بَلَى ! قال : فعَلام نُعطِى الدَّنيّة فى دِيننا ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أنا عبدُ الله ورسولُه ، ولن أُخالف أمرَه ، ولن يُضيِّعَنى. فذهب عمر إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، ألسنا بالمسلمين ؟ فقال : بلىَ ! فقال عمر : فلِمَ نُعطى الدَّنيَّة فى دِيننا ؟ فقال أبو بكر : الزمْ غَرْزَه[٣] ! فإنى أشهدُ أنَّه رسولُ الله ، وأنَّ الحقّ ما أُمِر به ، ولن نُخالف أمر الله ولن يُضيِّعَه اللهُ ! ولَقِى عمر مِن القضية أمرًا كبيرًا ، وجعل يردّ على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الكلام ويقول : علامَ نُعطى الدَّنيَّة فى ديننا ؟ فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : أنا رسولُ الله ولن يُضيِّعَنى ! قال : فجعل يردّ على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم الكلام . قال : يقول أبو عُبَيدة بن الجرّاح : ألا تسمع يا ابن الخطَّاب رسول الله يقول ما يقول ؟ تعوّذْ بالله من الشيطان واتَّهِمْ رأْيك ! قال عمر رضى الله عنه : فجعلت أتعوّذُ بالله من الشيطان الرجيم حياءً ، فما أصابنى

(١) فى الأصل : « قائمين » .
(٢) العلم : الشق فى الشفة العليا . (الصحاح ، ص ١٩٩٠) .
(٣) أى الزم أمره . والغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤١) .

قطُّ. شيءٌ مثل ذلك اليوم ، ما زلتُ أصوم وأتصدّق مِن الذى صنعت مخافةَ كلامى الذى تكلَّمت يومئذٍ . فكان ابنُ عبّاس رضى الله عنه يقول : قال لى عمر فى خلافته ، وذكر القضيّة : ارتبتُ ارتياباً لم أَرتبْه منذُ أسلمتُ إلاَّ يومئذٍ ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبةً عن القضية لَخرجتُ . ثم جعل الله تبارك وتعالى عاقِبتَها خيرًا ورشدًا ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أعلمَ .

قال أَبو سَعيد الخُدرىّ : جلستُ عند عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه يوماً ، فذكر القضيّة فقال : لقد دخلنى يومئذٍ مِن الشكِّ ، وراجعتُ النبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ مراجعةً ما راجعتُه مثلها قَطُّ ، ولقد عَتقتُ فيما دخلنى يومئذٍ رِقاباً ، وصمتُ دهرًا ، وإنى لأَذكرُ ما صنعتُ خالياً فيكون أكبر همّى ، ثم جعل الله عاقبة القضيّة خيرًا ، فينبغى للعباد أن يَتَّهموا الرأى ؛ واللهِ لقد دخلنى يومئذٍ من الشكِّ حتى قلتُ فى نفسى : لو كنَّا مائةَ رجلٍ على مِثل رأيى ما دخلنا فيه أبدًا ! فلمّا وقَعت القضيّة أسلمَ فى الهدنة أكثرُ ممّن كان أسلم من يوم دعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى يوم الحُدَيبية ، وما كان فى الإسلام فتحٌ أعظم من الحُدَيبية . وقد كان أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يكرهون الصُّلْح ، لأَنهم خرجوا لا يشكُّون فى الفتح لِرُؤيا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه حلق رأْسَه ، وأنه دخل البيت ، فأَخذ مفتاح الكعبة ، وعرف مع المُعرِّفين ! فلمّا رأَوا الصُّلْحَ دخل النَاسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتى كادوا يهلكون . فبينا الناس على ذلك قد اصطلحوا والكتاب لم يُكتبْ ، أقبل أَبو جنْدَل بن سُهَيل ، قد أفلت يَرسفُ فى القيد مُتوشِّح السيفِ خَلا له أسفلُ مكّة ؛ فخرج مِن أسفلها حتى أتى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو يُكاتب سُهَيلاً ، فرفع سُهَيلٌ رأسَه فإذا

بابنه أَبى جَنْدَل ، فقام إليه سهيل فضرب وجهه بغُصْنٍ شوكٍ وأَخذ بلَبَّته وصاح أَبو جَنْدَل بأَعلى صوته : يا معشرَ المسلمين ، أُرَدّ إلى المشركين يفتِنونني فى ديني ؟ فزاد المسلمين ذلك شرًّا إلى ما بهم ، وجعلوا يبكون لكلام أَبى جَنْدَل . قال : يقول حُويْطِب بن عبد العُزَّى لمِكْرَز بن حَفص : ما رأَيتُ قوماً قَطُّ أَشدَّ حُبًّا لمن دخل معهم مِن أَصحاب محمّدٍ لمحمّد وبعضِهم لبعض ! أَما إنى أَقولُ لك لا تأْخذ مِن محمّدٍ نَصَفاً أَبدًا بعد هذا اليوم ، حتى يدخلها عَنْوةً ! فقال مِكْرَز : أَنا أَرى ذلك . وقال سُهَيل : هذا أَول ما قاضيتُك عليه ، رُدُّوه ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّا لم نقضِ الكتابَ بعدُ . فقال سُهَيل : واللهِ لا أُكاتبك على شىءٍ حتى تردّه إلىّ . فردّه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكلَّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سُهَيلاً أَن يتركه فأَبى سُهَيل ، فقال مِكْرَز بن حَفص وحُوَيْطِب : يا محمّد ، نحن نُجيره لك . فأَدخلاه فُسطاطاً فأَجاراه ، وكف أَبوه عنه . ثم رفع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صوته فقال : يا أَبا جَنْدَل ، اصبرْ واحتسبْ ، فإنَّ الله جاعِلٌ لك ولمَنْ معك فرجاً ومَخرَجاً ! إنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلْحاً ، وأَعطيناهم وأَعطونا على ذلك عَهْدًا ، وإنَّا لا نَغْدُر ! وعاد عمر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله ، أَلستَ برسولِ الله ؟ قال : بَلَى . قال : أَلسنا على الحقّ ؟ قال : بَلَى . قال : أَليس عدوُّنا على الباطل ؟ قال : بَلَى . قال : فلِمَ نُعطِى الدَّنية فى ديننا ؟ قال رسول الله : إنى رسولُ الله ، ولن أَعصِيَه ولن يُضيِّعنى . فانطلق عمر حتى جاءَ إلى أَبى بكر فقال له مثلَ ما قال للنبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال أَبو بكر : إنه رسول الله ولن يَعصِيه ولن يُضيِّعه ، ودَعْ عنك ما تَرَى يا عمر ! قال عمر : فوثبت إلى أَبى جَنْدَل أَمشى إلى جنبه . وسُهَيل بن عمرو يدفعه ، وعمر يقول : اصبرْ

يا أَبا جَنْدَل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دَمُ أَحدِهم دَمُ كلب ، وإنما هو رجل وأَنت رجل ومعك السيف ! فرجوتُ أَن يأْخذَ السيفَ ويضرب أَباه ، فضَنَّ الرجلُ بأَبيه . فقال عمر : يا أَبا جَنْدَل ، إنَّ الرجل يقتل أَباه فى الله ، واللهِ لو أَدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله ، فرجلٌ بِرجلٍ ! قال : وأَقبل أَبو جَنْدَل على عمر فقال : مالك لا تقتله أَنت ؟ قال عمر : نهانى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن قَتْلِه وقَتْلِ غيرِه . قال أَبو جَنْدَل : ما أَنت بأَحقَّ بطاعةِ رسول الله منِّى ! وقال عمر ورجالٌ معه مِن أَصحاب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : يا رسول الله ، أَلم تكن حدثتَنا أَنك ستدخل المسجد الحرام ، وتأْخذُ مفتاحَ الكعبة وتُعرّف مع المُعرِّفين ؟ وهَدْيُنا لم يَصِلْ إلى البيت ولا نحن ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قلتُ لكم فى سفركم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَما إنكم ستدخلونه ، وآخذُ مفتاح الكعبة ، وأَحلقُ رأسى ورءُوسَكم ببطن مكَّة ، وأُعرّف مع المُعرِّفين ! ثم أَقبل على عمر فقال : أَنسيتم يومَ أُحُد إذ تُصعِدون ولا تَلْوُون على أَحدٍ وأَنا أَدعوكم فى أُخراكم ؟ أَنسيتم يوم الأَحْزاب إذْ جاءُوكم مِن فوقكم ومن أَسفلَ منكم ، وإذ زاغت الأَبصارُ وبلغت القلوب الحناجر ؟ أَنسيتم يوم كذا ؟ وجعل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُذكِّرهم أُمورًا — أَنسيتم يوم كذا ؟ فقال المسلمون : صدق اللهُ ورسولُه يا نبىّ الله ، ما فكَّرنا فيما فكَّرتَ فيه ، لأَنت أَعلم باللهِ وبأَمرِه منّا ! فلمّا دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ القضيّة وحلق رأسَه قال : هذا الذى وعدتُكم . فلمّا كان يومُ الفتح أَخذ المفتاح فقال : ادعوا لى عمرَ بن الخطَّاب ! فقال : هذا الذى قلتُ لكم . فلمّا كان فى حَجّة الوداع بعَرَفَة فقال : أَى عمر ، هذا الذى قلتُ لكم ! قال : أَى رسولَ الله ، ما كان فَتْحٌ فى الإسلام أَعظم

مِن صُلْح الحُدَيبية ! وكان أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه يقول : ما كان فتحٌ فى الإسلام أعظم مِن فتح الحُدَيبية ، ولكنّ الناس يومئذٍ قَصُر رأيُهم عما كان بين محمّدٍ وربِّه ؛ والعِبادُ يَعْجَلون ، واللهُ تبارك وتعالى لا يَعْجَل كعجلةِ العِباد حتى تبلغ الأُمورُ ما أراد الله . لقد نظرتُ إلى سُهَيل بن عمرو فى حَجّه قائماً عند المَنْحَر يُقَرِّب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بُدْنَه ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ينحرها بيده ، ودعا الحَلاَّقَ فحلق رأسَه ، وأنظرُ إلى سُهَيلٍ يَلقُطُ مِن شعره ، وأراه يضعه على عينَيْه ، وأذكرُ إباءه أن يُقِرّ يومَ الحُديبية بأن يُكتبَ بسم الله الرحمن الرحيم ، ويأْبى أن يُكتَب أنَّ محمّدًا رسولُ الله ، فحمدت اللهَ الذى هداه للإِسلام ؛ وصلواتُ الله وبركاتُه على نبيِّ الرَّحمةِ الذى هدانا به وأنقذَنا به مِن الهَلَكَة !

فلمّا حضرت الدَّواةُ والصَّحيفةُ بعد طُول الكلام والمراجعة فيما بين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسُهَيل بن عمرو ، ولمّا التأَمَ الأَمرُ وتقارب ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم رجلاً يكتب الكتاب بينهم ، ودعا أوسَ بن خَوْلىّ يكتب ، فقال سُهَيل : لا يكتب إلَّا أحدُ الرجلَيْن ، ابنُ عمِّك علىٌّ أو عُثمان بن عفَّان ! فأمر النبى صلَّى الله عليه وسلَّم عَليًّا يكتب ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اكتبْ بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سُهَيل : لا أعرفُ الرحمن ، اكتبْ كما نكتب باسمِكَ اللَّهمّ . فضاق المسلمون من ذلك وقالوا : هو الرحمن . وقالوا : لا تكتب إلَّا الرحمن . قال سُهَيل : إذًا لا أُقاضِيه على شىء . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اكتبْ باسمك اللَّهمّ ! هذا ما اصطلح عليه رسولُ الله . فقال سُهَيل : لو أَعلمُ أنَّك رسولُ اللهِ ما خالفتُك ، واتَّبعتُك ، أفترغب عن اسمك واسمِ أبيك محمّد بن عبد الله ؟ فضجَّ المسلمون منها ضَجَّةً هى أشدّ مِن الأُولى حتى ارتفعت الأَصوات

وقام رجالٌ مِن أَصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقولون : لا نكتب إِلَّا محمّدٌ رسولُ الله !

فحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن إِسحاق بن عبد الله ، عن أَبى فَرْوَة ، عن واقد بن عمرو ، قال : حدّثنى مَن نظر إلى أُسَيد بن حُضَير وسعد بن عُبادة أَخذا بيد الكاتب فأَمسكاها وقالا [1] : لا تكتبْ إِلَّا محمّدٌ رسولُ الله ، وإِلَّا فالسيفُ بيننا ! علامَ نعُطِى هذه الدَّنيّة فى دِيننا ؟ فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُخفِّضهم ويُومئ بيدِه إليهم : اسكتوا ! وجعل حُوَيْطِب يتعجّب ممّا يصنعون ، ويُقبل على مِكْرَز بن حَفص ويقول : ما رأَيتُ قوماً أَحوطَ لِدِينهم مِن هؤلاءِ القوم ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اكتبْ باسمك اللّهمّ . فنزلت هذه الآية فى سُهَيْل حين أَبى أَن يُقِرّ بالرحمن : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [2]. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَنا محمّد بن عبد الله ، فاكتب ! فكتب : باسمك اللهمّ ، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسُهَيل بن عمرو ، اصطلحا على وَضْع الحرب عشرَ سنين ، يَأْمَن فيها الناسُ ويكُفّ بعضُهم عن بعض ، على أنه لا إِسلالَ ولا إِغلال [3] ، وأَنَّ بيننا عَيْبةً مَكْفوفة [4] ؛ وأَنَّه مَن أَحبّ أَن يدخل فى عهد محمّدٍ وعقدِه فعل ، وأَنه مَن أَحبّ أَن يدخل فى عهد قُرَيْشٍ وعقدِها فعل ؛ وأَنه مَن أَتى محمّدًا منهم بغير إِذن وَليّه ردّه إليه ، وأَنه مَن أَتى قريشاً مِن أَصحاب محمّدٍ لم ترده ؛ وأَنَّ محمّدًا

---

(١) فى الأصل : « فأمسكها وقال » .

(٢) سورة ١٧ الإسراء ١١٠

(٣) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤١) .

(٤) عيبة مكفوفة : هى استعارة ، وإنما يريد تكف عنا ونكف عنك . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤١) .

يرجع عنَّا عامه هذا بأَصحابِه ، ويدخل علينا قابِلَ فى أَصحابه فيُقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا بسلاح إِلَّا سلاح المُسافر ، السيوف فى القُرُب . شهد أَبو بكر بن أَبى قُحافة ، وعمر بن الخطَّاب ، وعبد الرحمن بن عَوف ، وسعد بن أَبى وَقَّاص ، وعُثْمان بن عَفَّان ، وأَبو عُبَيدة بن الجَراح ، ومحمد ابن مَسْلَمَة ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، ومِكْرَز بن حَفص بن الأَخيف ؛ وكُتب ذلك على صَدْر هذا الكتاب ، فلمّا كُتب الكتابُ قال سُهَيل : يكون عندى ! وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : بلْ عندى ! فاختلفا فكتب له نسخةً ، فأَخذَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الكتاب الأَول وأَخذ سُهَيل نسختَه ، وكان عنده . ووثبت من هناك خُزاعة فقالوا : نحن ندخل فى عهد محَمّدٍ وعَقْدِه ، ونحن على مَن وراءَنا من قومنا . ووثبت بنو بكر فقالوا : نحن ندخل مع قُرَيشٍ فى عَهْدِها وعَقْدِها ، ونحن على مَن وراءنا مِن قومنا . فقال حُوَيْطِب لسُهَيل : بادأَنا أَخوالُكَ بالعداوة وقد كانوا يستترون منَّا ، قد دخلوا فى عهد محمدٍ وعقدِه ! قال سُهَيل : ما هم إِلَّا كغيرهم ، هولاءِ أَقارِبُنا ولَحْمُنا قد دخلوا مع محمّد ، قومٌ اختاروا لأَنفسهم أَمرًا فما نَصنعُ بهم ؟ قال حُوَيْطِب : نصنع بهم أَن ننصر عليهم حلفاءَنا بنى بكر . قال سُهَيل : إِيّاك أَن تسمع هذا منك بنو بكر ! فإِنهم أَهلُ شؤم ، فيقعوا بخُزاعة فيغضب محمّدٌ لِحُلفائه ، فينقض العهد بيننا وبينه . قال حُوَيْطِب : حظوتَ واللهِ أَخوالَكَ بكلّ وجه ! فقال سُهَيل : ترى أَخوالى أَعزَّ علىّ مِن بنى بكر ؟ ولكن واللهِ لا تفعل قُرَيش شيئاً إِلَّا فعلتُه ، فإِذا أَعانتْ بنى بكر على خُزاعة فإِنما أَنا رجلٌ مِن قُرَيش ، وبنو بكر أَقربُ إِلىّ فى قدَم النسب ، وإِن كان لِهؤلاء لَخُؤولة ، وبنو بكر مَن قد عرفتَ ، لنا منهم مَواطِنُ كلُّها ليست بحَسَنةٍ ، منها يوم عُكاظ .

قالوا : فلما فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مِن الكتاب وانطلق سُهَيل بن عمرو وأَصحابُه ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأَصحابه : قُوموا فانحروا واحلِقُوا ! فلم يُجبْه منهم رجلٌ إلى ذلك ، فقالها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثلاثَ مرّات كلّ ذلك يأْمرُهم ، فلم يفعل واحدٌ منهم ذلك . فانصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى دخل على أُمّ سَلَمَة زوجته مُغْضَباً شديدَ الغَضَب ، وكانت معه فى سَفَره ذلك . فاضطجع فقالت : مالك يا رسول الله ؟ مِرارًا لا تُجيبنى[١] . ثم قال : عجَباً يا أُمّ سَلَمَة ! إنى قلتُ للناس انحروا واحْلِقوا وحِلُّوا مرارًا ؛ فلم يُجبنى أَحدٌ مِن الناس إلى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون فى وجهى ! قالت . فقلتُ : يا رسول الله ، انْطلِقْ أَنتَ إلى هَدْيِك فانحَرْه . فإنّهم سيَقتدُون بك . قالت : فاضْطَبع[٢] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بثوبه . ثم خرج وأَخذ الحَرْبَة يَنهم[٣] هَدْيَه . قالت أُمّ سَلَمَة : فكأَنى أَنظرُ إليه حين يهوِى بالحَرْبَة إلى البَدَنَة رافعاً صوته : بسم اللهِ واللهُ أَكبر ! قالت : فما هذا إلّا أَن رأَوْه نَحَر ، فتواثبوا إلى الهَدْى ، فازدحموا عليه حتى خشيتُ أَن يَغُمّ بعضُهم بعضاً .

فحدّثنى يعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الحارث ابن عبد الله بن كَعب ، عن أُمّ عُمارة ، قالت : فكأَنى أَنظرُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مُضطبِعاً بثوبه والحَرْبة فى يدَيْه يَنْحَرُ بها .

حدّثنى مالك بن أَنَس ، عن أَبى الزُّبَير ، عن جابر ، قال : وأَشرك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين أَصحابه فى الهَدْى ، فنحر البَدَنَةَ عن

---

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) أى أخذ ثوبه فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتى صدره . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٢) .

(٣) نهم الرجل ناقته إذا زجرها . (الصحاح ، ص ٢٠٤٧) .

سبعة ، وكان الهَدْى سبعين بَدَنة . وكان جمل أبي جَهل قد غنمه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومَ بدر ، فكان المسلمون يغزون عليه المغازى ، وكان قد ضُرب فى لِقاح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التى استاق عُيَيْنَة بن حِصْن ، ولقاحه التى كانت بذى الجدْر التى كان ساقها العُرنيّون ، وكان جملُ أبى جَهل نَجيباً مَهْرِيًّا(١) كان يَرعى مع الهَدْى ، فشَرد قبل القضيّة فلم يقفْ حتى انتهى إلى دار أبى جَهل وعرفوه ، وخرج فى أثره عمرو بن عَنَمة (٢) السُّلمى فأبى أن يُعطيه له سُفهاءٌ مِن سفهاءِ مكّة ، فقال سُهيل بن عمرو : ادفعوه إليه . فأعطوا به مائةَ ناقة ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لولا أنَّا سمَّيناه فى الهَدْى فعلنا . فنُحِر الجمل عن سبعة ، أحدهم أبو بكر ، وعمر بن الخطَّاب ، وكان ابن المُسَيِّب يقول : كان الهَدْى سبعين ، وكان الناسُ سبعمائة ، وكان كلٌّ بَدَنَة عن عشرة . والقولُ الأوَّل أثبتُ عندنا أنه ستَّ عشرة مائة . قال : وقام طَلْحَةُ بن عُبَيد الله ينحر بَدَنات له ساقَها من المدينة ، وعبدُ الرحمن أيضاً ، وعُثمانُ بن عَفَّان ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مُضطرِباً(٣) فى الحِلّ ، وكان يُصلّى فى الحَرَم . وحَضَره يومئذٍ مَن يَسألُ مِن لُحوم البُدْن مُعْتَرًّا(٤) غير كبير ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُعطيهم من لحوم البُدْن وجُلودها . قالت أم كُرز الكَعبيّة : جئتُ أسألُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم مِن لحوم

---

(١) مهرة بن حيدان حى من العرب تنسب إليهم الإبل المهرية . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٣٧) .

(٢) فى الأصل : « عمرو بن غنمة » ؛ وما أثبتناه من ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ١٢٩) .

(٣) أى كانت أبنيته مضروبة فى الحل . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤٢) .

(٤) هو الذى يتعرض للسؤال من غير طلب . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٣٤٢) .

الهَدْى حين نحر بالحُدَيبية ، فسمعتُه يقول : عن الغلام شاتان مُكافِئتان[١] والجارية شاة . وأكل المسلمون مِن هَدْيهم الذى نحروا يومئذٍ وأطعموا المساكين ممّن حضرهم ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد بعث بعشرين بَدَنَةً لِتُنحَر عند المَرْوَة مع رجل من أَسْلَم ، فنحرها عند المَرْوَة وقسم لحمها .

وحدّثنى يَعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبى صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله ، عن أُم عُمارة ، قالت : فأَنا أَنظرُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم حين فرغ من نَحر البُدْن فدخل قُبَّةً له مِن أَدَمٍ حمراءَ ، فيها الحَلّاق فحلَق رأْسه ، فأَنظرُ إليه قد أَخرجَ رأسه من قُبّته وهو يقول : رَحِمَ اللهُ المُحلِّقين ! قيل : يا رسول الله ، والمُقصِّرين ! قال : رحم الله المُحلِّقين — ثلاثاً . ثم قال : والمُقصِّرين .

فحدّثنى إبراهيم بن يزيد ، عن أَبى الزُّبير ، عن جابر ، قال : وأَنا أَنظُر إليه حين حلَق رأسه ، ورمى بشعره على شجرةٍ كانت إلى جنبه من سَمُرَة خضراء . قالت أُمُّ عُمارة : فجعل الناسُ يأْخذون الشعرَ مِن فوق الشجرة فيتحاصُّون[٢] فيه ، وجعلتُ أُزاحم حتى أَخذتُ طاقاتٍ من شَعَرٍ . فكانت عندها حتى ماتت تُغسَل للمريض . قال : وحلق يومئذٍ ناسٌ ، وقصر آخرون . قالت أُمُّ سَلَمَة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : وقصّرتُ يومئذٍ أطرافَ شعرى . وكانت أُمُّ عُمارة تقول : قصرتُ يومئذ — بمِقَصٍّ معى — الشعر وما شذَّ .

---

(١) فى الأصل : « مكفأتان » . وشاتان مكافئتان : متساويتان فى السن . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣) .

(٢) تحاصوا : أى اقتسموا . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٩٨) .

حدّثنى خِراشُ بن هُنَيد ، عن أبيه ، قال : كان الذى حلقه خِراش ابن أُمَيّة .

قالوا : قام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحُدَيبية بضعةَ عشرَ يومًا ، ويُقال عشرين ليلة . فلمّا انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مِن الحُدَيبية نزل بمَرّ الظَّهْران ثم نزل عُسْفان ، فأَرملوا[1] مِن الزاد ، فشكا الناسُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنهم قد بُلغوا من الجوع – وفى الناس ظَهْر – [وقالوا] : فننحرُ يا رسول الله وَنَدّهُن مِن شُحومه ، ونتّخذُ من جلوده حذاءً ! فأَذِنَ لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأُخْبِرَ بذلك عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فجاءَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، لا تَفعلْ فإن يكُ فى الناس بقيّةُ ظَهْرٍ يكن أَمثلَ ، ولكن ادعُهم بأَزوادهم ثم ادْعُ اللهَ فيها . فأَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأَنطاع فبُسِطت ، ثم نادى مُناديه : مَن كان عنده بقيّةٌ من زاد فَلْيَنْثُره على الأَنطاع . قال أبو شُرَيح الكَعْبىّ : فلقد رأَيتُ مَن يأْتى بالتمرة الواحدة ، وأَكثرُهم لا يأْتى بشىءٍ ، ويأْتى بالكفّ من الدقيق ، والكفِّ من السَّويق ، وذلك كلُّه قليل . فلمّا اجتمعت أَزوادُهم وانقطعت مَوادُّهم مشى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إليها فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قرِّبوا أَوعيتَكم ! فجاءُوا بأَوعيتهم . قال أَبو شُرَيح : فأَنا حاضرٌ ، فيأْتى الرجل فيأْخذ ما شاءَ مِن الزاد حتى إنّ الرجل ليأْخذ ما لا يجد له مَحْمَلًا ؛ ثم أَذَّن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالرحيل ، فلمّا ارتحلوا مُطِروا ما شاءوا وهم صائفون . فنزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونزلوا معه ، فشربوا من الماءِ ، فقام رسول

---

(١) أرمل القوم : إذا نفد زادهم . (الصحاح ، ص ١٨١٣) .

اللهِ صلّى الله عليه وسلَّم فخَطَبهم ، فجاءَ ثلاثةُ نَفَرٍ ، فجلس اثنان مع النبىِّ صلّى الله عليه وسلَّم ، وذهب واحدٌ مُعرِضًا ، فاستحيا ، فاستحيا اللهُ منه ، وأمّا الآخر فتاب ، فتاب اللهُ عليه ، وأمّا الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه .

فحدّثنى مُعاذ بن محمّد قال ، سمعت شُعبة مولى ابن عبّاس قال : سمعتُ ابنَ عبّاس يقول ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كنتُ أسيرُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى مُنْصَرَفه من الحُدَيبية ، فسألتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يُجبنى ، ثم سألته فلم يُجبنى ، ثم سألته فلم يُجبنى . قال عمر : فقلت : ثكلتْكَ أُمُّك يا عمر ! نذرت رسولَ الله ثلاثًا ، كلّ ذلك لا يُجيبنى ! قال : فحرّكتُ بعيرى حتى تقدّمتُ الناس ، وخشيتُ أن يكون نزل فىّ قرآنٌ ، فأخذنى ما قَرُب وما بَعُد ، ولِما كنت راجعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بالحُدَيبية وكراهتى القضيّة ، فإنى لأسيرُ مَهمومًا مُتقدِّمًا للناس ، فإذا مُنادٍ[1] يُنادى : يا عمر بن الخطّاب ! فوقع فى نفسى ما اللهُ به أعلم ، ثم أقبلتُ حتى انتهيتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسلّمتُ فردّ علىّ السلام وهو مسرور ، ثم قال : أُنزِلت علىَّ سورةٌ هى أحبُّ إلىَّ ممّا طلعتْ عليه الشمس ؛ فإذا هو يقرأ ﴿ إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبينًا ﴾[2] . فبَشّره بمغفرته ، وإتمام نِعْمتِهِ ونَصْرِه ، وطاعةِ مَن أطاعَ اللهَ تعالى ، ونِفاق مَن نافق ؛ فأنزل اللهُ على ذلك عشرَ آيات .

وحدّثنى مُجمِّع بن يعقوب ، عن أبيه ، عن مُجَمِّع بن جارية ، قال :

---

(١) فى الأصل : « منادى » .

(٢) سورة ٤٨ الفتح ١

لمَّا كنَّا بِضَجْنان راجعين من الحُدَيبية رأيتُ الناسَ يركُضون فإذا هم يقولون : أُنزِلَ على رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم [قرآن] . فركضت مع الناس، حتى توافينا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم . فإذا هو يقرأُ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾(١) ، فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال : يَهْنِيك يا رسولَ الله ! فلمّا هنأَه جبريلُ هَنأَه المسلمون .

وكان ممَّا نزل فى الحُدَيبية : ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ قال : قضينا لك قضاءً مُبينًا ؛ فالفتح قُرَيش(٢) ومُوادعتهم ، فهو أعظم الفتح .﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾(٣) قال : ما كان قبل النبوّة وما تأَخّر . قال : ما كان قبل الموت إلى أن تُوفِّى صلّى الله عليه وسلَّم . ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، بِصُلْح قُرَيش ؛ ﴿وَيَهْدِيَكَ صِراطًا مُسْتَقِيمًا﴾، قال : الحقّ ؛ ﴿ويَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(٤) حتى تظهر فلا يكون شِرْك . ﴿هوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فى قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ﴾(٥) ، قال : الطمأنينة ؛ ﴿لِيَزْدادُوا إِيمانًا مَعَ إِيمانِهِمْ﴾ ، قال : يقينًا وتصديقًا ؛ ﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾ . قال عزَّ وجلّ : ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمنينَ والمُؤْمِنات جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾(٦) ، قال : ما اجترحوا ؛ ﴿وَكَانَ ذلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عظِيمًا﴾ ، يقول : فوزًا لهم أن يغفر لهم سيِّئاتِهِم ؛ ﴿ويُعَذِّبَ المُنافِقِينَ والمُنافِقات والمُشْرِكينَ والمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ

(١) سورة ٤٨ الفتح ١
(٢) فى الأصل : « قريشا »
(٣) سورة ٤٨ الفتح ٢
(٤) سورة ٤٨ الفتح ٣
(٥) سورة ٤٨ الفتح ٤
(٦) سورة ٤٨ الفتح ٥

ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ (١) ، يعنى الذين مرّ عليهم بين مكّة والمدينة ؛ مِن مُزَينة وجُهَيْنة وبنى بَكر ، واستنفرهم إلى الحدَيبية فاعتلُّوا وتَشاغلوا بأَهليهم وأَموالهم . يقول : عليهم ما تمنّوا وظنّوا ، وذلك أنهم قالوا : إنما خرج محمّدٌ فى أَكَلَةِ رأْس(٢) ، يَقدَم على قوم مَوْتُورين ، فأَبَوا أَن ينفِروا معه . ﴿ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا وَمُبَشِّرًا ﴾(٣) ، قال : شاهدًا عليهم ومُبَشِّرًا لهم بالجنَّة ونذيرًا لهم من النار . ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾(٤) ، قال : تنصروه وتُوقّروه وتُعظِّموه ؛ ﴿ وتُسَبِّحوهُ بُكْرَةً وأَصِيلًا ﴾ ، قال : تُصلّوا لله بكرةً وعشيًّا . ﴿ إِنَّ الَّذِين يُبايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبايِعون اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ ﴾(٥) حين دعا رسولُ الله صَلّى الله عليه وسلّم إلى بيعة الرِّضوان تحت الشجرة ، فبايعوه يومئذٍ على أَلا يفرُّوا ، ويقال: على الموت ؛ ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ، يقول : مَن بدّل أَو غيّر ما بايع رَسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإنَما ذلك على نفسه ، ومن أَوفى فإنّ له الجنَّة ، ﴿ سَيَقولُ لَكَ المُخَلَّفون مِن الأَعْراب شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهلُونا فاسْتغفِرْ لنا يَقولون بِأَلْسِنتِهِمْ ما ليْسَ فى قُلوبِهِمْ ﴾(٦) ، قال : هم الذين مَرّ بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فاستنفرهم واستعانَ بهم فى بدايته فتشاغلوا بأَهلِيهم وأَموالهم ، فلمّا سَلِمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وجاءَ إلى المدينة جاءُوهَ يقولون استغفِرْ لنا إباءَنا أَن نسير معك . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ يَقولُون بِأَلْسِنَتِهِمْ ما ليْسَ فى

---

(١) سورة ٤٨ الفتح ٦

(٢) أى هم قليل . (الصحاح ، ص ١٦٢٤)

(٣) سورة ٤٨ الفتح ٨

(٤) سورة ٤٨ الفتح ٩

(٥) سورة ٤٨ الفتح ١٠

(٦) سورة ٤٨ الفتح ١١

قُلوبِهمْ ﴾ ، يقول : سَوَاءٌ عليهم استغفرتَ لهم أم لم تَستغفِر لهم ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِب الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ إلى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾[١] ، إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ، قال : قولهم حين مرّ بهم رسُول الله صلّى الله عليه وسلّم « وإنما محمّدٌ [فى] أَكَلَة رأْس ، يخرج إلى قوم مَوْتُورين معِدِّين ، ومحمّد لا سلاحَ معه ولا عُدّة » فأَبَوا أن يَنفِروا ، ﴿ وَزُيِّنَ ذلكَ فى قُلُوبِكُمْ ﴾ ، قال : كان يقينًا فى قُلوبهم . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ، يقول : هَلْكَى. وقوله: ﴿ سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا . . . ﴾[٢] إلى آخر الآية . قال : هم الذين تخلّفوا عنه وأَبَوا أَن ينفروا معه ، هؤُلاءِ العرب من مُزَينة وجُهَينة وبَكر ، لمّا أَراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التوجّه إلى خَيْبَر قالوا : نحن نتبعكم . يقول الله عزّ وجلّ ، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ﴾ . قال : الذى قضى اللهُ ، قضى أَلاَّ تتبعونا ، وهو كلام الله ، يقال قضاؤه . يقول : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِن الأَعْرابِ ﴾ يعنى هؤُلاءِ الذين تخلّفوا عنك فى عمرة الحُدَيبية . ﴿ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[٣]. قال : هم فارس والروم ؛ ويقال : هَوازِن ؛ ويقال : بنى حَنيفة يوم اليَمامة ؛ ﴿ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذابًا أَلِيمًا ﴾ ، قال : إن أَبيتم أَن تُقاتلوا كما أَبيتم أَن تخرجوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى غزوة [الحُدَيبية] .

---

(١) سورة ٤٨ الفتح ١٢
(٢) سورة ٤٨ الفتح ١٥
(٣) سورة ٤٨ الفتح ١٦

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾(١) قال : لمّا نزلت العورات الثلاث. ﴿لِيَسْتَئْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٢) أَخرجوا العميان والمرضى والعرجان من بيوتهم . فأَنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾ ، ويقال : هذا فى الغزو .

وحدّثنى محمّد ومَعْمَر ، عن الزُّهرىّ ، قال : سمعتُ سَعيد بن المُسَيِّب يقول : نزلت هذه الآية فى قوم من المسلمين كانوا إذا نَفَروا للغزو وضعوا مفاتيحَ بيوتهم عند الزَّمْنَى من ذلك ، فأَنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك رُخْصَةً لهم بالإذن فى كلٍّ . ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(٣) ، قال : وهى سَمُرَة خضراء ؛ ﴿فَعَلِمَ ما فى قُلُوبِهِمْ﴾ ، قال : صِدْقَ نِيّاتهم . ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ ، يعنى الطمأْنينةَ ، وهو بَيْعَة الرِّضوان ؛ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ، قال : صُلْح قُرَيش ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها﴾(٤) إلى يوم القيامة . وفى قوله عزّ وجلّ : ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ﴾(٥) ، قال : فَتْح خيبر ؛ ﴿وَكَفَّ أَيدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ ، قال : الذين كانوا طافوا بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم من المشركين رجاءَ أَنْ يُصيبوا من المسلمين غِرَّة ، فأَسَرَهم أَصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أَسْرًا ؛ ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. قال : عِبْرَة(٦) ، صُلْح قُرَيش وحُكْمٌ [لم] يكن فيه سيفٌ ، وكان

(١) سورة ٤٨ الفتح ١٧
(٢) سورة ٢٤ النور ٥٨
(٣) سورة ٤٨ الفتح ١٨
(٤) سورة ٤٨ الفتح ١٩
(٥) سورة ٤٨ الفتح ٢٠
(٦) فى الأصل : « قال غيره »

فتحًا عظيمًا . ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾[١] ، قال : فارس والروم ، ويُقال مكَّة . ﴿وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَار ثُمَّ لا يَجِدُون وَلِيًّا ولا نَصِيرًا﴾[٢] ، يقول : لو قاتلتكم قُريش انهزموا ثم لم يكن لهم مِن الله وَلِيٌّ ، يعني حافظ ، ولا نَصِير مِن العرب . ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[٣] ، قال : قضاءُ الله الذى قضَى ولا تبديل أَنَّ رُسُلَه يظهرون ويَغلِبون . ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[٤] ، قال : كان أَصحابُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أَسروا من المشركين بالحُدَيبية أَسرى ، فكفَّ اللهُ أَيدى المسلمين عن قَتْلِهم ؛ ﴿وَأَيْدِيهَمْ عَنْكُمْ﴾ ، مَن كانوا حُبِسوا بمكَّة ، فذلك الظَّفَر . ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ وَالهَدْىَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[٥] ، يقول : حيث لم يصل إلى البيت وحُبِس بالحُدَيبية ؛ ﴿وَلَوْ لا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابًا أَليمًا﴾ ، يقول : لولا رجال ونساءٌ مُسْتَضْعَفُون بمكَّة ؛ ﴿أَنْ تَطَؤُهُمْ﴾ ، يقول : [أن] تقتلوهم ولا تعرفوهم فيصيبكم من ذلك بلاءٌ عظيمٌ ؛ حيث قتلتم المسلمين وأَنتم لا تعلمون ؛ ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ ، يقول : لو خرجوا من عندهم ؛ ﴿لَعَذَّبْنا الَّذِين كَفَرُوا﴾ ، يقول : سلَّطناكم عليهم بالسيف . ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ

---

(١) سورة ٤٨ الفتح ٢١

(٢) سورة ٤٨ الفتح ٢٢

(٣) سورة ٤٨ الفتح ٢٣

(٤) سورة ٤٨ الفتح ٢٤

(٥) سورة ٤٨ الفتح ٢٥

كفَرُوا فى قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ ﴾[١] حيث أَبَى سُهَيل بن عمرو أن يكتبَ «محمدٌ رسولُ الله» وحيثُ أَبَى أن يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وعَلَى المُؤْمِنِينَ﴾، يقول: بينهم؛ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وكانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾، يقول: لا إله إلاَّ الله هم أَحقُّ بها وأولَى من المشركين. ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ﴾[٢] إلى قوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، والفتح القريب صُلْح الحُدَيبية. ودخل رسُول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى عمرة القضيَّة فحلَق وحلق معه قومٌ، وقَصَّر من قصَّر، ودخل فى حَجته ومعه أَصحابُه آمِنِين لا يَخاف إلاَّ اللهَ عزَّ وجلَّ. ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضوانًا﴾[٣]. قال: يبتغون بذلك الركوع والسجود الفضلَ من الله والرضوان. ﴿سِيماهُم فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال: أَثر الخُشوع والتواضع؛ ﴿مَثَلُهُمْ فى التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾، فهذا فى الإنجيل، يعنى أَصحابَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كانوا قليلاً، ثم ازدادوا، ثم كثروا، ثم استغلظوا، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[٤]، قال: هى مَفصولة بأَنَّهم آمنوا بالله ورُسُله يُصدِّقونهم. قال بعدُ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٤] وفى قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾[٥]

---

(١) سورة ٤٨ الفتح ٢٦
(٢) سورة ٤٨ الفتح ٢٧
(٣) سورة ٤٨ الفتح ٢٩
(٤) سورة ٥٧ الحديد ١٩
(٥) سورة ١٣ الرعد ٣١

يعنى ما كان فَتْحٌ فى الإسلام أعظم مِن فَتْح الحُدَيبية .

كانت الحربُ قد حَجَزتْ بين الناس وانقطع الكلام ، وإنما كان القتال حيث التقوا ، فلمّا كانت الهُدْنة وضعت الحربُ أوزارَها وآمن الناسُ بعضُهم بعضًا ، فلم يكن أحدٌ تكلّم بالإسلام يعقل شيئًا إلاّ دخل فى الإسلام ، حتى دخل فى تلك الهُدْنة صَناديدُ المشركين الذين يقومون بالشرْك وبالحرب – عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وأشباهٌ لهم ، وإنما كانت الهُدْنة حتى نقضوا العَهْد اثنين وعشرين شهرًا ، دخل فيها مثلُ ما دخل فى الإسلام قبل ذلك وأكثر ، وفشا الإسلامُ فى كلّ ناحيةٍ من نواحى العرب .

ولما قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ من الحُدَيبية أتاه أبو بَصير – وهو عتبة بن أسيد بن جارِية[1] حَليف بنى زُهْرة – مُسلمًا ، قد انفلت من قومه فسار على قدَمَيْه سَعْيًا ، فكتب الأَخْنَس بن شَريق ، وأَزْهَر ابن عبد عَوف الزُّهرىّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتابًا ، وبعثا رجلًا مِن بنى عامر بن لُؤَىّ ، استأجراه بِبَكْرٍ ؛ ابنِ لَبون – وهو خُنَيس بن جابر – وخرج مع العامرىّ مولًى له يقال له كَوْثَر ، وحملا خُنَيس بن جابر على بعيرٍ ، وكتبا يذكران الصُّلْح بينهم ، وأن يَرُدّ إليهم أبا بَصير ، فلمّا قدما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قدما بعد أبى بَصير بثلاثة أيّام فقال خُنَيس : يا محمّد ، هذا كتابٌ ! فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أُبَىَّ بنَ كعب ، فقرأ عليه الكتابَ فإذا فيه : قد عرفتَ ما شارطناك عليه ،

(١) فى الأصل : « وهو أسيد بن حارثة » ؛ وما أثبتناه من البلاذرى يروى عن الواقدى . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٢١١) .

وأشهدنا بيننا وبينك، مِن رَدِّ مَن قدم عليك مِن أَصحابنا ، فابعثْ إلينا بصاحبنا ، فأَمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَبا بَصير أَن يرجع معهم ودفعه إليهما ، فقال أَبو بَصير : يا رسول الله ، تَرُدُّنى إلى المشركين يَفتِنونى فى دينى ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا أَبا بَصير ، إنَّا قد أَعطينا هؤُلاءِ القومَ ما قد علمتَ ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغَدْر ، وإنَّ اللهَ جاعِلٌ لك ولمن معك مِن المسلمين فَرَجًا ومَخْرَجًا . قال أَبو بَصير : يا رسول الله ، تَرُدّنى إلى المشركين ؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : انطلقْ يا أَبا بَصير ، فإنّ الله سيجعل لك مَخْرَجًا . فدفعه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى العامرىّ وصاحبِه ؛ فخرج معهما ؛ وجعل المسلمون يُسِرّون إلى أَبى بَصير : يا أَبا بَصير ، أَبْشِرْ ! فإنّ الله جاعلٌ لك مَخْرَجًا ، والرجلُ يكون خيرًا مِن أَلف رجل ، فافعلْ وافعلْ ! يأْمرونه بالذين معه . فخرجوا حتى كانوا بذى الحُلَيفة — انتهوا إليها عند صلاة الظُّهر — فدخل أَبو بَصير مسجدَ ذى الحُلَيفة فصلّى ركعَتَيْن صلاةَ المُسافر ؛ ومعه زادٌ له يحمله مِن تمر ، فمال إلى أَصل جِدار المسجد فوضع زادَه فجعل يتغَدَّى ، وقال لصاحبيه : ادْنُوَا فكُلا ! فقالا : لا حاجةَ لنا فى طعامك . فقال : ولكن لو دعوتمونى إلى طعامكم لأَجبتُكم وأَكلتُ معكم . فاستحييا فدَنَوا ووضعا أَيديهما فى التمر معه ، وقَدّما سُفْرةً لهما فيها كِسَرٌ ، فأَكلوا جميعًا ، وآنسهم ، وعلّق العامِرىُّ بسيفِه على حَجَرٍ فى الجِدار ، فقال أَبو بَصير للعامرىّ : يا أَخا بنى عامر ، ما اسمك ؟ فقال : خُنَيس . قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابنُ جابر . فقال : يا أَبا جابر أَصارِمٌ سَيْفُكَ هذا ؟ قال : نعم . قال : ناوِلْنيه أَنظرْ إليه إن شئتَ ، فناوله العامرىُّ وكان أَقربَ إلى السيف من أَبى بَصير ، فأَخذ

أبو بَصير بقائم السيف، والعامرىّ مُمسكٌ بالجَفْن، فعلاه به حتى بَرَد، وخرج كوْثَر هارِبًا يعدو نحو المدينة، وخرج أبو بَصير فى أثره، فأعجزه حتى سبقه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول أبو بَصير: واللهِ لو أدركتُه لأسلكته طريقَ صاحبه! فبينا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جالسٌ فى أصحابه بعد العصر إذْ طلع المولى يعدو؛ فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: هذا رجلٌ قد رأى ذُعْرًا! فأقبل حتى وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: وَيحَكَ، مالَكَ؟ قال: قتل صاحبُكم صاحبى، وأفلتُّ منه ولم أَكَدْ! وكان الذى حبس أبا بَصير احتمال سَلَبِهما على بعيرهما، فلم يبرح مكانَه قائمًا حتى طلع أبو بَصير، فأناخ البعير بباب المسجد فدخل مُتوشِّحًا بالسيف — سيفِ العامرىّ — فوقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال لرسول الله: وفتْ ذمّتُك وأدّى اللهُ عنك، وقد أسلمتَنى بيد العدوّ، وقد امتنعتُ بِدينى من أن أُفتَن، وتبغَّيتَ بى أن(1) أُكذِّب بالحقّ. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسَلّم: وَيْلُ أمِّهِ، مِحَشُّ حَرْبٍ(2) لو كان معه رجال!

وجاءَ أبو بَصير بسَلَب العامرىّ خُنَيس بن جابر ورَحْلِه وسَيفه، فقال: خَمِّسْه يا رسول الله. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنى إذا خمستُه رأونى لم أُوفِ لهم بالذى عاهدتُهم عليه؛ ولكن شأْنَكَ بِسَلَب صاحِبِك! وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لكَوْثَر: ترجع به إلى أصحابك. فقال: يا محمد، قد أهمّنى نفسى، مالى به قوّةٌ ولا يَدان! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

(1) فى الأصل: «أو».
(2) فى الأصل: «محسن حرب». يقال: حش الحرب إذا أسعرها وهيجها، تشبيها بإسعار النار. (النهاية، ج ١، ص ٢٣٠).

لأبي بصير : اذهبْ حيثُ شئتَ ! فخرج أبو بَصير حتى أتى العِيصَ ، فنزل منه ناحيةً على ساحل البحر على طريق عِير قُرَيش إلى الشام . قال أبو بَصير: فخرجتُ وما معى مِن الزاد إلّا كَفٌّ مِن تمرٍ فأكلتُها ثلاثةَ أيّام ، وكنتُ آتى الساحل فأُصيب حيتانًا قد ألقاها البحرُ فآكلها . وبلغ المسلمين الذين قد حُبِسُوا بمكّة ، وأرادوا أن يلحقوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لأبي بَصير «وَيْلُ أمِّهِ ، مِحَشُّ حَرْبٍ لو كان له رجال» ، فجعلوا يتسلّلون إلى أبي بَصير . وكان الذى كتب بما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المسلمين عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ؛ فلما جاءهم كتابُ عمر فأخبرهم أنه بالساحل على طريق عِير قُرَيشٍ ، فلمّا ورد عليهم كتابُ عمر جعلوا يتسلّلون رجلًا رجلًا حتى انتهوا إلى أبي بَصير فاجتمعوا عنده ، قريب من سبعين رجلًا ، فكانوا قد ضيّقوا على قُرَيش ، لا يظفَرون بأحدٍ منهم إلّا قتلوه ، ولا تمرّ عِيرٌ إلّا اقتطعوها ، حتى أحرقوا قُرَيشًا ، لقد مرّ رَكْبٌ يُريدون الشام معهم ثلاثون بعيرًا ، وكان هذا آخر ما اقتطعوا ، لقد أصاب كلُّ رجلٍ منهم ، ما قيمتُه ثلاثون دينارًا . فقال بعضُهم : ابعثوا بالخُمُس إلى رسول الله . فقال أبو بَصير : لا يقبله رسولُ الله ؛ قد جئتُ بِسَلَب العامريّ ، فأبى أن يقبله ، وقال «إنى إذا فعلتُ هذا لم أَفِ لهم بِعَهْدِهم» . وكانوا قد أمّروا عليهم أبا بَصير ، فكان يُصلّي بهم ويُفرّضهم[1] ويُجمّعهم ، وهم سامعون له مطيعون . فلمّا بلغ سُهَيلَ بن عمرو قتلُ أبي بصير العامريّ اشتدّ ذلك عليه وقال : والله ما صالحْنا محمّدًا على هذا .

---

(١) أى يفصل الحلال والحرام والحدود . (لسان العرب ، ج٩ ، ص٦٧) . ويجمعهم: أى يصلى بهم الجمعة ، (لسان العرب ج ٩ ، ص ٤١٠) .

قالت قُرَيش : قد برىءَ محمّدٌ منه ، قد أمكن صاحبكم فقتله بالطريق ، فما على محمّدٍ فى هذا ؟ فقال سُهَيل : قد واللهِ عرفتُ أنّ محمّدًا قد أوفَى . وما أُوتينا إلَّا مِن قِبَل الرّسولين . قال : فأسند ظهره إلى الكعبة وقال : واللهِ ، لا أؤخّر ظهرى حتى يُودَى هذا الرجل . قال أبو سُفيان : إنّ هذا لهو السَّفه ! واللهِ لا يُودَى ! ثلاثًا . وأنّى[1] قُرَيش تَدِيه ، وإنما بعثته بنو زُهرة ؟ فقال سُهيل : قد واللهِ صدقتَ ، ما دِيَتُه إلّا على بنى زهرة ، وهم بعثوه ولا يُخرج دِيتَه غيرُهم قَصْرَةً[2] ؛ لأنّ القاتل منهم ، فهم أولى مَن عَقَله . فقال الأخنس : واللهِ لا نَدِيه ، ما قتلْنا ولا أمرنا بقتله ، قتله رجل مُخالف لديننا مُتّبع لِمحمد فأرسِلوا إلى محمّدٍ يديه . قال أبو سُفيان : لا ، ما على محمّد دِيَة ولا غُرْم ؛ قد بَرِىءَ محمّد ؛ ما كان على محمّدٍ أكثر ممّا صنع ، لقد أمكن الرّسولَيْن منه . فقال الأخنس : إنْ وَدَتْه قُريشٌ كلُّها كانت زُهرة بطنًا[3] من قُرَيش تَدِيه معهم ، وإن لم تَدِه قُرَيشٌ فلا نَدِيه أبدًا . فلم تخرج له دِيَة حتى قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الفتح . فقال مَوْهَب بن رِياح ، فيما قال سُهَيل فى بنى زُهرة ، وما أراد أن يُغرمهم من الدية :

أَتَانى عن سُهَيلٍ ذَرْوُ قَوْلٍ ... لِيُوقِظَنى وما بى مِنْ رُقَادِ
فإنْ كنتَ العِتَابَ تُرِيدُ مِنّى ... فما بينى وبَينَكَ مِن بِعَادِ
متى تغمِزْ قَناتىَ لا تجِدْنى ... ضَعِيفَ الرّأْىِ فى الكُرَبِ الشِّدادِ
يُسامى الأَكْرمينَ بعِزِّ قَوْمٍ ... همُ الرأْسُ المُقَدَّمُ فى العِبَادِ

أنشدنيها عبد الله بن أبى عُبَيدة ، وسمعتُهم يُثْبتونها .

---

(١) فى الأصل : « وأبى » .

(٢) أى دون الناس . (لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤١١) .

(٣) فى الأصل : « بطن » .

فلما بلغ أَبو بَصير من قُرَيش ما بلغ من الغيظ. بعثت قُرَيْش رجلًا ، وكتبتْ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كتابًا يسأَلونه بأَرحامِهم : أَلا تُدخل أَبا بَصير وأَصحابَه . فلا حاجةَ لنا بهم ؟ وكتب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أَبي بَصير أَنْ يَقْدَم بأَصحابه معه ؛ فجاءه الكتاب وهو يموت ، فجعل يقرأُ وهو يموت ، فمات وهو في يديه . فقَبَره أَصحابُه هناك وصلُّوا عليه ، وبنوا على قبره مسجدًا ، وأَقبل أَصحابُه إلى المدينة وهم سبعون رجلًا ، فيهم الوليد بن الوليد بن المُغيرة . فلمَّا دخل الحَرَّةَ عَثَر فانقطعت إِصْبعه فَربَطها وهو يقول :

هَلْ أَنتِ إلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ... وفى سَبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ

فدخل المدينةَ فمات بها . فقالت أُمُّ سَلَمَة : يا رسول الله ، ايذن لى أَبكى على الوليد . قال: ابكى عليه ! قال : فجمعت النساء وصنعت لهنَّ[1] طعامًا ، فكان ممّا ظهر مِن بكائها :

يا عَيْنُ فَابكِى لِلوَليـ ... ـدِ بن الوليدِ بنِ المُغيرَهْ

مِثْلُ الوَليدِ بنِ الوَليـ ... ـدِ أَبى الوَليد كَفى العَشِيرهْ

فحدّثنى ابنُ أَبى الزِّناد ، عن أَبيه ، قال : لما سمع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تَرداد الوليد قال : ما اتخذوا الوليدَ إلاَّ حَنانًا .

وقالوا : لا نَعلَم قُرشيّةً خَرجتْ بين أَبَويها مُسلمةً مهاجرةً إلى الله إلاَّ أُمّ كُلثوم بنت عُقبة بن أَبى مُعَيط . كانت تُحدّث تقول : كنتُ أَخرجُ إلى باديةٍ لنا بها أَهلى فأُقِيمُ فيهم الثلاثَ والأَربع ، وهى من ناحية التَّنْعِيم — أَو قالت بالحَصْحاص[2] — ثم أَرجعُ إلى أَهلى فلا يُنكرون ذَهابى ، حتى أَجمعْتُ

---

(١) فى الأصل : « لهم » .

(٢) ويروى أيضاً « الحصاص » ، وهو موضع بالحجاز . (معجم ما استعجم ، ص ٢٨٩) .

السير ، فخرجتُ يومًا من مكّة كأنّى أُريد البادية التى كنتُ فيها ، فلمّا رجع مَن تَبِعنى خرجتُ حتى انتهيتُ إلى الطريق . فإذا رجلٌ من خُزاعة فقال : أين تُريدين ؟ فقلت : حاجتى ؛ فما مسألتُك ومَن أنت ؟ فقال : رجلٌ مِن خُزاعة . فلمّا ذكر خُزاعة اطمأْننت إليه ؛ لدخول خُزاعة فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعَقْدِهِ ، فقلتُ : إنى امرأةٌ من قُرَيشٍ أُريد اللُّحوقَ برسول الله . ولا عِلمَ لى بالطريق . فقال : أَهْلُ الليل والنهار[1] ، أَنا صاحِبُكِ حتى أُورِدكِ المدينة . ثمّ جاءنى ببعيرٍ فركبتُه ، فكان يقود بى البعير ؛ لا واللهِ ما يُكلّمنى كلمةً ، حتى إذا أَناخ البعير تَنحّى عنى ، فإذا نزلتُ جاء إلى البعير فقيده فى الشجرة وتَنحَّى عنى[2] فى الشجرة ، حتى [إذا] كان الرَّواحُ جَذَع[3] البعيرَ فقرّبه وولّى عنى ،فإذا ركبتُه أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى ننزل ؛ فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة ، فجزاه الله خيرًا مِن صاحب ! فكانت تقول : نِعْمَ الحىُّ خُزاعة ! قالت : فدخلتُ على أُمّ سَلَمَة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأَنا مُنْتقبة فما عرفتْنى حتى انتسبتُ ، وكشفتُ النِّقاب فالتزمتْنى وقالت : هاجرت إلى الله وإلى رسوله ؟ فقلت : نعم ، وأَنا أَخافُ أَن يَرُدَّنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المشركين كما رَدَّ غيرى مِن الرجال؛ أَبا جَنْدل بن سُهَيل ، وأَبا بَصير ، وحالُ الرجالِ يا أُمَّ سَلَمة ليس كحال النساء ؛ والقومُ مُصبِّحىَّ ، قد طالتْ غيبتى عنهم اليوم

(١) ربما أراد بذلك : نحن أهل الليل والنهار ، العارفون بمسالك الطريق ليلا ونهارا .
(٢) فى الأصل : « تنحى إلى » .
(٣) فى الأصل : « خدع » . وجذع البعير : حبسه على غير علف . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٢) .

ثمانيةَ أيّامٍ منذ فارقتُهم ، فهم يبحثون قَدْرَ ما كنتَ أغيبُ ثم يطلبوننى . فإن لم يجدونى رحلوا إلىّ فساروا ثلاثًا . فدخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أُمّ سَلَمَة فأخبرتْه أُمُّ سَلَمة خبرَ أُمّ كُلثوم . فرحّب بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . وقالت أُمُّ كُلثوم : يا رسول الله . إنى فررتُ بدينى إليك فامنَعْنى ولا تَردّنى إليهم يفتنونى ويعذّبونى ؛ فلا صَبْرَ لى على العذاب ، إنما أنا امرأة وضَعْفُ النساء إلى ما تعرف ؛ وقد رأيتُك رددتَ رجلَيْن إلى المشركين حتّى امتنع أحدُهما . وأنا امرأة ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ اللهَ نقض العهدَ فى النساء. وأنزل الله فيهنّ «الممتحنة». وحَكَمَ فى ذلك بحُكْمٍ رضوه كلُّهم ؛ فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَرُدُّ مَن جاءَ مِن الرجال ، ولا يَرُدُّ مَن جاءَه مِن النساء. وقَدِم أخوَاها مِن الغَد ؛ الوليدُ وعُمارة ابنا عُقبة بن أبى مُعيط. فقالا : يا محمّد. ف لنا بشرطنا وما عاهدتَنا عليه . فقال : قد نَقَضَ اللهُ ! فانصَرَفا .

فحدّثنى محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ؛ قال : دخلتُ على عُروة بن الزُّبَير وهو يكتب إلى هُنَيد صاحب الوليد بن عبد الملك . وكان كتب يسأله عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[1] ، فكتب إليه : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صالح قُرَيشًا يوم الحُدَيبية على أن يرُدَّ إليهم مَن جاءَ بغير إذْن وَلِيِّه ، فكان يَرُدُّ الرجال ، فلمّا هاجر النساءُ أبَى اللهُ ذلك أن يَرُدَّهنّ إذا امْتُحِنَّ بمِحْنَة الإسلام ، فزعمت أنها جاءت راغبةً فيه ، وأمره أن يَرُدَّ صَدُقاتِهِنّ

(١) سورة ٦٠ الممتحنة ١٠

إليهم(١) إن احْتَبَسن عنهم(٢) . وأن يَرُدّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم(٣) إنْ فعلوا . فقال : ﴿وَلْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا﴾(٤) وصبّحها أخواها مِن الغد(٥) فطلَباها . فأَبَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يَرُدَّها إليهم ، فرجعا إلى مكَّة . فأَخبرا قُرَيشًا . فلم يبعثوا فى ذلك أَحدًا . ورَضُوا بأَن تُحبَس النساءُ ﴿وَلْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بينَكُمْ واللهُ عليمٌ حَكيمٌ﴾ ﴿وإنْ فاتَكُمْ شَىْءٌ مِن أَزْواجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾(٦) . قال : فإن فات أَحدًا منهم أَهلُه إلى الكفّار ، فإن أَتتكم امرأَةُ منهم فأَصبتم فعوضوهم ممَّا أَصبتم صَداقَ المرأَة التى أَتتكم ؛ فأَما المؤْمنون فأَقرّوا بحُكْم الله . وأَبى المشركون أن يُقرّوا بذلك . وأَن ما ذاب(٧) للمشركين على المسلمين مِن صَداق مَن هاجر مِن أَزواج المشركين . ﴿فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ﴾ مِن مال المشركين فى أَيديكم . ولسنا نعلم امرأَةً من المسلمين فاتت زوجَها باللُّحوقِ بالمشركين بعد إِيمانها ، ولكنه حُكْم حَكَم اللهُ به لأَمرٍ كان . واللهُ عليمٌ حكيم . ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكوافِرِ﴾(٨) . يعنى من غير أَهل الكتاب. فطلَّق عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه زينبَ بنت أَبى أُمَيّة . فتزوّجها مُعاوية بن أَبى سُفيان ، وطلَّق عمر

---

(١) أى إلى رجالهم .

(٢) فى الأصل : « إن احتبسوا عنهم »

(٣) فى الأصل : « وأن يرد عليهم مثل الذى يرد عليهم » ، وما أثبتناه من ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٤١) .

(٤) سورة ٦٠ الممتحنة ١٠

(٥) فى الأصل : « من الرد » .

(٦) سورة ٦٠ الممتحنة ١١

(٧) ذاب : أى وجب . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٥١) .

(٨) سورة ٦٠ الممتحنة ١٠

أيضًا بنت جَرْول الخُزاعيّة ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة . وطلّق عِيَاضُ ابن غَنْم الفِهْرىّ أُمَّ الحَكَم بنت أبى سُفيان يومئذٍ . فتزوّجها عبدُ الله بن عُثمان الثّقَفِىّ فولدت له عبد الرحمن بن أُمّ الحَكَم .

غزوة خَيْبَر(١)

حدّثنا أبو عمر محمّد بن العبّاس بن محمّد بن زكريا بن حَيَّوَيْه لفظًا ، سنةَ سبعٍ وسبعين وثلثمائة . قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب ابن عيسى بن أبى حَيَّة ، قال : حدّثنا أبو عبد الله محمد بن شُجاع الثّلجىّ ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد الواقدىّ ، قال: حدثنى محمّد بن عبد الله ، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيمى ، وعبد الله بن جعفر ، وابن أبى سَبْرَةَ ، وابن أبى حبيبة ، وعبدالرحمن ابن عبد العزيز ، ومحمد بن صالح ، ومحمّد بن يحيى بن سَهل ، وعائذ ابن يحيى ، وعبد الحَميد بن جَعفر ، ويحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، وأُسامة بن زيد اللّيثىّ ، وأبو مَعْشَر ، ومُعاذ بن محمّد ، وإبراهيم بن جعفر ، ويونس ويعقوب ابنا محمّد الظَّفَريّان ، ويعقوب بن محمّد بن أبى صَعْصَعَة ، وسعيد بن أبى زيد بن المُعَلّى الزُّرَقىّ ، ورَبيعة بن عُثمان ، ومحمّد بن يعقوب ، وعبد الله بن يزيد ، وعبد الملك وعبد الرحمن ابنا محمّد بن أبى بكر ، ومَعْمَر بن راشد ، وإسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة ؛ فكلٌّ قد حدّثنى مِن حديث خَيْبَر بطائفة ، وبعضهم أوعى له من بعض ، وغيرُ هؤلاء المُسمَّين قد حدّثنى من حديث خَيْبر ، فكتبتُ ما حدّثونى .

(١) خيبر : على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٩٥) .

قالوا : قدم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ مِن الحُدَيبية فى ذى الحجّة تمامَ سنة ستّ [١] ، فأَقام بالمدينة بقيّة ذى الحجّة والمحرم ، وخرج فى صفر سنةَ سبْعٍ - ويقال خرج لهلال ربيع الأَوّل - إلى خَيْبَر. وأَمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَصحابَه بالتهيّؤ للغزو فهم مُجدّون ، وتجلَّب مَن حولَه يغزون معه ، وجاءه المُخلَّفون يُريدون أَن يخرجوا معه رجاءَ الغنيمة ، فقالوا : نخرج معك ! وقد كانوا تَخلَّفوا عنه فى غزوة الحُدَيبية ، وأَرجفوا بالنبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وبالمسلمين ، فقالوا : نخرج معك إلى خَيْبر ، إنها ريف الحجاز طعامًا وَوَدَكًا[٢] وأَموالًا . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تخرجوا معى إلَّا راغبين فى الجهاد ، فأَما الغنيمة فلا . وبعث مُناديًا فنادى : لا يخرجنّ معنا إلَّا راغبٌ فى الجهاد ، فأَمّا الغنيمة فلا ! فلمّا تجهّز الناس إلى خَيْبَر شقّ ذلك على يهود المدينة الذين هم مُوادعون لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وعرفوا أَنهم إذا دخلوا خَيْبَر أَهلك الله خَيْبَر كما أَهلك بنى قَيْنُقاع والنَّضِير وقُرَيْظَة . قال : فلما تجهّزنا لم يبقَ أَحدٌ من يهود المدينة له على أَحدٍ من المسلمين حَقٌّ إلَّا لَزِمَه ، وكان لأَبى الشَّحْم اليهودىّ عند عبد الله بن أَبى حدْرَد الأَسلمىّ خمسةُ دراهم فى شعيرٍ أَخذه لأَهله ، فلزمه ، فقال : أَجِّلْنى فإنى أَرجو أَن أَقدَم عليك فأَقضيَك حقَّك إن شاءَ الله ، إنَّ الله عزّ وجلّ قد وعد نبيَّه خَيْبَر أَن يُغنِّمه إيّاها . وكان عبد الله بن أَبى حَدْرد ممّن شَهِدَ الحُدَيبية ، فقال : يا أَبا الشَّحْم ، إنا نَخرُج إلى ريف الحجاز فى الطعام والأَموال . فقال أَبو الشَّحْم حسدًا وبغيًا : تَحسِبُ أَنَّ قِتال خَيْبَر مثل ما تلقَونه من الأَعراب؟ فيها والتوراةِ عشرةُ آلافِ مُقاتِل !

---

(١) فى الأصل : « تمام سنة ست سنين » .

(٢) الودك : هو دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٢) .

قال ابن أبي حدْرَد : أى عدوّ الله ! تُخوِّفنا بعدوّنا وأنت فى ذِمّتنا وجوارنا ؟ واللهِ لأَرفعنَّك إلى رسول الله ! فقلتُ : يا رسول الله ألا تسمع إلى ما يقول هذا اليهودى ؟ وأخبرتُه بما قال أبو الشَّحْم . فأُسكت رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يَرجع إليه شيئًا ، إلّا أنى رأيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم حرّك شفتَيْه بشىءٍ لم أسمعه ، فقال اليهودىّ : يا أَبا القاسم ، هذا قد ظلمنى وحبسنى بحقّى وأخذ طعامى ! قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : أَعطِه حَقَّه . قال عبدُ الله : فخرجتُ فبعت أَحدَ ثَوْبَىّ بثلاثة دراهم ، وطلبتُ بقيَّةَ حقِّه فقضيته ، ولبستُ ثوبى الآخر ، وكانت علىَّ عمامةٌ فاستدفأْتُ[1] بها . وأَعطانى سَلَمَة بن أسلم ثوبًا آخر ، فخرجتُ فى ثوبين مع المسلمين ، ونَفَلنى اللهُ خيرًا ، وغنمتُ امرأةً بينها وبين أَبى الشَّحْم قرابةٌ فبعتُها منه بمال .

وجاءَ أَبو عَبس بن جبْر فقال : يا رسول الله ، ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب أَخرجُ فيه ، فأَعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم شُقَيقَةً سُنْبُلانيّةً ،[2] فباعها بثمانية دراهم ، فابتاع تمرًا بدرهمين لِزاده وترك لأَهلِه نفقةً درهمين ، وابتاع بُرْدَةً بأَربعةِ دراهم . فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى طريق خَيْبَر فى ليلةٍ مُقمرةٍ إذْ أَبصر برجل يسير أَمامَه ، عليه شىءٌ يبرق فى القمر كأَنه فى الشمس وعليه بَيْضة ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَن هذا ؟ فقيل : أَبو عَبس بن جَبْر . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم :

---

(١) فى الأصل : « استدمرت » .

(٢) فى الأصل : « شقيقة سيلانية » ، والشقيقة : تصغير شقة وهى جنس من الثياب . وسنبلانية : أى سابغة الطول ، سنبل ثوبه إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه ، والنون زائدة ، ويحتمل أن يكون منسوبا إلى موضع . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ، ٢٣١) .

أدرِكُوه ! [قال] : فأَدركونى فحبسونى ، وأَخذنى ما تقدم وما تأَخَّر ، وظننتُ أنه قد نزل فى أَمرٌ من السماءِ ، فجعلت أَتذكَّر ما فعلتُ حتى لحقنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : مالك تَقدُم الناسَ لا تسيرُ معهم ؟ قلتُ : يا رسول الله ، إنَّ ناقتى نَجيبة . قال : فأَين الشُّقَيْقَة التى كسوتُك ؟ فقلت : بعتُها بثمانية دراهم ، فتزوَّدت بدرهمين تمرًا ، وتركتُ لأَهلى نفقةً درهمين ، واشتريتُ بردةً بأَربعة دراهم . فضَحك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثم قال : أَنت واللهِ يا أَبا عَبس وأَصحابك من الفقراءِ ! والذى نفسى بيده لئن سلمتم وعشتم قليلًا ليكثرنَّ زادُكم ، وليكثرنَّ ما تتركون لأَهليكم ، ولتكثرنَّ دراهمُكم وعبيدُكم ، وما ذاك بخيرٍ لكم ! قال أَبو عبس : فكان واللهِ ما قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمْ .

واستخلَف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة سِباع بن عُرْفُطَة الغِفارىّ . قال أَبو هُرَيرة رضى الله عنه : قدمنا المدينةَ ونحن ثمانون بيتًا مِن دَوْس ، فقال قائل : رسول الله بخَيْبَر وهو قادمٌ عليكم . فقلتُ : لا أَسمعُ به ينزل مكانًا أَبدًا إلاَّ جئتُه . فتحمّلنا حتى جِئناه بخَيْبَر فنجده قد فتح النَّطاة وهو مُحاصِرٌ أَهل الكَتيبة ، فأَقمنا حتى فتح اللهُ علينا . وكنَّا قدمنا المدينة فصلَّينا الصبح خلف سِباع بن عُرْفُطَة بالمدينة ، فقرأَ فى الركعة الأُولى سورةَ مَرْيَم وفى الآخرة : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[1] ، فلمّا قرأَ ﴿إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2] قلت : تركتُ عَمِّى بالسرَاة له مِكْيالان ، مكيال

(١) سورة ٨٣ المطففين ١

(٢) سورة ٨٣ المطففين ٢

يُطفّف به ومكيال يَتَبخّس به(١). ويقال: استخلف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا ذرّ ، والثبت عندنا سِباع بن عُرْفُطَة .

وكانت يهود خَيْبَر لا يظنّون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغزوهم لِمَنَعَتهم وحُصونهم وسلاحهم وعَدَدِهم ؛ كانوا يخرجون كلّ يوم عشرةَ آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون : محمّد يغزونا ؟ هَيْهاتَ ! هَيْهاتَ ! وكان مَن كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تَجهّز النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى خَيْبَر : ما أمنعَ واللهِ خيبرَ منكم ! لو رأيتم خَيْبَر وحصونها ورجالَها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ؛ حصون شامخات في ذُرَى الجبال ، والماءُ فيها واتِن(٢) ، إنّ بخَيْبَر لألْفَ دارع ، ما كانت أسدٌ وغَطَفان يمتنعون من العرب قاطبةً إلّا بهم ، فأنتم تُطيقون خَيْبَر ؟ فجعلوا يُوحون بذلك إلى أصحاب النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فيقول أصحابُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : قد وعدها اللهُ نبيَّه أن يُغنّمه إيّاها. فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم ، فعَمّى اللهُ عليهم مخرجَه إلّا بالظن حتى نزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بساحاتهم ليلًا . وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم حيث أحسّوا بمسير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأشار عليهم الحارث أبو زَينب اليهوديّ بأن يُعسكروا خارجًا من حصونهم ويبرزوا له ، فإنى قد رأيتُ مَن سار إليه من الحصون ، لم يكن لهم بقاء بعد أن حاصرهم حتى نزلوا على حُكْمِه ، ومنهم مَن سُبِى ومنهم مَن قُتِل صَبْرًا . فقالت اليهود : إنّ حصوننا هذه ليست مثل تلك ، هذه حصون مَنيعة فى

---

(١) تبخس : أى نقص . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩٩) .

(٢) فى الأصل : « وانق » ؛ والتصحيح هو ما يقتضيه السياق . ووتن الماء وغيره : أى دام ولم ينقطع . (الصحاح ، ص ٢٢١٢) .

ذُرَى الجبال . فخالفوه وثبتوا فى حصونهم . فلمّا صبّحهم رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وعاينوه أيقنوا بالهلكة .

فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم من المدينة فسلك ثَنيّة الوَداع ، ثم أَخذ على الزَّغابة ، ثم على نَقْمَى ، ثم سلك المُسْتَناخ ،ثم كَبَس الوطيح[1] ، ومعهم دليلان مِن أَشْجع يقال لأَحدهما حُسَيل بن خارجة ، والآخر عبد الله بن نُعَيم ، خرج على عَصَر[2] وبه مسجد ، ثم على الصَّهْباء[3] . فلمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فى مسيره قال لعامر بن سِنان : انزِلْ يا ابن الأَكْوَع فخُذْ لنا مِن هَناتِكَ[4]. فاقتحم عامر عن راحلته ، ثم ارتجز برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو يقول :

اللّهمَّ لَولا أَنتَ ما اهتديْنا[5] ولا تصدّقْنا ولا صَلّيْنا
فَأَلْقِيَنْ سَكينةً[6] علينا وَثَبِّتِ الأَقدامَ إنْ لاقيْنا
إنّا إذا صِيحَ بنا أَتَينا وبالصِّياحِ عَوَّلوا عَليْنْ

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يرحمك الله ! فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : وَجَبت واللهِ يا رسول الله ! فقال رجل من القو م : لولا متّعتَنا [به] يا رسول الله ! فاستُشهد عامر يوم خَيْبَر . فكان سَلَمَة بن

(١) فى الأصل : « ثم كبس الوطه » . وكبس دار فلان : أغار عليها . (الصحاح ، ص ٩٦٦) .
والوطيح : من أعظم حصون خيبر ، سمى بوطيح بن مازن . (وفاء الوفا ، ج٢ ، ص ٣٩٢) .
(٢) عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرع . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .
(٣) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر روحة . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٠١) .
(٤) من هناتك : أى من كلماتك أو من أراجيزك ، وهى جمع هنة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٥٦).
(٥) هكذا فى الأصل . وانظر لتصويب الوزن صحيح مسلم (ص ١٤٢٨) ، وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية (ج ٢ ، ص ٢٦٢) .
(٦) السكينة هنا الوقار والتثبت . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤٤) .

الأكوع يقول : لما كنا دون خَيْبَر نظرت إلى ظَبيٍ حاقفٍ[1] فى ظل شجرة ، فأتفرّدُ له بسهمٍ فأرميه فلم يصنع سهمى شيئًا ، وأُذعِرَ الظَّبْىُ فيلحقنى عامر ففوّق له السهمَ فوضع السهمَ فى جنب الظَّبى ، وينقطع وترُ القوس فيعلق رِصَافُه بجنبه ، فلم يُخلّصه إلّا بعد شدٍّ . ووقع فى نفسى يومئذٍ طِيَرَةٌ ورجوتُ له الشهادة فبصرتُ رجلًا من اليهود فيصيب نفسه فمات ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعبد الله بن رَواحة : أَلَا تُحرّك بنا الركب ! فنزل عبد الله عن راحلته فقال :

والله لولا أنتَ ما اهتَديْنا ... ولا تصدّقْنا ولا صَلَّيْنا
فأَنْزِلَنْ سَكينةً علينا ... وَثبِّت الأَقْدَامَ إنْ لَاقَيْنا
والمشركونَ قد بَغَوْا علينا

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمَّ ارحمْه ! فقال عمر رضى الله عنه : وَجَبت يا رسول الله . قال الواقدىّ : قُتِل يوم مُؤْتة شهيدًا .

قالوا : وانتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الصَّهْباء فصَلّى بها العصر ثم دعا بالأَطعمة فلم يُؤْتَ إلّا بالسّويق والتمر ، فأكل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأكلوا معه ، ثم قام إلى المغرب فصلّى بالناس ولم يتوضّأ ، ثم صَلّى العشاء بالناس ، ثم دعا بالأَدلّاء فجاء حُسَيل بن خارجة الأَشْجَعىّ ، وعبد الله بن نُعَيم الأَشْجَعىّ . قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لحُسَيل : امضِ أَمامنا حتى تأْخذنا صُدور الأَودية ، حتى نأْتى خَيْبَر من بينها وبين الشام ، فأَحولَ بينهم وبين الشام وبين حُلفائهم مِن غَطَفان . فقال حُسَيل : أنا أَسلكُ بك . فانتهى به إلى موضع له طُرُق ، فقال له :

---

(١) ظبى حاقف : رابض فى حقف من الرمل ؛ والحقف : المعوج من الرمل أو الرمل العظيم المستدير ، أو المستطيل المشرف . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٢٩) .

يا رسول الله ، إنَّ لها طُرُقًا يُؤْتَى منها كلّها ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : سَمِّها لى ! وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُحبّ الفألَ الحسن والاسمَ الحسن ، ويكره الطيَرَة والاسم القبيح . فقال الدليل : لها طريق يقال لها حَزَن . قال : لا تَسلكْها ! قال : لها طريق يقال لها شاش . قال : لا تَسلكْها ! قال : لها طريق يقال لها حاطِب . قال : لاتَسلكْها ! قال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : ما رأيتُ كالليلة أسماءً أقبح ! سمِّ لرسول الله ! قال : لها طريقٌ واحدةٌ لم يبق غيرها . فقال عمر : سمِّها . قال : اسمها مَرْحَب . قال رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : نعم اسلكْها ! قال عمر : ألا سمَّيت هذا الطريقَ أوّل مرة !

وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَبّاد بن بِشر فى فوارس طليعةً ، فأخذ عينًا لليهود مِن أَشْجَع فقال : مَن[1] أنت ؟ قال : باغٍ أبتغى أبعِرَةً ضَلّت لى ، أنا على أثرِها . قال له عَبّاد : أَلَكَ عِلْمٌ بخَيْبَر ؟ قال : عَهْدى بها حديث ، فيمَ تسألُنى عنه ؟ قال : عن اليهود . قال : نعم، كان كِنانة بن أبى الحُقَيق وهَوْذَة بن قيس ساروا فى حُلفائهم مِن غَطَفان ، فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خَيْبَر سنةً ، فجاءوا مُعدّين مؤيَّدين[2] بالكُراع والسلاح يَقودُهم عُتبة بن بدر ، ودخلوا معهم فى حُصونهم ، وفيها عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل الحُصون التى لا تُرام ، وسلاحٌ وطعامٌ كثير لو حُصِروا لسنين لَكَفاهم ، وماءٌ واتنٌ يشربون فى حُصونهم ، ما أرى لأحدٍ بهم طاقة . فرفع عبّاد بن بِشر السوطَ فضربه ضربات وقال : ما أنت إلاّ عينٌ لهم ، اصْدُقْنى وإلاّ ضربتُ عنقَك ! فقال الأعرابىّ : أفتؤمّنى على أن

---

(١) فى الأصل : « ما أنت » .

(٢) فى الأصل : « مودين » .

أصدقك ؟ قال عبّاد : نعم . فقال الأعرابيّ : القوم مرعوبون منكم خائفون وَجِلُونَ لِمَا قد صنعتم بمَن كان بيَثْرِب من اليهود ، وإنّ يهود يَثْرِب بعثوا ابن عمٍّ لى وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلعة يبيعها ، فبعثوه إلى كِنانة بن أبى الحُقَيق يُخبرونه[1] بقِلّتكم وقِلّة خيلكم وسلاحكم . [ويقولون له] : فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم ، فإنّه لم يَلْقَ قومًا يُحسنون القتال ! وقُرَيش والعرب قد سُرّوا بمسيره إليكم لِما يعلمون مِن مَوادّكم وكثرةِ عددكم وسلاحكم وَجَودة حُصونكم ! وقد تتابعت قُرَيش وغيرُهم ممّن يَهوَى هوى محمّد ، تقول قُريش : إنّ خَيْبَر تظهر ! ويقول آخرون : يظهر محمّد ، فإن ظَفِرَ محمّد فهو ذُلّ الدهر ! قال الأعرابىّ : وأنا أسمعُ كلّ هذا ، فقال لى كِنانة : اذهبْ مُعترِضًا للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانَك ، واحْزُرْهم لنا ، وادْنُ منهم كالسائل لهم ما تَقوى به ، ثم ألْقِ إليهم كثرةَ عددِنا ومادّتنا فإنهم لن يدَعوا سُؤالك ، وعجِّل الرجعة إلينا بخبرهم . فأتى به عَبّادُ النبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره الخبر ، فقال عمر بن الخطّاب : اضرِبْ عنقه . قال عَباد : جعلتُ له الأمان . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أمسِكه معك يا عَبّاد ! فأُوثق رباطًا . فلمّا دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خَيْبَر عرض عليه الإسلام وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى داعيك ثلاثًا ، فإن لم تُسلم لم يخرج الحبلُ عن عنقك إلّا صَعَدًا ! فأسلم الأعرابىّ ، وخرج الدليل يسير برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى انتهى به ، فيسلك بين حياض والسَّرير[2] ، فاتّبع صدورَ الأودية حتى هَبط به الخَرَصَة[3] ، ثم نهض به حتى سلك بين الشّقّ

---

(١) فى الأصل : « يخبروه » .

(٢) السرير : الوادى الأدنى بخيبر . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٢) .

(٣) الخرصة : حصن من حصون خيبر . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ١٥٨) .

والنَّطاة . ولما أشرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على خَيْبر قال لأصحابه : قِفُوا ! ثم قال : قُولوا : اللّهمّ ربَّ السموات السبع وما أظَلَّت ، وربَّ الأرَضين السبع وما أقلَّتْ ، وربّ الرياح وما ذَرَتْ ، فإنّا نسألك خيرَ هذه القرية ، وخيرَ أهلِها ، وخيرَ ما فيها ، ونَعوذُ بك مِن شرّها وشرّ ما فيها . ثم قال : ادخلوا على بركة الله ! فسار حتى انتهى إلى المنزلة ، وعرّس بها ساعةً من الليل ، وكان اليهود يقومون كلّ ليلة قبل الفجر فيتلبّسون السلاح ويصفّون الكتائب ، وهم عشرة آلاف مقاتل . وكان كِنانة بن أبي الحُقَيق قد خرج فى ركبٍ إلى غَطَفان يدعوهم إلى نصرهم ، ولهم نصف تمر خَيْبَر سنةً ؛ وذلك أنه بلغهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سائرٌ إليهم . وكان رجلٌ من بني فَزارة حليفٌ لهم قدم بسلعةٍ إلى المدينة فباعها ، ثم رجع فقدم عليهم فقال : تركتُ محمدًا يُعبّىءُ أصحابَه إليكم . فبعثوا [إلى] حلفائهم من غَطَفانَ ، فخرج كِنانة بن أبي الحُقَيق فى أربعةَ عشرَ رجلًا من اليهود يدعوهم إلى نصرهم ، ولهم نِصْفُ تمرِ خَيْبَر سنةً . فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بساحتهم لم يتحرّكوا تلك الليلَةَ ، ولم يَصِحْ لهم ديكٌ حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق ، وفتحوا حُصونَهم معهم المساحى والكرازين والمَكاتل(١) ، فلمّا نظروا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد نزل بساحتهم قالوا : محمّد والخَميس(٢) ! فولّوا هاربين حتى رجعوا

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . والكرازين : جمع كرزن وهو الفأس . والمكاتل : جمع مكتل وهو الزبيل الكبير ، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ؛ ج ٤ ، ص ٨ ، ١٤) .

(٢) الخميس : الجيش . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢٦٦) .

إلى حصونهم . وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم يقول : اللهُ أكبر ! خُربتْ خَيْبَر! إنَّا إذا نزلنا بساحةِ قوم فساءَ صباحُ المُنذَرين . ولما انتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم إلى المنزلة جعل مسجدًا فصلّى إليه من آخر الليل نافلةً . فثارت راحلتُه تجرّ زِمامَها ، فأُدرِكت توجّه إلى الصخرة لا تُريد تركَب . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : دَعُوها فإنها مأمورة ! حتى بركت عند الصخرة ، فتحوّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الصخرة ، وأَمر برحْلِه فَحُطَّ ، وأَمر الناسَ بالتحوّل إليها ، ثم ابتنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم عليها مسجدًا . فهو مسجدهم اليوم . فلمّا أصبح جاءه الحُبابُ ابن المُنْذِر بن الجَموح فقال : يا رسول الله صلّى اللهُ عليك ، إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمرٍ أُمِرت به فلا نتكلَّمُ فيه ، وإن كان الرأْيُ تكلَّمْنا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : بل هو الرأْى . فقال : يا رسول الله ، دنوتَ من الحصن ونزلتَ بين ظهرَى النخل والنَّزّ(1) ، مع أنّ أَهلَ النَّطاة لى بهم معرفة ، ليس قوم أبعد مَدًى منهم ؛ ولا أَعدلَ منهم ، وهم مرتفعون علينا . وهو أسرعُ لانحطاط نَبْلِهم ، مع أنى لا آمنُ مِن بياتهم يدخلون فى خَمَر(2) النخل ؛ تَحوّلْ يا رسول الله إلى موضعٍ برىء مِنَ النَّزّ ومن الوَباء ، نجعل الحرّةَ بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبلُهم . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : نُقاتِلهم هذا اليوم . ودعا رسول الله صلّى الله عليه

---

(1) النز : ما يتحلب من الأرض من الماء . (الصحاح ، ص ٨٩٦) .

(2) فى الأصل : « جمر » ، ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . والخمر بالتحريك : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٢٠) .

وسلَّم محمّد بن مَسْلَمَةَ فقال : انظرْ لنا منزلا بعيدًا مِن حصونهم بَريئًا[١] من الوباء ، نأمنُ فيه بَياتَهم . فطاف محمّد حتى انتهى إلى الرَّجيع[٢] ، ثم رجع إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليلًا فقال : وجدتُ لك منزلًا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : على بركة الله . وقاتل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومه ذلك إلى الليل يُقاتل أهلَ النَّطاة ، يُقاتلها مِن أسفلها . وحشَدت اليهود يومئذٍ ، فقال له الحُباب : لو تَحوّلتَ يا رسول الله ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إذا أمسينا إن شاءَ الله تَحوّلنا . وجَعلتْ نبلُ اليهود تُخالط عسكرَ المسلمين وتُجاوزه ، وجعل المسلمون يلقطون نبلَهم ثم يَردُّونها عليهم. فلما أمسى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تَحوّل ، وأمر الناس فتحوّلوا إلى الرَّجيع ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغدو بالمسلمين على راياتهم ، وكان شِعارهم : يا مَنصور أَمِتْ ! فقال له الحُباب بن المُنْذِر : يا رسول الله ، إنّ اليهودَ تَرَى النخل أحبَّ إليهم من أبكار أولادهم ، فاقطعْ نخلَهم . فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقطع النخل ، ووقع المسلمون فى قطعها حتى أسرعوا[٣] فى القطع ، فجاءه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدكم خَيْبَر ، وهو مُنْجزٌ ما وعدك ، فلا تَقطع النخل . فأمر فنادى منادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فَنَهَى عن قطع النخل .

وحدّثنى محمّد بن يحيى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : رأيتُ نخلًا بخَيْبر فى النَّطاة مُقطَّعةً ، فكان ذلك ممّا قطع أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) فى الأصل : « برئ » .
(٢) الرجيع : واد قرب خيبر . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣١٥) .
(٣) فى الأصل : « أشرعوا » .

وحدثنى أُسامة بن زيد اللَّيثىّ ، عَن جعفر بن محمود بن محمّد بن مَسْلَمَة قال : قطع المسلمون فى النَّطاة أَربعمائة عِذْق . ولم تُقطَعْ فى غير النَّطاة .

فكان محمّد بن مسْلَمَة ينظر إلى صَوْر[1] من كَبيس . قال : أنا قطعت هذا الصَّوْر بيدى حتى سمعت بِلالًا ينادى عزمةً من رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : لا يُقطَع النخل ! فأَمسكنا . قال : وكان محمود بن مَسْلَمَة يقاتل مع المسلمين يومئذٍ . وكان يومًا صائفًا شديدَ الحرّ . وهو أَوّل يومٍ قاتل فيه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَهل النَّطاة وبها بدأَ . فلمَّا اشتد الحرّ على محمود وعليه أَداتُه كاملةً جلس تحت حصن ناعِم يبتغى فَيْئه . وهو أَوّلُ حصنٍ بدأَ به رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، ولا يظنّ محمود أَنَّ فيه أَحدًا من المقاتلة . إنما ظنّ أَنّ فيه أَثاثًا ومتاعًا — وناعم يهودىّ . وله حصون ذوات عدد فكان هذا منها — فدَلّى عليه مَرْحَب رحًى فأَصاب رأسه . فهشمت البَيْضة رأسَه حتى سقطت جِلْدَة جبينه على وجهه . وأُتِىَ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فردّ الجِلْدَة فرجعت كما كانت . وعَصَبها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم بثوب . فلمّا أَمسى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تحوّل إلى الرَّجيع وخاف على أَصحابه البيات . فضرب عسكرَه هناك وبات فيه ، وكان مُقامه بالرَّجيع سبعة أَيّام . يغدو كلَّ يوم بالمسلمين على راياتهم مُتسلّحين ويترك العسكر بالرَّجيع ، ويستخلف عليه عُثمان بن عَفّان رضى الله عنه ، ويقاتل أَهلَ النَّطاة يومَه إلى الليل ، ثم إذا أَمسى رجع إلى الرَّجيع . وكان قاتل أَوّلَ يومٍ من أَسفل النَّطاة ، ثم عاد بعدُ فقاتلهم من أَعلاها حتّى

(١) الصور : النخل الصغار أو المجتمع . والكبيس : ضرب من التمر . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٧٣ ، ٢٤٥) .

فتح الله عليه. وكان مَن جُرِح من المسلمين حُمِل إلى المعسكر فدُووى ، وإن كان به انطلاق انطلق إلى معسكر النبيّ صلى الله عليه وسلَّم . وكان أَول يوم قاتلوا فيه جُرِح من المسلمين خمسون رجلًا مِن نَبلهم ، فكانوا يُداوَون من الجراح . ويقال :إنّ قومًا شكَوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وباءَ المنزل فأَمرَهم بالتحوّل إلى الرَّجيع ، وقدموا خَيْبَر على ثمرة خضراء وهى وَبِئَةٌ وخيمة ، فأَكلوا من تلك الثَّمرة ، وأَهمَدتْهم الحُمَّى ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم . فقال : قَرّسوا [1] الماءَ فى الشِّنان ، فإذا كان بين الأَذانَين فاحدُروا الماءَ عليكم حَدْرًا [2] واذكروا اسم الله . ففعلوا فكأَنما أُنشِطُوا مِن عِقال [3] .

وكان كعب بن مالك يُحدّث : إنّ رجلًا من اليهود من أَهل النَّطاة نادانا بعد ليلٍ ونحن بالرَّجيع : أَنا آمنٌ وأُبلّغكم ؟ قلنا : نعم . قال : فابتدرناه فكنتُ أَوّل مَن سبق إليه فقلتُ : من [4] أَنت؟ فقال : رجلٌ من اليهود . فأَدخلناه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال اليهوديّ : يا أَبا القاسم : تُؤمّنّى وأَهلى على أَن أَدلّك على عَورة من عورات اليهود ؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم . فَدلَّه على عَورة اليهود . قال : فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَصحابَه تلك الساعة فحضّهم على الجهاد ، وخَبّرهم أَنّ اليهود قد أَسلمها حُلفاؤُها وهربوا ، وأَنها قد تجادلتْ واختلفوا بينهم . قال

---

(١) فى الأصل : « قرصوا » . و قرس : صب . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٤٢) .

(٢) الحدر : الحط من علو إلى أسفل . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٥) .

(٣) فى الأصل : « نشطوا من العقل » . وما أثبتناه أفصح كما ذكر ابن الأثير . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٤٥) .

(٤) فى الأصل : « ما » .

كعب : فغدونا عليهم فظفّرنا اللهُ بهم . فلم يكن فى النَّطاة شىءٌ غير الذُّرّية فلما انتهينا إلى الشّقّ وجدنا فيه ذرّيّة . فدفع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى اليهودىّ زوجته وكانت فى الشّقّ . فدفعها إليه فرأيته أخذ بيد امرأةٍ حسناء.

قالوا : وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُناوِب بين أصحابه فى حراسة الليل فى مُقامه بالرَّجيع سبعةَ أيّام . فلمّا كانت الليلة السادسة مِن السبع استعمل عمرَ بن الخطّاب على العسكر ، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرَّقهم أو فرّق منهم . فأُتى برجلٍ من اليهود فى جوف الليل فأمر به عمر أن يُضرَب عنقُه . فقال اليهودى : اذهبْ بى إلى نبيّكم حتى أُكلّمه ، فأمسكه عمر وانتهى به إلى باب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوجده يُصلّى ، فسمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كلامَ عمر فسلّم وأدخله عليه . ودخل عمر باليهودىّ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لليهودى : ما وراءك ومن أنت (١)؟ فقال اليهودىّ : تُؤمنّى يا أبا القاسم وأَصدُقك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : نعم . فقال اليهودىّ : خرجتُ من حصن النَّطاة من عند قومٍ ليس لهم نظام . تركتُهم يَتسلّلون مِن الحصن فى هذه الليلة . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فأين يذهبون؟ قال : إلى أذلَّ ممّا كانوا فيه ، إلى الشقّ ، وقد رُعِبوا منك حتى إنّ أفئدتهم لَتخفق . وهذا حصن اليهود فيه السلاحُ والطعام والوَدَك ، وفيه آلةُ حصونهم التى كانوا يقاتلون بها بعضُهم بعضًا ، قد غيَّبُوا ذلك فى بيتٍ من حصونهم تحت الأرض. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

---

(١) فى الأصل : « وما أنت » .

وما هو ؟ قال : منجنيق مُفكَّكَة ودبَّابتان وسلاح مِن دروع وَبيْضٍ وسيوف ، فإذا دخلت الحصن غدًا وأَنتَ تدخله . قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إن شاءَ الله . قال اليهوديّ : إن شاءَ الله أُوقِفُك عليه ، فإنّه لا يعرفه أَحدٌ من اليهود غيرى . وأُخْرَى ! قيل : ما هى ؟ قال : تستخرجه ، ثم أَنصِب المنجنيق على حِصن الشِّقّ ، وتدخل الرجال تحت الدبَّابتين فيحفرون الحصن فتفتحه مِن يومك ، وكذلك تفعل بحصن الكَتيبة . فقال عمر : يا رسول الله ، إنى أَحسبُه قد صَدَق . قال اليهوديّ : يا أَبا القاسم ، احقِنْ دمى . قال : أَنت آمِن . قال : ولى زوجة فى حِصْن النِّزار فهَبْها لى . قال : هى لك . قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما لليهود حوّلوا ذراريّهم مِن النَّطاة ؟ قال : جرّدوها للمُقاتِلة . وحَولوا الذراريَّ إلى الشقّ والكَتيبة .

قالوا : ثم دعاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الإسلام ، فقال : أَنظِرْنى أَيّامًا ، فلما أَصبح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم غَدا بالمسلمين إلى النَّطاة . ففتح اللهُ الحصن ، واستخرج ما كان قال اليهوديّ فيه ، فأَمر النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالمنجنيق أَن تُصلَح وتُنصَب على الشِّقّ على حصن النِّزار . فهيّئوا ، فما رموا عليها بحجرٍ حتى فتح الله عليهم حصن النِّزار . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم حين انتهى إليه حَصَب الحصن فساخ فى الأَرض حتى أَخذ أَهلَه أَخذًا ، وأُخرِجتْ زوجتُه ، يقال لها نُفَيلة ، فدفَعها إليه . فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم الوَطيح وسُلالِم أَسلم اليهوديُّ ، ثم خرج من خَيْبَر فلم يُسمَع له بذكر ، وكان اسمه سِماك. وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين انتهى إلى حصن ناعِم فى النَّطاة وصَفَّ أَصحابَه نهى عن

القتال حتى يأْذن لهم ، فعمد رجلٌ مِن أَشْجع فحمل على يهودىّ ، وحمل عليه مَرْحب فقتله . فقال الناس : يا رسول الله ، استُشهد فلان ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَبعد ما نهيتُ عن القتال ؟ فقالوا : نعم . فأَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُناديًا فنادى : لا تَحِلُّ الجنّةُ لعاصٍ . ثم أَذِن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى القتال وحَثَّ عليه ، ووطّن المسلمون أَنفسَهم على القتال . وكان يَسار الحَبَشىّ – عبدٌ أَسود[1] لعامر اليهودىّ – فى غنم مولاه ، فلما رأَى أَهلَ خَيْبَر يتحصّنون ويقاتلون سأَلهم ، فقالوا : نُقاتل هذا الذى يزعم أَنه نبىّ . قال : فوقَعَتْ تلك الكلمةُ فى نفسه ، فأَقبل بغنمه يَسوقُها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمّد ، ما تقول ؟ ما تدعو إليه ؟ قال : أَدعو إلى الإسلام ، فاشْهَدْ أَن لا إله إلّا الله وأَنى رسول الله . قال : فما لى ؟ قال : الجنّة إن ثَبَتَّ على ذلك . قال : فأَسلم . وقال : إنّ غنمى هذه وديعة . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : أَخرجْها من العسكر ثم صِحْ بها وارمِها بحصيات ، فإنّ الله عزّ وجلّ سيؤدّى عنك أَمانتك . ففعل العبد فخرجت الغنم إلى سيّدها ، وعلم اليهودىّ أَنّ عبدَه قد أَسلم . ووعظ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناسَ وفرق بينهم الرايات ، وكانت ثلاثَ رايات ، ولم تكن راية قبل يوم خَيْبر ، إنما كانت الأَلوية ، وكانت راية النبىّ صلّى الله عليه وسلّم السوداء مِنْ بُرْدٍ لعائشة ، تُدْعَى العُقَاب ، ولواؤُه أَبيض ، ودفع رايةً إلى عَلىٍّ عليه السلام ، ورايةً إلى الحُباب بن المُنْذِر ، وراية إلى سعد بن عُبادة ، فخرج عَلىٌّ عليه السلام بالراية وتبعه العبد الأَسود فقاتل حتى قُتِل ، فاحتُمِل فأُدخِل خِباءً مِن أَخبية العسكر ، فاطّلع رسولُ الله صلّى الله عليه

(١) فى الأصل : « عبداً أسوداً » .

وسلَّم فى الخباءِ فقال : لقد كرم اللهُ هذا العبدَ الأَسود وساقَه إلى خَيْبَر ، وكان الإسلامُ من نفسه حقًّا . قد رأَيتُ عند رأسه زوجتين من الحُور العين.

قالوا : وكان رجلٌ من بنى مُرَّة يقال له أَبو شُيَيم يقول : أنا فى الجيش الذين كانوا مع عُيَيْنَة من غَطَفان ، أقبلَ مَدَد اليهود . فنزلنا بخَيْبَر ولم ندخل حصنًا . فأَرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم إلى عُيَينة بن حِصن وهو رأس غطَفان وقائدهم أَن ارجعْ بمن معك ولك نِصْفُ تمرِ خَيْبَر هذه السنة . إنّ الله قد وَعَدنى خَيْبر. فقال عُيَيْنة : لستُ بمُسلمٍ حُلفائى وجيرانى . فأَقمنا فبينا نحن على ذلك مع عُيَيْنة إذ سمعنا صائحًا ، لا ندرى من السماء أَو من الأَرض : أَهلَكم ، أَهلَكم بحَيفاء(١) - صِيح ثلاثة - فإنكم قد خُولِفتم إليهم ! ويقال : إنه لمّا سار كِنانة بن أَبى الحُقَيق فيهم حلفوا معه . وارتأَسهم عُيَينةُ بن حِصن وهم أَربعةُ آلاف . فدخلوا مع اليهود فى حصون النَّطاة قبل قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم بثلاثة أيام . فلمّا قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم خَيْبر أَرسل إليهم سعد بن عُبادة وهم فى الحصن ، فلمّا انتهى سعدُ إلى الحصن ناداهم : إنى أُريد أَن أُكلِّم عُيَيْنة بن حِصن . فأَراد عُيَيْنةُ أَن يُدخله الحصنَ فقال مَرْحَب : لا تُدْخِلْه فيرى خَلَل حِصْنِنا ويعرف نواحيه التى يُؤْتَى منها ، ولكن تخرج إليه. فقال عُيَيْنة : لقد أَحببت أَن يدخل فيرى حصانته ويرى عددًا كثيرًا . فأَبى مَرْحَب أَن يُدخله ، فخرج عُيَينة إلى باب الحصن . فقال سعد : إنّ رسول الله أَرسلنى إليك يقول : إنّ الله قد وعدنى خَيْبَر فارجعوا وكُفُّوا . فإن ظهرنا عليها فلكم تَمْرُ خَيبَر سنةً . فقال عُيَينة : إنا واللهِ ما كنا لنُسلمَ حلفاءَنا لشىءٍ ، وإنا لَنعلمُ ما لك

(١) ويقال. حفياء، كما ذكر السمهودى، وهو موضع قرب المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٩٢) .

ولن معك بما ها هنا طاقة ، هؤلاءِ قومٌ أهلُ حصونٍ مَنيعة ، ورجالٍ عددهم كثير ، وسلاح . إنْ أقمتَ هلكتَ ومَن معك ، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح . ولا واللهِ ، ما هؤلاءِ كقُرَيش، قوم ساروا إليك ، إن أصابوا غِرة منك فذاك الذى أرادوا وإلّا انصرفوا ، وهؤلاءِ يُماكرونك الحرب ويُطاولونك حتى تملّهم . فقال سعد بن عُبادة : أشهدُ لَيحضرنّك فى حصنك هذا حتى تطلبَ الذى كنّا عرضنا عليك ، فلا نُعطيك إلّا السيف ، وقد رأيتَ يا عُيَينة مَن قد حللنا بساحته من يهود يَثْرِب ، كيف مُزّقوا كلَّ مُمزَّق! فرجع سعد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرَه بما قال ، وقال سعد : يا رسول الله ، إنّ الله مُنجزٌ لك ما وعدك ومُظهِرٌ دِينَه ، فلا تُعطِ هذا لأعرابىّ تمرةً واحدة ، يا رسول الله ، لئن أخذه السيفُ لَيُسلمنَّهم وليهربنّ إلى بلاده كما فعل ذلك قبل اليوم فى الخَنْدق . فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابه أن يوجّهوا إلى حصنهم الذى فيه غَطَفان ، وذلك عشيّةً وهم فى حِصْن ناعِم ، فنادى مُنادى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أن أصبِحوا على راياتكم عند حصن ناعِم الذى فيه غَطَفان . قال : فرُعِبوا من ذلك يومَهم وليلتَهم ، فلمّا كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحًا يصيح ، لا يدرون مِن السماء أو من الأرض : يا معشر غطفان ، أهلَكم أهلَكم ! الغَوْثَ ، الغَوْثَ بحيفاءَ — صِيح ثلاثة — لا تُرْبَةَ ولا مال ! قال : فخرجتْ غَطَفان على الصَّعْب والذَّلول ، وكان أمرًا صنعه اللهُ عزّ وجلّ لنبيه . فلمّا أصبحوا أُخبِر كِنانة بن أبى الحُقَيق وهو فى الكَتيبة بانصرافهم ، فسُقط فى يديه[1] ، وذَلّ وأيقن بالهَلَكة وقال : كنّا من هؤلاءِ الأعراب فى باطل ، إنّا سِرْنا فيهم فوعدونا النصر وغرّونا ، ولَعَمْرى لولا ما وعدونا مِن نصرهم ما نابذنا محمّدًا بالحرب ،

---

(١) فى الأصل : « فى أيديه » .

ولم نحْفَظ كلامَ سَلّام بن أَبى الحُقَيق إذ قال : لا تستنصروا بهؤُلاءِ الأَعراب أبدًا فإنّا قد بلوناهم. وجَلَبهم لنصرِ بنى قُرَيْظَة ثم غرّوهم . فلم نَرَ عندهم وفاءً لنا ، وقد سار فيهم حُيَى بن أَخْطَب وجعلوا يطلبون الصلح من محمّد ، ثم زحف محمّد إلى بنى قُرَيْظَة وانكشفت غَطَفان راجعةً إلى أهلها .

قالوا : فلمّا انتهى الغَطَفانيّون إلى أَهلهم بحَيفاء وجدوا أَهلهم على حالهم فقالوا : هل راعَكم شىء ؟ قالوا : لا واللهِ . فقالوا : لقد ظننا أنكم قد غَنِمتم ، فما نَرَى معكم غنيمةً ولا خَيْرًا ! فقال عُيَينة لأَصحابه : هذا واللهِ من مكائد محمّد وأَصحابِه ، خَدَعنا واللهِ ! فقال له الحارث بن عَوف : بأَىّ شىءٍ ؟ قال عُيَيْنة : إنّا فى حِصْن النَّطاة بعد هَدْأَةٍ[1] إذ سمعنا صائحًا يصيح ، لا ندرِى من السماء أو من الأَرض : أَهلَكمأَهلَكم بحَيفاء — صِيح ثلاثةً — فلا تُرْبَةَ ولا مال ! قال الحارث بن عَوف : يا عُيَينة ، واللهِ لقد غبرتَ[2] إن انتفعتَ . واللهِ إنّ الذى سمعت لَمن السماء ! واللهِ لَيظهرنّ محمّد على مَن ناوأه ، حتى لو ناوأَته الجبال لأَدرك منها ما أَراد . فأَقام عُيينة أيّامًا فى أَهله ثم دعا أَصحابَه للخروج إلى نصر اليهود ، فجاءَه الحارث بن عَوف فقال : يا عُيَينة أَطِعْنى وأَقِمْ فى منزلك ودَعْ نصرَ اليهود ، مع أَنى لا أَراك ترجِع إلى خَيْبَر إلّا وقد فتحها محمَّد ولا آمنُ عليك . فأَبى عُيَيْنَة أن يقبل قولَه وقال : لا أُسلمُ حُلَفائى لشىءٍ . ولمّا ولّى عُيينةُ إلى أَهله هجم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الحصون حِصْنًا حِصْنًا ، فلقد انتهَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى حِصْن ناعِم ومعه المسلمون ، وحصون ناعِم عِدة ، فرمَتْ اليهودُ يومئذ بالنَّبل، وترّس أَصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه [وسلَّم عن رسول

(١) فى الأصل : « بعد هده » ، والتصحيح هو ما يقتضيه السياق . والهدأة : أول الليل إلى ثلثه . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٣) .
(٢) أى بقيت . (الصحاح ، ص ٧٦٥) .

الله] ، وعلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ دِرْعان ومِغْفَرٌ وبَيْضَة ، وهوعلى فرسٍ يقال له الظَّرِب⁽¹⁾ ، فى يده قَناةٌ وتُرْس ، وأصحابُه مُحدِقون به ، وقد كان دفع لواءَه إلى رجلٍ من أصحابه من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئًا ، ثم دفعه إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئًا ، ودفع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لواءَ الأَنصار إلى رجلٍ منهم . فخرج ورجع ولم يعمل شيئًا ، فحثّ رسُولُ الله صلّى الله عليه وسَلّم المسلمين ، وسالت كتائبُ اليهود ، أمامَهم الحارثُ أبو زَينب يقدُم اليهود يَهُدّ الأَرَض هَدًّا ، فأَقبل صاحبُ رايةِ الأَنصار فلم يزل يسوقهم حتى انتهوا إلى الحِصْن فدخلوه ، وخرج أُسَير اليهوديّ يقدُم أصحابَه معه عاديتُه⁽²⁾ . وكشف رايةَ أصحاب الأَنصار حتى انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى موقفه ، ووجد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى نفسه حِدّةً شديدة ، وقد ذكر لهم الذى وعدهم الله ، فأَمسى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مَهموماً ، وقد كان سعدُ بن عُبادة رَجَع مجروحًا وجعل يستبطئُ أصحابَه ، وجعل صاحبُ راية المهاجرين يستبطئُ أصحابه ويقول : أنتم ، وأنتم ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ اليهود جاءَهم الشيطان فقال لهم : إنّ محمّدًا يقاتلكم على أموالكم ! نادوهم : قولوا لا إله إلّا الله ، ثم قد أحرزتم بذلك أموالكم ودماءَكم ، وحِسابُكم على الله . فنادوهم بذلك فنادت اليهود : إنّا لا نفعل ولا نترك عهدَ موسى والتوراةُ بيننا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لأُعطينّ الراية غدًا رجلًا يُحبّه اللهُ ورسولُه ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار ، أبشِرْ يا محمّد بن مَسْلَمَة غدًا ، إنْ شاءَ الله يُقتَل قاتلُ أخيك وتُولّى عادية اليهود.

---

(١) فى الأصل : « الطرف » .

(٢) عاديته : أى الذين يعدون على أرجلهم . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٧٤) .

فلمّا أصبح أرسل إلى عَلِىّ بن أبي طالب عليه السّلام وهو أرْمَد . فقال : ما أُبصِرُ سَهلًا ولا جَبَلًا . قال : فذهب إليه فقال : افتح عينيك . ففتحهما فتفل فيهما . قال عَلىٌّ عليه السلام : فما رمدتُ حتى الساعة . ثم دفع إليه اللواء ، ودعا له ومَن معه من أصحابه بالنصر . فكان أوّل مَن خرج إليهم الحارث أخو مَرْحَب فى عاديته . فانكشف المسلمون وَثبت عَلىٌّ عليه السلام فاضطربا ضربات فقتله عَلىٌّ عليه السلام ، ورجع أصحابُ الحارث إلى الحصن فدخلوه وأغلقوا عليهم . فرجع المسلمون إلى موضعهم . وخرج مَرْحَب وهو يقول :

قد عَلِمتْ خَيْبَرُ أنّى مَرْحَبُ　　شاكِى السلاح بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَضرِبُ أَحيانًا وحِينًا أُضْرَبُ

فحمل عَلِىّ عليه السلام فقطَّره[1] على الباب وفتح الباب ، وكان للحِصن بابان .

وحدّثنى ابن أبى سَبْرة ،عن خالد بن رَباح ، عن شيوخٍ من بنى ساعدة قالوا : قتل أبو دُجانة الحارثَ أبا زَينب ، وكان يومئذٍ مُعلِمًا بعمامة حمراء ، والحارث مُعلِمٌ فوقمِغْفَره ، وياسِر وأُسَير وعامر مُعلِمين .

حدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن عمرو بن أبى عمرو ، قال : نزلتُ بأَريحا زمن سُلَيمان بن عبد الملك فإذا حَىٌّ من اليهود ، وإذا رجلٌ يَهدِج مِن الكِبَر . فقال : ممن أنتم ؟ فقلنا : من الحِجاز . فقال اليهودىّ : وَاشَوقاه إلى الحِجاز ! أنا ابن الحارث اليهودىّ فارس خيابر ، قَتَلَه يوم خَيْبَر رجلٌ من أصحاب محمّد يُقال له أبو دُجانة يومَ نزل محمّد خَيْبَر ، وكنّا ممن أجلَى عمرُ بن الخطّاب إلى الشام . فقلت : ألا تُسلم ؟ قال : أما إنه خيرٌ لى

(١) قطره : أى ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه . (الصحاح ، ص ٧٩٦) .

لو فَعَلْتُ ، ولكنْ أُعيَّر ، تُعيِّرنى اليهود ، تقول : أَبوك ابنُ سيِّد اليهود لم يترك اليهوديّة ، قُتل عليها أَبوك وتُخالِفه ؟

وقال أَبو رافع : كنَّا مع عَلِىٍّ عليه السلام حين بعثه النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالراية . فلقِى عَلِىٌّ عليه السلام رجلًا على باب الحصن . فضرب عَلِيًّا واتقاه بالتُّرس عَلِىٌّ . فتناول عَلِىٌّ بابًا كان عند الحصن فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده حتى فتح الله عليه الحصن . وبعث رجلًا يُبشّر النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بفتح الحصن ؛ حصن مَرْحَب ودخولِهم الحصن . ويقال : إنّ مَرْحَب برز وهو كالفحل الصَّؤول يرتجز وهو يقول :

قد عَلِمتْ خَيْبَرُ أَنّى مَرْحَبُ شاكِى السلاحِ بطَلٌ مُجَرَّبُ
أَضرِبُ أَحيانًا وحِينًا أُضْرِبُ

يدعُو للبِراز . فقال محمّد بن مَسْلَمَة : يا رسول الله أَنا واللهِ الموتورُ الثائر ، قُتل أَخى بالأمس فائذن لى فى قتال مَرْحَب وهو قاتِل أَخى . فأَذن له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى مبارزته ؛ ودعا له بدعوات ، وأَعطاه سيفه ، فخرج محمّد فصاح : يا مَرْحَب ، هل لك فى البِراز ؟ فقال : نعم . فبرز إليه مرْحَب وهو يرتجز :

* قَد عَلِمتْ خَيْبرُ أَنى مرْحَبُ *

وخرج محمّد بن مسلَمَة وهو يقول :

قد عَلِمتْ خَيْبَرُ أَنى ماضِ حُلْوٌ إذا شئتُ وسَمٌّ قاضِ

ويقال : إنه جعل يومئذٍ يرتجز ويقول :

يا نَفْسُ إلَّا تُقْتَلِى تَموتِى لا صبرَ لى بعدَ أَبِى النُّبيتِ

وكان أَخوه مَحمود يُكنى بأَبى النُّبيت . قال : وبرز كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه . قال : فحال بينهما عُشَرات[1] أَصلها كمِثل أَصل الفحل من

(١) فى الأصل : « عسرات » . والعشرات : جمع عشر ، وهوشجرله صمغ . (الصحاح ، ص ٧٤٧)

النخل وأفنانٌ مُنْكَرة ، فكلَّما ضرب أحدُهما صاحبه استَتَر بالعُشَر حتى قَطَعا كلَّ ساقٍ لها ، وبقى أصلُها قائمًا[1] كأنه الرَّجُلُ القائم . وأفضى كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه ، وبَدر مَرْحَب محمّدًا ، فيرفع السيفَ ليضربه ، فاتّقاه محمد بالدَّرَقَة فلَحِج[2] سيفُه ، وعلى مَرْحَب دِرْعٌ مُشمّرة ، فيضرب محمّد ساقَىْ مَرْحَب فقطعهما . ويقال : لما اتّقى محمّدٌ بالدَّرَقَة وشمرت الدِّرْع عن ساقَىْ مرْحَب حين رفع يديه بالسيف ، فَطَأْطأ محمد بالسيف فقطع رجليه ووقع مَرْحَب ، فقال مَرْحب : أَجهِزْ يا محمّد ! قال محمد : ذُق الموتَ كما ذاقه أخى محمود ! وجاوزه ومَرّ به عَلِىٌّ فضرب عنقَه وأخذ سَلَبه ، فاختصما إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى سَلَبه ، فقال محمد بن مَسْلَمة : يا رسول الله ، واللهِ ما قطعتُ رجليه ثم تركتُه إلّا ليذوقَ مُرّ السلاح وشدّةَ الموت كما ذاق أخى ؛ مكث ثلاثًا يموت ، وما منعنى من الإجهاز عليه شىء ، قد كنتُ قادرًا بعد أن قطعتُ رجليه أن أُجهزعليه . فقال عَلِىٌّ عليه السلام : صَدَق ، ضربتُ عنقَه بعد أن قَطَع رِجْلَيه . فأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم محمّدَ بن مَسْلَمَة سيفَه ودِرْعَه ومِغْفَره وبَيْضَتَه ، فكان عند آل محمّد بن مَسْلَمَة سيفه فيه كتاب لا يُدْرَى ما هو حتى قرأه يهودىٌّ مِن يهود تَيماء فإذا فيه :

هذا سَيْفُ مَرْحَبْ مَنْ يَذقْه يَعْطَبْ

حدّثنى محمد بن الفَضل ، عن أبيه ، عن جابر . وحدّثنى زَكَريّا بن زيد ، عن عبد الله بن أبى سُفيان ، عن أبيه ، عن سَلَمَة بن سَلامة ، ومُجَمِّع

---

(١) فى الأصل : « قائم » .

(٢) لحج السيف : أى نشب فى الغمد فلا يخرج . (الصحاح ، ص ٣٣٨) .

ابن يَعقوب ، عن أبيه ، عن مُجَمِّع بن حارثة ، قالوا جميعًا : محمّد بن مسلمة قَتَلَ مَرْحبًا .

قالوا : وبرز أُسَير ، وكان رجلًا أَيِّدًا ، وكان إلى القِصَر ، فجعل يصيح ؛ مَن يبارز ؟ فبرز له محمّد بن مَسْلَمة فاختلفا ضربات ، ثم قَتَلَه محمّد ابن مَسْلَمة . ثم برز ياسر وكان مِن أشدّائهم ، وكانت معه حربةٌ يحوش[1] بها المسلمين حَوْشًا ، فبرز له عَلِىٌّ عليه السلام فقال الزُّبَير : أقسمتُ عليك ألّا خلّيت بينى وبينه . ففعل عَلِىٌّ وأقبل ياسر بحربته يسوق بها الناس ، فبرز له الزُّبير ، فقالت صَفيّة : يا رسول الله وَاحَزَنَى ! ابنى يُقتَل يا رسول الله ! فقال : بل ابنُك يَقْتُله . قال : فاقتتلا فقتلَه الزُّبَير ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فداك عمٌّ وخالٌ ! وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : لكلّ نبىٍّ حَوارِىٌّ وحَوارِىَّ الزُّبيرُ وابنُ عمّتى . فلما قُتل مَرْحَب وياسر قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أبشروا ، قد ترحّبتْ خَيْبَر وتيسّرت ! وبَرز عامر وكان رجلًا طويلًا جسيمًا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين طلع عامر : أترونه خمسةَ أذْرُع ؟ وهو يدعو إلى البِراز ، يَخطُر بسيفه وعليه دِرعان ، مُقنّع فى الحديد يَصيح : مَن يبارز ؟ فأحجم الناسُ عنه ، فَبَرز إليه عَلِىٌّ عليه السلام فضربه ضرباتٍ ، كلُّ ذلك لا يصنع شيئًا ، حتى ضرب ساقيه فبَرَك ، ثم ذفّف[2] عليه فأخذ سلاحَه .

فلمّا قُتل الحارثُ ، ومَرْحَب ، وأُسَير ، وياسر ، وعامر ، مع ناسٍ من اليهود كثير

---

(١) أى يسوقهم . (الصحاح ، ص ١٠٠٣) .
(٢) تذفيف الجريح : الإجهاز عليه . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤٦) .

ــ ولكن إنما سُمِّىَ هؤُلاءِ المذكورون لأنهم كانوا أهل شجاعة ، وكان هؤُلاءِ فى حصن ناعِم جميعًا . ولما رُمى محمود بن مَسْلَمَة مِن حصن ناعِم حُمِل إلى الرَّجيع فمكث ثلاثةَ أيّام يموت ، وكان الذى دَلّى عليه الرحا مَرْحَب ، فجعل محمود يقول لأخيه : يا أخى ، بناتُ أَخيك لا يتبعْن الأَفياءَ[1] ؛ يسأَلن الناسَ . فيقول محمّد بن مَسْلَمَة : لو لم تَترك مالًا لكان لى مال . ومحمود كان أكثرهما مالًا ــ ولم ينزل يومئذٍ فرائضُ البنات ــ فلمّا كان اليوم الذى مات فيه محمود وهو اليوم الثالث ، وهو اليوم الذى قُتل فيه مَرْحَب ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مَن رجل يُبشِّر محمودَ بن مَسْلَمَة أنّ الله قد أَنزل فرائض البنات ، وأنّ محمّد بن مَسْلَمَة قد قتل قاتله ؟ فخرج جُعال بن سُراقة إليه فأَخبره فسُرَّ بذلك ، وأَمَره أن يُقرِئَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم السلامَ منه . قال : فأَقرأتُه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال محمود : لا أراه يذكُرنى ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يبيت فى موضعه بالرَّجيع فمات خلافه ، فلمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى منزلة ، وقد جرح عامرُ بن الأَكْوَع نفسَه ، حُمل إلى الرَّجيع فمات ، فقُبر عامر بن الأَكْوَع معه فى غار . فقال محمّد : يا رسول الله اقطعْ لى عند قَبْر أَخى . قال : لك حُضْر[2] الفرس فإن عَمِلت فلك حُضْر فرسَيْن .

وكان حِصن الصَّعْب بن مُعاذ فى النَّطاة ، وكان حصن اليهود فيه الطعام والوَدَك والماشية والمتاع ، وكان فيه خمسمائة مقاتل ، وكان الناس قد أقاموا أيّامًا يقاتلون وليس عندهم طعامٌ إلّا العَلَف[3] . قال مُعتِّب الأَسْلَمىّ :

---

(١) فى الأصل : « إلا فيا » ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى السياق . والأفياء : جمع فىء .

(٢) حضر الفرس : عدوه . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٣٤) . أى لك بأرض خيبر هذا القدر .

(٣) فى الأصل : « الغلق » .

أصابنا معشرَ أَسْلَم خَصاصةٌ حين قدمنا خَيْبَر ، وأقمنا عشرةَ أيّام على حصن النَّطاة لا نفتح شيئًا فيه طعام ، فأَجمعت أسلم أن يُرسلوا أَسْماء بن حارثة فقالوا : ايتِ محمّدًا رسولَ الله فقُلْ : إنّ أَسلم يُقرئونك السلام ويقولون إنّا قد جَهِدنا من الجوع والضَّعف. فقال بُرَيدة بن الحُصَيب : واللهِ إن رأَيتُ كاليوم قطُّ أمرًا[1] بين العرب يصنعون [فيه] هذا ! فقال هند بن حارثة : واللهِ إنّا لنرجو أن تكون البعثةُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مِفتاحَ الخير . فجاءه أَسْماءُ بن حارثة فقال : يا رسول الله ، إنّ أَسلم تقول : إنّا قد جَهِدنا من الجوع والضَّعف فادْعُ اللهَ لنا . فدعا لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : واللهِ ما بيدى ما أقريهم[2] . ثم صاح بالناس فقال: اللّهمّ افتحْ عليهم أَعظمَ حصن فيه ، أكثره طعامًا وأكثره وَدَكًا . ودفعوا اللواءَ إلى الحُباب بن المُنْذِر بن الجَموح ، ونَدَب الناس ، فما رجعنا حتى فتح اللهُ علينا الحصن ــ حصن الصَّعب بن مُعاذ . فقالت أُمّ مُطاع الأَسْلَمِيّة ، وكانت قد شهدت خَيْبَر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى نساء، قالت : لقد رايت أَسْلَم حين شكوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما شكوا من شدّة الحال ، فندب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناسَ فنهضوا ، فرأَيتُ أَسْلَم أول مَن انتهى إلى حصن الصَّعْب بن مُعاذ ، وإنّ عليه لخمسمائة مُقاتل ، فما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتحه الله ، وكان عليه قتال شديد . برز رجلٌ من اليهود يقال له يوشع يدعو إلى البِراز ، فبرز إليه الحُبابُ بن المُنْذِر فاختلفا ضربات فقتله الحُبابُ . وبرز آخر يقال له الزَّيَّال ، فبرز له عُمارة بن عُقبة الغِفاريّ فبَدَره الغِفاريُّ فيضربه ضربةً على هامته ، وهو يقول : خُذْها وأنا الغلامُ الغِفارى ! فقال الناس : بطل جِهادُه . فبلغ رسولَ الله

(١) فى الأصل : « أمر » .
(٢) فى الأصل : « أقويهم » .

صلّى الله عليه وسلّم فقال : ما بأسٌ به ، يُؤْجَر(١) ويُحمَد .

وكان أبو اليَسَر يحدّث أنهم حاصروا حصنَ الصَّعب بن مُعاذ ثلاثة أيّام ، وكان حصنًا مَنيعًا ، وأقبلتْ غَنَمٌ لرجلٍ من اليهود ترتع وراءَ حصنهم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مَن رجلٌ يُطعمنا مِن هذه الغَنم ؟ فقلتُ : أنا يا رسول الله ، فخرجتُ أسعى مثل الظّبى ، فلمّا نظر إلىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مُولّيًا قال : اللّهمّ مَتّعْنا به ! فأدركتُ الغنم وقد دخل أوّلُها الحصن ، فأخذتُ شاتين مِن آخرها فاحتضنتهُما تحت يدى ، ثم أقبلتُ أعدو كأن ليس معى شىء حتى أتيتُ بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمر بهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فذُبحتا ثم قسمهما ، فما بقى أحدٌ من أهل العسكر الذين هم معه محاصرين الحصن إلّا أكل منها . فقيل لأبى اليَسَر : وكم كانوا ؟ قال : كانوا عددًا كثيرًا . فيقال : أين بقيّةُ الناس ؟ فيقول : فى الرَّجيع بالمعسكر . فسمع أبو اليَسَر — وهو شيخ كبير — وهو يبكى فى شىءٍ غاظه من بعض ولده ، فقال : لَعمرى بقيتُ بعد أصحابى ومُتّعوا بى وما أُمتّع بهم ! لِقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهم مَتّعْنا به ! فبقى فكان مِن آخرهم .

وكان أبو رُهم الغِفارىّ يحدّث قال : أَصابنا جوعٌ شديدٌ ، ونزلنا خَيْبَر زمان البَلَح ، وهى أرض وخيمة حارّةٌ شديدٌ حَرُّها . فبينا نحن محاصرون حصنَ الصَّعب بن مُعاذ فخرج عشرون حمارًا منه أو ثلاثون ، فلم يقدر اليهود على إدخالها ، وكان حصنُهم له منَعةٌ ، فأخذَها المسلمون فانتحروها ،

(١) فى الأصل : « يزجر » . وما أثبتناه عن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١٦٤) .

وأوقدوا النيران وطبخوا لحومَها فى القُدور والمسلمون جياع ، ومَرّ بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهم على تلك الحال فسأَل فأُخبِر فأَمر مُنادِيًا : إنّ رسولَ الله ينهاكم عن الحُمُر الإِنسيّة ــ قال : فكَفَوا القُدور ــ وعن مُتعة النساء ، وعن كلّ ذى ناب ومِخْلَب .

وحدثنى ابن أَبى سَبرة ، عن الفُضَيل بن مبشِّر ، قال : كان جابر بن عبدالله يقول : أَطعَمَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحومَ الخيل ، فَذَبَح قومٌ من المسلمين خيلًا من خيلهم قبل أَن يُفتَح حصنُ الصَّعب بن مُعاذ ؛ فقيل لجابر : أرأَيتَ البغال ، أَكنتم تأْكلونَها ؟ قال : لا .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبى صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمّ عُمارة ، قالت : ذبحنا بخَيْبَر لبنى مازن بن النَّجار فرسَين ، فكنا نأْكلُ منهما قبل أَن يُفتَح حصنُ الصَّعب بن مُعاذ .

وحدّثنى ثَور بن يزيد ، عن صالح بن يحيى بن المِقدام ، عن أَبيه ، عن جدّه قال : سمعتُ خالد بن الوليد يقول : حضرتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بخَيْبَر يقول : حرامٌ أَكلُ الحُمُر الأَهليّة والخيل والبغال . قالوا : وكلّ ذِى نابٍ من السباع ، ومِخلَب مِن الطير . قال الواقدىّ : الثبتُ عندنا أَنّ خالدًا لم يشهد خَيْبَر ، وأَسلم قبل الفتح هو وعمرو بن العاص وعُثمان بن طلحة بن أَبى طَلحة أَوّلَ يومٍ من صفر سنة ثمان .

وكان ابنُ الأَكْوَع يقول : كنّا على حصن الصَّعب بن مُعاذ ، أَسلَمُ بأَجمعها ، والمسلمون قد حصروا أَهلَ الحصن ، فلقد رأَيتُنا وصاحب رايتِنا سعد بن عُبادة ، فانكشف المسلمون ، فأَخذ الرايةَ فغدونا معه . وغدا عامر ابن سِنان فلقى رجلًا من اليهود ، وبَدَره اليهودىُّ فيضرب عامرًا ، قال عامر :

فاتقيتُه بدَرَقتى فنبا سيف اليهودىّ عنه . قال عامر : فأَضربُ رِجل اليهودىّ فأَقطعُها . ورَجَع السيف على عامر فأَصابه ذبابُه فنَزَف فمات . فقال أُسَيد ابن حُضَير : حبِط عملُه . فبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : كذب مَن قال ذلك ! إن له لأَجرين . إنه جاهدٌ مُجاهدٌ . وإنه لَيَعوم فى الجنّة عوْمَ الدُّعْموص(١) .

حدّثنى خالد بن إلياس ، عن جَعفر بن محمود بن محمّد ، عن محمّد ابن مَسْلَمَة قال : كنت فيمن ترّس عن النبىّ صلى الله عليه وسلّم . فجعلتُ أَصيح بأَصحابه : تراموا بالحَجف ! ففعلوا فرمونا حتى ظننتُ أَلّا يُقلعوا ، فرأَيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رمى بسهم . فما أَخطأَ رجلًا منهم ، وتَبسّم إلىّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وانفرجوا ودخلوا الحصن .

حدّثنى ابن أَبى سبْرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أَبى فَرْوَة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أَبيه ، قال : لما انتهينا إلى حصن الصعب بن معاذ ، والمسلمون جِياع والأَطعِمةُ فيه كلُّها ، وغزا بنا الحُباب ابن المُنْذِر بن الجَموح ومعه رايتنا وتبعه المسلمون . وقد أَقمنا عليه يومين نقاتلهم أَشدَّ القتال ، فلمّا كان اليوم الثالث بَكر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، فخرج رجل مِن اليهود كأَنه الدَّقَل(٢) فى يده حربةٌ له ، وخرج وعاديته معه فرمَوا بالنبل ساعةً سِراعًا ، وترّسْنا عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

(١) الدعموص : الدخال فى الأمور ، أى إنه سياح فى الجنة دخال فى منازلها لا يمنع من موضع . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٢) الدقل : خشبة يمد عليها شراع السفينة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

وأَمطروا علينا بالنَّبل ، فكان نَبْلُهم مثل الجَراد حتى ظننتُ أَلّا يُقلعوا ، ثم حملوا علينا حملةَ رجلٍ واحدٍ ، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو واقف ، قد نزل عن فرسه ومِدعَم[١] يُمسك فرسه . وثبت الحُبابُ برايتنا . واللهِ ما يزول . يُراميهم على فرسه . وندب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المسلمين وحضّهم على الجهاد ورغَّبهم فيه ، وأَخبرهم أَنّ اللهَ قد وعده خَيْبَر يُغنّمه إيّاها . قال : فأَقبل الناسُ جميعًا حتى عادوا إلى صاحب رايتهم ، ثم زَحَف بهم الحُباب فلم يزل يدنو قليلًا قليلًا ، وترجع اليهودُ على أَدبارها حتى لحمها الشرُّ فانكشفوا سِراعًا . ودخلوا الحصن وغلّقوا عليهم . و وافوا على جُدُره — وله جُدُر دون جُدُر — فجعلوا يرموننا بالجَنْدَل[٢] رميًا كثيرًا . ونحّونا عن حصنهم بوقع الحجارة حتى رجعنا إلى موضع الحُباب الأَول . ثم إن اليهود تَلاوَمَتْ بينها وقالت : ما نستبقى لأَنفسنا ؟ قد قُتل أَهلُ الجِدّ والجلَد فى حصن ناعِم . فخرجوا مُستميتين ، ورجعنا إليهم فاقتتلنا على باب الحصن أَشدَّ القتال . وقُتل يومئذٍ على الباب ثلاثة من أَصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم — أَبو صَيّاح . وقد شهد بدرًا ، ضربه رجلٌ منهم بالسيف فأَطنّ قِحْفَ رأسِه ؛ وعَدِىّ بن مُرَّة بن سُراقة ، طعنه أَحدُهم بالحربة بين ثديه فمات ؛ والثالث الحارث بن حاطب وقد شهد بدرًا ، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه . وقد قتلنا منهم على الحصن عِدَّة ، كلَّما قتلنا منهم رجلًا حملوه حتى يُدخلوه الحصن . ثم حمل صاحبُ رايتنا وحملنا معه ، وأَدخلنا اليهودَ الحصن وتبعناهم فى جوفه ، فلمّا دخلنا عليهم الحصن فكأَنهم غَنَم . فقتلنا مَن أَشرفَ لنا ، وأَسرْنا منهم .

---

(١) هو العبد الأسود مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (الاستيعاب ، ص ١٤٦٨) .

(٢) الجندل : الحجارة . (لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ١٣٦) .

وهربوا فى كلّ وجهٍ يركبون الحَرّة يُريدون حصنَ قلعة الزُّبير، وجعلنا نَدَعُهم يهربون. وصعد المسلمون على جُدُره فكبّروا عليه تكبيرًا كثيرًا، ففَتَتْنا أَعضادَ اليهود بالتكبير. لقد رأيتُ فِتيانَ أَسْلَم وغِفار فوق الحصن يُكبِّرون. فوجدنا واللهِ مِن الأَطعمة ما لم نظنّ أنه هناك؛ من الشعير، والتمر، والسمن، والعسل، والزيت، والوَدَك. ونادى مُنادِى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كُلُوا واعلفوا ولا تحتملوا. يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم. فكان المسلمون يأْخذون من ذلك الحصن مُقامَهم طعامَهم وعَلَفَ دوابّهم. لا يُمْنَع أحد أن يأْخذَ حاجتَه ولا يُخمَّس الطعام. ووجدوا فيه من البَزّ والآنية، ووجدوا خَوابى السُّكَر. فأُمروا فكسروها. فكانوا يكسرونها حتّى سال السُّكَر فى الحصن، والخوابى كبار لا يُطاق حَمْلُها. وكان أبو ثَعلبة الخُشَنى يقول: وجدنا فيه آنيةً من نُحاسٍ وفَخّارٍ كانت اليهود تأْكل فيها وتشرب. فسأَلْنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: اغسلُوها واطبخوا وكُلوا فيها واشربوا. وقال: أَسخنوا فيها الماءَ ثم اطبخوا بعد، وكُلُوا واشربوا. وأَخرجنا منه غنمًا كثيرًا وبقرًا وحُمُرًا. وأَخرجنا مِنه آلةً كثيرةً للحرب، ومَنجنيقًا[1] ودبّابات وعُدّة. فنعلم أَنهم قد كانوا يظنّون أَنّ الحصار يكون دهرًا، فعجَّل الله خِزْيَهم.

فحدّثنى عبد الحَميد بن جَعفر، عن أَبيه، قال: لقد خرج من أُطُمٍ مِن حصن الصَّعب بن مُعاذ مِن البَز عشرون عِكْمًا[2] محزومةً مِن غليظ متاع اليَمن، وأَلفٌ وخمسمائة قطيفة؛ يقال: قَدِم كلُّ رجل بقطيفةٍ على أَهله. ووجدوا عشرةَ أَحمال خشب، فأُمِر به فأُخرِج من الحصن ثم أُحرِق،

---

(١) فى الأصل: «منجنيق».

(٢) العكم: ثوب يبسط ويجعل فيه المتاع ويشد. (تاج العروس، ج ٨، ص ٤٠٤)

فمكث أيامًا يحترق . وخوابى سَكَرٍ كُسرت ، وزقاق خَمْر فأُهرِيقَتْ وَعَمد يومئذٍ رجل من المسلمين فشرب من الخمر ، فرُفع إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فكَرِه حين رُفع إليه فخفقَه بنعليه ؛ ومَن حضره ، فخفقوه بنعالهم . وكان يُقال له عبد الله الخمّار . وكان رجلًا لا يصبر عن الشراب قد ضربه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مِرارًا . فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : اللَّهمّ العَنْه ! ما أكثرَ ما يُضرَب ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تفعل يا عمر . فإنه يُحبّ الله ورسوله . قال : ثم راح عبد الله فجلس معهم كأنّه أحدُهم .

حدّثنى ابن أبى سَبْرَة . عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمّ عُمارة قالت : لقد وجدنا فى حصن الصَّعب بن مُعاذ من الطعام ما كنتُ أظنُّ أنه لا يكون بخَيْبر ، جعل المسلمون يأْكلون مُقامَهم شهرًا وأكثرَ من ذلك الحصن ، فيعلفون دوابَّهم ، ما يُمنَع أحدهم ولم يكن فيه خُمس ؛ وأُخرج مِن البُزوز شىءٌ كثيرٌ يُباع فى المقْسم ، ووُجد فيه خَرز من خَرَز اليهود . فقيل لها : فمَن الذى يشترى ذلك فى المَقْسم ؟ قالت : المسلمون ، واليهود الذين كانوا فى الكتيبة فآمنوا . ومن حضر مِن الأعراب . فكل هولاء يشترى ، فأَما من يشترى مِن المسلمين فإنما يُحاسب به مما يُصيبه من المغنم .

قال الواقدى : وحدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن إسحاق بن عبد الله ، قال : لمّا نظر عُيَينَة بن حِصن إلى حصن الصَّعب بن مُعاذ والمسلمون ينقلون منه الطعام والعَلَف والبَزَّ قال : ما أحدٌ يَعلِف لنا دوابّنا ويُطعمنا مِن هذا الطعام الضائع ، فقد كان أهله عليه كِراماً ! فشتمه المسلمون وقالوا :

لك الذى جعل لك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ذو الرُّقَيبة[1] ، فاسكُت !
وبينما المسلمون يجولون فى حصن الصَّعب بن مُعاذ ، وله مداخل ، فأَخرجوا رجلاً من اليهود فضربوا عُنقَه فتعجّبوا لسوادِ دمِه ، ويقول قائلهم : ما رأَينا مثلَ سواد هذا الدم قطُّ . — قال : يقول متكلّم : فى رَفٍّ من تلك الرِّفاف الثوم والثريد — وأُنزِل فقدّموه فضربوا عُنقه .

قال : وتحوّلت اليهودُ مِن حصن ناعم كلُّها ، ومن حصن الصَّعب ابن مُعاذ ، ومن كلّ حصون النَّطاة ، إلى حصنٍ يقال له قلعة الزُّبير ، فزحف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم والمسلمون ، فحاصرهم وغلَّقوا عليهم حصنَهم وهو حَصين مَنيع ، وإنما هو فى راس قلعة لا تَقدِر عليه الخيلُ ولا الرجال لصعوبته وامتناعه ، وبقيت بقايا لا ذِكْر لهم فى بعض حصون النَّطاة ، الرجل والرجلان . فجعل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بإزائهم رجالاً[2] يحرسونهم ، لا يَطلع أَحدٌ عليهم إلَّا قتلوه . وأقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على مُحاصرة الذين فى قلعة الزُّبير ثلاثةَ أَيام ، فجاءَ رجلٌ من اليهود يقال له غَزَّال فقال : أَبا القاسم ، تُؤمّنّى على أَن أَدلّك على ما تستريح به مِن أَهل النَّطاة وتخرج إلى أَهل الشِّقّ ، فإنَّ أَهل الشِّق قد هلكوا رُعْباً منك ؟ قال : فأَمّنه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أَهله وماله . فقال اليهودىّ : إنك لو أَقمتَ شهرًا ما بالوا ، لهم دُبُولٌ[3] تحت الأَرض . يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون

---

(١) ذو الرقيبة : جبل مطل على خيبر . (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٧٤) .
(٢) فى الأصل : « رجال » .
(٣) فى الأصل : « ذبول » ، وما أثبتناه عن ابن كثير . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .
والدبول : جمع دبل وهو الجدول . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣٧٣) .

منك ، وإن قطعتَ مَشْرَبهم عليهم ضجّوا . فسار رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى دُبولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربَهم لم يُطيقوا المُقام على العطش ، فخرجوا فقاتلوا أشدَّ القتال ، وقُتل من المسلمين يومئذٍ نفرٌ ، وأُصيب من اليهود ذلك اليوم عشرةٌ ، وافتتحه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فكان آخرَ حصون النَّطاة . فلما فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مِن النَّطاة أمر بالانتقال ، والعسكر أن يُحوَّل مِن منزله بالرَّجيع إلى مكانه الأوَّل بالمنزلة ، وأَمِن رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من البَيات ومن حرب اليهود وما يخافُ منهم ، لأن أهل النَّطاة كانوا أحدَّ اليهود وأهلَ النَّجْدة منهم . ثم تحوّل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أهل الشِّقّ .

فحدّثني موسى بن عمر الحارثيّ ، عن أبي عُفَير محمّد بن سَهل بن أبي حَثْمَة قال : لما تحوّل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الشِّقّ .وبه حصونٌ ذات عدد ، كان أوّل حصنٍ بدأ منها حصن أُبَيّ ، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على قلعةٍ يقال لها سُمران [1] ، فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديدًا . وخرج رجلٌ مِن اليهود يقال له غَزَّال [2] فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُباب بن المُنْذِر فاختلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحُباب فقطع يدَه اليمنى من نصف الذراع ، فوقع السيف من يد غَزَّال فكان أعزل ، ورجع مُبادِرًا مُنهزِماً إلى الحصن ، وتبعه الحُباب فقطع عُرقوبَه ، فوقع فذَفَّف عليه . وخرج آخر فصاح : مَن يبارز ؟ فبرز إليه رجلٌ من المسلمين من آل جَحش فقُتل الجَحْشيّ . وقام مكانَه يدعو إلى

(١) هكذا في الأصل . وفي ابن كثير يروى عن الواقدي : « سموان » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

(٢) في ابن كثير يروى عن الواقدي : « غزول » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

البِراز ويبرز له أَبو دُجانة قد عصب رأسه بعِصابة حمراء فوق المِغْفَر يختال فى مِشيته ، فبدره أبودُجانة فضربه فقطع رجليه ، ثم ذَفَّف عليه وأَخذ سلبه ، دِرعه وسيفه ، فجاءَ به إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فنفلّه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك . وأَحجموا عن البِراز ، فكبّر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يَقدُمهم أَبو دُجانة ، فوجدوا فيه أثاثًا ومَتاعًا وغَنَمًا وطعامًا ، وهرب مَن كان فيه مِن المُقاتِلة ، وتقحّموا الجُدُر كأَنهم الظِّباء[1] حتى صاروا إلى حصن النِّزار[2] بالشِّقّ ، وجعل يأتى مَن بقى من قُلَل[3] النَّطاة إلى حصن النِّزار فعلّقوه وامتنعوا فيه أشدَّ الامتناع . وزَحَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم فى أَصحابه فقاتلوهم ، فكانوا أَشدَّ أَهل الشّقّ قتالًا ، رموا المسلمين بالنَّبل والحجارة ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم ، حتى أَصابت النَّبلُ ثيابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعَلِقت به ، فأَخذ النَّبلَ فجمعها ثم أَخذ لهم كَفًّا مِن حصا فحصب به حصنَهم ، فرَجَف بهم ثم ساخ فى الأَرض .

قال إبراهيم بن جَعفر : استوى بالأَرض حتى جاءَ المسلمون ، فأَخذوا أَهله أَخذًا[4] . وكانت فيه صفية بنت حُيَى وابنةُ عمّها . فكان عُمَير مولى آبِى اللَّحْم يقول : شهدتُ صفيّة أُخرِجَتْ وابنةُ عمّها وصبيّاتٌ مِن

---

(١) هكذا فى الأصل . وفى ابن كثير يروى عن الواقدى : « الضباب » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

(٢) هكذا فى الأصل . وفى ابن كثير يروى عن الواقدى : « البزاة » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

(٣) قلل : جمع قلة ، وقلة كل شىء أعلاه . (الصحاح ، ص ١٨٠٤) .

(٤) هكذا فى الأصل . وفى ابن كثير يروى عن الواقدى : « وأخذهم المسلمون أخذاً باليد » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٨) .

حصن النِّزار ، فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حصن النِّزار بقيت حصونٌ فى الشِّقّ ، فهرب أهلُها منها حتى انتهوا إلى أهل الكَتيبة والوَطيح وسُلالِم . وكان محمّد بن مَسْلَمَة يقول : ونظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى حصن النِّزار فقال : هذا آخرُ حُصون خَيْبَر كان فيه قتال ؛ لمّا فتحنا هذا الحصن لم يكن بعده قتالٌ حتى خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبَر .

فحدّثنى عبد الرحمن بن محمّد بن أبى بكر قال ، قلتُ لجعفر بن محمود : كيف صارت صفيّة فى حصن النِّزار فى الشِّقّ وحصن آل أبى الحُقَيق بسُلالِم ، ولم يُسْبَ فى حصون النَّطاة من النساء والذُّرّيّة أحدٌ ولا بالشقّ ، إلّا فى حصن النزار ، فإنه قد كان فيه ذُرّيّة ونساء ؟ فقال : إنّ يهود خَيْبَر أخرجوا النساءَ والذُّرّيّة إلى الكَتيبة وفرّغوا حصن النَّطاة للمُقاتِلة فلم يُسْبَ أحدٌ منهم إلّا مَن كان فى حصن النِّزار ، صفيّة وابنة عمّها ونُسيّات معها . وكان كِنانة قد رأى أنّ حصن النِّزار أحصن ما هنالك ، فأخرجها فى الليلة التى تَحوّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى صبيحتها إلى الشِّقّ حتى أُسرت وبنتُ عمّها ومَن كان معهما من ذَرارىّ اليهود ، وبالكتيبة من اليهود ومن نسائهم وذراريّهم أكثر من ألفين ؛ فلمّا صالح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أهلَ الكَتيبة أمّن الرجال والذُّرّيّة ، ودفعوا إليه الأموال ، والبيضاءَ والصفراءَ ، والحَلْقة ، والثياب ، إلّا ثَوْبًا[1] على إنسان . فلقد كان من اليهود حين أمّنهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُقبِلون ويُدبِرون ، ويبيعون ويشترون ، لقد أنفقوا عامةَ المَغْنم ممّا يشترون مِن الثياب مِن

(١) فى الأصل : « ثوب » .

الثياب والمتاع ، وكانوا قد غيّبوا نُقودَهم وعَيْنَ مالِهم .

قالوا : ثم تَحوّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الكَتيبة والوَطيح وسُلالِم ، حصن ابن أبى الحُقَيق الذى كانوا فيه ، فتحصّنوا أشدّ التحصّن ، وجاءهم كلّ فَلٍّ[١] كان قد انهزم من النّطاة والشِّقّ ، فتحصّنوا معهم فى القَموص وهو فى الكَتيبة ، وكان حصنًا مَنيعًا ، وفى الوَطيح وسُلالِم . وجعلوا لا يطلعون من حصونهم مُغلِّقين عليهم ، حتى هَمّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يَنصب المَنجنيق عليهم لِما رأى من تغليقهم ، وأنه لا يبرز منهم بارز . فلمّا أيقنوا بالهَلَكة وقد حصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أربعةَ عشر يومًا سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصُّلْح . قال أبو عبد الله ، قلت لإبراهيم بن جَعفر : وُجد فى الكَتيبة خمسمائة قوس عربيّة . وقال : أخبرنى أبى عمّن رأى كِنانة بن أبى الحُقَيق يرمى بثلاثة أسهم فى ثلثمائة — يعنى ذراع — فيُدخلها فى هَدَفٍ شِبْرًا فى شِبْر ، فما هو إلّا أن قِيل : هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أقبل مِن الشِّقّ فى أصحابه ، وقد تهيّأً أهلُ القموص وقاموا على باب الحصن بالنَّبل ، فنهض كِنانة إلى قوسه فما قدر أن يوترها مِن الرِّعْدة ، وأومأً إلى أهل الحصون : لا ترموا ! وانقمع فى حصنه ، فما رُئِى منهم أحدٌ ، حتى أجهدهم الحصار وقذف الله فى قُلوبهم الرعب . فأرسل كِنانة رجلًا من اليهود يقال له شَمّاخ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يقول : أنزلُ إليك أُكلّمك ! فلمّا نزل شَمّاخ أخذه المسلمون فأُتى به النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره برسالة كِنانة . فأنعم له ، فنزل كِنانة فى نفر من اليهود ، فصالحه على ما صالحه ، فأحلفه على ما أحلفه عليه . قال إبراهيم : تلك القِسى والسلاح إنما كان لآل أبى الحُقَيق جماعة يُعيرونه العرب ، والحلى يُعيرونه

(١) فل القوم : أى منهزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع ؛ يقال رجل فل وقوم فل . (الصحاح ، ص ١٧٩٣) .

العرب . ثم يقول : كانوا شرَّ يهود يَثْرب .

قالوا : وأَرسل كِنانةُ بن أَبي الحُقَيق إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: أَنزلُ فأُكلّمك؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : نعم . قال : فنزل ابن أَبي الحُقَيق فصالح رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم على حَقن دماءِ مَن فى حُصونهم مِن المقاتلة ، وترك الذُّرِّيّة لهم ، ويخرجون مِن خَيْبَر وأَرضِها بذراريّهم ، ويُخلّون بين رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم وبين ما كان لهم من مالٍ أَو أَرضٍ ، وعلى الصفراء والبيضاء والكُراع والحَلْقَة ، وعلى البَزّ ، إلّا ثوبًا على ظَهر إنسان . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : وَبرِئتْ منكم ذِمّةُ الله وذمّةُ رسولِه إن كتمتمونى شيئًا . فصالحه على ذلك ، وأَرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم إلى الأَموال فقبضها ، الأَوّل فالأَوّل ، وبعث إلى المتاع والحَلْقَة فقبضها ، فوجد من الدروع مائة دِرع ، ومن السيوف أَربعمائة سيف ، وأَلفَ رمح ، وخمسمائة قوس عربيّة بجِعابها . فسأَل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم كِنانَة بن أَبي الحُقَيق عن كنز آل أَبي الحُقَيق وحَلىٍ من حَليهم ، كان يكون فى مَسْكِ[1] الجملِ ، كان أَسراهم[2] يُعرَف به ، وكان العُرْس يكون بمكَّة فيُقدَم عليهم ، فيُستَعار ذلك الحَلْى الشهرَ فيكون فيهم : وكان ذلك الحلى يكون عند الأَكابر فالأَكابر من آل أَبي الحُقَيق . فقال : يا أَبا القاسم ، أَنفقناه فى حربنا فلم يبقَ منه شىء ، وكنّا نرفعه لمثل هذا اليوم ، فلم تُبْقِ الحربُ واستنصارُ الرجال من ذلك شيئًا . وحَلَفا على ذلك فوكّدا الأَيمان واجتهدا ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لهما[3] :

---

(١) المسك : الجلد . (الصحاح ، ص ١٦٠٨) .

(٢) فى الأصل : « لسرهم » ؛ وأمراهم : أشرفهم . (لسان العرب ، ج ١٩ ، ص ٩٨) .

(٣) هكذا فى الأصل بصيغة المثنى .

بَرِئتْ منكما ذِمَّةُ اللهِ وذِمّةُ رسولِهِ إنْ كان عند كما ! قالا : نعم . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وكلّ ما أخذتُ مِن أموالكما وأصبتُ مِن دمائكما فهو حِلٌّ لى ولا ذِمَّةَ لكما ! قالا : نعم. وأشهد عليهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر، وعمر، وعليًّا، والزُّبَير رضوان الله عليهم وعشرةً مِن اليهود. فقام رجلٌ من اليهود إلى كِنانة بن أبى الحُقَيق فقال : إن كان عندك ما يطلب منك محمّدٌ أو تعلم عِلْمه فأعلمه فإنك تأمن على دمك، وإلّا فواللهِ لَيظهرنّ عليه، قد اطّلع على غير ذلك مما لم نعلمه. فزبَره ابن أبى الحُقَيق فتنحّى اليَهودىّ فقعد. ثم سأل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثَعلبة بن سَلّام بن أبى الحُقَيق — وكان رجلًا ضعيفًا — عن كنزهما، فقال : ليس لى علم غير أنى قد كنت أرى كِنانة كلّ غداة يطوف بهذه الخَرِبَة — قال : وأشار إلى خَرِبَة — فإن كان شىءٌ[1] دفنه فهو فيها. وكان كِنانة بن أبى الحُقَيق لمّا ظهر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على النَّطاة أيقَن بالهَلَكة — وكان أهلُ النَّطاة أخذهم [الرعب] — فذهب بمَسْك الجمل، فيه حليهم، فحفر له فى خَرِبَةٍ ليلًا ولا يَراه أحد، ثم سَوّى عليه التراب بالكَتيبة، وهى الخرِبَةُ التى رآه ثَعلبة يدور بها كلّ غداة. فأرسل مع ثَعلبة الزُّبَير بن العَوّام ونفرًا من المسلمين إلى تلك الخَرِبَة، فحفر حيث أراه ثَعلبة فاستخرج منه ذلك الكنز. ويقال : إنّ الله عزّ وجلّ دَل رسولَه على ذلك الكنز. فلمّا أُخرِج الكنز أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزُّبَيرَ أن يُعذّب كِنانة بن أبى الحُقَيق حتى يستخرج كلّ ما عنده. فعذّبه الزُّبَير حتى جاءه بزَنْدٍ[2] يقدحه فى صدره، ثم أمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يدفعه إلى محمّد بن مَسْلَمة

(١) فى الأصل : «شيئا».

(٢) فى الأصل : «يريد». وما أثبتناه من السيرة الحلبية. (ج ٢، ص ١٦٧).

يقتله بأخيه ، فقتله محمّد بن مَسْلَمَة . وأمر بابن أَبى الحُقَيق الآخر ، فعُذّب ثم دُفع إلى وُلاةِ بِشر بن البَراء فقُتِل به ، ويُقال : ضُرب عُنقه . واستحلّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك أموالَهما وسبى ذراريّهما :

فحدّثنى خالد بن الرّبيعة بن أَبى هلال ، عن هلال بن أُسامة ، عمّن نَظَر إلى ما فى مَسْك الجمل بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أُتى به ، فإذا جُلُّهُ أَسْوِرَة الذهب ، ودَمالج الذهب ، وخَلاخل الذهب ، وقِرَطة الذهب ، ونَظْمٌ مِن جوهرٍ وزُمُرّدٍ ، وخواتم ذهب ، وفَتَخٌ[1] بجَزْع ظَفار مُجَزَّعٌ بالذهب . ورأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نظامًا مِن جوهرٍ فأعطاه بعضَ أهله ، إما عائشة أو إحدى بناته ، فانصرفت فلم تمكث إلّا ساعةً مِن نهارٍ حتّى فَرّقَتْه فى أهل الحاجة والأرامل ، فاشترى أبو الشّحم ذَرّةً منها . فلما أمسى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وصار إلى فراشه لم ينم ، فغدا فى فى السَّحَر حتّى أتى عائشة ، ولم تكن ليلتَها ، أو بنته ، فقال : رُدّى علىّ النظامَ فإنه ليس لى ، ولا لك فيه حقّ . فخبرتْه كيف صنعت به ، فحمد الله وانصرف .

وكانت صفيّةُ بنت حُيَىّ تقول : كان ذلك النظام لبنت كِنانة . وكانت صفيّة تحت كِنانة بن أَبى الحُقَيق ، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سباها قبل أن ينتهى إلى الكَتيبة ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أرسل بها مع بِلال إلى رَحْلِه . فمرّ بها وبابنة عمّها على القَتلى ، فصاحتْ ابنةُ عمّها صِياحًا شديدًا ، فكره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما صنع بِلال فقال : أذهبتْ منك الرحمةُ ؟ تمرُّ بجارية حديثة السنّ على

(١) فتخ : جمع فتخة ، وهى خاتم كبير يلبس فى الأيدى ، وربما وضع فى أصابع الأرجل . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٨٢) .

القَتلى ! ، فقال بِلال : يا رسولَ الله ما ظننتُ أنك تكره ذلك ، وأحببتُ أن ترى مَصارعَ قومها . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لابنة عمّ صَفيّة : ما هذا إلّا شيطان . وكان دِحْيَة الكَلبىّ قد نظر إلى صَفيّة فسألها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويقال إنه وعده جاريةً مِن سَبْى خَيْبَر ، فأعطاه ابنةَ عمّها .

وحدّثنى ابنُ أَبى سَبْرَة ، عن أَبى حَرْمَلَة ، عن أُخته أُمّ عبد الله ، عن ابنة أَبى القَين المُزَنىّ ، قالت : كنت آلفُ صَفيّة من بين أزواج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت تحدّثنى عن قومها وما كانت تسمع منهم قالت : خرجنا من المدينة حيث أَجلانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَقمنا بخَيْبَر ، فتزوّجنى كِنانة بن أَبى الحُقَيق فأعرس بى قبل قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأَيّام ، وذبح جُزُرًا ودعا باليهود ، وحوّلنى فى حصنه بسُلالِم ، فرأَيت فى النوم كأَنّ قمرًا أَقبلَ مِن يَثْرِب يسير حتى وقع فى حِجْرى . فذكرتُ ذلك لكِنانة زوجى فلَطَم عينى فاخضرّت ، فنظر إليها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين دخلتُ عليه فسأَلنى فأَخبرتُه . قالت : وجعلت اليهود ذراريّها فى الكَتيبة ، وجَرّدوا حصن النَّطاة للمقاتِلة ، فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خَيْبَر وافتتح حصون النَّطاة ، ودخل علىَّ كنانةُ فقال : قد فرغ محمّدٌ من النَّطاة ، وليس ها هنا أَحدٌ يُقاتل ، قد قُتلت اليهودُ حيث قُتل أَهلُ النَّطاة وكذبتنا العربُ . فحوّلنى إلى حصن النِّزار بالشّقّ ، ــ قال : وهو أَحصنُ ممّا عندنا ــ فخرج حتى أَدخلنى وابنة عمّى ونُسيّاتٍ معنا . فسار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلينا قبل الكَتيبة فسُبِيتُ فى النِّزار قبل أَن

ينتهى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الكَتيبة ، فأَرسل بى إلى رَحْلِه ، ثم جاءَنا حين أمسى فدعانى ، فجئتُ وأَنا مُقنَّعة حَيِيَّة ، فجلستُ بين يديه فقال : إن أَقمتِ على دينكِ لم أُكرِهْكِ ، ، وإن اخترتِ اللهَ ورسولَه فهو خيرٌ لكِ . قالت : أَختارُ اللهَ ورسوله والإسلام . فأَعتقنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وتزوّجنى وجعل عِتقى مَهرى ، فلما أَراد أَن يخرج إلى المدينة قال أَصحابُه : اليومَ نَعلمُ أَزوجةٌ أَم سُرِّيّةٌ ، فإن كانت امرأَته فَسَيحجبُها وإلّا فهى سُرِّيَّة . فلما خرج أَمربسِترْ فسُتِرتُ به فعُرِف أَنى زوجة ، ثم قَدّم إلىّ البعير وقدّم فَخِذَه لأَضَعَ رجلى عليها ؛ فأَعظمتُ ذلك ووضعتُ فَخِذى على فَخِذه ، ثم ركبتُ . وكنت أَلقَى مِن أَزواجه ، يفخرن علىّ يقلن : يا بنت اليهودىّ . وكنتُ أَرى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَلْطُف بى ويُكرمنى ، فدخل علىّ يومًا وأَنا أَبكى فقال : مالك ؟ فقلتُ : أَزواجُك يفخرن علىّ ويقلن : يا بنت اليهودىّ . قالت : فرأَيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد غضب ثم قال : إذا قالوا لك أَو فاخروك فقولى : أَبى هرون وعَمّى موسى .

قالوا : وكان أَبو شُيَيم المُزَنىّ ــ قد أَسلم فحسُنَ إسلامُه ــ يُحدّث يقول : لمّا نفرنا أَهلها بحَيفاءَ مع عُيَينة ــ قدمنا عليهم وهم قارّون هادئون لم يهجهم هائج ــ رجع بنا عُيَينة ، فلمّا كان دون خَيْبَر بمكانٍ يقال له الحَطام عرّسنا من الليل ففزعنا ، فقال عُيَينة : أَبشروا إنى أَرَى الليلة فى النوم أَنى أُعطِيت ذا الرُّقَيبة ــ جبلًا بِخَيْبر ــ قد واللهِ قد أَخذتُ بِرَقَبَة محمّد . قال : فلمّا قدمنا خَيْبَر قدم عُيَينة فوجد رسولَ الله صلّى الله عليه

وسلَّم قد فتح خَيْبَر وغنَّمه اللهُ ما فيها ، فقال عُيَينة : أَعطِنى يا محمد ممَّا غنمتَ مِن حُلفائى فإنى انصرفتُ عنك وعن قتالك وخذلتُ حلفائى ولم أُكثر عليك ، ورجعتُ عنك بأَربعة آلاف مقاتل . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : كذَبتَ ، ولكنّ الصيّاح الذى سمعتَ أنفَرك إلى أَهلِك . قال : أَجزِنى يا محمّد . قال : لك ذو الرُّقَيبة . قال عُيَينة : وما ذو الرُّقَيبة ؟ قال : الجبل الذى رأَيتَ فى النوم أَنك أَخذته . فانصرف عُيينة فجعل يتدسّس إلى اليهود ويقول : ما رأَيتُ كاليوم أَمرًا ؛ واللهِ ما كنتُ أَرى أَحدًا يُصيب محمّدًا غيركم . قلت : أَهل الحصون والعُدّة والثَّرْوَة ، أَعطيتم بأَيديكم وأَنتم فى هذه الحصون المَنيعة ، وهذا الطعام الكثير ما يُوجد له آكل ، والماءُ الواتن . قالوا : قد أَردنا الامتناع فى قلعة الزُّبَير ولكن الدُّبول[1] قُطعت عنا ، وكان الحَرُّ ، فلم يكن لنا بقاءٌ على العَطَش. قال : قد ولَّيتم من حصون ناعم مُنهزمين حتى صرتم إلى حصن قلعة الزُّبَير . وجعل يسأَل عمن قُتل منهم فيُخبَر ، قال : قُتل واللهِ أَهلُ الجِدّ والجَلَد ، لا نظام ليهود بالحجاز أَبدًا . ويسمع كلامَه ثَعلبةُ بن سَلّام بن أَبى الحُقَيق ، وكانوا يقولون إنه ضعيف العقل مُختلِط ، فقال : يا عُيَينة ، أَنت غررتهم وخذلتَهم وتركتهم وقتالَ محمّد ، وقبل ذلك ما صنعتَ ببنى قُرَيْظَة ! فقال عُيَينة : إنّ محمّدًا كادنا فى أَهلنا ، فنفرنا إليهم حيث سمعنا الصريخ ونحن نظنّ أَنّ محمّدًا قد خالف إليهم ، فلم نَرَ شيئًا فكررنا إليكم لننصركم . قال ثَعلبة : ومَن بقِى تَنصُره؟ قد قُتل مَن قُتل وبقِى من بقى فصار عبدًا لمحمّد ،وسَبانا ،

---

(١) فى الأصل : « الذيول » .

وقَبَضَ الأَموال! قال : يقول رجل من غَطَفان لعُيَينة: لا أَنت نصرتَ حلفاءَك فلم يعدّوا عليك حِلْفَنا ! ولا أَنت حيث ولّيت ـ كنتَ أَخذتَ تَمْرَ خَيْبر من محمّدٍ سنةً ! واللهِ إنى لأَرى أَمرَ محمّدٍ أَمرًا ظاهرًا ، ليظهرنّ على مَن ناوأَه . فانصرف عُيَيْنة إلى أَهله يَفتِلُ يديه ، فلمّا رجع إلى أَهله جاءَه الحارث بن عوف ، قال : أَلم أَقُلْ لك إنك تُوضِع فى غير شىء ؟ واللهِ لَيظهرن محمدُ على مَن بين المشرق والمغرب ، اليهود كانوا يُخبروننا هذا . أَشهدُ لَسمعتُ أَبا رافع سَلّام بن أَبى الحُقَيق يقول : إنّا نَحسد محمّدًا على النبوّة حيث خرجت من بنى هرون ، وهو نبىّ مرسل واليهود لا تُطاوعنى على هذا ، ولنا منه ذِبْحان ، واحد بِيَثْرِب وآخر بِخَيْبَر . قال الحارث ، قلت لِسَلّام : يملك الأَرض جميعًا ؟ قال : نعم والتوراةِ التى أُنزلت على موسى ، وما أُحبُّ أَن تعلم اليهود بقولى فيه!

قالوا : لمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خَيْبَر واطمأَنّ جعلت زَينب بنت الحارث تسأَل : أَىُّ الشاةِ أَحبُّ إلى محمّد ؟ فيقولون : الذراع والكتف . فعمدتْ إلى عَنْزٍ لها فذبحتها ، ثم عمدت إلى سَمٍّ لابطىّ[1] ، قد شاورت اليهودَ فى سُموم فأَجمعوا لها على هذا السّمّ بعينه ، فسمّت الشاةَ وأَكثرت فى الذراعين والكتفين . فلمّا غابت الشمس صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المغرب وانصرف إلى منزله ، ويجد زينب جالسةً عند رَحْله فيسأَل عنها فقالت : أَبا القاسم ، هَديّة أَهديتُها لك . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأْكل الهَديّة ولا يأْكل الصدقة ، فأَمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالهَديّة فقُبضت منها ووُضعت بين يديه ، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) لبط بفلان : إذا صرع من عين أو حمى . (لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٢٦٣) .

لأصحابه وهم حُضور ، أو مَن حضر منهم : ادنوا فتعشّوا ! فدنوا فمدّوا أيديهم ، وتناول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الذراع . وتناول بِشْرُ بن البَراء عَظْمًا . وأنهش رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منها نَهْشًا وانتهش بشر . فلمّا ازدرد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أُكْلَته ازدرد بِشْر . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كُفُّوا أيديكم فإنّ هذه الذراع تُخبرنى أنها مسمومة . فقال بِشر بن البَراء : قد واللهِ يا رسول الله وجدتُ ذلك مِن أُكْلَتى التى أكلتُها ، فما منعنى أن ألْفِظَها إلّا كراهية أُنغّصُ إليك طعامك ، فلمّا تسوّغتَ ما فى يدك لم أرغب بنفسى عن نفسك . ورجوتُ ألّا تكون ازدردتها وفيها نَعْى[1]. فلم يَرِم بِشرٌ من مكانِهِ حتى عاد لونُه كالطَّيْلَسان . وماطَلَه وجعُه سنةً لا يَتحوّل إلّا ما حُوِّل ، ثم مات منه . ويقال لم يَقُم من مكانه حتى مات ، وعاش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك ثلاث سنين . ودعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بزَينب فقال : سممتِ الذراع ؟ فقالت : مَن أخبرك ؟ قال : الذراع. قالت : نعم . قال : وما حملكِ على ذلك ؟ قالت : قتلتَ أبى وعمّى وزوجى ، ونِلْتَ مِن قومى ما نِلْتَ ، فقلتُ : إن كان نبيًّا فستخبره الشاةُ ما صنعتُ ، وإن كان مَلِكًا استرحنا منه . فاختُلِف علينا فيها ، فقال قائلٌ رواية : أمر بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقُتِلت ثم صُلبت . وقال قائلٌ رواية : عَفا عنها . وكان نفرٌ ثلاثةٌ قد وضعوا أيديهم فى الطعام ولم يُسيغوا منه شيئًا . فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابه فاحتجموا أوساطَ رءُوسهم مِن الشاة ، واحتجم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تحت كتفِه اليُسْرَى . ويقال : احتجم على كاهِله ، حجمه أبو هِند بالقَرْن والشَّفْرَة.

(١) فى الأصل : « بغى » .

وقالوا : وكانت أُمّ بِشر بن البَراء تقول : دخلتُ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى مرضه الذى مات فيه وهو محموم فمسسته فقلت : ما وجدت مثل [ما] وُعك(١) عليك على أحد . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كما يُضاعَف لنا الأجر كذلك يُضاعَف لنا البَلاء ؛ زعم الناسُ أنّ برسول الله ذاتَ الجَنْب ! ما كان الله ليُسلِّطها علىّ . إنما هى هُمَزَةٌ من الشيطان ، ولكنه مِن الأُكْلَة التى أكلتُ أنا وابنُك يوم خَيْبَر . ما زال يُصيبنى منها عِدادٌ(٢) حتى كان هذا أوان انقطاع(٣) أَبْهَرِى(٤) . فمات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شهيدًا . ويُقال : إنّ الذى مات فى الشاة مُبَشِّر بن البَراء . وبِشْر أثبتُ عندنا ، وهو المجتَمَع عليه .

قال عبد الله : سألت إبراهيم بن جَعفر عن قول زَينب ابنة الحارث « قتلتَ أَبى » قال : قُتل يوم خَيْبر أبوها الحارث وعَمُّها يَسَار ، وكان أخبرَ الناس ، هو الذى أُنزِل من الشِّقّ ، وكان الحارث أشجعَ اليهود ، وأخوه زَبير قُتل يومئذٍ ، فكان زوجُها سيّدهم وأشجعهم سَلّام بن مِشْكَم ، كان مريضًا وكان فى حصون النَّطاة فقيل له : إنه لا قتالَ فيكم فكنْ فى الكَتيبة . قال : لا أفعل أبدًا . فقُتل وهو مريض ، وهو أبو الحَكَم الذى يقول فيه الرَّبيع بن أبى الحُقَيق :

ولمَّا تَداعَوْا بأَسيافِهمْ فكان الطِّعانُ دَعَوْنا سَلَاما

---

(١) الوعك : الحمى . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٢١) .

(٢) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ هاج به الألم . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٧١) .

(٣) فى الأصل : « انقطع » ، وما أثبتناه من السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١٨١) .

(٤) الأبهر : العرق المتعلق بالقلب . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ١٨١) .

وكنّا إذا ما دَعَوْنا بهِ   سَقَيْنَا سَرَاةَ العَدوِّ السِّمَاما

وهو كان صاحب حربِهم ولكنّ اللهَ شغله بالمرض .

قالوا : واستعمل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الغنائم يوم خَيْبَر فَرْوَة بن عمرو البَيَاضىّ ، وكان قد جمع ما غنم المسلمون فى حصون النَّطاة وحصون الشِّق وحصون الكَتيبة ، لم يترك على أَحدٍ من أَهل الكَتيبة إلّا ثوبًا على ظهره من الرجال والنساءِ والصبيان ، وجمعوا أَثاثًا كثيرًا وبَزًّا وقطائفَ وسلاحًا كثيرًا ، وغَنمًا وبَقَرًا ، وطعامًا وأُدْمًا كثيرًا . فأَمّا الطعام والأُدْم والعَلَف فلم يُخمّس ، يأْخذ منه الناسُ حاجتَهم ، وكان من احتاج إلى سلاحٍ يقاتل به أَخذه من صاحب المَغْنَم ، حتى فتح الله عليهم فردّ ذلك فى المغنم . فلمّا اجتمع ذلك كلُّه أمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجزئ خمسةَ أَجزاء ، وكُتب فى سهمٍ منها « الله » وسائرُ السُّهْمان أَغفال . فكان أَوّل ما خرج سهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لم يُتخيّر فى الأَخماس ، ثم أَمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ببيع الأَربعة الأَخماس[1] فيمن يُريد ، فجعل فَرْوَة يبيعها فيمن يُريد ، فدعا فيها النبى صلّى الله عليه وسلّم بالبركة وقال : اللّهمّ أَلق عليها النَّفاق ! قال فَرْوَة بن عمرو : فلقد رأَيتُ الناس يتداركون علىّ ويتواثبون حتى نَفَق فى يومين ، ولقد كنت أَرى أَنّا لا نتخلصُ منه حِينًا لكثرته . وكان الخُمُس الذى صار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المغنم يُعطى منه على ما أَراد الله من السلاح والكُسوة ، فأَعطى منه أَهل بيته من الثياب والخَرَز والأَثاث ، وأَعطى رجالًا من بنى عبد المطّلب ونساءً ، وأَعطى اليتيم والسائل . وجُمعت يومئذٍ مصاحفُ فيها التوراة من المغنم ، فجاءَت اليهود تطلبها وتُكلّم فيها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ،

(١) فى الأصل : « أخماس » .

أن تُرَدَّ عليهم . ونادى منادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَدُّوا الخَيْطَ والمِخْيطَ ، فإنّ الغُلول عارٌ وشَنارٌ ونارٌ يومَ القيامة . فباع يومئذٍ فَرْوَةَ المتاع ، فأَخذ عِصابةً فعصب بها رأسه ليستظلّ بها من الشمس ، ثم رجع إلى منزله وهى عليه فذكر فخرج فطرحها . وأُخبِر بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : عِصابةٌ من نارٍ عصبتَ بها رأسَك . وسأَل رجلٌ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ من الفَىء شيئًا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يَحِلّ لى من الفَىء خيطٌ ولا مِخْيَطٌ ، لا آخذُ ولا أُعطى . فسأَله رجلٌ عِقالًا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : حتى نقسم الغنائم ثم أُعطيك عقالًا ، وإن شئتَ مِرارًا[1] . وكان رجلٌ أَسود مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يُمسك دابّته عند القتال يقال له كَرْكَرة ، فقُتل يومئذ ، فقيل : يا رسول الله استُشْهِد كَرْكَرة ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنه الآن ليُحرَق فى النار على شَملةٍ غلّها . فقال رجلٌ من القوم : يا رسول الله ، أَخذتُ شِراكين يومئذٍ كذا وكذا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : شِراكان من نار . وتوفّى يومئذٍ رجل من أَشْجَع ، وإنهم ذكروه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : صلّوا على صاحبكم . فتغيّرت وجوه الناس لذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : إنّ صاحبكم غَلّ فى سبيل الله . قال زيد بن خالد الجُهَنىّ : ففتّشنا متاعَه فوجدنا خَرَزًا من خَرَز اليهود لا يَسْوَى درهمين . وكان نفرٌ من المسلمين أَصابوا خَرَزًا من خَرَز اليهود وكانوا رفقاء ؛ فقال المحدّث لهذا الحديث : لو كان الخَرَز عندكم اليوم لم يسوَ درهمين . فأُتِى بذلك الخَرَز إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ما فرغ من القسم .

(١) المرار : الحبل . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٨٨) .

فقالوا : يا رسول الله ، نسينا ! هذا الخَرَز عندنا ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كلُّكم يحلف بالله أنه نسيه ؟ قالوا : نعم . فحلفوا بالله جميعًا أنهم نسوه ، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسرير الموتى فسُجن عليهم بالرِّباط ، ثم صلّى عليهم صلاة الموتى . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يجد الغُلول فى رَحل الرجل فلا يعاقبه ، ولم يُسمَع أنه أحرق رَحل أحدٍ وُجِد فى رَحله ، ولكنه يُعنَّف ويؤنَّب ويُؤْذَى ويُعرَّف الناس به .

قالوا : واشترى يوم خَيْبَر تِبْرًا[1] بذهبٍ جُزافًا ، فنَهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وكان فَضالة بن عُبَيد يحدّث يقول : أصبتُ يومئذٍ قلادةً فبعتُها بثمانية دنانير ، فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : بِعِ الذهب وزنًا بوزنٍ . وكان فى القلادة ذهبٌ وغيره فرجعتُ فيها . واشترى السَّعدان تِبرًا بذهب أحدهما أكثر وزنًا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أربيتما فرُدّا ! ووجد رجلٌ يومئذٍ فى خَرِبَةٍ مائتى درهم ، فأخذ منها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخُمُس ودفعها إليه .

وسُمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ يقول : مَن كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يسقِ[2] ماءَه زَرْعَ غيره ، ولا يبعْ[3] شيئًا من المَغْنَم حتى يُعلَم ، ولا يركبْ دابّةً من المغنم حتى إذا بَراها[4] ردّها ، ولا يلبس ثوبًا من المَغْنَم حتى إذا أخلقه ردّه ، ولا يأْتِ من السَّبى حتى تستبرئ وتحيض حَيْضَة ، وإن كانت حُبلى حتى تضع حملَها . ومرّ رسول الله صلّى الله عليه

(١) التبر : الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصاغا ، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة . (القاموس المحيط ، ح ١ ، ص ٣٧٩) .

(٢) فى الأصل : « فلا يسقى » .

(٣) فى الأصل : « ولا يبيع » .

(٤) فى الأصل : « إذ يراها » . وبراها : عزها (القاموس المحيط ، ح ٤ ، ص ٣٠٢) .

وسلّم يومئذٍ على امرأةٍ مُجِحٍّ[١] فقال : لمن هذه؟ فقيل : لفلان . قال : فلعلّه يطَؤها ؟ قالوا : نعم . قال : كيف بولدها يَرِثه وليس بابنه ، أَو يسترقّه وهو يعدو فى سمعه وبصره ؟ لقد هممتُ أن ألعنه لعنةً تتبعه فى قبره .

قالوا : وقدم أَهل السفينتين[٢] من عند النَّجاشيّ بعد أَن فُتحت خَيْبَر ، فلمّا نظر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى جعفر قال : ما أَدرى بأَيّهما أَنا أُسَرّ ، بقدوم جَعفر أَو فتح خَيْبَر ! ثم ضمّه رسول الله وقبّل بين عينيه .

وقدم الدَّوسيُّون فيهم أَبو هُرَيرة والطُّفيل بن عمرو وأَصحابهم ونفرٌ من الأَشْجَعيّين ، فكلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَصحابه فيهم أَن يشركوهم فى الغنيمة . قالوا : نعم يا رسول الله . ونظر أَبان بن سعيد[٣] بن العاص إلى أَبى هُرَيرة فقال : أَمّا أَنت فلا . فقال أَبو هُرَيرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوْقَل . قال أَبان بن سعيد : يا عَجَباه لِوَبْرٍ[٤] تَدلّى علينا مِن قَدُوم ضأْنٍ[٥] ! ينعَى علىّ قَتْلَ امرئٍ مُسلم أَكرمه اللهُ على يدِى ولم يُهنّى على يده .

قالوا : وكان الخُمُس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من كلّ مَغْنَم غنمه المسلمون ، شهده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَو غاب عنه . وكان لا يقسم لغائبٍ فى مَغْنَمٍ لم يشهده ، إلّا أَنه فى بدرٍ ضرب لثمانية لم يشهدوا ، كلّهم

(١) المجح : الحامل المقرب التى دنا ولادها . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٤٤) .
(٢) فى الأصل : « السقبفتين » ؛ والتصحيح عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣) .
(٣) فى الأصل : « أبان بن سعد » ، والتصحيح عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٦٢) .
(٤) الوبر : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء حسنة العينين شديدة الحياء حجازية ، وإنما شبهه بالوبر تحقيراً له . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٠) .
(٥) فى الأصل : « من قدم صاد » . والتصويب عن ابن الأثير حيث قال : هى ثنية أوجبل السراة من أرض دوس . وقيل : القدوم ما تقدم فى الشاة وهو رأسها ، وإنما أراد احتقاره وصغر قدره . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٣٥) .

مستحقٌّ فيها . وكانت خَيْبَر لأَهل الحُدَيبية ، مَن شهدها منهم أَو غاب عنها . قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾[١] يعنى خَيْبَر . وقد تخلّف عنها رجال : مُرَىّ بن سِنان ، وأَيْمَن بن عُبَيد ، وسباع بن عُرْفُطَة الغِفارىّ ، خلفه على المدينة ، وجابر بن عبد الله وغيرهم . ومات منهم رجلان ، فأَسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمن تخلّف منهم ومن مات ، وأَسهم لمن شهد خَيْبَر من الناس ممّن لم يشهد الحُدَيبية . وأَسهم لرُسُلٍ كانوا يختلفون إلى أَهل فَدَك ، مُحَيِّصَة بن مسعود الحارثىّ وغيره ، فأَسهم لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يحضروا . وأَسهم لثلاثة مرضى لم يحضروا القتال : سُوَيد بن النُّعمان ، وعبد الله بن سعد بن خَيْثَمة ، ورجل من بنى خُطامة ، وأَسهم للقتلى الذين قُتلوا من المسلمين .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أَبى صَعْصَعَة ذلك . وقد قال قائل : إنما كانت خَيْبَر لأَهل الحُدَيبية ، لم يشهدها غيرهم ولم يُسهَم فيها لغيرهم . والقول الأَوّل أَثبت عندنا أَنّ قومًا شهدوا خَيْبَر فأَسهم لهم ولم يكونوا شهدوا الحُدَيبية .

حدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن قُطَير الحارثىّ ، عن حِزام بن سعد بن مُحَيِّصَة قال : فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعشرة من يهود المدينة غزا بهم إلى خَيْبَر ، فأَسهم لهم كسُهمان المسلمين . ويقال : أَحذاهم ولم يُسهم لهم ، وكان معهم مَملوكون ، منهم عُمَير مولى آبى اللَّحْم . قال عُمَير : ولم يُسهم لى وأَعطانى خُرْثِيًّا[٢] متاع ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) سورة ٤٨ الفتح ٢٠

(٢) الخرثى : أثاث البيت . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٨٦) .

مُحذيهم[1] . وخرج مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة عشرون امرأة : أُمّ سَلَمَة زوجته ، وصَفيّة بنت عبد المطّلب ، وأُمّ أَيْمَن ، وسَلْمَى امرأة أَبى رافع مولاة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وامرأة عاصم بن عَدىّ ولدت سَهلة بنت عاصم بخَيْبَر ، وأُمّ عُمارة نُسَيبة بنت كعب ، وأُمّ مَنيع وهى أُمّ شُباث ، وكُعَيبة بنت سعد الأَسْلَميّة ، وأُمّ مُتاع الأَسلميّة ، وأُمّ سُلَيم بنت مِلحان ، وأُمّ الضَّحّاك بنت مَسعود الحارثيّة ، وهند بنت عمرو ابن حِزام ، وأُمّ العَلاء الأَنصاريّة ، وأُمّ عامر الأَشْهَليّة ، وأُمّ عَطيّة الأَنصارية ، وأُمّ سَليط .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن سُلَيمان بن سُحَيم ، عن أُمّ عَلىّ بنت الحَكَم ، عن أُمَيّة بنت قيس بن أَبى الصَّلت الغِفاريّة ، قالت : جئت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى نسوة من بنى غِفار فقلنا : إنّا نُريد يا رسول الله أن نخرج معك فى وجهك هذا فنداوىَ الجرحى ونُعين المسلمين بما استطعنا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : على بركة الله ! قالت : فخرجنا معه وكنت جارية حديثة السنّ ، فأَردفنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على حقيبة رحله ، فنزل الصبح فأَناخ وإذا أنا بالحقيبة عليها دمٌ منّى ؛ وكانت أَوّل حيضة حِضتها ، فتقبّضتُ إلى الناقة واستحييت . فلمّا رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما بى ورأى الدم قال : لعلّك نُفست ! قلت : نعم . قال : فأَصلحى من نفسك ، ثم خذى إناءً من ماءٍ ، ثم اطرحى فيه ملحًا واغسلى ما أَصاب الحقيبة من الدم ثم عودى . ففعلت ،

---

(١) فى الأصل : « مجزيهم » .

فلمّا فتح الله خيبر رَضَخ لنا من الفىءِ ولم يُسهم ، وأَخذ هذه القلادة التى تَرَين فى عنقى فأَعطانيها وعلَّقها بيده فى عنقى ، فواللهِ لا تفارقنى أَبدًا. وكانت فى عنقها حتى ماتت وأَوصت أن تُدفَن معها ، وكانت لا تطهر إلّا وجعلت فى طَهورها ملحًا ، وأَوصت أن يُجعلَ فى غُسلها ملحٌ[1] حين غُسِّلت .

حدّثنى عبد السَّلام بن موسى بن جُبَيْر ، عن أَبيه ، عن جدّه ، عن عبد الله بن أُنَيس ، قال : خرجتُ مع النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم إلى خَيْبَر ومعى زوجتى حبلى ، فنُفِست بالطريق فأَخبرتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم فقال : انقعْ لها تَمرًا فإذا أَنعم بَلُّه فَامْرُثْه[2] ثم تشربه . ففعلتُ فما رأَت شيئًا تكرهه . فلمّا فتحنا خَيْبَر أَحْذى النساء ولم يُسهم لهنّ ، فأَحذى زوجتى وولدى الذى وُلد . قال عبد السَّلام : لست أَدرى غلام أَم جارية .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن عمر بن الحَكَم ، عن أُمّ العَلاء الأَنصاريّة قالت : فأَصابنى ثلاثُ خرزات ، وكذلك أَصاب صواحبى ، وأُتِى يومئذٍ برِعاث[3] مِن ذهب ، فقال : هذا لبنات أَخى سعد بن زُرارة ، فقدم بها عليهنّ فرأَيت ذلك الرِّعاث عليهنّ ، وذلك من خُمُسه يوم خَيْبَر .

حدّثنى عبد الله بن أَبى يحيى ، عن ثُبَيتة بنت حَنْظَلَة الأَسْلَميّة ، عن أُمّها أُمّ سِنان قالت : لمّا أَراد رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم الخروج

---

(١) فى الأصل : « ملحا » .

(٢) فى ابن كثير عن الواقدى : « فإذا انغمر فأمر به لتشربه » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٥)

(٣) الرعاث : القرطة ؛ وهى من حلى الأذن . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٨٧) .

جئته فقلت : يا رسول الله ، أَخرجُ معك فى وجهك هذا ، أَخرز [١] السِّقاءَ ، وأُداوى المرضى والجريح إن كانت جراح - ولا يكون - وأَنظرُ الرَّحْل . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اُخرجى على بركة اللهِ فإنّ لك صواحب قد كلّمننى وأَذنتُ لهنّ مِن قومك ومن غيرهم ، فإن شئتِ فمع قومك وإن شئتِ فمعنا . قلت : معك ! قال : فكونى مع أُمّ سَلَمَة زوجتى . قالت : فكنت معها ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يغدو من الرَّجيع كلّ يومٍ عليه الدِّرع ، فإذا أمسى رجع إلينا ، فمكث على ذلك سبعة أيّام حتّى فتح الله النَّطاة ، فلمّا فتحها تحوّل إلى الشِّقّ وحوّلنا إلى المنزلة ، فلمّا فتح خَيْبَر رضخ لنا من الفىءِ ، فأَعطانى خَرَزًا وأَوضاحًا [٢] من فضّة أُصيبت فى المَغْنَم ، وأَعطانى قطيفةً فَدَكيّة ،وبُرْدًا يمانيًّا ، وخمائل [٣] ، وقِدْرًا من صُفر [٤] . وكان رجالٌ من أَصحابه قد جُرِحوا فكنت أُداويهم بدواءٍ كان عند أَهلى فيبرأون ، فرجعتُ مع أُمّ سَلَمَة فقالت لى حين أردنا ندخل المدينة ، وكنت على بعيرٍ من إبل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم منحه لى ، فقالت : بعيرك الذى تحتك لك رَقَبَتُه أَعطاكيه رسول الله . قالت : فحمدتُ الله وقدمت بالبعير فبعته بسبعة دنانير . قالت : فجعل الله فى وجهى ذلك خيرًا .

قالوا :فأَسهم للنساء ،وأَسهم لسَهلة بنت عاصم ،وُلدت بخَيْبَر ،ووُلد لعبد الله بن أُنَيس بخَيْبَر ، فأَسهم للنساء والصبيان . ويقال : رضخ للنساء والصبيان ولم يجعلهم كأَهل الجهاد .

---

(١) فى الأصل : « نخرز » .

(٢) الأوضاح : جمع وضح ، وهو الحلى من فضة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٥٥) .

(٣) الخمائل : جمع الخملة ، وهى الثوب المخمل كالكساء . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٧١) .

(٤) الصفر : من النحاس . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٧١) .

وحدّثنى يعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، قال : رأيت فى رَقَبَة أمّ عُمارة خَرَزًا حُمْرًا فسألتُها عن الخَرَز فقالت : أصاب المسلمون خَرَزًا فى حصن الصَّعب بن مُعاذ دُفن فى الأَرض ، فأُتى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَمر به بمن معه من النساء فأُحصين ، فكنّا عشرين امرأة ، فقسم ذلك الخَرَز بيننا هذا وأَرضخ لنا من الفىء ، قَطيفةً وبُرْدًا يمانيًا ودينارين ، وكذلك أعطى صواحبى . قلت : فكم كانت سُهمان الرجال ؟ قالت : ابتاع زوجى غَزيّةُ بن عمرو متاعًا بأَحدَ عشَرَ دينارًا ونصف ، فلم يطالب بشىءٍ ، فظنّنا أنّ هذه سُهمان الفرسان — وكان فارسًا — وباع ثلاثة أسهم فى الشّق زمنَ عُثمان بثلاثين دينارًا . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد قاد فى خَيْبَر ثلاثة أفراس ، لِزاز والظَّرِب والسَّكْب [١] ؛ وكان الزُّبَير بن العوَّام قد قاد أفراسًا ، وكان خِراش بن الصِّمَّة قد قاد فرسين ، وكان البَراءُ ابن أَوس بن خالد بن الجَعد بن عوف — أَبو إبراهيم[٢] ابن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الذى أَرضعه — قد قاد فرسين ؛ وكان أبو عمرو الأَنصارىّ قد قاد فرسين . قال : فأَسهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لكلّ مَن كان له فَرَسان خمسة أَسهم ، أَربعة لفرسَيه وسهمًا له ، وما كان أكثر من فرسَين لم يُسهم له . ويقال إنه لم يُسهم إلّا لفرسٍ واحد ، وأَثبت ذلك أَنه أسهم لفرسٍ واحد . ويقال : إنه عرّب العربىّ يوم خَيْبَر وهجّن الهجين ، فأَسهم للعربىّ وأَلقى الهجين . وقال بعضهم : لم يكن الهجين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إنما كانت العِراب حتى كان زمن عمر بن

(١) فى الأصل : « السكت » ؛ وما أثبتناه من كتب السيرة الأخرى .

(٢) إنما قيل له أبو إبراهيم لأن زوجته أم بردة أرضعته بلبنه . (الاستيعاب ، ص ١٥٣) .

الخطّاب وفتح العراق والشام ، ولم يُسمَع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضرب لمن كان معه من الخيل لنفسه إلّا لفرسٍ واحد ، هو معروف ، سهم الفرس . وسهْم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى النَّطاة ثلاثة أسهم ، لفرسه سهمان وله سهم ، كان مع عاصم بن عَدىّ .

وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أَبى فَرْوَة ، عن حِزام بن سعد بن مُحَيِّصَة ، قال : خرج سُوَيد بن النُّعمان على فرس ، فلمَّا نظر إلى بيوت خَيْبَر فى الليل وقع به الفرس ، فعَطِب الفرسُ وكُسرت يد سُوَيد ، فلم يخرج من منزله حتّى فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خَيْبَر ، فأَسهم له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سهمَ فارس.

قالوا : وكانت الخيل مائتى فرس. ويقال : ثلاثمائة ، ومائتان أَثبت عندنا . وكان الذى ولِى إحصاءَ المسلمين زيد بن ثابت ، فقسم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بينهم الذى غنموا من المتاع الذى بِيع ، ثم أَحصاهم أَلفًا وأَربعمائة ، والخيل مائتى فرس. فكانت السُّهمان على ثمانية عشر سهمًا ، وهم الذين ضرب لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسُّهمان، ولخيلهم أَربع عشرة مائة ، والخيل مائتى فرس لها أَربعمائة سهم . فكانت سُهمان المسلمين التى أَسهمها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى النَّطاة أَو فى الشِّقّ ثلاثة أَسهمٍ فَوضى لم تُعرف على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم تُحَدّ ولم تُقسَم ، إنما لها رؤساءُ مُسمَّون ، لكلّ مائةٍ رأسٌ يُعرَف يَقْسَم على أَصحابه ما خرج من غلَّتها ، فكان رؤساؤهم فى الشِّقّ والنَّطاة : عاصم بن عَدىّ ، وعَلِىّ بن أَبى طالب عليه السلام ، وعبد الرحمن بن عَوف ، وطَلحة بن عُبَيدالله رضوان الله عليهم . وسهْم بنى ساعدة ، وسهْم بنى النجّار لهم رأس ، وسهم

حارثة بن الحارث ، وسهم أَسلم وغِفار ، وسهم بنى سَلِمَة – وكانوا أكثر ورأسهم مُعاذ بن جَبَل – وسهم عُبَيدة رجل من اليهود ، وسهم أَوس ، وسهم بنى الزُّبَير ، وسهم أُسَيد بن حُضَير ، وسهم بلحارث بن الخزرج ، رأسه عبدالله بن رَواحة ، وسهم بَياضة ، رأسه فَرْوَة بن عمرو ، وسهم ناعم . فهذه ثمانية عشر سهمًا فى الشِّقّ والنَّطاة فوضى يقبض رؤساؤهم الغَلَّةَ منه ، ثم يُفَضّ عليهم ، ويبيع الرجل سهمه فيجوز ذلك . وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم اشترى من رجلٍ من بنى غِفار سهمه بخَيْبَر ببعيرين ثم قال له النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : أَعلمُ أَنَّ الذى آخذ منك خير من الذى أُعطيك ، والذى أُعطيك دون الذى آخذ منك ، وإن شئت فَخُذْ وإن شئت فأَمسِك ! فأَخذ الغِفارىّ . وكان عمر بن الخطَّاب يشترى من رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فى سهم ، وأَخذ من أَصحابه وهم مائة ، وهو سهم أَوس كان يُسمّى سهم اللَّفيف حتى صار لعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، وابتاع محمّد بن مَسْلَمَة من سهم أَسلم سُهمانًا ، ويقال : إنّ أَسْلَم كانوا بضعة وسبعين ، وغِفار بضعة وعشرين فكانوا مائة ، ويقال: كانت أَسلم مائة وسبعين ، وغِفار بضعة وعشرين ، وهذا مائتا سهم ، والقول [الأَوّل] أَثبت عندنا .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم لما فتح خَيْبَر سأَله اليهود فقالوا : يا محمّد ، نحن أَرباب النخل وأَهل المعرفة بها . فساقاهم [1] رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم خَيْبَر على شَطْرٍ من التمر والزرع ، وكان يُزرَع تحت النخل ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : أُقرّكم على ما أَقرّكم الله .

(١) ساقى فلان فلانا نخله أو كرمه إذا دفعه إليه واستعمله فيه على أن يعمره ويسقيه ويقوم بمصلحته من الإبار وغيره ، فما أخرج الله منه فللعامل سهم من كذا وكذا سهماً مما تغله والباقى لمالك النخل . (لسان العرب ، ج ١٩ ، ص ١١٨) .

فكانوا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى تُوفِّى ، وأبى بكر ، وصدرٍ من خلافة عمر ، وكان يبعث عبد الله بن رَواحة يَخرُص عليهم النخل ، فكان يخرصها فإذا خرص قال: إن شئتم فلكم وتضمنون نصفَ ما خرصتُ ، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ما خرصتُ . وإنه خرص عليهم أربعين ألف وَسْقٍ ، فجمعوا له حُليًّا من حُلِىّ نسائهم فقالوا : هذا لك ، وتجاوزْ فى القَسْم . فقال : يا معشر اليهود ، واللهِ إنكم لمن أبغض خلق الله إلىّ ، وما ذاك يحملنى أن أحيفَ عليكم . قالوا : بهذا قامت السموات والأرض! فكان عبد الله بن رَواحة يَخرُص عليهم ، فلمّا قُتل يوم مُؤْتة بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا الهَيْثَم بن التَّيِّهان يَخرُص عليهم ، ويقال : جَبّار بن صَخر ، فكان يصنع بهم مثل ما كان يصنع عبد الله بن رواحة ، ويقال: الذى خرص بعد ابن رواحة عليهم فَرْوَة بن عمرو . قالوا : وجعل المسلمون يَقَعون فى حرثهم وبَقْلهم بعد المُساقاة وبعد أن صار ليهود نصفه ، فشَكت اليهود ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خالد بن الوليد ، ويقال : عبد الرحمن بن عَوف ، فنادى : إنّ الصلاة جامعة ، ولا يدخل الجنّة إلّا مُسلم . فاجتمع الناس ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ اليهود شَكَوْا إلىّ أنكم وقعتم فى حظائرهم ، وقد أمّنّاهم على دمائهم وعلى أموالهم والذى فى أيديهم من أراضيهم ، وعامَلناهم ، وإنه لا تحلّ أموال المعاهَدين إلّا بحقّها . وكان المسلمون لا يأْخذون من بقولهم شيئًا إلّا بثمن ، فربما قال اليهودىّ للمُسلم : أنا أُعطيكه باطلاً[1]! فيأْبى المُسلم إلّا بثمن .

قال ابن واقد : وقد اختُلف علينا فى الكَتيبة ، فقال قائل : كانت

---

(١) فى الأصل : « أنا أعطكيه باطل » .

للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم خالصةً ولم يُوجف[1] عليها المسلمون ، إنما كانت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وحدّثنى عبد الله بن نوح ، عن ابن غُفَير ، وموسى بن عمرو بن عبد الله ابن رافع ، عن بشير بن يَسار . وحدّثنى إبراهيم بن جَعفر ، عن أبيه ، أنهم كانوا يقولون ذلك . وقال قائل : هى خُمُس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبر ، من الشِّقّ والنَّطاة . وحدّثنى قُدامة بن موسى ، عن أبى بكر بن محمّد بن عمرو بن حِزام ، قال : كتب إلىّ عمر بن عبد العزيز فى خلافته أن افحصْ لى عن الكَتيبة . قال أبو بكر : فسألتُ عمْرَة بنت عبد الرحمن فقالت : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما صالح بنى أبى الحُقَيق جزأ النَّطاة والشِّقّ والكَتيبة خمسة أجزاء ، وكانت الكَتيبة جزءًا منها ، ثم جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمس بَعَرات ، وأعلم فى بَعَرَةٍ منها ، فجعلها لِله ، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمّ اجعل سهمك فى الكتيبة . فكان أوّل ما خرج منها الذى فيه مكتوبٌ على الكَتيبة ، فكانت الكَتيبة خُمُس النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت السُّهمان أغفالًا ليس عليها عَلامات ، وكانت فَوضى للمسلمين على ثمانية عشر سهمًا . قال أبو بكر : فكتبتُ إلى عمر بن عبد العزيز بذلك .

وحدثنى أبو بكر بن أبى سَبْرَة ، عن أبى مالك ، عن حِزام بن سعد بن مُحَيصَة ، قال : لمّا خرج سهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وكان الشِّقّ والنَّطاة أربعة الأخماس للمسلمين فَوضى .

وحدّثنى عبد الله بن عَون ، عن أبى مالك الحِمْيَرىّ ، عن سَعيد بن

(١) أوجف دابته : حثها . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٩٦) .

المُسَيِّب ، وحدّثنى محمّد [١] ، عن الزُّهرىّ ، قال : الكَتيبة خُمُس رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم . قال : فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم يُطعم مَن أَطعم فى الكتيبة ويُنفق على أهله منها . قال ابن واقد : والثبت عندنا أنها خُمُس النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم من خَيْبَر ؛ لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم لم يُطعم من الشِّقّ والنَّطاة أحدًا وجعلها سُهمانًا للمسلمين، وكانت [٢] الكَتيبة التى أَطعم فيها . كانت الكَتيبة تُخرَص ثمانية آلاف وَسْق تمر ، فكان [٣] لليهود نصفها أَربعة آلاف ، وكان يُزرَع فى الكَتيبة شعيرٌ ، فكان يُحصَد منها ثلاثةُ آلاف صاع ، فكان للنبىّ صلّى الله عليه وسلَّم نصفُه ؛ أَلف وخمسمائة صاع شعير ، وكان يكون فيها نَوى فربَّما اجتمع أَلف صاع فيكون لرسول الله صلّى الله عليه وسلَّم نصفه ، فكلّ هذا قد أَعطى منه رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم المسلمين من الشعير والتمر والنوى .

تسمية سُهمان الكَتيبة

خُمُس رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم وحدَه ، وسُلالِم ، والجاسمَين ، وسهما النساء ، وسهما مِقسَم ــ وكان يهوديًّا ــ وسهما عَوان ، وسهم غِرِّيث ، وسهم نُعَيم ، وهو اثنا عشر سهمًا .

ذكر طُعم النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الكتيبة أزواجَه وغيرهم

أَطعم رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم كلّ امرأَةٍ من نسائه ثمانين وَسْقًا تمرًا وعشرين وسْقًا شعيرًا . وللعباس بن عبد المطَّلب مائتى وَسق ، ولفاطِمَة وعَلىّ

---

(١) أى محمد بن عبد الله . (٢) فى الأصل : « وكان » .
(٣) فى الأصل : « فكانت » .

عليهما السلام من الشعير والتمر ثلاثمائة وَسق ، والشعير من ذلك خمسة وثمانين وَسقًا ، لفاطِمَة من ذلك مائتا وَسق . ولأُسامة بن زيد مائة وخمسون ، منها أَربعون شعيرًا وخمسون وسقًا نوىً ، ولأُمّ رِمْثَة بنت عمر بن هاشم بن المطَّلب خمسة أوساق شعير ، وللمِقداد بن عمرو خمسة عشر وَسقًا شعيرًا .

وحدّثنى موسى بن يَعقوب ، عن عمّته ، عن أُمّها ، قالت : بعنا طُعمةَ المِقداد بن عمرو من خَيْبَر خمسة عشر وَسقًا شعيرًا من مُعاوية بن أَبى سُفيان بمائة أَلف درهم .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أَعطى محمّد رسول الله لأَبى بكر بن أَبى قُحافة مائة وَسق . ولعَقيل بن أَبى طالب مائة وأَربعين ، ولبنى جَعفر بن أَبى طالب خمسين وَسقًا ، ولرَبيعة بن الحارث مائة وَسق ، ولأَبى سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب مائة وَسق ، وللصَّلْت بن مَخْرَمَة بن المطَّلب ثلاثين وسقًا ، ولأَبى نَبْقَة خمسين وَسقًا ،ولرُكانة بن عبد يَزيد خمسين وَسقًا ، وللقاسم بن مَخْرَمَة بن المطَّلب خمسين وَسقًا ، ولمِسطَح بن أُثاثة بن عَبّاد وأُخته هند ثلاثين وَسقًا ، ولصَفيّة بنت عبد المطَّلب أَربعين وَسقًا ، ولبُحَينة بنت الحارث[1] بن المطَّلب ثلاثين وَسقًا ، ولضُباعة بنت الزُّبير بن عبد المطَّلب أَربعين وَسقًا ، وللحُصَين ، وخَديجة ، وهند بن عُبيدة بن الحارث مائة وَسق ، ولأُمّ الحَكَم بنت الزُّبير بن عبد المطَّلب ثلاثين وَسقًا ، ولأُم هانئ بنت أَبى طالب أَربعين وَسقًا ، ولجُمانة بنت أَبى طالب ثلاثين وَسقًا ، ولأُمّ طالب بنت أَبى طالب ثلاثين وَسقًا ، ولقيس بن

(١) فى الأصل : « لحينة بنت الأرث » . والتصحيح عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٧٩٣).

مَخْرَمَة بن المطَّلب خمسين وَسقًا ، ولأَبى أَرْقَم خمسين وَسقًا ، ولعبد الرحمن ابن أَبى بكر أَربعين وَسقًا ، ولأَبى بَصْرَة أَربعين وَسقًا ، ولابن أَبى حُبَيش ثلاثين وَسقًا ، ولعبد الله بن وَهب وابنيه خمسين وَسقًا ، لابنيه أربعين وَسقًا ، ولنُمَيْلة الكلبىّ من بنى لَيث خمسين وَسقًا ، ولأُمّ حبيبة بنت جَحش ثلاثين وَسقًا ، ولمَلَكان بن عَبْدَة ثلاثين وَسقًا ، ولمُحَيِّصَة بن مسعود ثلاثين وَسقًا ، وأَوصى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للرّهاويّين (١) بطُعمةٍ من خُمُس خيبر بِجادّ (٢) مائة وَسق ، وللدّاريّين بِجادّ مائة وَسق ، وهم عشرة من الداريّين قدموا من الشام إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَوصى لهم بطعمة مائة وسق : هانئُ بن حبيب ، والفاكه بن النُّعمان ، وجَبَلَة بن مالك ، وأَبو هند بن بَرّ وأَخوه الطيّب بن بَرّ ، سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله ، وتَميم بن أَوس ، ونُعَيم بن أَوس ، ويزيد بن قيس ، وعَزيز بن مالك ، سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الرحمن ، وأَخوه مُرّة بن مالك ، وأَوصى للأَشعريّين بِجادّ مائة وَسق .

أَخبرنا عبد الوهاب بن أَبى حيَّة قال : حدّثنا ابن الثَّلْجىّ قال : حدّثنا الواقدىّ قال : حدّثنى مَعْمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : لم يوصِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ بثلاثة أَشياء : للداريّين بِجادّ مائة وَسق ، وللأَشعريّين بِجادّ مائة وَسق ، وللرّهاويّين بجادّ مائة وَسق ، وأَن يُنفذ جيش أُسامة بن زيد ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عقد له

(١) الرهاويين : نسبة إلى رهاوة وهى قبيلة من اليمن ، ويقال فيها : رهاء بالهمز أيضاً وهو الأصح . قال بعض أهل النسب : رهاوة بفتح الراء قبيلة ينسب إليها رهاوى ، والرهاء نفر بالجزيرة ينسب إليها رهاوى بضم الراء (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٠) .

(٢) فى الأصل : « نجاد » . والتصحيح عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٦٧) . وبجاد مائة وسق : أى ما يجد منه مائة وسق ، أى يقطع . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥١) .

إلى مقتل أبيه ، وألَّا يُترَك بجزيرة العرب دينان .

قالوا : ثم استشار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جبريل فى قسم خُمُس خيبر فأشار عليه أن يقسمه فى بنى هاشم وبنى المطّلب وبنى عبد يَغوث .

وحدّثنى مَعْمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن سَعيد بن المُسَيِّب قال : قال جُبَير ابن مُطعِم : لمّا قسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سهم ذوى القربى بخيبر من بنى هاشم وبنى المطّلب مشيت أنا وعثمان بن عَفّان حتى دخلنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلنا : يا رسول الله ، هؤلاء إخواننا من بنى المطّلب لا نُنكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله به منهم ، أفرأيت إخواننا من بنى المطّلب ، إنّما نحن وهم منك بمنزلةٍ واحدة ، أعطيتَهم وتركْتَنا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ بنى المطّلب لم يفارقونى فى الجاهليّة والإسلام ؛ دخلوا معنا فى الشِّعب ، إنما بنو هاشم وبنو المطّلب شىءٌ واحدٌ ! وشبّك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصابعه .

قالوا : وكان عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث يحدّث قال : اجتمع العبّاس بن عبد المطّلب ورَبيعة بن الحارث فقالا : لو بعثنا هذين الغلامين – لى وللفضل بن عبّاس – إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكلّماه فأمّرهما على هذه الصدقات ، فأدّيا ما يُؤدّى الناس ، وأصابا ما يُصيبون من المنفعة . فبُعث بى والفَضل فخرجنا حتى جئنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسبقناه ، وانصرف إلينا من الظهر وقد وقفنا له عند حجرة زَينب ، فأخذ بمناكبهما فقال : أخرجا ما تُسرّان[1] ! فلمّا دخل دخلا عليه فكلّماه فقالا : يا رسول الله جئناك لتؤمّرنا على هذه الصدقات فنؤدّى ما يؤدّى الناس ، ونُصيب ما يُصيبون من

(١) فى الأصل : « ... ر ران » . لعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

المنفعة . فسكت ورفع رأْسه إلى سقف البيت ثم أَقبل علينا فقال : إنّ الصدقة لا تَحِلّ لمحمّدٍ ولا لآل محمّد ، إنما هى أوساخ الناس . ادعُ لى مَحمِيَة بن جَزْء الزُّبَيدىّ وأَبا سُفيان بن الحارث بن عبد المطّلب . فقال لمَحمِيَة : زوِّج هذا ابنتك — للفَضل . وقال لأَبى سُفيان : زوِّج هذا ابنتك — لعبد المطلب بن رَبيعة بن الحارث . وقال لمَحمِية : أَصدِق عنهما مما عندك من الخُمُس ! وكان يكون على الخُمُس . فكان ابن عبّاس يقول : قد دعانا عمر إلى أن يُنكَح فيه أَيامانا ويُخدَم منه عائلنا ، ويقضى منه غارمُنا ، فأَبينا عليه إلّا أن يُسلمه كلّه ، وأَبى ذلك علينا .

حدّثنى مُصعب بن ثابت ، عن يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزُّبَير أَن أَبا بكر وعمر وَعلِيًّا[١] عليهم السلام جعلوا هذين السهمين على اليتامى والمساكين . وقال بعضهم : فى السلاح والعُدّة فى سبيل الله . وكانت تلك الطُّعمةُ تُؤْخذ بصاع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى حياته وفى خلافة أَبى بكر ، وعمر ، وعُثمان ، ومُعاوية ، رضى الله عنهم ، حتى كان يحيى بن الحَكَم فزاد فى الصاع سُدُس المُدّ ، فأَعطى للناس بالصاع الذى زاد ، ثم كان أَبان ابن عُثمان فزاد فيه فأَعطاهم بذلك ، وكان من مات من المُطعَمين أَو قُتل فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأَبى بكر فإنه يرثه تلك الطُّعمةَ مَن ورث ماله . فلمّا ولى عمر بن الخطّاب قبض طُعمة كلّ من مات ولم يورِّثه ، فقبض طُعمة زيد بن حارثة ، وقبض طُعمة جَعفر بن أَبى طالب ، وكَلّمه فيه

---

(١) فى الأصل : «على» .

عَلِيّ بن أَبى طالب فأَبى ؛ وقبض طُعمة صَفيّة بنت عبد المطّلب ، فكلّمه الزُّبَير فى ذلك حتى غالظه فأَبى عليه ردّه ، فلمّا أَلحّ عليه قال : أُعطيك بعضه . قال الزُّبَير : لا والله ، لا تخلفْ تمرةً واحدةً تحبسها عنِّى ! فأَبى عمر تسليمه كلّه إليه . قال الزُّبَير : لا آخذه إلّا جميعًا ! فأَبى عمر وأَبى أن يردّ على المهاجرين . وقبض طُعمة فاطمة ، فكُلِّم فيها فأَبى أن يفعل . وكان يُجيز لأَزواج رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ما صنعن ، فماتت زينب بنت جَحش فى خلافته فخلّى بين ورثتها وبين تلك الطُّعمة ، وأَجاز ما صنعن فيه من بيع أَو هبة ، وورث ذلك كلٌّ من ورثهنّ ولم يفعل بغيرهنّ . وأَبى أن يُجيز بيعَ مَن باع تلك الطُّعمة ، وقال : هذا شىء لا يُعرَف ، إذا مات المُطعَم بطل حقُّه فكيف يجوز بيعُه ؟ إلّا أَزواج رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فإنه أَجاز ما صنعن ، فلمّا ولى عُثمان كُلِّم فى تلك الطُّعمة [١] فردّ على أُسامة ولم يردّ على غيره . فكلّمه الزُّبَير فى طُعمة صَفيّةَ أُمّه فأَبى يردّه وقال : أَنا حاضرك حين تكلّم عمر ، وعمر يأْبى عليك يقول « خُذْ بعضَه » ، فأَنا أُعطيك بعضه الذى عرض عليك عمر ، أَنا أُعطيك الثُلُثَين وأَحتبسُ الثلث . فقال الزُّبَير : لا واللهِ ، لا تمرة واحدة حتى تسلّمه كلّه أَو تحتبسه .

حدّثنى شُعَيب بن طَلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبى بكر ، عن أَبيه ، قال : لمّا تُوفِّى أَبو بكر رضى الله عنه كان ولده ورثته يأْخذون طُعمته من خَيْبَر ؛ مائة وَسْق فى خلافة عمر وعثمان ، وورثت امرأَته أُمّ رُومان بنت عامر بن عُوَيمر الكِنانيّة [٢] ، وحَبيبة بنت خارجة بن زيد بن أَبى زُهَير ،

(١) فى الأصل : « فى تلك المطعم » .

(٢) فى الأصل : « الكتابية » . والتصحيح من ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٩٣٥) .

فلم يزل جاريًا عليهنّ حتى كان زمن عبد الملك أو بعده فقُطع .

قال أبو عبد الله : سألت إبراهيم بن جَعفر عمَّن أعطى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خُمُس خَيْبَر فقال : لا تسأل عنه أحدًا أبدًا أعلم منّى ؛ كان مَن أُعطِى منه طُعمةً جرت عليه حتى يموت ، ثم يرثه مِن ورثته ، يبيعون ويُطعمون ويهَبون ؛ كان هذا على عهد أبى بكر وعمر وعثمان . قلت : ممَّن سمعتَ ذلك ؟ قال : من أبى وغيره من قومى . قال أبو عبد الله : فذكرتُ لعبد الرحمن بن عبد العزيز هذا الحديث فقال : أخبرنى من أثق به أنّ عمر كان يقبض تلك الطُّعمة إذا مات الميّت فى حياة أزواج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وغيرهنّ . ثم يقول : تُوفِّيت زَينب بنت جَحش فى سنة عشرين فى خلافة عمر فقبض طُعمتها ، فكُلِّم فأَبى أن يُعطيها الورثة . قال : إنما كانت من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم طُعمةً ما كان المرءُ حيًّا ، فإذا مات فلا حقّ لورثته . قال : فكان الأَمر على ذلك فى خلافة عمر حتى تُوفِّى ، ثم ولى عثمان . وكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أطعم زيد بن حارثة طُعمةً من خَيْبَر لم يكن له بها كتاب ، فلمّا تُوفِّى زيد جعلها النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لأُسامة بن زيد . قلت : فإنّ بعضَ من يروى يقول : كلَّم أُسامة بن زيد عمر وعثمان فى طُعمة أبيه فأَبى ، قال : ما كان إلّا كما أخبرتُك . قال أبو عبد الله : هذا الأَمر .

تسمية من استُشهد بخيبر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

من بنى أُميّة من حلفائهم : ربيعة بن أكثم ، قُتل بالنَّطاة ، قتله الحارث اليهودىّ ؛ وثَقْف بن عمرو بن سُمَيط ، قتله أُسَير اليهودىّ ؛ ورفاعة بن

مَسروح ، قتله الحارث اليهوديّ . ومن بنى أَسد بن عبد العُزّى : عبد الله بن أَبى أُميّة بن وَهب حليفٌ لهم وهو ابن أُختهم ، قُتل بالنَّطاة . ومن الأَنصار محمود بن مَسْلَمَة دلّى عليه مَرْحَب رحًى من حِصن ناعِم بالنَّطاة . ومن بنى عمرو بن عَوف : أَبو الضَيَّاح [1] بن النُّعمان ، شهد بدرًا ؛ والحارث بن حاطب قد شهد بدرًا ، وعَدِىّ بن مُرّة بن سراقة ؛ وأَوس بن حبيب ، قُتل على حِصن ناعم ؛ وأُنَيف بن وائلة [2] ، قُتل على حِصن ناعم . ومن بنى زُرَيق : مَسعود بن سعد ، قتله مَرْحَب . ومن بنى سَلِمَة : بِشر بن البَراء بن معرور ، مات من الشاة المسمومة ؛ وفُضَيل بن النُّعمان ، وهو من العرب ، مِن أَسلم ؛ وعامر بن الأَكوع ، أَصاب نفسه على حِصن ناعِم فدُفن هو ومحمود بن مَسْلَمَةَ فى غارٍ واحدٍ بالرَّجيع . ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقبة بن عَبّاد بن مُلَيل ، ويَسار ، العبد الأَسود ، ورجلٌ من أَشجع ؛ فجميع من استُشهد خمسةَ عشرَ رجلًا . وقد اختُلِف فى الصلاة عليهم فقال قائلٌ : صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليهم ، وقال قائلٌ : لم يصلِّ عليهم . وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلًا . وأَعطى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جَبَلَة بن جَوّال الثّعلبىّ كلّ داجن بخَيْبَر ، ويقال : أَعطاه كلّ داجن فى النَّطاة ، ولم يُعطه من الكَتيبة ولا من الشِّقّ شيئًا .

---

(١) فى الأصل : « أبو صباح بن النعمان » . والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص٧٧) .

(٢) فى الأصل : « أنيف بن وائل » . والتصحيح من ابن عبد البر يروى عن الواقدى. (الاستيعاب ، ص ١١٥) .

ذكر ما قيل من الشعر فى خيبر

قال ناجية بن جُنْدَب الأَسْلَمىّ :

يا عِبادَ اللهِ فِيما نَرْغَبْ ما هو إلّا مَأْكَلٌ ومَشْربْ
وجَنَّةٌ فيها نَعِيمٌ مُعجِبْ

وقال أيضًا :

أنا لِمَن أبصرنى ابنُ جُنْدَبْ يا رُبَّ قِرْنٍ[1] قد تركتُ أَنْكَبْ[2]
طاح عليه[3] أَنْسُرٌ وثَعْلَبْ

أنشدنى هذا عبدُ الملك بن وهب من ولد ناجية قال : ما زلت أرويها لأبى وأنا غلام .

حدّثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، أنه سُئل عن الرِّهان التى كانت بين قُريش حين سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى خَيْبَر فقال : كان حُويطب بن عبد العُزّى يقول : انصرفت من صُلح الحُدَيبية وأنا مُستيقن أن محمّدًا سيظهر على الخلق ، وتأْبى حَميّة الشيطان إلّا لزومَ دينى ، فقدم علينا عَبّاس بن مِرداس السُّلَمىّ فخَبّرنا أنّ محمّدًا سار إلى خَيابِر ، وأنّ خَيابِر قد جمعت الجموع فمحمّدٌ لا يُفلت ، إلى أن قال عبّاس : مَن شاءَ بايعتُه لا يُفلت محمّد. فقلت : أنا أُخاطرك . فقال صَفوان بن أُمَيّة : أنا معك يا عَبّاس . وقال نَوفل بن

---

(١) القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤٩) .
(٢) الأنكب : المائل إلى جهة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٠) .
(٣) طاح : هلك . (الصحاح ، ص ٣٨٩) .

مُعاوية : أَنا معك يا عبّاس . وضوَى[١] إلىّ نفرٌ من قُرَيش ،فتخاطرْنا مائة بعير خُماسًا إلى مائة بعير ، أقول أنا وحَيِّزِى[٢] «يظهر محمّد ». ويقول عبّاس وحَيِّزه :« تظهر غَطَفان ».فاضطرب الصوت ، فقال أَبو سُفيان بن حَرب : خشيت واللّاتِ حَيِّز عباس بن مِرداس . فغضب صَفوان وقال : أَدركتْك المنافية ! فأَسكت أَبو سفيان ، وجاءَه الخبر بظهور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَخذ حُويطب وحَيِّزه الرهن .

قالوا : وكانت الأَيْمُن تُحْلَف[٣] عن خيبر ؛ وكان أهل مكّة حين توجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى خَيْبَر قد تبايعوا بينهم ، منهم من يقول : يظهر الحَليفان أَسَد وغِفار واليهود بِخَيْبَر ، وذلك أَنَّ اليهود أَوعبت فى حلفاءِها ، فاستنصروهم وجعلوا لهم تمر خَيْبَر سنة ، فكانت بينهم فى ذلك بيوعٌ عظامٌ .

وكان الحَجّاج بن عِلاط السُّلَمىّ ثم البَهْزىّ قد خرج يُغير فى بعض غاراته ، فذُكر له أَنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بِخَيْبَر فأَسلم وحضر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خَيْبَر ، وكانت أُمّ شَيبة بنت عُمَير بن هاشم أُخت مُصعَب العَبدىّ امرأَته ، وكان الحجّاج مُكثرًا ، له مال كثير ، معادن الذهب التى بأَرض بنى سُلَيم ، فقال : يا رسول الله ، ائذن لى حتّى أَذهب فآخذ ما لى عند امرأَتى ، فإن علمتْ بإسلامى لم آخذ منه شيئًا ، فأَذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال : لا بدّ لى يا رسول الله من [أَن] أَقول . فأَذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَن يقول ما شاءَ . قال الحجّاج :

---

(١) ضوى : مال . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٨) .

(٢) فى الأصل : « حيزتى » . والحيز : الناحية . (لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٢٠٨) .

(٣) فى الأصل : « وكان أيمن يحلف » .

فخرجتُ فلمّا انتهيت إلى الحَرَم هبطت فوجدتهم بالثنيّة البَيضاء ، وإذا بهم رجالٌ من قُرَيش يتسمّعون الأَخبار ، قد بلغهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد سار إلى خيْبَر ، وعرفوا أنها قرية الحجاز ريفًا ومَنَعَة ورجالًا وسلاحًا ، فهم يتحسّسون الأَخبار مع ما كان بينهم من الرِّهان ، فلمّا رأَونى قالوا : الحجّاج ابن عِلاط. عنده واللهِ الخبر ! يا حجّاج ، إنه قد بلغنا أنّ القاطع[1]قد سار إلى خَيْبَر بلد اليهود وريف الحجاز . فقلت : بلغنى أنه قد سار إليها وعندى من الخبر ما يَسُرّكم . فالتبطوا[2] بجانبَىْ راحلتى يقولون : يا حجّاج أَخْبِرنا. فقلت : لم يلق محمّدٌ وأَصحابه قومًا يُحسنون القتال غير أَهل خَيْبَر . كانوا قد ساروا فى العرب يجمعون له الجموع وجمعوا له عشرة آلاف ، فهزِم هزيمة لم يُسمَع قطُّ بمثلها ، وأُسر محمّد أَسرًا ، فقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى أَهل مكّة فنقتله بين أَظهرهم بمن قتل منّا ومنهم ! ولهذا فإنهم يرجعون إليكم يطلبون الأَمان فى عشائرهم ويرجعون إلى ما كانوا عليه ، فلا تقبلوا منهم وقد صنعوا بكم ما صنعوا . قال : فصاحوا بمكّة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمّد إنما يُنتَظر أن يُقدَم به عليكم . وقلت : أَعينونى على جمع مالى على غُرَمائى فأَنا أُريد أن أَقدَم فأُصيب من محمّد وأَصحابه قبل أَن تسبقنى التجّار إلى ما هناك . فقاموا فجمعوا إلىّ مالى كأَحثّ جمْعٍ سمعتُ به ، وجئت صاحبتى وكان لى عندها مال فقلت لها : مالى ، على أَلحقُ بخَيْبَر فأُصيبَ من البيع قبل أَن يسبقنى التجّار إلى مَن انكسر هناك من المسلمين[3] . وسمع ذلك العبّاس فقام ، فانخذل ظهره فلم يستطع

(١) يعنون قاطع الأرحام ، أى رسول الله .

(٢) التبط القوم به : أى أطافوا به ولزموه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٨٢) .

(٣) فى الأصل : « قبل أن يسبقنى التجار وانكسر من هناك من المسلمين » .

القيام ، فأَشفق أَن يدخل داره فيُؤْذَى ، وعلم أَن سيُؤْذَى عند ذلك ، فأَمر ببباب داره يُفتَح وهو مستلق ، فدعا بابنه قُثَم وكان يُشبَّه بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فجعل يرتجز ويرفع صوته ألّا يشمَت به الأَعداءُ . وحضر بابَ العبّاس بين مَغيظ محزون ، وبين شامت ، وبين مسلم ومسلمة ، مقهورين بظهور الكفر والبغْى ، فلمّا رأَى المسلمون العبّاس طيِّبةً نفسُه طابت أَنفسهم واشتدّت مُنَّتهم[1] ، ودعا غلامًا له يقال له أَبو زُبَيْنة فقال له : اذهبْ إلى الحَجّاج فقلْ ، يقول العبّاس : « الله أَعلى وأَجلُّ من أَن يكون الذى تُخبر حقًّا » . فجاءه فقال الحَجّاج : قُل لأَبى الفَضل : أَخِلّنى فى بعض بيوتك حتى آتيَك ظُهرًا ببعض ما تحبّ ، فاكتم عنّى . فأَقبل أَبو زُبَينة يبشّر العَبّاس «أَبشر بالذى يسرّك » فكأَنه لم يمسّه شىءٌ ، ودخل عليه أَبو زُبَينة فاعتنقه العبّاس وأَعتقه وأَخبره بالذى قال ، فقال العبّاس : لله علىّ عِتْق عشر رِقاب ! فلمّا كان ظُهرًا جاءه الحَجّاج فناشده الله : لتكتمنّ علىّ ثلاثة أَيّام . فواثقه العبّاس على ذلك ، قال : فإنى قد أَسلمتُ ولى مال عند امرأَتى ودَين على الناس ، ولو علموا بإسلامى لم يدفعوا إلىّ ؛ تركتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد فتح خَيْبَر ، وجَرَت سِهامُ الله ورسوله فيها وانتثل[2] ما فيها ، وتركتُه عروسًا بابنة حُيَىّ بن أَخْطَب ، وقُتل ابن أَبى الحُقَيق . قال : فلمّا أَمسى الحجّاج من يومه خرج ، وطال على العبّاس تلك الليالى ، ويقال : إنما استنظر العبّاسَ يومًا وليلة ، وجعل العبّاس يقول : يا حجّاج ، انظر ما تقولُ فإنى عارف بخَيْبَر ؛ هى ريف الحجاز أَجمع ، وأَهل المَنَعَة والعُدّة فى الرجال . أَحقًّا ما تقول ؟ قال : إى واللهِ ، فاكتم عنى يومًا وليلة . حتى إذا مضى الأَجل والناس

---

(١) المنة بالضم : القوة . (الصحاح ، ص ٢٢٠٧) .
(٢) أى استخرج وأخذ . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٢٥) .

يموجون فى شأن ما تبايعوا عليه ، عمَد[١] العبّاس إلى حُلّةٍ فلبسها ، وتخلّق الخَلوق وأخذ فى يده قضيبًا ، ثم أقبل يخطر حتى وقف على باب الحجّاج بن عِلاط ، فقرعه فقالت زوجته : لا تدخل ، أبا الفَضل ! قال : فأين الحجّاج؟ قالت : انطلق إلى غنائم محمّد ليشترى منها التى أصابت اليهود منهم قبل أن تسبقه التجّار إليها . فقال لها العبّاس : فإنّ الرجل ليس لك بزوجٍ إلّا أن تتبعى دينه ؛ إنه قد أسلم وحضر الفتح مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإنما ذهب بماله هاربًا منك ومن أهلك أن يأخذوه . قالت : أحقًّا يا أبا الفَضل ؟ قال : إى واللهِ ! قالت : والثّواقبِ إنك لصادق . ثم قامت تُخبر أهلها ، وانصرف العبّاس إلى المسجد وقُرَيش يتحدّثون بما كان من حديث الحجّاج ، فلمّا نظروا إليه وإلى حاله تغامزوا وعجبوا من تجلُّده ، ثم دخل فى الطواف بالبيت ، فقالوا : يا أبا الفَضل ، هذا واللهِ التجلّد لحرّ المُصيبة ! أين كنت منذ ثلاث لا تطلع ؟ قال العبّاس : كلّا والذى حلفتم به ، لقد فتح خَيْبَر وتُرك عروسًا على ابنة ملكهم حُيَىّ بن أَخْطب ، وضرب أعناق بنى أبى الحُقَيق البِيض الجِعاد الذين رأيتموهم سادةَ النَّضير من يَثْرِب ، وهرب الحَجّاج بماله الذى عند امرأته . قالوا : مَن خبّرك بهذا ؟ قال العبّاس : الصادق فى نفسى ، الثقة فى صدرى ، فابعثوا إلى أهله ! فبعثوا فوجدوا الحَجّاج قد انطلق بماله واستكتم أهله حتى يُصبح ، فسألوا عن ذلك كلّه فوجدوه حقًّا ، فكُبت المشركون وفرح بذلك المسلمون ، ولم تلبث قُريش خمسة أيّام حتى جاءهم الخبر بذلك .

---

(١) فى الأصل : « وعمد » .

باب شأن فَدَك[1]

قالوا : لما أَقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى خَيْبَر فدنا منها ، بعث مُحَيِّصَة بن مَسعود إلى فدَكٍ يدعوهم إلى الإِسلام ويخوّفهم أَن يغزوَهم كما غزا أَهل خَيْبر ويحُلّ بساحتهم . قال مُحَيِّصة : جئتهم فأَقمت عندهم يومين، وجعلوا يتربصون ويقولون : بالنَّطاة عامر، وياسر، وأُسير، والحارث وسيّد اليهود مَرْحَب، ما نرى محمّدًا يقرب حَراهم[2] ، إنّ بها عشرة آلاف مُقاتل. قال مُحَيِّصَة : فلمّا رأَيت خبثهم أَردت أَرحل راجعًا ، فقالوا : نحن نُرسل معك رجالًا يأْخذون لنا الصُّلح — ويظنُّون أَنّ اليهود تمتنع . فلم يزالوا كذلك حتى جاءَهم قتْل أَهل حِصن ناعِم وأَهل النَّجْدة منهم ، ففتّ ذلك أَعضادَهم وقالوا لمُحَيِّصَة : اكتمْ عنّا ما قلنا لك ولك هذا الحَلْى ! لِحَلْى نسائهم ، جمعوه كثيرًا . فقال مُحَيِّصَة : بل أُخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالذى سمعتُ منكم . فأَخبر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بما قالوا . [قال مُحَيِّصَة] : وقدم معى رجلٌ من رؤسائهم يقال له نُون بن يوشَع فى نفرٍ من اليهود ، صالحوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أَن يحقن دماءَهم ويُجليهم ويُخَلُّوا بينه وبين الأَموال . ففعل ، ويقال : عرضوا على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أَن يخرجوا من بلادهم ولا يكون للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم عليهم من الأَموال شىءٌ ، وإذا كان جُذاذها جاءُوا فجذّوها ، فأَبى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) بينها وبين المدينة يومان . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٤٢) .

(٢) الحرا : جناب الرجل ، يقال: اذهب فلا أراك بحراى . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٢) .

أَن يقبل ذلك وقال لهم مُحَيِّصَة : مالكم مَنَعَة ولا رجال ولا حصون ، لو بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليكم مائة رجل لساقوكم إليه . فوقع الصُّلح بينهم أَنّ لهم نصف الأَرض بتربتها لهم ، ولرسول الله صلّى الله عليه وسلّم نصفها ، فقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك . وهذا أَثبت القولين . فأَقرّهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ذلك ولم يبلغهم ، فلمّا كان عمر ابن الخطّاب وأَجلى يهود خَيْبَر ، بعث عمر إليهم من يقوّم أَرضَهم ، فبعث أَبا الهَيْثَم بن التَّيِّهَان وفَرْوَة بن عمرو بن حَيَّان بن صَخر ، وزيدبن ثابت ، فقوّموها لهم ؛ النخل والأَرض ، فأَخذها عمر بن الخطّاب ودفع إليهم نصف قيمة النخل بتربتها ، فبلغ ذلك خمسين أَلف درهم أَو يزيد ـ كان ذلك المال جاءه من العراق ـ وأَجلاهم عمر إلى الشام . ويقال : بعث أَبا خَيْثَمة الحارثىّ فقوّمها .

انصراف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من خَيْبَر إلى المدينة

قال أَنَس : انصرفنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبَر وهو يُريد وادى القُرَى ، ومعه أُمّ سَلَمَة بنت مِلحان ، وكان بعض القوم يُريد أَن يسأَل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صَفيّة حتى مرّ بها فأَلقى عليها رِداءه ، ثم عرض عليها الإِسلام فقال : إن تكونى على دينك لم نُكرهك ، فإِن اخترتِ الله ورسوله اتخذتُك لنفسى . قالت : بل أَختار الله ورسوله . قال : فأَعتقها فتزوّجها وجعل عِتقها مهرها . فلمّا كان بالصَّهْباء قال لأُمّ سُلَيم : انظرى صاحبتك هذه فامشطيها ! وأَراد أَن يُعرِّس بها هناك ، فقامت أُمّ سُلَيم ـ قال أَنَس : وليس معنا فَساطيط. ولا سُرادِقات ـ فأَخذتْ كسائين

وعباءتين فسترتْ بهما عليها[1] إلى شجرة فمشطتْها وعطرتْها ، وأعرس بها رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم هناك . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم لمَّا خرج من خَيْبَر ، وقُرّب بعيرُها وقد سترها النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم بثوبه ، أَدنى فخذَه لتضع رجلها عليه ، فأَبت ووضعت ركبتها على فخذه ، فلمّا بلغ ثِبارًا أَراد أَن يُعرِّس بها هناك ، فأَبت عليه حتى وجد فى نفسه ، حتى بلغ الصَّهْباء فمال إلى دَومة هناك فطاوعته ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : ما حملك على ما صنعتِ حين أَردت أَن أَنزل بثِبار – وثِبار على ستة أَميال والصَّهباءُ على اثنى عشر ميلًا – قالت : يا رسول الله خفتُ عليك قرْب اليهود ، فلمّا بعدت أَمنتُ . فزادها عند النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم خيرًا وعلم أَنها قد صدقته ، ودخلت عليه مساءَ تلك الليلة ، وأَولم رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم يومئذٍ عليها بالحَيس[2] والسَّويق والتمر ، وكان قِصاعهم الأَنْطاع[3] قد بُسطت ، فرُئى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم يأْكل معهم على تلك الأَنْطاع . قالوا : وبات أَبو أَيّوب الأَنصارىّ قريبًا من قُبَّته آخذًا بقائم السيف حتى أَصبح ، فلمّا خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم بُكرةً فكبّر أَبو أَيّوب فقال : مالك يا أَبا أَيوب ؟ فقال : يا رسول الله ، دخلتَ بهذه الجارية وكنتَ قد قتلتَ أَباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامّة عشيرتها ، فخفت أَن تغتالك . فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وقال له معروفًا .

فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة أَنزل صَفيّة فى منزل الحارثة بن النُّعمان ، وانتقل حارثة عنها . وكانت عائشة وحَفْصَة يدًا واحدةً

---

(١) فى الأصل : « عليهما » .

(٢) الحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٧٤) .

(٣) الأنطاع : جمع نطع [بكسر النون] وهو بساط من الأديم . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٨٩) .

فأرسلت عائشة بَرِيرة إلى أُمّ سَلَمَة تسلّم عليها ـ وكانت أُمّ سَلَمَة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم مع النبى صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة خَيْبَر ـ وتسألها عن صَفيّةَ أظريفةٌ هى؟ فقالت أُمّ سَلَمَة : مَن أرسلك ـ عائشة؟ فسكتت فعرفت أُمّ سَلَمَة أنها أرسلتها . فقالت أُمّ سلمة : لَعمْرى إنها لظريفة ، وإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لها لمُحِبٌّ . فجاءت بَرِيرة فأخبرت عائشة خبرَها ، فخرجت عائشة متنكِّرةً حتى دخلت على صَفيّةَ وعندها نسوةٌ من الأنصار ، فنظرت إليها وهى مُنتقبة . فعرفها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما خرجت رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليها فقال : يا عائشة كيف رأيتِ صَفيّة ؟ قالت : ما رأيتُ طائلًا ، رأيت يهوديّة بين يهوديّات ـ تعنى عمّاتها وخالاتها ـ ولكنى قد أُخبِرت أنك تُحِبّها ، فهذا خيرٌ لها مِن لو كانت ظريفةً . قال : يا عائشة ، لا تقولى هذا فإنى عرضتُ عليها الإسلام فأسرعت وأسلمت وحسُن إسلامها . قال : فرجعت عائشة فأخبرت حَفْصَة بظَرْفِها ، فدخلت عليها حَفْصَة فنظرت إليها ثم رجعت إلى عائشة فقالت : إنها لظريفة وما هى كما قلتِ .

فلما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصَّهْباء سلك على بِرْمَة[1] حتى انتهى إلى وادى القُرَى يُريد مَن بها مِن اليهود . وكان أبو هُريرة يحدّث قال : خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبَر إلى وادى القُرَى ، وكان رِفاعة بن زيد بن وَهب الجُذامىّ قد وهب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبدًا أسود يقال له مِدْعَم[2] ، وكان يُرحِّل لرسول الله صلّى الله عليه

---

(١) برمة : من أعراض المدينة قرب « بلاكث » بين خيبر ووادى القرى ، به عيون ونخل . (وفاء الوفا ، ج٢ ، ص ٢٦٠) .

(٢) فى الأصل : « مدغم » . والتصحيح عن ابن كثير يروى عن الواقدى ، وهكذا ذكره ابن عبد البر أيضا . (الاستيعاب ، ص ١٣٨٢) .

وسلّم . فلمّا نزلوا بوادى القُرَى انتهينا إلى اليهود وقد ضَوَى إليها أُناسٌ من العرب ، فبينا مِدْعَم يَحُطُّ رَحْل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد استقبلتنا اليهود بالرمى حيث نزلنا ، ولم يكن على تَعبيةٍ وهم يصيحون[1] فى آطامهم ، فيُقبل سهمٌ عائرٌ[2] فأصاب مِدْعَمًا فقتله ، فقال الناس : هَنيئًا لك الجنّة ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كلاّ والذى نفسى بيده ، إنّ الشَّمْلة التى أخذها يوم خَيْبَر من المغانم لم يُصبها المَقْسم تشتعل عليه نارًا . فلما سمع بذلك الناس جاء رجلٌ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بشِراك[3] أو بشِراكين . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : شِراك من نار ! أو شِراكان من نار .

وعبّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابه للقتال وصفّهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عُبادة ، ورايةً إلى الحُباب بن المُنْذِر ، ورايةً إلى سهل بن حُنَيف ، ورايةً إلى عَبّاد بن بِشْر . ثم دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالَهم وحقنوا دماءهم وحسابُهم على الله . فبرز رجلٌ منهم وبرز إليه الزُّبَير بن العَوّام فقتله ؛ ثم برز آخر فبرز إليه الزُّبَير فقتله ؛ ثم برز آخر فبرز له عَلِىٌّ عليه السلام فقتله ؛ ثم برز آخر فبرز له أبو دُجانة فقتله ، ثم برز آخر فبرز له أبو دُجانة فقتله ؛ حتى قتل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم أحدَ عشرَ رجلًا ، كلّما قُتل رجلٌ دعا من بقى إلى الإسلام . ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذٍ فيصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله ،

---

(١) فى الأصل : «يضيحون» . وما أثبتناه عن ابن كثير يروى عن الواقدى . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٣١٨) .

(٢) العائر من السهام : ما لا يدرى راميه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٩٧) .

(٣) الشراك : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢١٦) .

فقاتلهم حتى أَمسَوا[١] وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قِيدَ رُمح حتى أَعطوا بأَيديهم ، وفتحها عَنْوَةً ، وغنّمه[٢] اللهُ أَموالَهم وأَصابوا أَثاثًا ومَتاعًا كثيرًا . وأَقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بوادى القُرَى أَربعة أَيَّام ؛وقسم ما أَصاب على أَصحابه بوادى القُرَى ، وترك النخل والأَرض بأَيدى اليهود وعاملهم عليها . فلمّا بلغ يهودَ تَيْماءَ[٣] ما وطِئَ به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خَيْبَر وفَدَك ووادى القُرَى ، صالحوا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الجِزية ، وأَقاموا بأَيديهم أَموالهم . فلمّا كان زمن عمر رضى الله عنه أَخرج يهود خَيْبر وفَدَك ،ولم يُخرج أَهل تَيْماءَ ووادى القُرَى ؛ لأَنهما داخلتان فى أَرض الشام ، ويرى أَنّ ما دون وادى القُرَى إلى المدينة حجازٌ ، وأَنّ ما وراءَ ذلك من الشام . وانصرف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من وادى القُرَى راجعًا بعد أَن فرغ من خَيْبَر ومن وادى القُرَى وغنّمه اللهُ ، فلمّا كان قريبًا من المدينة سرى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ليلتَه ،حتى إذا كان قُبَيل الصبح بقليلٍ نزل وعرّس . وقال : أَلا رجلٌ صالحٌ حافظٌ لعَينه يحفظ لنا صلاةَ الصبح ؟ فقال بِلال : أَنا يا رسول الله ! قال : فوضع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رأْسه ووضع الناس رءُوسهم ، وجعل أَبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يقول لبِلال : يا بِلال احفظْ عينَك ! قال : فاحتبيتُ[٤] بعَباءَتى واستقبلتُ الفجر، فما أَدرى متى وضعت جنبى إلّا أَنى لم أَستيقظ إلّا باسترجاع الناس وحَرّ الشمس ، وأَخذتنى الأَلسنةُ باللوم ؛ وكان أَشدّهم عَلَىَّ أَبو بكر . وفرغ

---

(١) فى ابن كثير عن الواقدى : « أَمسى » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٨) .

(٢) فى ابن كثير عن الواقدى : « فغنمهم » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٨) .

(٣) تيماء : على ثمانى مراحل من المدينة بينها وبين الشام . (وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٢٧٢) .

(٤) الاحتباء : هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٩٩) .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فكان أهون لائمةً من الناس ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : من كانت له حاجة فلْيقضها . فتفرّق الناس فى أُصول الشجر ، وقال صلَّى الله عليه وسلَّم : أَذِّنْ يا بِلال بالأَذان الأَوّل . قال بِلال : وكذلك كنت أفعل فى أسفاره ، فأذّنت فلمّا اجتمع الناس قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اركعوا ركعتَىِ الفجر . فركعوا ثم قال : أَقِم يا بِلال ! فأَقمتُ فتقدّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فصلَّى بالناس . قال بِلال : فما زال يصلِّى بنا حتى إنّ الرجلَ لَيَسْلُت (١) العَرَقَ من جبينه من حَرّ الشمس ، ثم سلَّم فأَقبل على القوم فقال : كانت أَنفسنا بيد الله ، ولو شاء قبضها وكان أَوْلَى بها ، فلمّا ردّها إلينا صلّينا . ثم أَقبل على بِلال فقال : مَهْ يا بلال ! فقال : بأَبِى وأُمّى ، قبض نفسى الذى قبض نفسك . فجعل النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يتبسّم .

ولمّا نظر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أُحُد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أُحُد جبل يُحبّنا ونُحبّه ؛ اللّهمّ إنى أُحرّم ما بين لابَتَىِ المدينة ! قال : وانتهى إلى الجُرْف ليلًا ، فنهى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَن يطرق الرجل أَهلَه بعد صلاة العشاء .

فحدّثنى يعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبى صَعْصَعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمّ عُمارة ، قالت : سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول وهو بالجُرْف : لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء . قالت : فذهب رجلٌ من الحىّ فطرق أَهلَه فوجد ما يكره فخلّى

(١) سلت : مسح . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٧٢) .

سبيله ولم يَهِجْه[١] ، وضنّ بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ورأى ما يكره .

حدّثنى عبد الله بن نوح الحارثىّ ، عن محمّد بن سَهل بن أبى حَثْمَة ، عن سعد بن حِزام بن مُحَيِّصَة ، عن أبيه ، قال : كنّا بالمدينة والمجاعة تُصيبنا ، فنخرج إلى خَيْبَر فنُقيم بها ما أقمنا ثم نرجع ، وربّما خرجنا إلى فَدَك وتَيماء . وكانت اليهود قومًا[٢] لهم ثمار لا يُصيبها قَطعُه[٣] ، أما تَيماءُ فعينٌ جاريةٌ تخرج من أصل جبلٍ لم يُصبها قطعُه منذ كانت ، وأما خَيْبَر فماءٌ واتِن ، فهى مُغَفَّرة[٤] فى الماء ، وأما فَدَك فمثل ذلك . وذلك قبل الإسلام ، فلما قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة وفتح خَيْبَر قلت لأصحابى : هل لكم فى خَيْبَر فإنّا قد جَهِدنا وقد أصابنا مجاعة ؟ فقال أصحابى : إنّ البلاد ليس كما كانت ، نحن قوم مسلمون وإنما نَقدَم على قومٍ أهلِ عداوةٍ وغِشٍّ للإسلام وأهله ، وكنّا قبل ذلك لا نعبد شيئًا . قالوا : قد جَهِدنا ، فخرجنا حتى قدمنا خَيْبَر ، فقدمنا على قومٍ بأيديهم الأرض والنخل ليس كما كانت ؛ قد دفعها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم على النصف ؛ فأما سَراة اليهود وأهل السَّعَة منهم قد قُتلوا — بنو أبى الحُقَيق وسَلّام بن مِشْكَم ، وابن الأَشْرَف — وإنما بقى قومٌ لا أموال لهم وإنما هم عمّال أيديهم . وكنّا نكون فى الشِّقّ يومًا وفى النَّطاة يومًا وفى الكَتيبة يومًا ، فرأينا الكَتيبة خيرًا لنا فأقمنا بها أيّامًا ، ثم إنّ صاحبى ذهب إلى الشِّقّ فبات عنى وقد

---

(١) فى ابن كثير عن الواقدى : «فخلى سبيلها ولم يهجر وضن» . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٩) . ولم يهجه : أى لم يزعجه ولم ينفره . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٦٠) .
(٢) فى الأصل : « قوم » .
(٣) أى قطع الماء .
(٤) فى الأصل : « معفدة » . ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات . وغفره : أى غطاه . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٠٣) .

كنت أُحذِّره اليهودَ ، فغدوت فى أثره أسأل عنه حتى انتهيتُ إلى الشِّقّ فقال لى أهل أبيات منهم : مرّ بنا حين غابت الشمس يُريد النَّطاة. قال : فعمَدتُ إلى النَّطاة ،إلى أن قال لى غلام منهم : تعال أدلُّك على صاحبك! فانتهى بى إلى مَنهَر فأقامنى عليه ، فإذا الذُّباب يطلع من المَنهَر . قال : فتدلّيت فى المَنهَر فإذا صاحبى قتيل ، فقلت لأهل الشِّقّ : أنتم قتلتموه ! قالوا : لا واللهِ ، ما لنا به علم ! قال : فاستعنتُ عليه بنفرٍ من اليهود حتى أخرجته وكفّنته ودفنته ، ثم خرجت سريعًا حتى قدمت على قومى بالمدينة فأخبرتُهم الخبر . ونجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُريد عُمرة القضيّة ، فخرج معى من قومى ثلاثون رجلًا ، أكبرنا أخى حُوَيِّصَة ، فخرج معنا عبد الرحمن ابن سَهل أخو المقتول — والمقتول عبد الله بن سَهل — وكان عبد الرحمن ابن سَهل أحدث منى ، فهو مستعبرٌ على أخيه رقيقٌ عليه ، فبرك بين يدَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجلسنا حوله . وقد بلغ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم الخبر . فقال عبد الرحمن : يا رسول الله إنّ أخى قُتل . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كَبِّرْ ، كَبِّرْ ! فتكلّمتُ فقال : كَبِّرْ ، كَبِّرْ ! فسكت . وتكلّم أخى حُوَيِّصَة فتكلّم بكلمات وذكر أنّ اليهود تُهْمَتُنا وظِنّتنا ثم سكت ، فتكلّمت وأخبرتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخبر . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إما أن يَدُوا صاحبَكم وإما أن يأْذنوا بحربٍ من الله ورسولِهِ ، وكتب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إليهم فى ذلك فكتبوا إليه : « ما قتلناه » . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لحُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة وعبد الرحمن ولِمَن معهم : تحلفون خمسين يمينًا وتستحقّون دم صاحبكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، لم نحضر ولم نشهد . قال : فتحلف لكم اليهود ؟ قالوا : يا رسول الله ، ليسوا بمسلمين . فوداه

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من عنده مائة ناقة ، خمسة وعشرين جَذَعة ، وخمسة وعشرين حِقّة ، وخمسة وعشرين بنت لَبون، وخمسة وعشرين بنت مَخاض . قال سَهل بن أبى حَثْمَة : رأيتها أُدخِلت عليهم مائة ناقة ، فركضتنى منها ناقةٌ حمراءُ وأنا يومئذٍ غلام .

حدّثنى ابن أبى ذِئب ، ومَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المُسَيِّب قال : كانت القَسامة فى الجاهليّة ثم أقرّها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ، وقضى بها فى الأنصاريّ الذى وُجد بخَيْبَر قتيلاً(١) فى جُبٍّ من جِباب اليهود . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للأنصار: تحلف لكم اليهود؛ خمسين رجلًا خمسين يمينًا بالله ما قتلنا ؟ قالوا : يا رسول الله ، كيف تقبل أيمان قوم كُفّار ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فتحلفون خمسين رجلاً خمسين يميناً بالله أنهم قتلوا صاحبكم وتستحقّوا الدم ؟ قالوا : يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد . قال : فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ديته على اليهود لأنه قُتل بحضرتهم .

حدّثنى مَخْرَمَة بن بُكَير ، عن خالد بن يَزيد ، عن عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بديته على اليهود ، فإن لم يُعطوا فليأْذنوا بحربٍ من الله ورسوله . وأعانهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ببضعة وثلاثين بعيرًا — فهى أوّل ما كانت القَسامة . وكان الناس يطلعون إلى أموالهم بخَيْبَر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبى بكر ، وعمر ، وعثمان .

وحدّثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ،

---

(١) فى الأصل : « قتيل » .

قال : خرجت أنا والزُّبير ، والمِقداد بن عمرو، وسعيد بن زيد بن عمر بن نُفَيل إلى أموالنا بخَيْبَر فطلعنا نتعاهدها ، وكان أبو بكر يبعث مَن يطلعها وينظر إليها ، وكان عمر يفعل ذلك أيضًا ، فلمّا قدمنا خَيْبَر تفرّقنا فى أموالنا . فعُدى علينا من جوف الليل وأنا نائمٌ على فراشى فصُرِعت يَداى فسألونى : مَن صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، فأصلحوا أمر يَدىّ ! وقال غير سالم ، عن ابن عمر ، قال : سحروه بالليل وهو نائمٌ على فراشه فكُوِّع حتى أصبح كأنه كان فى وَثاقٍ ، وجاء أصحابه فأصلحوا من يديه ، فقدم ابن عمر المدينة فأخبر أباه بما صُنع به .

حدّثنى محمّد بن يحيى بن سَهل بن أَبى حَثْمَة ، عن أبيه ، قال : أَقبل مُظَهِّر بن رافع الحارثىّ بأَعْلاج من الشام يعملون له بأرضه وهم عشرة ، فأقبل حتى نزل بهم خَيْبَر فأقام بها ثلاثة أيّام ، فيدخل بهم رجلٌ من اليهود فقال : أنتم نصارى ونحن يهود وهؤلاءِ قوم عرب قد قهرونا بالسيف ، وأنتم عشرة رجال أقبل رجلٌ واحدٌ منهم يسوقكم من أرض الخمر والخير إلى الجهد والبؤْس ، وتكونون فى رِقٍّ شديد ، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه. قالوا : ليس معنا سلاح . فدسّوا إليهم سِكّينين أو ثلاثة . قال : فخرجوا فلمّا كانوا بثِبار قال لأحدهم ، وكان الذى يخدمه منهم : ناولنى كذا وكذا . فأقبلوا إليه جميعًا قد شهروا سكاكينهم ، فخرج مُظَهِّر يعدو إلى سيفه وكان فى قِراب راحلته ، فلما انتهى إلى القِراب لم يفتحه حتى بَعَجوا بطنَه ، ثم انصرفوا سِراعًا حتى قدموا خَيْبَر على اليهود فآووهم وزوّدوهم وأعطوهم قُوّة فلحقوا بالشام . وجاءَ عمرَ الخبرُ بمقتل مُظَهِّر بن رافع وما صنعت اليهود ، فقام عمر خطيبًا بالناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إن

اليهود فعلوا بعبد الله ما فعلوا ، وفعلوا بمُظَهِّر بن رافع مع عَدْوتهم على عبد الله بن سَهل فى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لا أشكّ أنهم أصحابه ليس لنا عدوّ هناك غيرهم ؛ فمَن كان له بها مالٌ فليخرج فأنا خارج ، فقاسِم ما كان بها من الأموال ، وحادٌّ حدودَها ، ومورّفٌ أُرَفها[1] ومُجلى اليهود منها ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لهم : « أُقِرّكم ما أقرّكم الله » وقد أذن الله فى جلائهم إلّا أن يأْتى رجلٌ منهم بعهدٍ أو بَيِّنةٍ من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه أقره فأُقِرّه . فقام طَلحة بن عُبَيد الله فقال : قد واللهِ أصبتَ يا أميرَ المؤمنين ووُفِّقت ! إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : « أُقِرّكم ما أقرّكم الله » ، وقد فعلوا ما فعلوا بعبد الله بن سَهل فى زمن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وما حرّضوا على مُظَهِّر بن رافع حتّى قتله أَعْبُدُه ، وما فعلوا بعبد الله بن عمر ، فهم أهل تُهمتنا وظِنّتنا[2] . فقال عمر رضى الله عنه : مَن معك على مثل رأيك ؟ قال : المهاجرون جميعًا والأنصار . فسُرّ بذلك عمر .

حدّثنى مَعْمَر ، عن الزّهرىّ ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : بلغ عمرَ رضى الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فى مرضه الذى تُوفِّى فيه : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » . ففحص عن ذلك عمر بن الخطّاب حتى وجد عليه الثّبْت مَن لا يُتّهم ، فأرسل إلى يهود الحجاز فقال : مَن كان منكم عنده عهد من النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فإنى مُجليه ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أَذِن فى جلائهم . فأجلى عمر يهود الحجاز .

---

(١) أرف : جمع أرفة ، وهى الحدود والمعالم . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٦) .

(٢) فى الأصل : « سركتنا وظنتنا » ، وما أثبتناه من السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ١٨٢) . وانظر ما سبق ، ص ٧١٤ .

قالوا : فخرج عمر بأربعة قُسّام : فَرْوة بن عمرو البَياضىّ ، قد شهد بدرًا ، وحُباب بن صَخر السُّلَمىّ ، قد شهد بدرًا ، وأبو الهَيْثَم بن التَّيِّهان ،قد شهد بدرًا ، وزيد بن ثابت ؛ فقسموا خَيْبَر على ثمانية عشر سهمًا ، على الرؤوس التى سمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإنه سمّى ثمانية عشر سهمًا وسمّى رؤساءها . ويقال : إنّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه سمّى الرؤساء ثم جزأوا الشِّقّ والنَّطاة ، فجزأوها على ثمانيةَ عشرَ سهمًا ، جعلوا ثمانية عشر بَعرة فأُلقين فى العَين(١) جميعًا ، ولكلّ رأس علامةٌ فى بَعرته ، فإذا خرجت أوّل بَعرة قيل سهم فلان وسهم فلان . وكان فى الشِّقّ ثلاثةَ عشرَ سهمًا ، وفى النَّطاة خمسة أسهم . حدّثنى بذلك حكيم بن محمّد من آل مَخْرَمة ، عن أبيه . فكان أوّل سهم خرج فى النَّطاة سهم الزُّبَير بن العَوّام ؛ ثم سهم بَياضة ، يقال : إنّ رأسه فَرْوة بن عمرو ؛ ثم سهم أُسَيد بن حُضَير ؛ ثم سهم بَلْحارث بن الخزرج ، يقال : رأسه عبد الله بن رَواحة ؛ ثـ سهم ناعِم ؛ يهودىّ . ثم ضربوا فى الشِّقّ ، فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : يا عاصم بن عدىّ ، إنك رجلٌ محدود ، فسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع سهمك . فخرج سهم عاصم أوّل سهم فى الشِّقّ ، ويقال : إنه سهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان فى بنى بَياضة ، والثبْت أنه كان مع عاصم بن عَدىّ . ثم خرج سهم عَلىٍّ عليه السلام على أَثَر سهم عاصم ؛ ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ؛ ثم سهم طَلحة بن عُبَيد الله ؛ ثم سهم بنى ساعدة ، يقال : رأسهم سعد ابن عبادة ؛ ثم سهم بنى النَّجّار ؛ ثم سهم بنى حارثة بن الحارث ؛ ثم سهم

(١) العين : المال الحاضر . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٤٥) .

أَسْلَم وغِفار ، يقال :رأسهم بُرَيدة بن الحُصَيب ؛ ثم سهما سَلِمَة جميعًا ؛ ثم سهم عُبَيد السِّهام؛ ثم سهم عُبَيد ؛ ثم سهم أَوس ، صار لعمر بن الخطَّاب رضى الله عنه. قال ابن واقد : فسأَلت ابن أَبى حَبيبة : لِم سُمّى عُبَيد السِّهام ؟ قال : أَخبرنى داود بن الحُصَين قال : كان اسمه عُبيد ، ولكنه جعل يشترى من السهام بخَيْبَر فسمّى عُبَيد السهام .

حدّثنى إسماعيل بن عبد الملك ابن نافع مولى بنى هاشم ، عن يحيى ابن شِبل ، عن أَبى جعفر قال : أَوّل ما ضُرب فى الشِّقّ خرج سهم عاصم ابن عَدىّ فيه سهم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وحدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أَبيه ، قال : قال عمر بن الخطَّاب : كنت أُحبّ أَن يخرج سهمى مع سهم النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمّا أَخطأَنى قلت : اللّهمّ اجعل سهمى فى مكانٍ مُعتزلٍ لا يكون لأَحدٍ علىّ طريق . فكان سهمه مُعتزلًا وكان شركاؤُه أَعرابًا ،فكان يستخلص[1] منهم سِهامهم؛ يأْخذ حقّ أَحدهم بالفرس والشىء اليسير حتى خلص له سهم أَوس كلُّه .

حدّثنى عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لمّا قسم[2] عمر رضى الله عنه خَيْبَر خيّروا أَزواج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فى طُعمهنّ الذى أَطعمهنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الكَتيبة ، إن أَحببن أَن يُقطَع لهنّ من الأَرض [و] الماء مكان طُعمهنّ ، أَو يمضى لهنّ الوُسوق وتكون مضمونة لهنّ . فكانت عائشة رضى الله عنها وحَفْصَة رضى الله عنها ممن

(١) فى الأصل : « يتخلص » .
(٢) فى الأصل : « أقسم » .

اختار الأَرض والماء ، وكان سائرهنّ أَخذن[١] الوُسوق مضمونة .

حدّثنى أَفْلَح بن حُمَيد قال : سمعت القاسم بن محمّد يقول ، سمعت عائشة رضى الله عنها تقول يومًا : رحم الله ابن الخطّاب ! قد خيرنى فيما صنع ، خيّرنى فى الأَرض والماء وفى الطُّعمة ، فاخترتُ الأَرض والماء ، فهنّ فى يدى ، وأَهل الطُّعم مرّة يَنقصهم مَروان ، ومرّة لا يُعطيهم شيئًا ، ومرّة يُعطيهم . ويقال : إنما خيّر عمر رضى الله عنه أَزواج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقط .

حدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أَبيه ، قال : خيَّر عمر رضى الله عنه الناس كلَّهم ؛ فمَن شاءَ أَخذ الطُّعمة كَيلًا ، ومَن شاءَ أَخذ الماءَ والتراب ، وأَذن لمن شاءَ باع ، ومن أَحبّ أَن يُمسك أَمسك من الناس كلِّهم ، فكان مَن باع الأَشعريّين ، من عُثمان بن عَفّان مائة وَسْق بخمسة آلاف[٢] دينار ، وباع الرُّهاويّون من مُعاوية بن أَبى سُفيان بمثل ذلك . قال أَبو عبد الله : هذا الثبْت عندنا والذى رأَيتُ عليه أَهلَ المدينة .

وحدّثنى أَيّوب بن النُّعمان ، عن أَبيه ، قال : خير عمر رضى الله عنه من كانت له طُعمة أَن يُعطيه من الماء والأَرضِ أَو الطُّعمة مضمونةً ، فكان أُسامة ابن زيد اختار الطُّعمة مضمونة . ولمّا فرغ عمر رضى الله عنه من القسمة أَخرج يهود خَيابر ، ومضى عمر رضى الله عنه من خَيْبَر فى المهاجرين والأَنصار إلى وادى القُرَى . وخرج معاوية بالقُسّام الذين قسموا : جَبّار بن صَخر ، وأَبو الهَيْثَم بن التَّيِّهان ، وفَرْوَة بن عمرو ، وزيد بن ثابت ، فقسموها على

(١) فى الأصل : « أخذوا » .
(٢) فى الأصل : « بخمسة ألف » .

أعداد السّهام ، وأعلموا أُرَفَها ، وحدّوا حُدودها ، وجعلوها السّهام تجرى . فكان ما قسم عمر من وادى القُرَى لعُثمان بن عَفّان خَطَر ، ولعبد الرحمن ابن عَوف خطر ، ولعمر بن أَبى سَلَمَة خطر ـ الخطر هو السهم ـ ولعامر بن ربيعة خطر ، ولمُعَيْقيب خطر ، ولعبد الله بن الأَرْقَم خطر ، ولبنى جَعفر خطر ، ولعمرو بن سُراقة خطر ، ولعبد الله وعُبَيد الله خطران ، ولشُيَيم خطر ، ولابن عبد الله بن جَحش خطر ، ولابن أَبى بكر خطر ، ولعمر خطر ، ولزيد ابن ثابت خطر ، ولأُبَىّ بن كعب خطر ، ولمُعاذ بن عَفراءَ خطر ، ولأَبى طَلحة وجُبَير خطر ، ولجَبّار بن صخر خطر ، ولجَبّار بن عبد الله بن رباب خطر ، ولمالك بن صَعْصَعة وجابر بن عبد الله بن عمر خطر ، ولسَلَمة بن سَلامة خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وابن أَبى شُرَيق خطر ، ولأَبى عَبْس بن جَبر خطر ، ولمحمّد بن مَسْلَمَة خطر ، ولعَباد بن طارق خطر ، ولجَبر بن عَتيك نصف خطر ، ولابن الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن جَزْمَة والضّحّاك خطر .

حدّثنى عبد الرحمن بن محمّد بن أَبى بكر ، عن عبد الله بن أَبى بكر ، ن عبدالله بن مِكْنَف الحارثىّ ، قال : إنما خرج عمربن الخطّاب رضى الله عنه ـن القُسّام برجلين ، جَبّار بن صَخر وزيد بن ثابت ، هما قاسما المدينة وحاسِباها ، فقسما خَيْبَر وأَقاما نخل فَدَك وأَرضها ، ودفع عمر إلى يهود فَدَك نصف القيمة ؛ وقسما السّهمان بوادى القُرَى ، ثم أَجلى عمر رضى الله عنه يهود الحجاز ، وكان زيد بن ثابت قد تصدّق بالذى صار له مَن وادى القُرَى مع غيره .

سريّة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه إلى تُرَبَة في شعبان سنة سبع

حدّثنا أُسامة بن زيد بن أسْلَم ، عن أَبى بكر بن عمر بن عبد الرحمن ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمر رضى الله عنه فى ثلاثين رجلًا إلى عَجُز [١]هَوازِن بتُرَبَة[٢] ، فخرج عمر رضى الله عنه ومعه دليلٌ من بنى هِلال ، فكانوا يسيرون الليل ويكمُنون النهار ، وأتى الخبرُ هَوازِن فهربوا ، وجاء عمر محالّهم فلم يلق منهم أحدًا . وانصرف راجعًا إلى المدينة حتى سلك النّجديّة ، فلمّا كان بالجَدْر قال الهِلالىّ لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه : هل لك فى جمعٍ آخر تركته من خَثْعَم ، جاءُوا سائرين قد أجدَبَت بلادهم ؟ فقال عمر : لم يأْمرنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهم ، إنما أمرنى أصمد[٣] لقتال هَوازِن بتُرَبَة . فانصرف عمر راجعًا إلى المدينة .

سريّة أَبى بكر رضى الله عنه إلى نَجْد فى شعبان سنة سبع

حدّثنى حمزة بن عبد الواحد ، عن عِكْرِمَةَ بن عَمّار ، عن إياس بن سَلَمَة ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر رضى الله عنه وأمّره علينا ، فبيتنا ناسًا من هَوازِن ، فقتلتُ بيدى سبعةً أهل أبيات[٤] ، وكان شعارنا : أَمِتْ ! أَمِتْ !

---

(١) عجز هوازن : بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم بن بكر . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٨١) .
(٢) تربة : موضع بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران . (طبقات ابن سعد ، ج ٢ ، ص ٨٥) .
(٣) فى الأصل : « أضمد » .
(٤) فى الأصل : « سبعة أبيات » ، والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٥) .

سريّة بَشير بن سعد إلى فَدَك فى شعبان سنة سبع

حدّثنى عبد الله بن الحارث بن الفُضَيل ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بَشير بن سعد فى ثلاثين رجلا إلى بنى مُرّة بفَدَك . فخرج فلقى رِعاءَ الشاءِ فسأل : أين الناس؟ فقالوا : هم فى بَواديهم[1]. والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماءَ ، فاستاق النَّعَم والشاءَ وعاد مُنحدرًا إلى المدينة ، فخرج الصَّريخ فأخبرهم فأدركه الدُّهْمُ منهم عند الليل ، فباتوا[2] يُرامونهم بالنَّبل حتى فنيتْ نبلُ أصحاب بَشير ، وأصبحوا وحمل المُرّيّون عليهم فأصابوا أصحاب بَشير وولّى منهم من ولّى . وقاتل بَشير قتالًا شديدًا حتى ضُرب كَعْبُه ، وقيل : قد مات ، ورجعوا بنَعَمهم وشاءهم . وكان أوّل مَن قدم بخبر السريّة ومُصابها عُلْبَة بن زيد الحارثىّ . وأُمهِل بَشير بن سعد وهو فى القتلى ، فلمّا أمسى تحامل حتى انتهى [إلى] فَدَك ، فأقام عند يهودىّ بفَدَك أيّامًا حتى ارتفع من الجراح ، ثم رجع إلى المدينة .

وهيّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الزُّبَير بن العَوّام فقال : سِر حتى تنتهى إلى مُصاب أصحاب بَشير ، فإن ظفّرك اللهُ بهم فلا تبق فيهم . وهيّأ معه مائتَى رجلٍ وعقد له اللّواءَ ، فقدم غالب بن عبد الله من سريّة قد ظفر اللهُ عليهم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للزُّبَير بن العوّام : اجلس ! وبعث غالب بن عبد الله فى مائتَى رجل ، فخرج أُسامة بن زيد فى

(١) هكذا فى الأصل وابن سعد. وفى الزرقانى يروى عن الواقدى : «نواديهم» . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

(٢) فى ابن سعد : « فأتوا » . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٦) .

السرّية حتى انتهى إلى مُصاب بَشير وأصحابه ، وخرج معه عُلْبَة بن زيد .

حدّثنى أَفْلَح بن سَعيد ، عن بَشير بن محمّد بن عبد الله بن زيد ، قال : كان مع غالب عُقبة بن عمرو أبو مَسعود ، وكَعب بن عُجْرَة ، وأُسامة بن زيد ، وعُلْبَة بن زيد ؛ فلمّا دنا غالب منهم بعث الطلائع ، فبعث عُلْبَة بن زيد فى عشرة ينظر إلى جماعة محالّهم ، حتى أوفى على جماعةٍ منهم ثم رجع إلى غالب فأخبره . فأقبل غالب يسير حتى إذا كان منهم بمَنظر العين ليلًا ، وقد اجتلبوا وعَطّنوا[1] وهَدأوا ، قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنى أُوصيكم بتقوى الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن تُطيعونى ولا تعصونى ولا تُخالفوا لى أمرًا ، فإنه لا رأىَ لمن لا يُطاع . ثم ألّف بينهم فقال : يا فلان أنت وفلان ، يا فلان أنت وفلان — لا يفارق كلّ رجلٍ زميله — وإياكم أن يرجع إلىّ أحدُكم فأقول : أين فلان صاحبك؟ فيقول : لا أدرى ؛ وإذا كبّرتُ فكَبّروا . قال : فَكبّر وكَبّروا ، وأخرجوا السيوف . قال : فأحطنا بالحاضر [وفى الحاضِر][2] نَعَمٌ وقد عَطّنوا مواشيَهم ، فخرج إلينا الرجال فقاتلوا ساعةً ، فوضعنا السيوف حيث شئنا منهم ونحن نصيح بشِعارنا : أَمِتْ ! أَمِتْ ! وخرج أُسامة بن زيد فى إثر رجلٍ منهم يقال له نَهيك بن مِرداس فأبعد ، وحَوينا على الحاضر وقتلنا مَن قتلنا ، ومعنا النساءُ والماشية ، فقال أميرنا : أين أُسامة بن زيد ؟ فجاء بعد ساعة من الليل ، فلامه أميرنا لائمةً شديدةً وقال : ألم تَرَ إلى ما عهدتُ إليك ؟

(١) أى سقوا الإبل ثم أناخوها وحبسوها عند الماء . (لسان العرب ، ج ١٧ ، ص ١٥٨) .
(٢) فى الأصل : « وحاضر نعم » .

فقال : إنى خرجتُ فى إثر رجلٍ جعل يتهكّم بى ، حتى إذا دنوت ولحمتُه بالسيف قال : لا إله إلّا الله ! فقال أميرنا : أغمَدتَ سيفك ؟ قال : لا واللهِ ما فعلتُ حتى أوردتُه شَعوبَ . قال : قلنا : واللهِ بئس ما فعلتَ وما جئتَ به ، تقتل امرءًا يقول لا إله إلّا الله ! فندم وسُقط فى يديه . قال : واستقنا النَّعم والشاءَ والذُّرّيّة ، وكانت سهامهم عشرة أبعرةٍ كلّ رجلٍ ، أو عِدْلها من الغنم . وكان يُحسب الجَزور بعشرة من الغَنَم .

وحدّثنى شِبل بن العَلاءِ ، عن إبراهيم بن حُوَيِّصَة ، عن أبيه ، عن أُسامة بن زيد ، قال : كان أَميرنا آخى بينى وبين أَبى سَعيد الخُدرىّ . قال أُسامة : فلمّا أَصبتُه وجدت فى نفسى من ذلك مَوْجِدَة شديدة حتى رأيتنى وما أَقدر على أَكل الطعام حتى قدمتُ المدينة ، فأَتيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقبّلنى واعتنقنى واعتنقته ، ثم قال لى : يا أُسامة ، خبّرنى عن غَزاتك . قال : فجعل أُسامة يُخبره الخبر حتى انتهى إلى صاحبه الذى قُتل ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قتلتَه يا أُسامة ، وقد قال لا إله إلّا الله ؟ قال : فجعلت أَقول : يا رسول الله ، إنما قالها تعوّذًا من القتل . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَلا شققتَ قلبه فتعلمَ أَصادقٌ هو أَم كاذب(١) ؟ قال أُسامة : لا أَقتل أَحدًا يقول لا إله إلّا الله . قال أُسامة : وتمنّيتُ أَنّى لم أَكن أَسلمتُ إلّا يومئذ .

حدّثنى مَعْمَر بن راشد ، عن الزُّهرىّ ، عن عَطاء بن يزيد اللّيثىّ ، عن عُبَيد الله بن عَدىّ بن الجَبّار ، عن المِقداد بن عمرو قال : قلت : يا رسول الله ! أَرأَيتَ رجلًا من الكُفّار يقاتلنى ، وضرب إحدى يدى بالسيف فقطعها ،

(١) فى الأصل : « فتعلم صادقا هو أو كاذب » .

ثم لاذ منى بشجرة فقال « أسلمتُ لله » . أقتْله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تَقتلْه ! قال : فإنى قتلته فماذا ؟ قال : فإنه بمنزلتك التى كنت بها قبل أن تقتله . وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمتَه التى قال .

سريّة بنى عبد بن ثَعْلَبَة عليها غالب بن عبد الله إلى المَيْفَعَة (١) فى رمضان سنة سبع

حدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن ابن أَبى عَوْن ، عن يَعقوب بن عُتبة ، قال : لما قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر أقام أيّامًا ما شاءَ الله أن يُقيم ، فقال له يَسار مولاه : يا رسول الله ، إنى قد علمت غِرّةً من (٢) بنى عبد بن ثَعلبة . فأَرسِلْ معى إليهم . فأَرسل معه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلًا ، خرج بهم يَسار ، فظعن بهم فى غير الطريق حتى فَنِيت أزوادُهم وجَهِدوا ، واقتسموا التمر عددًا ، فبينا القوم ذات ليلة بعدما ساءَ ظنُّهم بيَسار ، وظنّ القوم أنّ إسلامه لم يصحّ ، وقد انتهَوا إلى مكان قد فحصه (٣) السيل ، فلما رآه يَسار كبّر قال : واللهِ قد ظفِرتم بحاجتكم ، اسلكوا فى هذا الفحْص حتى ينقطع بكم . فسار القوم فيه ساعة بِحسٍّ خَفىّ لا يتكلّمون إلّا هَمْسًا (٤) حتى انتهَوا إلى ضِرْس (٥)

---

(١) الميفعة : وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٦) .

(٢) فى الأصل : « إنى قد علمت غزوة بنى عبد بن ثعلبة » ، والتصحيح من الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٠٠) .

(٣) فحص : أى حفر . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٨٥) .

(٤) فى الأصل : « رمسا » .

(٥) الضرس : الأكمة . (الصحاح ، ص ٩٣٩) .

من الحرّة ، فقال يسار لأَصحابه : لو صاح رجلٌ شديد الصوت لأَسمع القوم ، فارتــأُوا رأيكم ! قال غالب : انطلقْ بنا يا يَسار أَنا وأَنت ، وندع القوم كمينًا ، ففعلا ، فخرجنا حتى إذا كنّا[1] من القوم بمنظر العين سمعنا حِسّ الناس والرِّعاء والحُلُب ، فرجعا سريعين فانتهيا إلى أَصحابهما ، فأَقبلوا جميعًا حتى إذا كانوا من الحىّ قريبا ، وقد وعظهم أَميرهم غالب ورغّبهم فى الجهاد ، ونهاهم عن الإِمعان فى الطلب ، وأَلّف بينهم وقال : إذا كبّرتُ فَكبِّروا . فَكبَّر وكبروا جميعًا معه ، ووقعوا وسط مَحالّهم فاستاقوا نَعَما وشاءً ، وقتلوا مَن أَشرفَ لهم ، وصادفوهم تلك الليلة على ماءٍ يقال له المَيْفَعَة . قال : واستاقوا النَّعم فحدروه إلى المدينة ، ولم يُسمَع أَنهم جاءوا بأَسرى .

سريّة بَشير بن سعد إلى الجِناب[2] سنة سبع

حدّثنى يحيى بن عبد العَزيز ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : قدم رجلٌ من أَشجع يقال له حُسيل بن نُوَيرة ، وقد كان دليلَ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى خَيْبر ، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : من أَين يا حُسَيل ؟ قال : قدمتُ من الجِناب . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعًا من غَطَفان بالجِناب ، قد بعث إليهم عُيينة يقول لهم : إما تسيروا إلينا وإما نسير إليكم . فأَرسلوا إليه أَن سِر

---

(١) فى الأصل : « إذا كان » .

(٢) فى الأصل : « الجنان » ؛ والجناب من أرض غطفان ، وذكره أيضا الحازمى وقال : من بلاد فزارة . (عيون الأثر ، ج ٢ ، ص ١٤٨) .

إلينا حتى نَزحَف إلى محمّد جميعًا ، وهم يُريدونك أو بعض أطرافك . قال : فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما ، فذكر لهما ذلك ،فقالا جميعًا : ابعث بَشير بن سعد ! فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بشيرًا فعقد له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل ،وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمُنوا النهار ، وخرج معهم حُسَيل بن نُوَيرة دليلًا ؛ فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا أسفل خَيْبَر فنزلوا بِسَلاح [(١)] ، ثم خرجوا من سلاح حتى دنَوا من القوم ، فقال لهم الدليل : بينكم وبين القوم ثُلُثا نهارٍ أو نصفه ، فإن أحببتم كمنتم وخرجتُ طليعةً لكم حتى آتيكم بالخبر ، وإن أحببتم سرنا جميعًا . قالوا : بل نقدّمك. فقدّموه ، فغاب عنهم ساعةً ثم كرّ عليهم فقال : هذا أوائل سَرْحهم فهل لكم أن تُغيروا عليهم ؟ فاختلف أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال بعضهم : إن أغرنا الآن حذِرَنا الرجالُ والعطَن . وقال آخرون : نغنم ما ظهر لنا ثم نطلب القوم . فشجعوا على النَّعَم ، فأصابوا نَعمًا كثيرا ملأوا منه أيديَهم ، وتفرّق الرِّعاء وخرجوا سراعًا ، ثم حذِروا الجمع فتفرّق الجمع وحذروا ، والحقوا بعلياء بلادهم . فخرج بشير بأصحابه حتى أتى محالّهم فيجدها وليس بها أحد . فرجع بالنَّعَم حتى إذا كانوا بسَلاح راجعين لقوا عينًا لعُيينة فقتلوه ، ثم لقوا جمع عُيَينة ، وعُيَينة لا يشعر بهم فناوشوهم ، ثم انكشف جمع عُيَينة وتبعهم أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأصابوا منهم رجلًا أو رجلين فأسروهما أسرًا ، فقدموا بهما على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأسلما فأرسلهما النبى صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) سلاح : موضع أسفل من خيبر . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠١) . ويقال له أيضاً : سلاج ، بالجيم . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٣) .

قالوا : وكان الحارث بن عَوف المُرّىّ [حليفاً][1] لعُيَينة ولقيه منهزمًا على فرسٍ له عتيقٍ يعدو به عدوًا سريعًا ، فاستوقفه الحارث فقال : لا ، ما أَقدرُ ! الطلب خلفى ! أَصحاب محمد ! وهو يركض. قال الحارث بن عَوف : أَما لك بعدُ أَن تُبصر ما أَنت عليه ؟ إنّ محمّدًا قد وطىءَ البلاد وأَنت مُوضِعٌ فى غير شىءٍ . قال الحارث : فتنحيت عن سَنن خيل محمّد حتى أَراهم ولا يرونى ، فأَقمتُ من [حين] زالت الشمس إلى الليل ، ما أَرى أَحدًا ــ وما طلبوه إلّا الرعب الذى دخله . قال : فلقيتُه بعد ذلك ، فقال الحارث : فلقد أَقمتُ فى موضعٍ حتى الليل ، ما رأَيت من طلب . قال عُيينة : هو ذاك ، إنى خفتُ الإِسار وكان أَثرى عند محمّدٍ ما تعلم فى غير موطن . قال الحارث : أَيها الرجل ، قد رأَيتَ ورأَينا معك أَمرًا بَيِّنًا فى بنى النَّضير ، ويوم الخَنْدق وقُرَيْظَة ، وقبل ذلك قَيْنُقاع ، وفى خَيبر ، إنهم كانوا أَعزّ يهود الحجاز كلِّه ، يُقرّ ون لهم بالشجاعة والسَّخاءِ ، وهم أَهل حُصون مَنيعة وأَهل نخل ؛ واللهِ إن كانت العرب لتَلجأُ إليهم فيمتنعون بهم . لقد سارت حارثة بن الأَوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان فامتنعوا بهم من الناس ، ثم قد رأَيتَ حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النَّجدة وكيف أُديل عليهم . فقال عُيَينة : هو واللهِ ذاك ، ولكنّ نفسى لا تُقِرّنى . قال الحارث : فادخلْ مع محمّد . قال : أَصير تابعًا ! قد سبق قوم إليه فهم يُزرون بمن جاءَ بعدهم يقولون : شهدنا بدرًا وغيرها . قال الحارث : وإنما هو على ما ترى ، فلو تقدّمنا إليه لكنّا من عِلية أَصحابه ، قد بقى قومُه بعدهم منه فى مُوادعَة وهو مُوقعٌ بهم وقعةً ، ما وُطىءَ[2] له الأَمْرُ . قال عُيينة : أَرى واللهِ ! فاتّعدا

---

(١) بياض فى الأصل . لعل مكانه ما أثبتناه .

(٢) فى الأصل : « بطئ » .

يُريدان الهجرة والقدوم على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أن مرّ بهما فَرْوة ابن هُبيرة القُشَيرىّ يُريد العُمرة وهما يتقاولان ، فأخبراه بما كانا فيه وما يُريدان . قال فَرْوة : لو استأنيتم حتى تنظروا [١] ما يصنع قومه فى هذه المدّة التى هم فيها وآتيكم بخبرهم ! فأخّروا القدوم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومضى فَرْوة حتى قدم مكّة فتحسّب من أخبارهم ، فإذا القوم على عداوة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، لا يُريدون أن يدخلوا طائعين أبدًا ، فخبّرهم بما أوقع محمّد بأهل خَيابِر . قال فَرْوَة: وقد تركت رؤساءَ الضاحية على مثل ما أنتم عليه من العداوة لمحمّد . قالت قُرَيش : فما الرأى ، فأنت سيّد أهل الوبر ؟ قال : نقضى هذه المدّة التى بينكم وبينه ونستجلب العرب [٢] ، ثم نغزوه فى عُقْرِ داره . وأقام أيّامًا يجول فى مجالس قُريش ، ويسمع به نَوْفَل بن مُعاوية الدِّيلىّ ، فنزل من باديته فأخبره بما قال لقُريش ، فقال نَوْفَل : إذًا لأَجِدُ عندكم شيئًا ! قدمت الآن لمقدمك حيث بلغنى ، ولنا عدوّ قريبٌ دارُه ، وهم عَيْبَة نُصح محمّد لا يُغيبون عليه حرفًا من أمورنا . قال : مَن هم ؟ قال : خُزاعة . قال : قَبُحت خُزاعة ؛ قعدتْ بها يمينها ! قال فرْوَة : فماذا ؟ قال : استنصرْ قُرَيشًا أن يُعينونا عليهم . قال فَروة : فأنا أكفيكم . فلقى رؤساءهم ، صَفوان بن أُمَيّة ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، وسُهَيْل بن عمرو ، فقال : ألا ترون ماذا نزل بكم ! إنكم رضيتم أن تدافعوا محمّدًا بالراح . قالوا : فما نصنع ؟ قال : تُعينون نَوْفَل بن مُعاوية على عدوّه وعدوّكم . قالوا : إذًا يغزونا محمّدٌ فى مالا قِبَلَ لنا به فيُوطئنا غَلَبَةً ، وننزل

---

(١) فى الأصل : « حتى تنظرون » .

(٢) فى الأصل : « واستجلاب العرب » .

على حكمه ، ونحن الآن فى مدّة وعلى ديننا . فلقى نَوْفَل بن مُعاوية فقال : ليس عند القوم شيء . ورجع فلقى عُيَينة والحارث فأخبرهم وقال : رأيت قومه قد أيقنوا عليه فقاربوا الرجل وتدبّروا الأمر . فقدّموا رِجْلًا وأخّروا أخرى .

غزوة القَضيّة [1]

حدّثنى محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، وابن أبى حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، ومُعاذ بن محمّد ، عن محمّد بن يحيى بن حُبّاب ، وعبدالله بن جَعفر ، وابن أبى سَبْرَة ، وأبو مَعْشَر ؛ فكلٌّ قد حدّثنى بطائفة من هذا الحديث ، وغيرهم ممّن لم أُسمّ ، فكتبتُ كلّ ما حدّثونى قالوا : [لمّا] [2] دخل هلال ذى القعدة سنة سبع ، أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابه أن يعتمروا ــ قَضاءَ عُمرتهم [3] ــ وألّا يتخلّف أحدٌ ممن شهد الحُدَيبية . فلم يتخلّف أحدٌ شهدها إلّا رجالٌ استُشهدوا بخَيْبَر ورجالٌ ماتوا . وخرج مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوم من المسلمين سوى أهل الحُدَيبية ممن لم يشهد صُلح الحُدَيبية عُمّارًا ، فكان المسلمون فى عمرة القضيّة ألفين .

فحدّثنى خارجة بن عبد الله ، عن داود بن الحُصَين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عَبّاس قال : خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذى القعدة سنة سبع ، بعد مَقْدمه بأربعة أشهر ، وهو الشهر الذى صدّته المشركون ، لقول الله

---

(١) وتسمى أيضاً عمرة القضية ، وعمرة القضاء ، وعمرة القصاص ، وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ٢٥٤) .

(٢) الزيادة عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) .

(٣) فى الأصل : « عمرته » ، والتصحيح عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٨٧) .

عزّ وجلّ : ﴿ الشَّهْرُ الحَرامُ بِالشَّهرِ الحَرامِ والحُرُماتُ قِصاصٌ ﴾ [١] يقول : كما صدّوكم عن البيت فاعتمروا فى قابلٍ . فقال رجال من حاضر المدينة من العرب : واللهِ يا رسول الله ، ما لنا من زادٍ وما لنا مَن يُطعمنا [٢] . فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المسلمين أن يُنفقوا فى سبيل الله ، وأن يتصدقوا ، وألّا يكفّوا أيديهم فيهلِكوا . قالوا : يا رسول الله ، بِمَ نتصدّق وأحدُنا لا يجد شيئًا ؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بما كان ، ولو بشِقّ تَمرةٍ ، ولو بمِشْقَصٍ [٣] يحمل به أحدُكم فى سبيل الله . فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : ﴿ وَأَنْفِقُوا فى سبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ ﴾ [٤] . قال : نزلت فى تَرْك النفقة فى سبيل الله .

حدّثنى الثّورىّ ، عن مَنصور بن المُعتمِر ، عن أبى صالح ، عن ابن عَبّاس ، قال : مَتّع فى سبيل الله ولو بمِشْقَص ، ولا تلق بيدك إلى التَّهْلُكَة .

حدّثنى الثّورىّ ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حُذَيفة ، قال : نزلت هذه الآية فى ترك النفقة فى سبيل الله .

وحدّثنى ابن مُوهِب ، عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث ، قال : ساق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى القضيّة ستّين بَدَنَة .

حدّثنى غانم بن أبى غانم ، عن عُبَيد الله بن يَنار ، قال : جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ناجيةَ بن جُنْدُب الأسلمىّ على هَدْيه ، يسير بالهَدْى أمامه يطلب الرِّعى فى الشجر ، معه أربعة فتيانٍ من أَسْلَم .

---

(١) سورة ٢ البقرة ١٩٤

(٢) فى الأصل : « من أحد يطعمك » ؛ والتصحيح من الزرقانى ، يروى عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٠٤) .

(٣) المشقص : نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣٠) .

(٤) سورة ٢ البقرة ١٩٥

فحدّثني عبد الرحمن بن الحارث ، عن عُبَيد بن أبى رُهم ، قال : أنا كنت ممّن يسوق الهَدْى وأركب على البُدْن .

حدّثني محمّد بن نُعيم ، عن أبيه ، عن أبى هُريرة رضى الله عنه ، قال : كنت ممّن صاحَب البُدْن أسوقُها .

حدثني يونس بن محمّد ، عن شُعبة مولى ابن عبّاس ، قال : قلّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هَدْيه بيده هو بنفسه .

حدّثني مُعاذ بن محمّد ، عن عاصم بن عمر ، قال : حمل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم السِّلاح والبيض والدروع والرِّماح ، وقاد مائة فرس ، فلما انتهى إلى ذى الحُلَيْفَة قدّم الخيل أمامه ، وهى مائة فرسٍ عليها محمّد ابن مَسْلَمَة . وقدّم السلاح واستعمل عليه بَشير بن سعد ، فقيل : يا رسول الله ! حملتَ السلاح وقد شرطوا علينا ألّا ندخلَ عليهم إلّا بسلاح المسافر ؛ السيوف فى القُرُب ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّا لا نُدخلها عليهم الحَرَم ، ولكن تكون قريبًا منّا ، فإن هاجنا هَيجٌ من القوم كان السلاح قريبًا منّا . قيل : يا رسول الله ! تخاف قُرَيشًا على ذلك ؟ فأسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقدّم البُدْن .

وحدّثني ابن أبى سَبْرَة ، عن موسى بن مَيْسَرة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : أحرم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من باب المسجد لأنه سلك إلى طريق الفُرْع ، ولولا ذلك لأهلّ من البَيْداء .

وحدّثني ابن أبى سَبْرَة ، عن موسى بن مَيْسَرَة ، عن عبد الله بن أبى قتادة ، عن أبيه ، قال : سلكنا فى عمرة القضيّة على الفُرْع ، وقد أحرم أصحابى غيرى ، فرأيتُ حمارًا وحشيًّا فشددتُ عليه فعقرته ، فأتيتُ أصحابى ، فمنهم الآكل والتارك ، فسألتُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : كُلْ !

قال أبو قَتادة : ثم حجّ حَجّة الوداع . فأَحرم من البَيْداء ، وهذه العمرة من المسجد ؛ لأَنّ طريقه ليس على البَيْداء . قال ابن واقد : فسار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُلبّى ، والمسلمون يُلبّون ، ومضى محمّد بن مَسْلَمَة بالخيل إلى مَرّ الظَّهْران ، فيجد بها نفرًا من قُرَيش فسأَلوا محمّد بن مَسْلَمة فقال : هذا رسول الله ، يُصبِّح هذا المنزل غدًا إن شاءَ الله . فرأَوا سلاحًا كثيرًا مع بَشير بن سعد ، فخرجوا سِراعًا حتى أَتوا قُرَيْشًا فأَخبروهم بالذى رأَوا من الخيل والسلاح ، ففزعت قُرَيش فقالوا : واللهِ ما أَحدثْنا حَدَثًا ، ونحن على كتابنا ومدّتنا ، ففيمَ يغزونا محمّد فى أَصحابه ؟ ونزل رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم مَرّ الظَّهْران ، وقدّم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم السلاح إلى بطن يَأْجَج حيث ينظر إلى أَنصاب الحرم ، وبعثت قُرَيْش مِكْرَز بن حَفص بن الأَحنف فى نفرٍ من قُرَيشٍ حتى لقوه ببطن يَأْجَج ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فى أَصحابه والهَدْى والسلاح ، قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمّد ! واللهِ ما عُرِفتَ صغيرًا ولا كبيرًا بالغَدر ! تدخل بالسلاح الحَرَم على قومك . وقد شرطتَ أَلّا تدخل إلّا بسلاح المسافر ؛ السيوف فى القُرُب ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا ندخلها إلّا كذلك. ثم رجع سريعًا بأَصحابه إلى مكّة فقال : إنّ محمّدًا لا يدخل بسلاحٍ ، وهو على الشَّرط الذى شرط لكم . فلمّا جاءَ مِكْرَز بخبر النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم خرجت قُرَيْش من مكّة إلى رُءُوس الجبال ، وخلّوا مكّة ، وقالوا : ولا ننظر إليه ولا إلى أَصحابه . وأَمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالهَدْى أَمامه حتى حُبس بذى طُوًى . وخرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأَصحابه رحمهم الله . ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

على راحلته القَصواء ، وأَصحابه مُحدقون[١] برسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ، متوشّحو السيوف يُلبّون ؛ فلمّا انتهى إلى ذى طُوًى وقف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على راحلته القَصواء والمسلمون حولَه ، ثم دخل من الثَّنيّة التى تُطلعه على الحَجون على راحلته القصواء ، وابن رَواحة آخذٌ بزِمام راحلته .

فحدّثنى سَعيد بن مُسلم ، عن زيد بن قُسَيط ، عن عُبيد بن خَديج ، عن رجلٍ من أَصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، أَنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لم يقطع التلبية حتى جاءَ عُروشَ[٢] مكّة .

حدّثنى أُسامة بن زيد ، عن عمرو بن شُعَيب ، عن أَبيه ، عن جدّه ، أَنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لبّى حتى استلم الرُّكن .

حدّثنى عائذ بن يَحْيَى ، عن أَبى الحُوَيرث ، قال : وخلّف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مائتى رجل على السلاح ، عليهم أَوس بن خَولىّ .

حدّثنى يعقوب بن محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبى صَعْصَعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمّ عُمارة ، قالت : شهدتُ عمرة القضيّة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكنت قد شهدت الحُدَيبية ، فكأَنّى أَنظر إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حين انتهى إلى البيت ، وهو على راحلته وابن رَواحة آخذٌ بزِمام راحلته ــ وقد صفّ له المسلمون ــ حين دنا من الرُّكن حتى انتهى إليه ، فاستلم الرُّكن بمِحْجَنه مُضطبعًا[٣] بثوبه ، على راحلته ،

---

(١) فى الأصل : « محدقين » .

(٢) أى بيوتها ، وسميت عروشاً لأنها كانت عيدانا تنصب ويظلل عليها ، واحدها عرش . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨١) .

(٣) الاضطباع : هو أن يأخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقى طرفيه على كتفه الأيسر . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٢) .

والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم ، وعبد الله بن رَواحة يقول :

خَلّوا بنى الكُفّارِ عن سَبيله إنّى شَهِدتُ أنّه رسوله
حَقًّا وكلّ الخَيرِ فى سَبيله نحن قتلناكم على تأويله
كَما ضربناكم علَى تنزيله ضَربًا يُزيلُ الهامَ عن مَقِيله (١)
ويُذهل (٢) الخَليلَ عن خَليله

فقال عمر بن الخطّاب : يا ابن رَواحة ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا عمر ، إنى أسمع ! فأسكت عمر .

فحدّثنى إسماعيل بن عَبّاس ، عن ثابت بن العَجلان ، عن عَطاء بن أبى رَباح ، قال : نزل جبريل عليه السلام على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : إنّ المشركين على الجبل وهم يرونكم ، أمشوا ما بين اليمانى والأسود . ففعلوا .

وحدّثنى إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحُصَين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عبّاس ، قال : طاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالبيت وبين الصّفا والمَرْوة على راحلته ؛ فلما كان الطواف السابع عند المَرْوَة عند فراغه ، وقد وقف الهَدْى عند المَرْوَة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هذا المَنْحَر ، وكلّ فِجاج مكّة مَنْحر ! فنحر عند المَرْوَة . وقال ابن واقد : وكان قد اعتمر مع النبى صلّى الله عليه وسلّم قوم لم يشهدوا الحُدَيبية فلم ينحروا ، فأما مَن كان شهد الحُدَيبية وخرج فى القضيّة فإنهم شركوا فى الهَدْى .

حدّثنى يَعقوب بن محمّد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى

---

(١) الهام : جمع هامة وهو الرأس هنا . ومقيله : مستعار من موضع القائلة ، ويريد الأعناق . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٣) .

(٢) يذهل : أى يشغل . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٣) .

صعْصَعة ، عن الحارث بن عبد الله ، عن أم عُمارة ، قالت : لم يتخلّف أحدٌ من أهل الحُديبية إلّا اعتمرعمرة القضيَّة ، إلّا من مات أو قُتل ؛ فخرجتُ ونسوةٌ معى فى الحُدَيبية فلم نصل إلى البيت ، فقصّرن من أشعارهن بالحُدَيبية ثم اعتمرن[1] مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قضاءً لعمرتهنّ ، ونحر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين الصّفا والمرْوَة . وكان ممّن شهد الحُدَيبية وقُتل بخَيْبَر ولم يشهد عمرة القضيّة : ربيعة بن أَكْثَم ، ورِفاعة بن مسروح[2] ، وثَقْف بن عمرو ، وعبد الله بن أبى أُمَيّة بن وَهب الأَسدى ، وأبو صيّاح ، والحارث بن حاطب ، وعَدىّ بن مُرة بن سُراقة ، وأوس بن حبيب ، وأُنَيف ابن وائل ، ومسعود بن سعد الزُّرَقىّ ، وبِشر بن البَراء ، وعامر بن الأَكْوَع .

وكان ابن عَبّاس رضى الله عنه يحدّث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمرهم فى القضية أن يُهدوا ، فمن وجد بَدَنَة من الإبل نحرها ، ومن لم يجد بُدَنَة رُخِّص لهم فى البقرة ؛ فقدم فلان ببقرٍ اشتراه الناس منه .

حدَّثنى حزامِ بن هشام ، عن أبيه ، أنَّ خِراش بن أُمية حلق رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلم عند المَرْوَة .

حدَّثنى عبد الحميد بن جعْفر ، عن محمد بن يحْيى بن حِبان ، أنَّ الذى حلقه معْمر بن عبد الله العَدوى .

حدَّثنى على بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن عُقَيل ، عن سعيد ابن المسَيِّب ، قال : لما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نسُكه دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذّن بِلالٌ بالظُّهر فوق ظَهر الكعبة ، كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمره بذلك . فقال عِكْرمة بن أبى جَهل : لقد أكرم الله

(١) فى الأصل : « اعتمرت » .

(٢) فى الأصل : « مشروح » ، وما أثبتناه عن كل مراجع السيرة الأخرى .

أَبا الحكَم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! وقال صفوان بن أُمَيّة : الحمد لله الذى أَذهب أَبى قبل أَن يرى هذا ! وقال خالد بن أَسيد : الحمد لله الذى أَمات أَبى ولم يشهد هذا اليوم . حين يقوم بِلال بن أُمٍّ بِلال ينهَق فوق الكعبة ! وأَما سُهَيل بن عمرو ورجالٌ معه . فحين سمعوا ذلك غطّوا وجوههم .

حدّثنى إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحُصَين . قال : لم يدخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الكعبة فى القضيّة . قد أَرسل إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأَبوا وقالوا : لم يكن فى شَرطك . وأَمر بِلالًا فأَذّن فوق الكعبة يومئذٍ مرةً ولم يعُدْ بعدُ ، وهو الثبْت .

حدّثنى ابن أَبى حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عَبّاس ، أَنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خطب مَيمونة وهو مُحرم ، فجعلت أَمرَها إلى العبّاس بن عبد المطّلب ، فزوّجها النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو مُحرم .

حدّثنى هِشام بن سعد . عن عطاء الخُراسانىّ ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، قال : لمّا حلّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تزوّجها .

حدّثنى ابن أَبى حبيبة ، عن داود بن الحصَين . عن عِكرِمَة ، عن ابن عبَّاس ، قال : إنّ عُمارة بنت حمزة بن عبد المطّلب وأُمّها سَلمى بنت عُميس كانت بمكّة ، فلما قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّم عَلىٌّ عليه السلام النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : علامَ نترك بنت عمّنا يَتيمةً بين ظهرى المشركين ؟ فلم ينْهَهُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن إخراجها ، فخرج بها ؛ فتكلّم زيد بن حارثة ، وكان وَصِىَّ حَمزة ، وكان النبىّ صلّى الله عليه

وسلَّم آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ؛ فقال : أنا أَحقّ بها ، ابنةُ أَخي! فلمّا سمع ذلك جَعْفَر قال : الخالة والدةٌ ، وأنا أَحق بها لمكان خالتها عندى ، أَسماءَ بنت عُمَيس . فقال علىٌّ عليه السلام : أَلا أَراكم فى ابنة عمِّى[١] . وأَنا أَخرجتُها مِن بين أَظهُر المُشركين . وليس لكم إليها نَسبٌ دونى ، وأنا أَحقّ بها منكم ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَنا أَحكمُ بينكم ! أَما أَنت يا زيدُ فمولى اللهِ ورسولِهِ ، وأَما أَنت يا عَلِيّ فأَخى وصاحبى ؛ وأَما أَنت يا جعْفَرُ فتُشبِه خَلْقى وخُلُقى ، وأَنت يا جَعْفَرُ أَحقُّ بها ! تحتك خالتُها ، ولا تُنكَح المرأَةُ على خالتها ولا على عمّتها . فقضى بها لِجَعْفَر. قال ابن واقد : فلما قضى بها لِجَعْفَر قام جَعْفَر فحَجَل حول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما هذا يا جَعْفَر ؟ قال : يا رسول الله ، كان النَّجاشىّ إذا أَرضى أَحدًا قام فحَجَل حوله . فقيل للنبى صلَّى الله عليه وسلَّم : تَزوَّجْها ! فقال : ابنةُ أَخى من الرَّضاعة ! فزوجها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سَلَمَة بن أَبى سَلَمَة . فكان النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : هل جزيتُ[٢] سَلَمَة ؟

حدّثنى عُبَيد الله بن محمد قال : فلما كان عند الظُّهر يوم الرابع ، أَتى سُهَيل بن عمرو ، وحُويطب بن عبد العُزّى – ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى مجلسٍ من مجالس الأَنصار يتحدّث معه سعد بن عُبادة – فقال : قد انقضى أَجلُك ، فاخْرُجْ عنّا ! فقال النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : وما عليكم لو تركتمونى فأَعرستُ بين أَظهُركم[٣] ، فصنعتُ لكم طعامًا ؟ فقالا : لا حاجةَ

(١) يريد ألا أراكم تختلفون فى أمر ابنة عمى .

(٢) وذلك أنه هو الذى كان قد زوج أمه ، أم سلمة ، النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) يريد إعراسه بزواج ميمونة .

لنا فى طعامك ، اخْرُجْ عنا ! ننشدك الله يا محمّد والعهد الذى بيننا وبينك إلّا خرجتَ من أَرضنا ؛ فهذه الثلاثُ قد مضت ! وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم ينزل بيتًا ، وضُربت له قبّةٌ من الأَدَم بالأَبْطَح ، فكان هناك حتى خرج منها ، لم يدخل تحت سقف بيت من بيوتها . فغضب سعد ابن عُبادة لِما رأى من غلظة كلامهم للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فقال لسُهَيل : كذبت لا أُمَّ لك ، ليست بأَرضك ولا أَرضِ أَبيك ! واللهِ لا يبرح منها إلّا طائعًا راضيًا . فتبسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثم قال: يا سعد . لا تُؤذِ قومًا زارونا فى رِحالنا . قال : وأَسكت الرجلان عن سعد . قال : ثم أَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَبا رافع بالرَّحيل . وقال : لا يُمسينَّ بها أَحدٌ من المسلمين . وركب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل سرِف ، وتتامَّ الناسُ ، وخلّف أَبا رافع ليحمل إليه زوجته[1] حين يُمسى ، وأَقام أَبو رافع حتى أَمسى ، فخرج بمَيمونة ومَن معها ، فلقوا عَناءً[2] من سُفهاءِ المشركين ، آذوا بأَلسنتهم[3] النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . وقال لها أَبو رافع — وانتظر أَن يَبطِش[4] أَحدٌ[5] منهم فيستخلى به[6] . فلم يفعلوا — أَلا إنى قد قلتُ لهم: « ما شئتم ! هذه واللهِ الخيل والسلاح ببطن يَأْجَج ! » وإذا الخيل قد قربت فوقفت لنا هنالك والسلاح ، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَمر مائتين من أَصحابه حين طافوا بالبيت أَن يذهبوا إلى أَصحابهم ببطن يَأْجَج فيُقيموا على السلاح ، ويأْتى الآخرون فيقضوا نُسُكهم ففعلوا ، فلما

---

(١) أى بيمونة .

(٢) فى الأصل : « عينا » ؛ والتصحيح من الزرقانى يروى عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣١٤) .

(٣) فى الأصل : « أدنى ألسنتهم للنبى صلى الله عليه وسلم » . وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٤) البطش : الأخذ القوى الشديد . (النهاية ، ج ١ ، ص ٨٣) .

(٥) فى الأصل : « أحداً » .

(٦) فى الأصل : « منه » .

انتهينا إلى بطن يَأْجَج ساروا معنا ، فلم نأْتِ سرِف حتى ذهب عامّة الليل ، ثم أَتينا سَرِف . فبنى عليها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . ثم أدلج حتى قدم المدينة .

سريّة ابن أَبى العَوجَاءِ السُّلَمىّ فى ذى الحجّة سنة سبع

حدّثنى محمّد ، عن الزُّهرى ، قال : لما رجع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من عمرة القضاء سنة سبع – رجع فى ذى الحجة سنة سبع – بعث ابن أَبى العَوْجاء السُّلَمىّ فى خمسين رجلًا ؛ فخرج إلى بنى سُلَيم . وكان عين لبنى سُلَيم معه ، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومه فحذّرهم وأَخبرهم ، فجمعوا جمعًا كثيرًا . وجاءهم ابن أَبى العَوْجاء والقوم مُعدّون له ، فلمّا رآهم أَصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ورأَوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنَّبل ولم يسمعوا قولهم . وقالوا : لا حاجةَ لنا إلى ما دعوتم إليه . فراموهم ساعة . وجعلت الأَمداد تأْتى حتى أَحدقوا بهم من كلِّ ناحية ، فقاتل القوم قتالًا شديدًا حتى قُتل عامّتهم . وأُصيب صاحبُهم ابن أَبى العَوْجاء جريحًا مع القتلى ، ثم تحامل حتى بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

إسلام عمرو بن العاص

حدّثنا عبد الحميد بن جَعفر ، عن أَبيه ، قال : قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مُجانِبًا مُعانِدًا ، فحضرتُ بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أُحُدًا فنجوت ، ثم حضرت الخَنْدَق[1] فقلت فى نفسى : كم

---

(١) فى ابن كثير عن الواقدى : « ثم حضرت الخندق ونجوت » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٦)

أُوضِع(١)؟ واللهِ ليظهرنّ محمّد على قُرَيش! فخلَّفتُ (٢)مالى بالرَّهْط. وأَفلتُّ يعنى من الناس — فلم أَحضر الحُدَيبيةَ ولا صُلحَها، وانصرفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالصُّلْح ورجعتْ قُرَيش إلى مكّة، فجعلتُ أَقول: يدخل محمد قابِلًا مكّة بأَصحابه؛ ما مكّة بمَنزلٍ ولا الطّائف، وما من شيءٍ خير من الخروج. وأنا بعدُ نات(٣) عن الإسلام، أرى لو أسلمت قُرَيش كلّها لم أُسلم. فقدمتُ مكّة فجمعتُ رجالًا من قومى كانوا يرون رأْيى ويسمعون منى ويُقدِّمونَنى فيما نابهم. فقلت لهم: كيف أَنا فيكم؟ قالوا: ذو رأْينا ومِدْرهُنا(٤)، مع يُمن نفسٍ وبركة أَمر(٥). قال. [قلت]: تعلمون واللهِ أَنى لأَرى أَمر محمّد أَمرًا يعلو الأُمورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا. وإنى قد رأَيتُ رأْيًا. قالوا: ما هو؟ قال: نَلحق بالنَّجاشيّ فنكون عنده، فإن كان يظهر محمّدٌ كنا عند النَّجاشيّ، فنكون تحت يد النَّجاشيّ أَحبّ إلينا من أن نكون تحت يد محمّد؛ وإن تظهر قُريش فنحن مَن قد عرفوا. قالوا: هذا الرأْى! قال: فاجمعوا ما تُهْدونه له. وكان أَحبّ ما يُهدَى إليه من أَرضنا الأَدم. قال: فجمعنا أَدَمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا على النَّجاشيّ، فواللهِ إنّا لعنده إذ جاءَ عمرو بن أُمَيّة الضَّمْرىّ. وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد بعثه إليه بكتابٍ كتبه إليه يُزوِّجه أُمّ حَبيبة بنت أَبى سُفيان. فدخل

---

(١) أوضع البعير راكبه: إذا حمله على سرعة السير. (النهاية، ج ٤، ص ٢١٦).

(٢) فى ابن كثير عن الواقدى: «فلحقت بمالى بالرهط وأقللت من الناس». (البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٣٦).

(٣) فى ابن كثير عن الواقدى: «فأنا نائى». (البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٣٦).

(٤) المدره: السيد الشريف، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال. (القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٨٣).

(٥) فى الأصل: «مع يمن بقيته وبركة». وفى ابن كثير عن الواقدى: «فى يمن نفسه وبركة أمر». (البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٣٦).

عليه ثم خرج من عنده ، فقلتُ لأَصحابى : هذا عمرو بن أُمَيَّة . ولو قد دخلتُ على النَّجاشىّ وسأَلتُه إِيّاه فأَعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ ذلك سُرّت قرَيش وكنتُ قد أَجزأْتُ[١] عنها حين قتلتُ رسول محمّد. قال : فدخلتُ على النَّجاشىّ فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحبًا بصديقى! أَهْديتَ لى مِن بلادك شيئًا ؟ قال : فقلت : نعم أَيّها الملك ، أهديتُ لك أَدمًا كثيرًا . ثم قربته إليه ، فأَعجبه . وفرّق منه أَشياء بين بَطارقته ، وأمر بسائره فأُدخل فى موضعٍ . وأمر أَن يُكتَب ويُحتفَظ به . فلمّا رأَيت طِيب نفسه قلت : أَيّها الملك ، إنى قد رأَيتُ رجلًا خرج من عندك وهو رسول رجل عدوٍّ لنا ؛ قد وَتَرَنا وقتل أشرافَنا وخيارَنا فأَعطِنيه فأَقتله! فرفع يده فضرب بها أنفى ضربةً ظننتُ أنه كسره . وابتدر مِنخارى ، فجعلتُ أَتلقّى الدم بثيابى ، وأَصابنى من الذُّلِّ ما لو انشقّت بى الأَرضُ دخلتُ فيها فَرَقًا منه . ثم قلت له : أَيّها الملك ، لو ظننتُ أَنك تكره ما فعلتُ ما سأَلتك . قال : واستحيى وقال : يا عمرو ، تسأَلنى أَن أُعطيك رسولَ رسولِ الله - مَن يأْتيه الناموسُ الأَكبر الذى كان يأْتى موسى . والذى كان يأْتى عيسى بن مريم - لتَقتلَه ؟

قال عمرو : وغيّر اللهُ قلبى عما كنتُ عليه ، وقلتُ فى نفسى : عرف هذا الحقَّ العربُ والعجمُ وتُخالف أَنت ؟ قلت : أَتَشهَد أَيّها الملك بهذا ؟ قال : نعم . أَشهدُ به عند الله يا عمرو فأَطِعنى وَاتَّبعْه؛ واللهِ إنه لعلى الحقّ ، وليظهرن على كلّ[٢] دينٍ خالفه . كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت: أَفتبايعنى على الإِسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعتُه على الإِسلام ،

---

(١) أجزأت عنها : أى كفيتها . (شرح أبى ذر ، ص ٣٢٧) .

(٢) فى ابن كثير عن الواقدى : « على من خالفه » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) .

ودعا لى بطَسْتٍ فغسل عنّى الدم وكَسانى ثيابًا . وكانت ثيابى قد امتلأت من الدم فألقيتُها . ثم خرجت إلى أصحابى فلما رأوا كُسوة الملك سُرّوا بذلك وقالوا : هل أدركتَ من صاحبك ما أردتَ ؟ فقلت لهم : كرهتُ أن أُكلّمه فى أوّل مرّة وقلت أعود إليه . قالوا : الرأى ما رأيتَ ! وفارقتُهم كأنّى أعمِد لحاجة فعمِدت إلى موضع السُّفُن . فأَجِدُ سفينةً قد شُحنت بِرُقَعٍ[1] ، فركبتُ معهم ودفعوها حتّى انتهوا إلى الشُّعيْبَة[2] ، وخرجتُ من الشُّعَيْبة ومعى نَفَقَةٌ . فابتعتُ بعيرًا وخرجت أُريد المدينة حتّى خرجت على مَرّ الظَّهْران . ثم مضيتُ حتّى كنت بالهَدّة . إذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يُريدان منزلًا . وأحدهما داخلٌ فى خيمة ، والآخر قائمٌ يُمسك الراحلتين ، فنظرتُ وإذا خالد بن الوليد . فقلت : أبا سُلَيمان ؟ قال : نعم . قلت : أين تُريد ؟ قال : محمّدًا . دخل الناس فى الإسلام فلم يبق أحد به طَمَعٌ[3] ، واللهِ لو أقمنا لأخذ برِقابنا كما يُؤخذ برَقَبَةِ الضَّبُع فى مغارتها . قلت : وأنا واللهِ قد أردت محمّدًا وأردت الإسلام . وخرج عُثمان بن طَلحة فرحّب بى فنزلنا جميعًا فى المنزل . ثم ترافقنا[4] حتّى قدمنا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببِئر أبى عِنَبَة يصيح : يا رَباح ! يا رباح ! فتفاءلنا بقوله وسرنا . ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكّة المَقادة بعد هذين ! فظننت أنه يعنينى وخالد بن الوليد ، ثم ولّى مُدبرًا إلى المسجد سريعًا

---

(١) فى ابن كثير عن الواقدى : « قد شحنت تدفع » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) . ورقع : جمع رقعة ، كهمزة : شجرة عظيمة . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٣١) .

(٢) فى ابن كثير عن الواقدى : « الشعبة » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٧) . والشعيبة : على شاطئ البحر بطريق اليمن . (معجم ما استعجم ، ص ١٨٤) .

(٣) فى ابن كثير عن الواقدى : « طعم » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٣٣٧) .

(٤) فى ابن كثير عن الواقدى : « ثم اتفقنا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٨) .

فظننت أنه يُبشّر رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بقدومنا ، فكان كما ظننتُ. وأنَخنا بالحَرَّة فلبسنا من صالح ثيابنا ، ونُودى بالعصر فانطلقنا جميعًا حتى طلعنا عليه صلوات الله عليه ، وإنّ لوجهه تهلّلًا ، والمسلمون حوله قد سُرّوا بإسلامنا . فتقدّمَ خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدّم عُثمان بن طَلحة فبايع ، ثم تقدّمتُ ، فوالله ما هو إلّا أن جلستُ بين يديه فما استطعت أن أرفع طرْفى إليه حياءً منه ، فبايعته على أن يُغفَر لى ما تقدم من ذنبى ، ولم يحضرنى ما تأخّر . فقال : إنّ الإسلام يَجُبّ ما كان قبله ، والهجرة تَجُبّ ما كان قبلها . [قال] : فوالله ما عدل بى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبخالد بن الوليد أحدًا من أصحابه فى أمرٍ حَزَبه(١) منذ أسلمنا ، ولقد كنّا عند أبى بكر بتلك المنزِلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبد الحَميد : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبى حَبيب فقال : أخبرنى راشدٌ مولى حَبيب بن أبى أُوَيس ، عن حَبيب بن أَوْس الثَّقَفىّ ، عن عمرو ، نحو ذلك . قال عبد الحَميد : فقلت ليَزيد : فلم يُوقِّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلّا أنه قُبَيل الفَتْح ، قلت : وإنّ أبى أخبرنى أنّ عمرًا ، وخالدًا ، وعُثمان بن طَلحة ، قدموا المدينة لهلال صفر سنة ثمان .

وأخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أبى حبيبة ، قراءةً عليه ، حدّثنا محمّد بن شُجاع قال ، حدّثنا محمد بن عمر الواقدىّ قال ، فحدثنى يحيى بن المُغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال ، سمعتُ أبى

(١) فى الأصل : « جر به » ؛ والتصحيح عن ابن كثير من الواقدى . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٨) .

يُحدّث يقول : قال خالد بن الوليد : لما أراد اللهُ بي من الخير ما أراد قذف فى قلبي حُبَّ الإسلام . وحضرنى رُشدى . وقلت : قد شهدت هذه المَواطن كلَّها على محمّدٍ ، فليس موطنٌ أشهده إلّا أنصرف وأنا أرى فى نفسي أنى مُوضِع فى غير شيءٍ وأنَّ محمدًا سَيظهر . فلما خرج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الحُدَيبية خرجت فى خيلٍ من المشركين فلقيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى أَصحابه بعُسْفان ؛ فقمتُ بإزاءه وتعرّضت له ، فصلَّى بأَصحابه الظهر آمناً منّا . فهممنا[1] أن نغير عليه ، ثم لم يُعزَم لنا — وكانت فيه خِيرةٌ — فاطّلع على ما فى أنفسنا من الهُموم فصلَّى بأَصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منّى مَوقعاً وقلت : الرجل[2] مَمنوع ! وافترقنا[3] وعدل عن سَنَن[4] خيلنا وأخذ ذات اليمين ؛ فلمّا صالح قُرَيشاً بالحُدَيبية ودافعته قُرَيْشٌ بالرَّواح[5] قلت فى نفسي : أى شيءٍ بقِى ؟ أين المذهب إلى النَّجاشيّ ؟ فقد اتَّبعَ محمّدًا ، وأَصحابه آمنون عنده ، فأَخرجُ إلى هِرَقل ؟فأَخرجُ من دينى إلى نصرانيّةٍ أو يهوديّة . فأُقيم مع عَجمٍ تابعاً ، أو أُقيم فى دارى فيمن بقى ؟ فأنا على ذلك إذ دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى عُمرة القَضيَّة . فتغيّبتُ فلم أشهد دخوله ،

---

(١) فى الأصل : « فهمينا » .

(٢) فى الأصل : « الرجوع ممنوع » ؛ وما أثبتناه من ابن كثير عن الواقدى . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

(٣) فى ابن كثير عن الواقدى : « فاعتزلنا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

(٤) فى ابن كثير عن الواقدى : « عن سير خيلنا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) . وعن سنن الخيل : أى عن وجهه . (الصحاح ، ص ٢١٣٩) .

(٥) فى الأصل : « بالراح » ؛ وما أثبتناه من ابن كثير عن الواقدى . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) . والرواح : نقيض الصباح ، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل . (الصحاح ص ٣٦٧) .

وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فى عُمرة القَضيّة ، فطلبنى فلم يجدنى فكتب إلىّ كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنى لم أرَ أعجب من ذَهاب رأْيك عن الإسلام ، وعَقْلك عَقْلُك ! ومثل الإسلام جَهِلَه أحدٌ ؟ وقد سألنى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأْتى الله به . فقال : ما مثله جهِل الإسلام ! ولو كان جعل نِكايتَه وجِدَّه مع المسلمين على المشركين ، لكان خيرًا له ، ولقدّمْناه على غيره . فاستدرِكْ يا أخى مافاتَك ، فقد فاتَتْكَ مَواطنُ صالحة .

قال : فلمّا جاءَنى كتابه نشِطتُ للخروج ، وزادنى رغبةً فى الإسلام وسرّنى مَقالةُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . قال خالد : وأرى فى النوم كأنى فى بلادٍ ضَيِّقة جَديبة ، فخرجت إلى بلدٍ أخضرَ واسع ، فقلت إنَّ هذه لَرُويا . فلمّا قدمتُ المدينة قلت : لأذكرنَّها لأبى بكر . قال : فذكرتُها فقال: هومَخرجك الذى هَداك اللهُ للإسلام ، والضِّيق الذى كنتَ فيه من الشِّرك . فلمَّا أجمعتُ الخروج إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قلت : من أُصاحب إلى رسول الله ؟ فلقيتُ صَفوان بن أُمَية فقلت : يا أَبا وَهب ، أَما ترى ما نحن فيه ؟ إنما نحن أَكَلَةُ رأس(١) ، وقد ظهر محمّدٌ على العرب والعَجم. فلو قدمنا على محمّدٍ فاتّبعناه فإنَّ شَرَف محمّدٍ لنا شَرَفٌ . فأَبى أشدَّ الإباءِ وقال : لو لم يبق غيرى من قُرَيش ما اتَّبعتُه أبدًا . فافترقنا وقلت : هذا رجلٌ مَوتور يطلب وِترًا ، قد قُتل أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عكْرِمَة بن أبى جَهل فقلت له مثل الذى قلت لصفوان ، فقال لى مثل ما

---

(١) فى ابن كثير عن الواقدى : « إنما نحن كأضراس ». (البداية والنهاية، ج ٤ ،ص ٢٣٩) . وقولهم هم أكلة رأس ، أى هم قليل يشبعهم رأس واحد ، وهو جمع آكل . (الصحاح ، ص ١٦٢٤) .

قال صَفوان ، قلت : فاطوِ ما ذكرتُ لك . قال : لا أذكره وخرجتُ إلى منزلى فأمرت براحلتى تُخرج إلىّ ، فخرجتُ بها إلى أن ألقى عُثمان بن طَلحة فقلت : إنَّ هذا لى لصديقٌ ولو ذكرتُ له ما أُريد ! ثم ذكرت مَن قُتل من آبائه فكرهتُ أُذكِّره ، ثم قلت : وما علىّ وأنا راحلٌ من ساعتى. فذكرتُ له ما صار الأَمر إليه فقلت : إنما نحن بمنزلة ثَعلب فى جُحْرٍ ، لو صُبَّ عليه ذَنوبٌ[1] من ماءٍ لخرج . قال : وقلت له نحواً ممّا قلت لصاحبيه ، فأَسرع الإجابة وقال : لقد غدوتَ اليوم وأنا أُريد أن أغدو . وهذه راحلتى بفَخٍّ[2] مُناخةٌ . قال : فاتّعدتُ أنا وهو بيَأْجَج ، إن سبقنى أقام وإن سبقتُه أقمتُ عليه . قال : فأدلجنا سَحَرًا فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيَأْجَج ؛ فغدونا حتى انتهينا إلى الهَدَّة ، فنجد عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم ! فقلنا : وبِك ! قال : أين مَسيركم ؟ قلنا : ما أخرجك ؟ قال : فما الذى أخرجكم ؟ قلنا : الدخول فى الإسلام واتِّباع محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم . قال : وذلك الذى أقدمنى . قال : فاصطحبْنا جميعاً حتى قدمنا المدينة فأنخنا بظاهر[3] الحَرَّة ركابنا ، فأُخبر بنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فسُرّ بنا ؛ فلبستُ من صالح ثيابى ، ثم عمدت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلقينى أخى فقال : اسرعْ فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أُخبِر بك فسُر بقدومك وهو ينتظركم . فأسرعتُ المشى فطلعت عليه ، فما زال يتبسّم إلىّ حتى وقفت عليه ، فسلَّمت عليه بالنبوّة

(١) الذنوب : الدلو العظيمة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٥١) .

(٢) فى ابن كثير عن الواقدى : « بفج » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) . وفخ : واد بمكة . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٤١) .

(٣) فى ابن كثير عن الواقدى : « بظهر الحرة » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٩) .

فرد على السلام بوجهٍ طَلْق ، فقلت : إنى أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله . فقال : الحمد لله الذى هَداك ! قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوت ألّا يُسلمك إلّا إلى الخير . قلت : يا رسول الله ، قد رأيتَ ما كنتُ أشهدُ من تلك المَواطن عليك مُعانِدًا عن الحق ، فادعُ الله أن يغفرها لى فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : الإسلام يجُبّ ما كان قبله قلت : يا رسول الله ، على ذلك ؟ فقال : اللّهمّ اغفرْ لخالد كلّ ما أَوضع فيه مِن صَدٍّ عن سبيلك . قال خالد : وتقدّم عمرو، وعُثمان ، فبايعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان قدومنا فى صفر سنة ثمان ، فوالله ماكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من يوم أسلمت يعدل بى أحدًا من أصحابه فيما حَزَبه[1] .

قال أبو عبد الله : سألت عبد الله بن عمرو بن زُهير الكَعبىّ : متى كتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى خُزاعة كتابه ؟ فقال : أخبرنى أبى ، عن قَبيصة بن ذُؤيب أنه كتب لهم فى جمادى الآخرة سنة ثمان . وذلك أنه أسلم قوم من العرب كثيرٌ ، ومنهم مَن هو بَعْدُ مُقيمٌ على شركه ، ولمّا انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الحُدَيبية لم يبق من خزاعة أحدٌ إلّا مُسلمٌ مُصدّق بمحمّد ، قد أتوا بالإسلام وهو فيمن حوله قليلٌ ، حتى قدم عَلْقَمَة بن عُلاثة وابنا هَوذة وهاجروا ، فذلك حيث كتب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى خُزاعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن محمّد رسول الله إلى بُديل، وبِشر[2] ، وسروات بنى عمرو ، سلامٌ عليكم ، فإنى أحمَدُ الله إليكم ، الله لا إله إلاّ هو ، أما بعد ؛ فإنى لم آثَمْ بَإلّكم ، ولم أضع فى

---

(١) فى الأصل : « خرته » .

(٢) هكذا فى الأصل . وفى ابن سعد : « بسر » . (الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥) .

جَنْبكم ، وإنَّ أكرم تِهامة علىَّ أنتم ، وأقربهم[١] رَحِماً أنتم ومَن تبعكم مِن المُطيَّبين . فإنى قد أخذتُ لمَن قد هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسى — ولو هاجر بأرضه — غير ساكن مكّة إلاّ مُعتمرًا أو حاجًّا ؛ وإنى لم أضع فيكم إذ سالمتُ[٢] ، وإنكم غير خائفين من قِبَلى ولا مَحصورين . أما بعد : فإنه قد أسلم عَلْقَمَة بن عُلاثة وابناه ، وتابعا وهاجرا على مَن تبعهما من عِكْرِمَة ؛ أخذتُ لمن تبعنى منكم ما آخذُ لنفسى ، وإنَّ بعضنا من بعض أبدًا فى الحِلّ والحرم ، وإننى واللهِ ما كذبتكم وليُحبّكم ربُّكم .

حدّثنى عبد الله بن بُدَيل ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عبد الله بن مَسْلَمَة ، عن أبيه ، عن بُدَيل بن وَرْقاء مثل ذلك .

سريّةٌ أميرها غالب بن عبد الله بالكَديد
فى صفر سنة ثمان

حدّثنا الواقدىّ قال : حدّثنا عبد الله بن جَعفر ، عن عبد الواحد بن أبى عَون ، عن يَعقوب بن عُتبة ، عن مُسلم بن عبد الله الجُهَنىّ ، عن جُنْدب ابن مَكيث الجُهَنىّ ، قال : بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم غالب بن عبد الله اللَّيثىّ أحد بنى كلب بن عَوف ، فى سريّة كنت فيهم[٣] ، وأمره أن يشُنّ الغارةَ على بنى المُلَوَّح بالكَديد ، وهم من بنى لَيث . فخرجنا حتى إذا كنّا بقُدَيد لقينا الحارث بن مالك بن البَرْصاء ، فأخذناه فقال :

(١) فى الأصل : « وأقربه » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥) .
(٢) فى الأصل : « إذ أسلمت » . وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥) .
(٣) هكذا فى الأصل ، وفى الزرقانى أيضاً . (شرح على المواهب اللدنية ، ج٢، ص٣١٦) . وفى ابن سعد : « كتب فيهم » . (الطبقات ، ج ٢، ص ٨٩) .

إنما جئتُ أُريد الإسلام . فقلنا : لا يضرّك رِباطُ ليلةٍ إن كنت تريد الإسلام ، وإن يكن غير ذلك نَستوثق منك . فشددناه وَثاقاً ، وخلّفنا عليه رجلاً منّا يُقال له سُوَيد بن صَخر ، وقلنا : إن نازَعك فاحتزّ رأسَه . ثم سرنا حتى أتينا الكَديد عند غروب الشمس ، فكمنّا ناحيةَ الوادى ، فبعثنى أصحابى ربيئةً[1] لهم ، فخرجتُ فأتيت تلاًّ مُشرِفاً على الحاضر[2] يُطلعنى عليهم ، حتى إذا أسندتُ فيه وعلَوتُ على رأسه انبطحتُ ، فواللهِ إنى لأنظرُ إذ خرج رجل منهم من خِباءٍ له فقال [لامرأته] : واللهِ إنّى لأرى على هذا التلّ سوادًا ما رأيته عليه صَدْرَ يومى هذا ، فانظرى إلى أَوْعيتك لا تكون الكلاب أخذت منها شيئاً . فنظرت فقالت : واللهِ ما أفقدُ من أَوْعِيَتى شيئاً . فقال : ناولينى قَوْسى ونَبْلى ! فناولته قوسه وسهمين معها ، فأرسل سهماً ، فواللهِ ما أخطأ به جنبى ، فانتزعتُه فوضعتُه وثبتُّ مكانى . ثم رمانى الآخرَ فخالَطنى به أيضاً ، فأخذتُه فوضعتُه وثبتُّ مكانى . فقال لامرأته : واللهِ لو كان زائلةً[3] لتحرك بعدُ ، لقد خالَطه سَهماىَ ، لا أبا لكِ ! إذا أصبحتِ فاتبعيهما ؛ لا تَمضُغهما الكلابُ . ثم دخل خِباءَه وراحت ماشية الحَىّ من إبلهم وأغنامهم ، فحلبوا وعطّنوا[4] ، فلمّا اطمأنّوا وهدأوا شننّا عليهم الغارةَ ، فقتلنا المُقاتِلة وسبينا الذُّرِّيَّة ، واستقْنا النَّعم والشاءَ فخرجنا نَحْدُرها قِبَل المدينة حتى مررنا بأَبى[5] البَرْصاء

(١) الربيئة : الطليعة . (الصحاح ، ص ٥٢) .

(٢) الحاضر : القوم المقيمون بمحلهم . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٣١٢) .

(٣) هكذا فى الأصل . وفى ابن سعد : « ربيئة » . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٠) . والزائلة : كل شىءٍ من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقر . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٣٥) .

(٤) عطنت الإبل إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٧) .

(٥) فى الأصل : « بابن » .

فاحتملناه واحتملنا صاحبنا . وخرج صَريخُ القوم فى قومهم فجاءنا ما لا قِبَلَ لنا به ، ونظروا إلينا وبيننا وبينهم الوادى وهم موجِّهون إلينا ، فجاء الله الوادى من حيث شاء بماءٍ ملأً جنبَيه ؛ وَأيمُ اللهِ ما رأينا قبل ذلك سحاباً ولا مطرًا ، فجاء بما لا يستطيع أحدٌ أن يَجوزَه . فلقد رأيتُهم وُقوفاً ينظرون إلينا وقد أسندنا فى المُشَلَّل(١) وفُتناهم ، فهم لا يقدِرون على طَلَبنا . فما أنسَى رجز أميرنا غالب :

أَبَى أبو القاسمِ أن تَعزَّ بى(٢) وذاك قولُ صادقٍ لم يَكْذِبِ
فى خَضِلٍ(٣) نَباتُه مُغْلَوْلِبِ(٤) صُفْرٍ أعاليه كَلونِ المُذْهَبِ

ثم قدمنا المدينة .

فحدّثنى عبد العَزيز بن عُقبة ، عن محمّد بن حَمزة بن عمر الأَسلمىّ ، عن أبيه ، قال : كنت معهم وكنّا بِضعةَ عشرَ رجلاً ، شِعارنا : أَمِتْ! أَمِتْ !

سريّة كعب بن عُمَير إلى ذات أَطْلاح
فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمان

قال الواقدى : حدّثنى محمّد بن عبد الله ،عن الزُّهرىّ ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كعب بن عُمَير الغِفارىّ فى خمسةَ عشرَ رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أَطْلاح من أرض الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم

(١) المشلل : ثنية مشرفة على قديد . (معجم ما استعجم ، ص ٥٦٠) .
(٢) تعزبى : معناه تقيمى ، يقال تعزبت الإبل فى المرعى إذا أقامت فيه . (شرح أبى ذر ، ص ٤٥٠)
(٣) الخضل : النبات الأخضر المبتل . (شرح أبى ذر ، ص ٤٥٠) .
(٤) المغلولب : الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه . (شرح أبى ذر ، ص ٤٥١) .

كثيرًا ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورَشَقوهم بالنَّبْل . فلما رأى ذلك أصحابُ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قاتلوهم أشدّ القتال حتى قُتِلوا ، فأَفلتَ منهم رجلٌ جريحٌ فى القَتْلى ، فلما بَرَد عليه الليلُ تحاملَ حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره الخبر ، فشَقّ ذلك على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهَم بالبَعْث إليهم ، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم .

حدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن الحارث بن الفُضَيل ، قال : كان كعب يكمُن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم ، فرآه عَيْنٌ لهم فأخبرهم بقِلَّة أصحاب النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، فجاءوا على الخيول فقتلوهم .

سريّة شُجاع بن وَهب إلى السِّىّ من أرض بنى عامر من ناحية رُكْبَة ، فى ربيع الأوّل سنة ثمان ؛ وسريّة إلى خَثْعَم بتَبالَة[1]

حدّثنى الواقدىّ قال : حدّثنى ابن أبى سبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن عمر بن الحَكَم ، قال : بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم شُجاع بن وَهب فى أربعة وعشرين رجلاً إلى جَمْعٍ من هَوازِن بالسِّىّ ، وأمره أن يُغير عليهم ، فخرج ؛ فكان يسير الليل ويكمُن النهار حتى صبحهم وهم غارّون ، وقد أوعز إلى أصحابه قبل ذلك ألاّ يُمعنوا فى الطَّلَب ، فأصابوا نَعَماً كثيرًا وشاءً ، فاستاقوا ذلك كلَّه حتى قدموا المدينة [واقتسموا الغنيمة][2] ، وكانت سِهامهم خمسةَ عشرَ بعيرًا ؛

---

(١) تبالة : موضع بقرب الطائف ، وهى لبنى مازن . (معجم ما استعجم ، ص ١٩١) .

(٢) الزيادة من ابن سعد ، عن الواقدى . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٢) .

كلّ رجلٍ ، وعدلوا البعير بعشرة من الغَنَم ، وغابت السَّريّة خمسَ عشرةَ ليلة .

قال ابن أَبى سَبْرَة : فحدّثتُ هذا الحديثَ محمّدَ بن عبد الله بن عمر بن عُثْمان فقال : كانوا قد أصابوا فى الحاضر نسوةً فاستاقوهنّ ، وكانت فيهنّ جاريةٌ وضيئةٌ فقدموا بها المدينة . ثم قدم وفدهم مُسلمين . فلما قدموا كلّموا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى السَّبْى ، فكلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم شُجاعاً وأصحابه فى ردّهنّ ، فسلّموهنّ وردُّوهنّ إلى أصحابهنّ .

قال ابن أَبى سَبْرَة : فأَخبرتُ شيخاً من الأَنصار بذلك فقال : أمّا الجارية الوضيئة فكان شُجاع بن وَهب قد أخذها لنفسه بثَمَنٍ فأَصابها ، فلمّا قدم الوفد خيّرها ، فاختارت المقام عند شُجاع بن وَهب ، فلقد قُتِل يوم اليَمامة وهى عنده ، ولم يكن له منها وَلَدٌ . فقلتُ لابن أَبى سَبْرة : ما سمعت أحدًا قطُّ يذكر هذه السَّريّة . فقال ابن أَبى سَبْرَة : ليس كل العِلم سمعتَه . قال : أَجل واللهِ .

فقال ابن أَبى سَبْرَة : لقد حدّثنى إسحاق بن عبد الله سريّةً أُخرى ، قال إسحاق : حدّثنى ابن كَعب بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث قُطْبَة بن عامر بن حَديدة فى عشرين رجلاً إلى حَىٍّ من خَثْعَم بناحية تَبالَة ، وأمره أن يَشُنّ الغارةَ عليهم ، وأن يسير الليل ويكمُن النهار ، وأمره أن يُغذّ السيرَ . فخرجوا على عشرة أَبْعِرَة يعتقبونها ، قد غيّبوا السلاح ؛ فأَخذوا على الفَتْق[1] حتى انتهَوا إلى بطن مَسْحَب[2] ، فأَخذوا رجلاً فسأَلوه

(١) الفتق : من مخاليف الطائف . (معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٣٨) .

(٢) هكذا فى الأصل . ولعله يريد « مسحاه » وهى من مخاليف الطائف . (معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٥١) .

فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ، فقدّمه قُطْبَة فضرب عنقه . ثم أقاموا حتى كان ساعة من الليل ، فخرج رجلٌ منهم طَليعةً فيجد حاضر نَعَمٍ ، فيه النَّعَم والشاء ؛ فرجع إلى أصحابه فأخبرهم ، فأقبل القوم يدِبُّون دبيباً يخافون الحَرَس ، حتى انتهوا إلى الحاضر وقد ناموا وهدأوا ؛ فكبّروا وشنّوا الغارةَ ، فخرج إليهم رجال الحاضر ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كثرت الجراح فى الفريقين . وأصبحوا وجاء الخَثْعميّون الدَّهْم[1] ، فحال بينهم سيلٌ أَتِىٌّ ، فما قدر رجلٌ واحدٌ منهم يمضى حتى أتى قُطْبة على أهل الحاضر ، فأقبل بالنَّعَم والشاء[2] والنساء إلى المدينة ، فكان سِهامهم أربعة أربعة ، والبعير بعشرة من الغَنَم بعد أن خرج الخُمُس . وكان فى صفر سنة تسع .

غزوة مُؤْتَة[3]

حدّثنا الواقدى قال : حدّثنى رَبيعة بن عُثمان ، عن عمر بن الحَكَم ، قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحارث بن عُمَير[4] الأزدىّ ثم أحد بنى لِهْب ، إلى ملك بُصرى بكتاب ، فلمّا نزل مُؤْتة عرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغَسّانِى فقال : أين تُريد ؟ قال : الشام . قال : لعلّك مِن رُسُل محمّد ؟ قال : نعم ، أنا رسول رسول الله . فأمر به فأُوثِق رِباطاً ، ثم قدّمه فضرب عُنُقَه صَبْرًا . ولم يُقتَل لرسول الله صلّى الله عليه

(١) الدهم : العدد الكثير . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٣٨) .
(٢) فى الأصل : « فأقبل من النعم والشاء » .
(٣) مؤتة : أدنى البلقاء ، والبلقاء دون دمشق . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٢) .
(٤) فى الأصل : « الحارث بن عثمان الأزدى » ؛ وما اثبتناه عن ح ، وعن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٣ ، ص ٩٢) .

وسلَّم رسولٌ غيره ، فبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخبرُ فاشتدّ عليه ، ونَدَبَ النَّاسَ وأخبرهم بمَقْتَل الحارث ومَن قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجُرْف ، ولم يُبيّن رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الأمرَ ، فلمّا صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الظهر جلس وجلس أصحابُه . وجاء النُّعمان بن فُنْحُص[1] اليهوديّ ، فوقف على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع الناس ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قُتل زيد بن حارثة فجَعفر بن أبى طالب ، فإن أُصِيب جَعفر فعبد الله بن رَواحة ، فإن أُصِيب عبد الله بن رَواحة فليَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم . فقال النُّعمان بن فُنْحُص : أبا القاسم ، إن كنتَ نبيًّا فسمّيت[2] مَن سمّيت قليلاً أو كثيرًا أُصيبوا جميعاً ، إنَّ الأنبياء فى بنى إسرائيل إذا استعملوا[3] الرجل على القوم ثم قالوا إن أُصيب فلان ، فلو سمّى مائة أُصيبوا جميعاً . ثم جعل اليهوديّ يقول لزيد ابن حارثة : اعهدْ ، فلا ترجع إلى محمّد أبدًا إن كان نبيًّا ! فقال زيد : فأشهدُ أنه نبيٌّ صادقٌ بارّ . فلما أجمعوا المسير وقد عقد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لهم اللواء ودفعه إلى زيد بن حارثة — لواء أبيض — مشى الناس إلى أمراء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُودّعونهم ويدعون لهم ، وجعل المسلمون يُودّع بعضُهم بعضاً ، والمسلمون ثلاثةُ آلاف ، فلمّا ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، ورَدَّكم صالحين غانمين . قال ابن رَواحة عند ذلك :

(١) فى الأصل : « النعمان بن مهض » ؛ وما أثبتناه من ابن كثير عن الواقدى . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٤١) .

(٢) فى خ : « فسيصاب من سميت » .

(٣) فى ابن كثير عن الواقدى : « إذا سموا » . (البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٤١) .

لكننى أسأل الرحمنَ مَغفِرةً   وضربةً ذاتَ[1] فَرْعٍ تَقذِفُ الزَّبَدا[2]

وهى أبياتٌ أنشدنيها شُعَيب بن عُبادة .

حدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طَلحة ، عن رافع بن إسحاق ، عن زيد بن أرْقَم ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : أُوصيكم بتَقوى الله وبمَن معكم من المسلمين خيرًا . أو قال : اغزوا بسم الله فى سبيل الله ، فقاتِلوا مَن كفر بالله . لا تَغدروا ولا تَغُلّوا ولا تقتلوا وَليدًا ، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فَادعُهم إلى إحدى ثلاث ؛ فأَيّتهنّ ما أجابوك إليها فاقبل مِنهم وَاكفُفْ عنهم ؛ ادعُهم إلى الدخول فى الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل مِنهم واكفُفْ عنهم ، ثم ادعُهم إلى التّحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين . فإن فعلوا فأخبرهم أنّ لهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ؛ وإن دخلوا فى الإسلام واختاروا دارَهم : فأخبِرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حُكم الله ، ولا يكون لهم فى الفَىء ولا فى القِسْمَة[3] شىءٌ إلّا أن يُجاهدوا مع المسلمين ؛ فإن أبوا فادعهم إلى إعطاءِ الجزْيَة . فإن فعلوا فاقبل منهم واكفُفْ عنهم . فإن أبوا فاستعن بالله وقاتِلْهم ؛ وإن أنت حاصرتَ أهلَ حِصْنٍ أو مَدينةٍ فأرادوك أن تستنزلهم على حُكم الله فلا تستنزلهم على حُكم الله ، ولكن أنزِلْهم على حُكمِكَ ؛ فإنّك لا تدرى أتُصيب حُكم الله فيهم أم لا . وإن حاصرتَ أهلَ حِصنٍ أو مدينةٍ فأرادوك على أن تجعل لهم ذِمّة الله وذِمّة رسوله ، فلا تجعل لهم ذِمّة الله ولا ذِمّة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذِمّتك وذمّة أبيك وذِمّة

(١) ذات فرع : أى ذات سعة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٤) .
(٢) الزبد : رغوة الدم . (شرح أبى ذر ، ص ٣٤٤) .
(٣) فى ح « الغنيمة » .

أصحابك ، فإنكم إن تُخفروا ذمّتكم وذِمَم آبائكم خيرٌ لكم من أن تُخفروا ذِمّة الله وذمّة رسوله .

حدّثنى أبو صَفوان ، عن خالد بن يَزيد ، قال : خرج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم مُشيّعاً لأهلِ مُؤْتَة حتى بلغ ثَنِيّة الوَداع ، فوقف ووقفوا حوله فقال : اغزوا بسم الله ، فقاتِلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام ، وستجدون فيها رجالاً فى الصّوامِع[1] مُعتزلين للنّاس ، فلا تعرّضوا لهم ، وستجدون آخرين للشيطان ، فى رءُوسهم مَفاحص[2] فاقلَعوها بالسُّيوف ، ولا تَقتُلُنّ امرأةً ولا صغيراً مُرضَعاً ولا كبيراً فانياً ، لا تُغرِقُنّ نخلاً ولا تَقطَعُنّ شجراً ، ولا تَهدِموا بيتاً .

حدّثنى أبو القاسم بن عُمارة بن غزيّة ، عن أبيه ، عن عَطاء بن أبى مُسلم ، قال : لمّا ودّع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عبد الله بن رواحة قال ابن رَواحة : يا رسول الله ، مُرْنى بشىء أحفظه عنك ! قال : إنك قادمٌ غدًا بَلدًا ، السُّجود به قليلٌ ، فأكثِر السجود . قال عبد الله : زِدْنى يا رسول الله! قال : اذكر الله ، فإنه عَون لك على ما تَطلُب . فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع إليه فقال : يا رسول الله ، إنّ الله وِتْرٌ يُحبّ الوِتْر ! قال : يا ابنَ رَواحة ، ما عجزتَ فلا تَعجِزنّ إن أسأْتَ عشراً أن تُحسن واحدةً . فقال ابن رَواحة : لا أسألك عن شىء بعدَها . قال

(١) الصوامع : جمع صومعة ، وهى بيت للنصارى . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٥٢) .
(٢) فى الأصل : « مفاخر » ؛ وما أثبتناه عن ح . ومفاحص : جمع مفحص ، والمفحص مفعل من الفحص ، ومفحص القطاة موضعها الذى تجثم فيه وتبيض ، أى أن الشيطان قد استوطن روسهم فجعلها له مفاحص كما تستوطن القطا مفاحصها . (النهاية ، ج ٣ ، ١٨٥) .

أَبوعبد الله : وكان زيد بن أَرْقَم يقول : كنت فى حِجْر عبد الله بن رَواحة فلم أَرَ والى يَتيمٍ كان خيرًا منه ؛ خرجتُ معه فى وجهه إلى مُؤْتَة . وصبّ بى وصببتُ به[١] فكان يُردفنى خلف رحله . فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شُعْبَتَى[٢] الرَّحل . وهو يتمثَّل أَبيات شعر :

إذا بَلَّغتِنى وحملتِ رَحلى ... مَسافَةَ أربعٍ بعدالحِساءِ[٣]

فزادُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ[٤] ... ولا أَرجعْ[٥] إلى أهلى وَرائى

وآبَ المُسلمون وغادَرونى[٦] ... بأَرضِ الشامِ مُشتهِىَ الثَّواءِ[٧]

هنالك لا أُبالى طَلْع نَخْلٍ ... ولا نَخْلٍ أَسافِلُها رِواءِ[٨]

فلمّا سمعت هذه الأَبيات بكيتُ . فخفقنى بيده[٩] وقال : ما يضرّك يا لُكَعْ أَن يرزقنى الله الشهادةَ فأَستريح من الدنيا ونَصَبها وهمومها وأَحزانها وأَحداثها . ويرجع بين شُعْبَتَى الرَّحل . ثم نزل نزلة من الليل فصلَّى ركعتين وعاقبهما دعاءً طويلاً ثم قال لى : يا غلام ! فقلت : لَبَّيْك ! قال : هى إن شاءَ الله الشهادة .

ومضى المسلمون من المدينة . فسمع العدوّ بمسيرهم عليهم قبل أن

(١) فى الأصل : « وصيب وصببت به » ؛ وما أثبتناه عن ح .
(٢) شعبتا الرحل : أى طرفاه . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٨٨) .
(٣) فى ح : « الحشاء » . والحساء : جمع حسى ، وهو ماء يغور فى الرمل وإذا بحث عنه وجد . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٥) .
(٤) فى ح : « فشأنك فانعمى وخلاك ذم » .
(٥) هو مجزوم على الدعاء ، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله . (شرح أبى ذر ، ص ٣٥٥) .
(٦) فى ح : « وخلفونى » .
(٧) ثوى بالمكان ثواء إذا أطال الإقامة به أو نزل فيه . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٠) .
(٨) فى ح : « رداء » .
(٩) فى ح : « بالدرة » .

ينتهوا إلى مَقتل الحارث بن عُمير ، فلمّا فَصَل المسلمون من المدينة سمع العدوّ بمسيرهم فجمعوا الجموع . وقام فيهم رجلٌ من الأَزْد يُقال له شُرَحبيل بالناس ، وقدم الطَّلائع أمامَه ، وقد نزل المسلمون وادى القُرَى وأقاموا أيّاماً . وبعث أخاه سَدوس وقُتل سَدوس وخاف شُرَحبيل بن عمرو فتحصّن ، وبعث أخاً له يُقال له وَبْر بن عمرو . فسار المسلمون حتّى نزلوا أَرضَ مَعان من أَرض الشام ، فبلغ الناسَ أنَّ هِرَقل قد نزل مَآبَ من أَرض البَلْقاءِ فى بَهراء وَوائِل وبَكْر ولَخْم وجُذام فى مائةِ ألفٍ ، عليهم رجلٌ من بَلِيّ يُقال له مالكٌ . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا فى أَمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فنُخبره الخبر ، فإما يردّنا وإما يَزيدنا رجالاً . فبينا الناس على ذلك من أَمرهم جاءهم ابن رَواحة فشجّعهم ثم قال: واللهِ ما كنّا نُقاتل الناس بكثرة عَدَدٍ ، ولا بكثرة سلاحٍ ، ولا بكثرة خيولٍ ، إلّا بهذا الدِّين الذى أكرمنا الله به . انطلقوا![1] واللهِ لقد رأيتُنا يومَ بَدْرٍ ما معنا إلاّ فَرَسان ، ويومَ أُحُد فرسٌ واحدٌ ؛ وإنما هى إحدى الحُسْنيَين ، إما ظهورٌ عليهم فذلك ما وعَدَنا الله ووعَدنا نبيُّنا ، وليس لوعده خُلْفٌ . وإما الشهادةُ فنَلحَق بالإخوان نُرافقهم فى الجِنان ! فشَجُع الناسُ على مثل قول ابن رَواحة .

فحدّثنى رَبيعة بن عُثمان ، عن المَقْبُرىّ ، عن أَبى هُريرة ، قال : شهدتُ مُؤْتَة ، فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قِبَل لنا به من العدَد والسِّلاح والكُراع والدِّيباج والحرير والذَّهَب ، فبَرِق بصرى ، فقال لى ثابت ابن أَرْقَم : يا أَبا هُرَيرة ، ما لك ؟ كأنك ترى جموعاً كثيرةً . قلت : نعم ، قال : تشهدنا ببدر ؟ إنّا لم نُنصَر بالكثرة !

---

(١) فى ح : « انطلقوا فقاتلوا » .

حدّثنى بُكَير بن مِسمار ، عن ابن كعب القُرَظىّ ، وابن أبى سَبْرة ، عن عُمارة بن غَزيّة ، أحدهما يزيد على الآخر فى الحديث ، قال : لما التقى المسلمون والمشركون ، وكان الأُمراء يومئذٍ يُقاتلون على أرجُلِهم ، أخذ اللِّواءَ زيدُ بن حارثة ، فقاتل الناس معه ، والمسلمون على صفوفهم . فقُتل زيد بن حارثة . قال ابن كعب القُرظىّ . أخبرنى مَن حضر يومئذ قال : لا ، ما قُتل[1] إلاّ طعناً بالرُّمح . ثم أخذه جَعفر . فنزل عن فَرسٍ له شقراءَ فعَرْقَبَها[2] : ثم قاتل حتى قُتل .

وحدّثنى عبد الله بن محمّد ، عن أبيه ، قال : ضربه رجلٌ من الروم فقطعه . نصفين ، فوقع أحدُ نصفيه فى كَرْمٍ ، فوُجد فى نصفه ثلاثون أو بضعٌ وثلاثون جُرحًا .

حدّثنى أبو معْشَر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : وُجد مما قُتل من بدن جعفر ما بين مَنكبَيه اثنان وسبعون ضربةً بسيف أو طعنةٍ برمح .

حدّثنى يحيى بن عبد الله بن أبى قَتادة . عن عبد الله بن أبى بكر بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، قال : وُجد فى بدن جعفر أكثر من ستّين جُرحًا ، ووُجد به طعنةٌ قد أنفذَتْه .

حدَّثنى محمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وحدَّثنى عبد الجَبّار بن عُمارة بن عبد الله بن أبى بكر ، زاد أحدهما على صاحبه فى الحديث قالا : لما التقى الناس بمُؤْتَة جلس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المنبر وكُشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى مُعتَرَكهم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبّب

---

(١) فى الأصل : « ماقيل إلا طعن بالرمح » .

(٢) عرقبها : قطع عرقوبها ، وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها . (الصحاح ، ص ١٨٠) .

إليه الحياة وكرّه إليه الموت وحبّب إليه الدنيا ! فقال : الآن حين استحكم الإيمانُ فى قلوب المؤمنين تُحبّب إلىّ الدنيا ! فمضى قُدُمًا حتى استُشهد . فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال : استغفروا له . فقد دخل الجنّة وهو يَسْعَى ! ثم أخذ الرايةَ جعفر بن أبى طالب . فجاءه الشيطان فمنّاه الحياةَ وكرّه إليه الموتَ ، ومنّاه الدنيا فقال : الآن حين استحكم الإيمانُ فى قلوب المؤمنين تُمَنّينى الدنيا ! ثم مضى قُدُمًا حتى استُشهد ، فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودعا له ، ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيدٌ ، دخل الجنّة فهو يَطير فى الجنّة بجناحَين من ياقوت حيث يشاءُ من الجنّة. ثم أخذ الرايةَ بعده عبدُ الله بن رَواحة ، فاستُشهد ودخل الجنّة مُعترضاً . فشقّ ذلك على الأنصار . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أصابه الجراح . قيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لمّا أصابته الجراح نَكَل ، فعاتب نفسه فشَجُع ، فاستُشهد فدخل الجنة . فسُرِّى عن قومه .

حدّثنى عبد الله بن محمّد بن عمر بن عَلِىّ ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : رأيت جعفرًا مَلَكًا يَطير فى الجنّة تَدْمَى قادمتاه ، ورأيت زَيدًا دون ذلك فقلت : ما كنت أظنّ أنّ زَيدًا دون جَعفر . فأتى جبريل عليه السلام فقال : إنّ زَيدًا ليس بدون جَعفر . ولكنا فضلنا جَعفرًا لقرابته منك .

حدّثنى يحيى بن عبد الله بن أبى قَتادة ، عن المَقْبُرِىّ ، عن أبى هُريرة قال ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : خيرالفرسان أبو قَتادة ، وخير الرَّجّالة سَلَمَة بن الأَكْوَع .

حدّثنى نافع بن ثابت ، عن يحيى بن عَبّاد ، عن أبيه ، أنّ رجلًا من

بنى مُرَّة كان فى الجيش ، قيل له : إنَّ الناس يقولون إنَّ خالدًا انهزم من المشركين . فقال : لا واللهِ ما كان ذلك! لمّا قُتل ابن رَواحة نظرتُ إلى اللواءِ قد سَقَط ، واختلط المسلمون والمشركون ، فنظرت إلى اللواءِ فى يد خالد مُنهزمًا ، واتّبعناه فكانت الهَزيمة .

حدّثنى محمّد بن صالح ، عن رجل من العرب ، عن أَبيه ، قال : لمّا قُتِل ابن رَواحة انهزم المسلمون أَسوأ هزيمةٍ رأَيتها قطُّ فى كلّ وجه . ثم إنّ المسلمين تراجعوا ، فأَقبل رجلٌ من الأَنصار يُقال له ثابت بن أَرْقَم . فأَخذ اللواءَ وجعل يصيح بالأَنصار . فجعل الناس يثوبون إليه من كلّ وجهٍ وهم قليل وهو يقول : إلىَّ أَيُّها الناس! فاجتمعوا إليه . قال : فنظر ثابت إلى خالد بن الوليد فقال : خُذ اللواءَ يا أَبا سُلَيمان ! فقال : لا آخذُه ، أنت أَحقّ به ، أَنت رجلٌ لك سِنٌّ ، وقد شهدتَ بدرًا . قال ثابت : خُذْه أَيُّها الرجل! فواللهِ ما أَخذته إلّا لك ! فأَخذه خالدٌ فحمله ساعة ، وجعل المشركون يَحمِلون عليه ، فثبت حتى تَكَرْكَر[1] المشركون ، وحمل بأَصحابه ففضّ جَمْعًا من جَمْعِهم، ثم دهمه منهم بَشَرٌ كثيرٌ ، فانحاش المسلمون فانكشفوا راجعين .

حدّثنى ابن أَبى سَبْرة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن ابن كَعب بن مالك ، قال : حدّثنى نَفَرٌ من قومى حضروا يومئذٍ قالوا : لمّا أَخذ اللواء انكشف بالناس فكانت الهزيمة ، وقُتل المسلمون ، واتّبعهم المشركون ، فجعل قُطبة بن عامر يصيح : يا قوم ، يُقتَل الرجلُ مُقبِلًا أَحسن أَن يُقتَل مُدبِرًا ! يصيح بأَصحابه فما يثوب إليه أَحدٌ ، هى الهزيمة ، ويتبعون صاحب الراية مُنهزمًا .

---

(١) تكركر الرجل فى أمره ، أى تردد . (الصحاح ، ص ٨٠٥) .

حدّثني إسماعيل بن مُصعَب ، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد ، قال : لما أَخذ اللواءَ ثابت بن أَرْقَم ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، قال ثابت : اصطلحتم على خالد ؟ قالوا : نعم . فأَخذه خالد فانكشف بالناس.

حدثني عَطَّاف بن خالد قال : لمّا قُتل ابن رَواحة مساءً بات خالد بن الوليد ، فلما أَصبح غَدا ، وقد جعل مُقدِّمته ساقَته ، وساقَته مُقدِّمته ، ومَيمنته ميسرته ، وميسرته مَيمنته ، فأَنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهَيأَتهم ، وقالوا : قد جاءَهم مَدَدٌ ! فرُعبوا فانكشفوا مُنهزمين ، فقُتلوا مَقْتَلَة لم يُقتَلها قومٌ .

حدَّثني عبد الله بن الفُضَيل ، عن أَبيه ، قال : لمّا أَخذ خالد الراية قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الآن حَمِي[1] الوطيس ! قال أَبو عبد الله : والأَوّل أَثبت عندنا ؛ أَنّ خالدًا انهزم بالناس. قال ابن أَبي الزِّناد : بلغت الدماءُ بين الخيل موضع الأَشاعر[2] من الحافر[3] ؛ والوطيس أَيضًا ذاك ، وإذا حمي ذلك الموضع من الدابّة كان أَشدّ لعَدْوِها .

حدّثني داود بن سِنان قال : سمعت ثعلبة بن أَبي مالك يقول : انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عُيِّروا بالفِرار ، وتشاءَم الناسُ به .

حدّثني خالد بن إلياس ، عن صالح بن أَبي حَسّان ، عن عُبَيد بن حُنين ، عن أَبي سعيد الخُدرىّ ، قال : أَقبل خالد بن الوليد بالناس

---

(١) أى الآن اشتدت الحرب . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٥٧) .
وقال ابن الأثير : الوطيس التنور ، وقيل هو الضراب فى الحرب ، وقيل هو الوطء الذى يطس الناس ، أى يدقهم . وقال الأصمعى : هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣٤) .

(٢) أشارع الناقة : جوانب حيائها . (الصحاح ، ص ٦٩٨) .

(٣) الحافرهنا : الدابة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٣٩) .

مُنهزمًا ، فلمّا سمع أَهلُ المدينة بجيش مُؤْتَة قادمين تلقّوهم بالجُرْف ، فجعل الناس يَحثُون فى وجوههم التُّراب ويقولون : يا فُرّار ، أَفرَرتم فى سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليسوا بفُرّار ، ولكنهم كُرّارٌ إن شاء الله !

حدّثنى خالد بن إلياس ، عن أَبى بكر بن عبد الله بن عُتبة ، يقول : ما لقى جيش بُعثوا معنا ما لقى أَصحاب مُؤْتَة من أَهل المدينة ؛ لقيهم أَهل المدينة بالشرّ حتى إنّ الرجل لينصرف إلى بيته وأَهله ، فيدقّ عليهم الباب فيَأْبَون أَن يفتحوا له ، يقولون : أَلا تقدّمتَ مع أَصحابك ؟ فأَما مَن كان كبيرًا من أَصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس فى بيته استحياءً حتى جعل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يُرسل إليهم رجلًا رجلًا ، يقول : أَنتم الكُرّار فى سبيل الله !

حدّثنى مُصْعَب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبَير ، عن أَبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : كان فى ذلك البعث سَلَمَة بن هِشام بن المُغيرة ، فدخلت امرأَته على أُمّ سَلَمَة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ،فقالت أُمّ سَلَمة : مالى لا أَرى سَلَمَة بن هِشام ؟ آشتكى شيئًا ؟ قالت امرأَته : لا واللهِ ، ولكنه لا يستطيع الخروج ؛ إذا خرج صاحوا به وبأَصحابه «يا فُرّار ، أَفررتم فى سبيل الله ؟ » . حتى قعد فى البيت . فذكرتْ ذلك أُمّ سَلَمَة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بل ، هم الكُرّار فى سبيل الله ، فليخرج ! فخرج .

حدثنى خالد بن إلياس ، عن الأَعْرَج ، عن أَبى هُرَيرة ، قال : كنّا نخرج ونسمع ما نكره من الناس ، لقد كان بينى وبين ابن عمٍّ لى كلام ، فقال : إلّا فِرارك يوم مُؤْتَة ! فما دريتُ أَى شىء أَقولُ له .

حدّثني مالك بن أبي الرِّجّال ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن أُمّ عيسى بن الحزّار ، عن أُمّ جَعفر بنت محمّد بن جَعفر ، عن جدّتها أسماء بنت عُمَيس ، قالت : أَصبحتُ في اليوم الذى أُصيب فيه جَعفر وأَصحابه فأَتاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولقد هيأْتُ أَربعين مَنًّا[١] من أُدْم[٢] ، وعجنتُ عجيني ، وأَخذتُ بَنِيّ فغسلت وجوههم ودهنتهم ؟ فدخل علىّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا أَسماءُ ، أَين بنو جعفر ؟ فجئت بهم إليه فَضَمَّهم وشَمَّهم ، ثم ذَرَفَتْ عيناه فبكى ، فقلت : أَىْ رسول الله ، لعلّك بلغك عن جعفر شيءٌ ؟ فقال : نعم ، قُتل اليوم . قالت : فقمت أَصيحُ ، واجتمع إلىّ النساءُ . قالت : فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : يا أَسماءُ ، لا تقولى هُجْرًا[٣] ولا تضربى صدرًا ! قالت : فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى دخل على ابنته فاطمة وهى تقول : وَاعَمّاه ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : على مثل جَعفر فَلْتبكِ الباكية ! ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اصنعوا لآل جَعفر طَعامًا ، فقد شُغلوا عن أنفسهم اليوم .

حدّثني محمّد بن مُسلم ، عن يحيى بن أَبي يَعْلَى ، قال : سمعت عبد الله ابن جَعفر يقول : أَنا[٤] أَحفظُ حين دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أُمّى فنعى لها أَبى ، فأَنظرُ إليه وهو يَمسح على رأسى ورأس أَخى ، وعيناه

---

(١) المن : الذى يوزن به ، وهو الرطل . (شرح أبي ذر ، ص ٣٥٦) .
(٢) الأدم : ما يؤكل مع الخبز أى شىء كان . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢١) .
(٣) الهجر : الإفحاش فى المنطق . (الصحاح ، ص ٨٥١) .
(٤) فى الأصل : « إنما أحفظ » . وما أثبتناه عن ح .

تُهَراقان الدُّموعَ حتى تقطر لحيته. ثم قال : اللّهمّ ، إنّ جَعفرًا قد قَدِم إلى أحسن الثَّواب ، فَاخْلُفْه فى ذرّيّته بأَحسن ما خلفتَ أحدًا من عبادك فى ذرّيّته! ثم قال : يا أَسماءُ ، ألا أُبشّرك ؟ قالت: بلى ، بأَبى أَنت وأُمّى ! قال : فإنّ الله عزّ وجلّ جعل لجعفر جَناحين يطير بهما فى الجنّة ! قالت : بأَبى وأُمّى يا رسول الله ، فَأَعْلِم الناسَ ذلك ! فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأَخذ بيدى ، يَمسح بيده رأسى حتى رَقِى على المنبر ، وأَجلسنى أَمامه على الدَّرَجة السُّفلى ، والحُزْن يُعرَف عليه ، فتكلّم فقال : إنّ المرءَ كثيرٌ بأَخيه وابن عمّه ، ألا إنّ جعفرًا قد استُشهِد ، وقد جعل الله له جَناحين يطير بهما فى الجنّة . ثم نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل بيته وأَدخلنى ، وأَمر بطعامٍ فصُنع لأَهلى ، وأَرسل إلى أَخى فتغدّينا عنده واللهِ غداءً طيّبًا مُباركًا ؛ عمَدت سَلْمَى خادمته إلى شعيرٍ فطحنته ، ثم نَسَفَته ، ثم أَنضجته وأَدَمَته بزيت ، وجعلت عليه فُلْفُلًا . فتغدّيت أنا وأَخى معه فأَقمنا ثلاثة أَيّام فى بيته ، ندور معه كلّما صار فى إحدى بيوت نسائه ، ثم رجعنا إلى بيتنا ، فأَتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا أُساوِم بشاةٍ أَخٍ لى ، فقال : اللّهمّ بارك فى صَفْقَتِهِ . قال عبد الله : فما بِعت شيئًا ولا اشتريت إلّا بُورِك فيه .

حدّثنى عمر بن أَبى عاتِكة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أَبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قدم نَعىُ جعفر عرفنا فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحزن . قالت: قديمًا ما ضرّ الناسَ التكلّف[1] ؛ فأَتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله ، إنّ النساءَ قد عَنّيننا بما يبكين . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فارجع إليهنّ فأَسكِتْهنّ ، فإن أَبينَ فَاحثُ فى أَفواههنّ

(١) التكلف : كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التى لا يجب البحث عنها . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٣١) .

التُّراب . فقلت فى نفسى : أَبْعدك الله ! ما تركتَ نفسك ، وما أَنت بمُطيع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنى سُلَيمان بن بِلال ، عن يحيى بن سَعيد ، عن عَمْرَة ، عن عائشة ، قالت : أَنا أَطّلع من صِير[1] الباب فأَسمعُ هذا .

حدّثنى عبد الله بن محمّد ، عن ابن عَقيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : أُصيب بها ناسٌ من المسلمين ، وغَنِم المسلمون بعضَ أَمْتِعَة المشركين ، فكان مما غنموا خاتمًا جاءَ به رجلٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : قتلتُ صاحبه يومئذٍ ! فنفَّله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إيّاه

وقال عَوف بن مالك الأَشْجعىّ : لقيناهم فى جماعة من قُضاعة وغيرهم من نَصارى العرب ، فصافّونا فجعل رجلٌ من الروم يسلّ على المسلمين ويُغرى بهم على فَرَسٍ أشقر ، عليه سِلاحٌ مُذهَبٌ ولجامٌ مُذهَبٌ ، فجعلتُ أَقول فى نفسى : مَن هذا ؟ وقد رافقنى رجلٌ من أَمداد[2] حِمْيَر ، فكان معنا فى مسيرنا ذلك ليس معه سيفٌ ، إذ نحر رجلٌ من القوم جزورًا فسأَله المددىُّ طائفةً من جلده ، وهبه له فبسطه فى الشمس وأَوتد على أَطرافه أَوتادًا ، فلمّا جفّ اتّخذ منه مِقبضًا وجعله دَرَقَةً . فلمّا رأَى ذلك المددىّ ما يفعل ذلك الرومىّ بالمسلمين كَمَن له خلف صخرة ، فلمّا مرّ به خرج عليه فعرقب فَرَسه ، فقعد الفَرَسُ على رجليه وخرّ عنه العِلْج[3] ، وشدّ عليه فعلاه بسيفهِ فقتله .

---

(١) فى الأصل : « صر الباب » . والصير : شق الباب . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨) .

(٢) الأمداد : جمع مدد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين فى الجهاد . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٨٤) .

(٣) العلج : الرجل من كفار العجم . (الصحاح ، ص ٣٣٠) .

حدّثنى بُكَير بن مِسمار ، عن عُمارة بن غَزِيّة[1] ، عن أبيه ، قال : حضرتُ مُؤْتَة ، فبارزتُ رجلًا يومئذٍ فأصبتُه ، وعليه يومئذٍ بيضةٌ له فيها ياقوتةٌ ، فلم يكن همّى إلّا الياقوتة فأخذتُها ؛ فلمّا انكشفنا وانهزمنا رجعتُ بها المدينة ، فأتيت بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فنفّلنيها فبعتها زمن عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه بمائة دينارٍ ، فاشتريت بها حديقة نخل ببنى خَطْمَة .

ذكر من استُشهِد بمُؤْتَة من بنى هاشم وغيرهم

استُشهِد من بنى هاشم : جَعفر بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة . ومن بنى عَدِىّ بن كعب : مَسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَة . ومن بنى عامر ابن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حُسَيل : وَهب بن سعد بن أبى سرْح . وقُتل من الأنصار ، ثم من بنى النّجّار من بنى مازن : سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خَنساء . ومن بنى النّجّار : الحارث بن النّعمان بن يساف بن نَضْلَة بن عمرو بن عَوف بن غَنْم بن مالك . ومن بنى الحارث بن الخزرج : عبدالله بن رَواحة ، وعُبادة بن قيس . ثم رجعوا إلى المدينة .

غزوة ذات السّلاسِل[2]

حدثنى رَبيعة بن عُثمان ، عن ابن رُومان ؛ وحدّثنى أفْلَح بن سعد ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش ، عن أبى بكر بن حزم ؛ وحدّثنى

---

(١) فى الأصل : « عمارة بن خزيمة » . وقد صححناه فى أماكن أخرى من هذا الكتاب .

(٢) ذات السلاسل : وراء وادى القرس ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٤) .

عبد الحميد بن جَعفر ؛ فكلٌّ قد حدّثنى منه طائفةً ، وبعضهم أوعى للحديث من بعض . فجمعتُ ما حدّثونى . وغير هؤلاءِ المُسَمَّين قد حدّثنى أيضًا .

قالوا : بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ جَمْعًا من بَلِىٍّ وقُضاعة قد تجمّعوا يُرِيدون أن يَدنوا إلى أطراف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن العاص فعقد له لِواءً أبيض . وجعل معه رايةً سوداء . وبعثه فى سَراة المهاجرين والأنصار — فى ثلاثمائة — عامر بن رَبيعة ، وصُهَيب بن سِنان . وأبو الأَعْور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وسعد بن أبى وَقّاص ؛ ومن الأنصار : أُسَيد بن حُضَير ، وعَبّاد بن بِشر ، وسَلَمَة بن سَلامة ، وسعد بن عُبادة . وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب ، وهى بلاد بَلِىٍّ وعُذْرَة وبَلْقَيْن . وذلك أنّ عمرو بن العاص كان ذا رحِمٍ بهم ؛ كانت أُمّ العاص بن وائل بَلَوِيّةً ، فأراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتألّفهم بعمرٍو . فسار ، وكان يَكمُن النهار ويسير الليل ، وكانت معه ثلاثون فَرَسًا ، فلمّا دنا من القوم بلغه أنّ لهم جَمْعًا كثيرًا ، فنزل قريبًا منهم عِشاءً وهم شاتُون ، فجمع أصحابه الحَطَب يُريدون أن يَصطَلوا — وهى أرضٌ باردةٌ — فمنعهم ؛ فشقّ ذلك عليهم حتى كلّمه فى ذلك بعضُ المهاجرين فغالظه ، فقال عمرو : أُمِرتَ أن تسمع لى وتُطيع ! قال : فافعل !

وبعث رافع بن مَكيث الجُهَنىّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُخبره أنّ لهم جمْعًا كثيرًا ويستمدّه بالرجال ، فبعث أبا عُبَيدة بن الجرّاح وعقد له لواءً ، وبعث معه سَراة المهاجرين — أبى بكر وعمر رضى الله عنهما — والأنصار ، وأمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يلحق عمرو بن العاص . فخرج أبو عُبَيدة فى مائتين ، وأمره أن يكونا جميعًا ولا يختلفا . فساروا حتى لحقوا

بعمرو بن العاص . فأَراد أَبو عُبيدة أَن يَؤُم الناسَ ويتقدّم عمرًا ، فقال له عمرو : إنما قدمتَ علىّ مدَدًا لى ، وليس لك أَن تؤمّنى، وأَنا الأَمير ؛ وإنما أَرسلك النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلىّ مَدَدًا . فقال المهاجرون : كَلَّا ، بل أَنت أَمير أصحابك ، وهو أَمير أَصحابه ! فقال عمرو : لا . بل أَنتم مَدَدٌ لنا ! فلما رأى أَبوعُبَيدة الاختلاف ــ وكان حسنَ الخُلُق . ليّن الشِّيمَة ــ قال : لِتطمئنّ يا عمرو ، وتعلمنّ أَنّ آخر ما عَهِد إلىّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَن قال : « إذا قدمتَ على صاحبك فتَطاوعا ولا تَختَلِفا » . وإنك واللهِ إن عَصَيْتَنى لأُطيعنّك ! فأَطاع أَبوعُبَيدة ، فكان عمرو يُصلِّى بالناس . فآب إلى عمرو جَمْعٌ ــ فصاروا خمسمائة ــ فسار الليل والنهار حتى وَطِىءَ بلاد بَلِىٍّ ودَوَّخها[1] . وكلّما انتهى إلى موضعٍ بلغه أَنه كان بهذا الموضع جَمْع فلمّا سمعوا به تفرّقوا . حتى انتهى إلى أَقصى بلاد بلِىٍّ وعُذرة وبَلْقَيْن ، ولقِى فى آخر ذلك جَمْعًا ليس بالكثير ، فقاتلوا ساعةً وترامَوْا بالنَّبْل . ورُمى يومئذ عامر بن رَبيعة[2] بسَهْمٍ فأُصيب ذراعه . وحمل المسلمون عليهم فهربوا . وأَعجزوا هربًا فى البلاد وتفرّقوا . ودوّخ عمرو ما هناك وأَقام أَيّامًا لا يسمع لهم بجَمْعٍ ولا بمكانٍ صاروا فيه . وكان يبعث أَصحاب الخيل فيأْتون بالشاءِ والنَّعَم ، وكانوا يَنْحَرون ويَذبَحون . لم يكن فى ذلك أَكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تُقسَم إلّا ما ذُكر له .

وكان رافع بن أَبى رافع الطائىّ يقول : كنت فيمن نفر مع أَبى عُبيدة ابن الجرّاح ، وكنت رجلًا أُغير فى الجاهلية على أَموال الناس ؛ فكنت

---

(١) دوخ البلاد : قهرها واستولى على أهلها . (الصحاح ، ص ٤٢١) .

(٢) فى الأصل : « عمار بن ربيعة » . وما أثبتناه من ابن الأثير . (أسد الغابة ، ج ٣ ، ص ٨٠) .

أَجمع الماءَ فى البَيض – بَيض النَّعام – فأَجعله فى أَماكن أَعرفُها ، فإِذا مررت بها وقد ظمئتُ استخرجتها فشربت منها . فلما نَفَرت فى ذلك البعث قلت : واللهِ لأَختارنّ لنفسى صاحبًا ينفعنى الله به. فاخترت أَبا بكر الصِّدّيق فصحبتُه ، وكانت له عَباءَةٌ فَدَكِيّة[١] ، فإِذا ركب خلّها[٢] عليه بخِلالٍ ، وإِذا نزلنا بَسَطَها . فلما قَفَلْنا قلتُ : يا أَبا بكر ، رحمك الله ! عَلِّمنى شيئًا ينفعنى اللهُ به . قال : قد كنت فاعلًا ولو لم تسأَلنى ؛ لا تُشرك بالله ، وأَقِمِ الصلاة ، وآتِ الزكاة ، وصُم رمضان ، وحُجَّ البيت واعتمِرْ ، ولا تَتَأَمَّرْ[٣] على اثنين من المسلمين. قال : قلت : أَما ما أَمرتَنى به من الصلاة والصوم والحج فأَنا فاعله ، وأَما الإِمارة فإِنى رأَيتُ الناس لا يُصيبون هذا الشَّرَف وهذا الغِنى وهذه المنزلة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعند الناس إِلّا بها . قال : إِنك استنصحتَنى فجهدتُ لك نفسى ؛ إِنَّ الناس دخلوا فى الإِسلام طوعًا وكَرهًا فأَجارهم[٤] الله من الظلم ، وهم عُوّاد الله وجيران الله ، وفى أَمانته ، فمن أَخفر فإِنما يُخفر الله فى جيرانه ؛ وإِنَّ شاة أَحدكم أَو بعيره ليذهب فيَظَلّ ناتئًا[٥] عَضَلُه غَضَبًا لجاره ، واللهُ من وراء جاره . قال : فلما تُوفِّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واستُخلف أَبو بكر رضى الله عنه جئتُه فقلت : يا أَبا بكر ، أَلم تَنهنى أَن أَتأَمَّرَ على اثنين ؟ قال : بلى ، وأَنا على ذلك ! قال : فما لك تأَمّرت على أُمّة محمد ؟ قال : اختلف الناسُ وخشيتُ

---

(١) لعلها منسوبة إلى فدك ، وهى قرية قريب من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٥) .

(٢) خلها عليه : أى جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣١٨) .

(٣) تأمر عليهم : تسلط . (الصحاح ، ص ٥٨٢) .

(٤) فى الأصل : « فأرجاهم » .

(٥) الناتئ : المرتفع المنتفخ . والعضل : جمع عضلة ، وهى القطعة من اللحم الشديدة . (شرح أبى ذر ، ص ٤٥٤) .

عليهم الهلاك ، ودعوا إلىّ فلم أجد لذلك بُدًّا .

قال : وكان عَوف بن مالك الأَشجعىّ رفيقًا لأَبى بكر وعمر رضى الله عنهما معهما فى رَحلهما ، فخرج عَوف يومًا فى العسكر فمرّ بقومٍ بأَيديهم جزورٌ قد عجزوا عن عملها ، فكان عَوف عالمًا بالجُزُر فقال : أَتُعطونى عليها وأَقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم نُعطيك عُشَيرًا منها . فنحرها ثم جزأَها بينهم ، وأَعطوه منها جزأً فأَخذه فأَتى به أَصحابه ، فطبخوه وأَكلوا منه . فلمّا فرغوا قال أَبو بكر وعمر رضى الله عنهما : من أَين لك هذا اللَّحم ؟ فأَخبرهما فقالا : والله ما أَحسنتَ حين أَطعمتَنا هذا . ثم قاما يتقيّآن ، فلما فعل ذلك أَبو بكر وعمر فعل ذلك الجيش ، وقال أَبو بكر وعمر رضى الله عنهما لعَوف : تعجّلت أَجرك ! ثم أَتى أَبا عُبَيدة فقال له مثل ذلك .

وكان عمرو بن العاص حين قفلنا احتلم فى ليلةٍ باردةٍ كأَشدّ ما يكون من البرد ، فقال لأَصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمتُ ، وإن اغتسلت مُتُّ ! فدعا بماءٍ فتوضّأَ وغسل فرجه وتيمّم ، ثم قام فصلّى بهم ؛ فكان أَوّل من بعث عَوف بن مالك بَريدًا . قال عَوف بن مالك : فقدمت على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى السَّحَر وهو يُصَلِّى فى بيته ، فسلّمت عليه ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : عَوف بن مالك ؟ قلت : عَوف بن مالك يا رسول الله! قال : صاحب الجَزور ؟ قلت : نعم . ولم يزد على هذا شيئًا ، ثم قال : أَخبرنى ! فأَخبرتُه بما كان فى مسيرنا وما كان بين أَبى عُبَيدة بن الجَرّاح وبين عمرو بن العاص ومُطاوعة أَبى عُبَيدة ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يرحم الله أَبا عُبَيدة بن الجَرّاح ! ثم أَخبرته أَنّ عمرًا صلّى بنا وهو

جُنُبٌ ومعه ماءٌ لم يزد على أن غسل فرجه بماءٍ وتيمّم . فسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلمّا قدم عمرو على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحقّ لو اغتسلتُ لمُتُّ . لم أجد قطّ بردًا مثله . وقد قال الله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .(١) فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يبلغنا أنه قال شيئًا

سريّة الخَبَط (٢) أميرها أبو عُبَيدة

قال الواقدىّ : حدّثنى داود بن قيس ، ومالك بن أنس ، وإبراهيم بن محمّد الأنصارىّ من ولد ثابت بن قيس بن شمّاس ، وخارجة بن الحارث ؛ وبعضهم قد زاد فى الحديث . قالوا : بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا عُبَيدة بن الجرّاح فى سريّة فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلثمائة رجل ، إلى ساحل البحر إلى حىٍّ من جُهَينة ؛ فأصابهم جوعٌ شديدٌ . فأمر أبو عُبَيدة بالزاد فجُمع حتى إذا كانوا لَيقْتسمون التَّمْرَة . فقيل لجابر : فما يُغنى ثُلُث تمرة ؟ قال : لقد وجدوا فَقْدَها . قال : ولم تكن معهم حَمولة (٣) . إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعر يحملون عليها زادهم . فأكلوا الخَبَط . وهو يومئذٍ ذو مَشْرَة (٤) . حتى إنّ شِدْق أحدِهم بمنزلة مِشفر البعير العَضّة . فمكثنا على ذلك حتى قال

(١) سورة ٤ النساء ٢٩

(٢) الخبط : ورق ينفض بالمخابط ويجفف و يطحن ويخلط بدقيق أو غيره و يوخف بالماء . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٥٦) .

(٣) الحمولة : ما يحتمل عليه الناس من الدواب . (النهايه ، ج ١ ، ص ٢٦١) .

(٤) المشرة : شبه خوصة تخرج فى العضاه وفى كثير من الشجر ، أو الأغصان الخضر الرطبة قبل أن تتلون بلون . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٣٣) .

قائلهم : لولقينا عدوًّا ما كان بنا حَرَكَةٌ إليه . لِمابالناس من الجهد . فقال قيس بن سعد : مَن يشترىمنى تمرًا بجُزُر . يُوفينى الجُزُر ها هنا وأُوفيه التمر بالمدينة ؟ فجعل عمر يقول : واعَجَبَاه لهذا الغلام ، لا مال له يَدّانُ فى مال غيره !.فوجد رجلًا من جُهَينة . فقال قيس بن سعد : بعنى جُزرًا وأُوفيك سِقَةً[1] من تمربالمدينة . قال الجُهَنىّ واللهِ ما أَعرفُك . ومن أَنت ؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عُبادة بن دُلَيم[2] . قال الجُهَنىّ : ما أَعرفَنى بنسبك ! أَما إنّ بينى وبين سعد خُلّة ، سيّد أَهل يثْرِب . فابتاع منهم خمس جُزُر كلّ جزور بوَسْقَين من تمرٍ . يَشرُط عليه البدوىّ ، تمرِ ذَخيرةٍ مُصلَّبةٍ[3] من تمر آل دُلَيم . قال : يقول قيس : نعم . فقال الجُهَنىّ : فَأَشهِدْ لى . فأَشْهدَ له نَفَرًا من الأَنصار ومعهم نَفَرٌ من المهاجرين . قال قيس: أَشهِدْ من تُحبّ . فكان فيمن أَشهد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فقال عمر : لا أَشهد ! هذا يَدّانُ ولا مال له ، إنما المال لأَبيه . قال الجُهَنىّ : واللهِ ، ما كان سعدٌ لَيُخْنِى[4] بابنه فى سِقَةٍ من تمر ! وأَرى وجهًا حسنًا وفعالًا شريفًا . فكان بين عمر وبين قيس كلام حتى أَغلظ له قيس الكلامَ ؛ وأَخذ قيس الجُزُر فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة ، كلّ يوم جَزورًا ، فلمّا كان اليوم الرابع نهاه أَميره وقال : تُريد أَن تُخفر[5] ذمّتك ولا مال لك ؟

حدّثنى محمّد بن يحيى بن سَهل ، عن أَبيه ، عن رافع بن خَديج ، قال : أَقبل أَبو عُبَيدة بن الجَرّاح ومعه عمر بن الخطّاب رضى الله عنهم فقال :

(١) السقه : جمع وسق وهو الحمل ، وقدره الشرع بستين صاعاً . ويروى أيضاً بالشين المعجمه . (النهاية ، ج ٢ ، ص ١٦٩) .

(٢) فى الأصل : « دوليم » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣٣٠) .

(٣) صلب : أى يبس . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٩٣) .

(٤) أى يسلمه ويخفر ذمته ، هو من أخنى عليه . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤) .

(٥) فى الأصل : « أن تخرب » ؛ وما أثبتناه عن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ٣١٥) .

عزمت عليك ألّا تنحر ؛ أتُريد أن تُخفر ذمتك ولا مال لك ؟ فقال قيس : يا أبا عُبَيدة ، أترى أبا ثابت وهو يقضى دَين الناس ، ويحمل الكَلّ [١] ، ويُطعم فى المجاعة ، لا يقضى سِقَة تمرٍ لقومٍ مُجاهدين فى سبيل الله ! فكاد أبو عُبَيدة أن يَلين له ويتركه حتى جعل عمر يقول : اعزم عليه ! فعزم عليه فأبى عليه أن ينحر . فبقيت جَزوران معه حتى وجد القوم الحُوت ، فقدم بهما قيس المدينة ظَهرًا يتعاقبون عليها . وبلغ سعد ما كان أصاب القومَ من المجاعة فقال : إن يكن قيسٌ كما أعرفه فسوف ينحر للقوم . فلمّا قدم قيس لقيه سعد فقال : ما صنعتَ فى مجاعة القوم حيث أصابهم ؟ قال : نحرتُ . قال : أصبتَ ، انحرْ ! قال : ثم ماذا ؟ قال : نحرت . قال : أصبت ! قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نحرت . قال : أصبت ، انحرْ ! قال : ثم ماذا ؟ قال : نُهيتُ . قال : ومَن نهاك ؟ قال : أبو عُبَيدة بن الجَراح أميرى . قال : ولِمَ ؟ قال : زعم أنه لا مال لى وإنما المال لأبيك . فقلت : أبى يقضى عن الأباعد ، ويحمل الكَلّ [١] ، ويُطعم فى المجاعة ، ولا يصنع هذا بى ! قال : فلك أربع حوائط [٢] . قال : وكتب له بذلك كتابًا . قال : وأتى بالكتاب إلى أبى عُبَيدة فشهِد فيه . وأتى عمر فأبى أن يشهد فيه — وأدنى حائطٍ منها يُجَذّ خمسين وَسْقًا . وقدم البدوىّ مع قيس فأوفاه سِقَته وحمله وكساه ، فبلغ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فعلُ قيس فقال : إنه فى بيت جود .

حدّثنى مالك بن أَنَس ، عن وهب بن كَيسان ، عن جابر بن عبد الله ،

---

(١) فى الأصل : « ويحمل فى الكل » .

(٢) الحوائط : البساتين . (السيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٣١٦) .

فألقى لنا البحر حوتًا مثل الظَّرِب[١] ، فأكل الجيش منه اثنتى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عُبَيدة بضِلَعٍ من أضلاعه فنُصب ، ثم أمر براحلةٍ فرُحلت ، ثم مرّ تحتها فلم يُصبها .

حدّثنى ابن أبى ذِئبٍ ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : إن كان الرجل ليجلس فى وقْب[٢] عينه ، وإن كان الراكب ليمرّ بين ضِلَعَين من أضلاعه على راحلته .

حدّثنى عبد الله بن الحِجازىّ ، عن عمر بن عُثمان بن شُجاع ، قال : لما قدم الأعرابىّ على سعد بن عُبادة قال : يا أبا ثابت ! واللهِ ، ما مثل ابنك صنعتُ ولا تركتُ بغير مال ؛ فابنك سيّد من سادة قومه ، نهانى الأمير أن أبيعه . قلت : لِمَ ؟ قال : لا مال له ! فلما انتسب إليك عرفته فتقدّمت لِما عرفتُ أنك تسمو على معالى الأخلاق وجسيمها ، وأنك غير مُذمٍّ بمن لا معرفة له لديك . قال : فأعطى ابنه يومئذٍ أموالًا عِظامًا .

سريّة خَضِرَة ، أميرها أبو قَتادة فى شعبان سنة ثمان

حدّثنا الواقدىّ قال : حدّثنى محمّد بن سَهل بن أبى حَثْمَة ، عن أبيه ، قال : قال عبد الله بن أبى حَدْرَد[٣] الأَسْلمىّ : تزوّجتُ ابنة سُراقة بن حارثة النَّجّارىّ وكان قُتل ببدر ، فلم أُصب شيئًا من الدنيا كان أحبّ إلىّ من مكانها . فأصدقتُها مائتى درهم ، فلم أجد شيئًا أسوقُه إليها فقلت :

---

(١) الظرب : الجبل الصغير . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٥٤) .

(٢) كلمة غامضة فى الأصل؛ وما أثبتناه عن السيرة الحلبية . (ج ٢ ، ص ٣١٥) . ووقب العين : نقرتها . (الصحاح ، ص ٢٣٤) .

(٣) فى الأصل : « عبد الله بن أبى جدرد » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٣٢ ، ص ١٠٨) .

على الله وعلى رسوله المُعَوَّل . فجئتُ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبرتُه ، فقال : كم سُقتَ إليها ! قلت : مائتى درهم . فقال : لو كنتم تغترفونه من ناحية بطحان⁽¹⁾ ما زدتم . فقلت : يا رسول الله ، أَعِنّى فى صَداقها . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما وافقتُ عندنا شيئًا أُعينك به ، ولكنى قد أجمعتُ أن أبعث أبا قَتادة فى أربعة عشر رجلًا [فى سرية] ، فهل لك أن تخرج فيها؟ فإنى أرجو أن يُغنّمك الله مَهْر امرأتك . فقلت : نعم . فخرجنا فكنا ستّة عشر رجلًا بأبى قَتادة وهو أميرنا ، وبَعثَنا إلى غَطَفان نحو نَجْد فقال : سيروا الليلَ واكمُنوا النهارَ ، وشُنّوا الغارةَ ، ولا تقتلوا النساءَ والصبيان . فخرجنا حتى جئنا ناحية غَطَفان ، فهجمنا على حاضرٍ منهم عظيمٍ . قال : وخَطَبَنا أبو قَتادة وأوصانا بتقوى الله عزّ وجلّ ، وألّف بين كلّ رجلين وقال : لا يُفارق كلٌّ رجلٍ زميله حتى يُقتَل أو يرجع إلى فيُخبرنى خبره ، ولا يأتنى رجلٌ فأسأل عن صاحبه فيقول ، لا علم لى به ! وإذا كبّرتُ فكبّروا ، وإذا حملت فاحملوا ، ولا تُمعنوا فى الطلب . فأحَطْنا بالحاضر فسمعتُ رجلًا يصرخ : يا خَضِرَة ! فتفاءلتُ وقلت : لأُصيبنّ خيرًا ولأجمعن إلىّ امرأتى ! وقد أتيناهم ليلًا . قال : فجرّد أبو قَتادة سيفه وجرّدنا سيوفنا ، وكبّر وكبّرنا معه ، فشددنا على الحاضر فقاتل رجالٌ ، وإذا برجلٍ طويلٍ قد جرد سيفه صَلْتًا ، وهو يمشى القَهْقَرَى ويقول : يا مسلم ، هلمّ إلى الجنّة ! فاتّبعته ثم قال : إنّ صاحبكم لذو مكيدة ، وإن أمره هو الأمر . وهو يقول : الجنّة ! الجنّة ! يتهكّم بنا . فعرفتُ أنه مُستقبل فخرجت فى أثره ، فيُنادينى صاحبى : لا تُبعِد ، فقد نهانا أميرنا أن نُمعِن فى الطلب ! فأدركتُه فرميتُه على

(١) بطحان : اسم وادى المدينة . (النهاية ، ج ١ ، ص ٨٣) .

جُرَيداء مَتْنه(١) ، ثم قال : ادنُ يا مسلم إلى الجنة ! فرميته حتى قتلته بنَبْلى ، ثم وقع ميّتًا فأخذت سيفه . وجعل زميلى يُنادى : أين تذهب؟ إنّى واللهِ إنذهبتُ إلى أبى قَتادة فسألنى عنك أخبرتُه . قال : فلقيته قبل أبى قتادة فقلت : أسألَ أميرى عنى ؟ فقال : نعم ، وقد تغيّظ على وعليك . وأخبرنى أنهم جمعوا الغنائم ـ وقتلوا مَن أشرف لهم ـ فجئتُ أبا قَتادة فلامنى فقلت : قتلتُ رجلًا كان من أمره كذا وكذا ، فأخبرته بقوله كلّه . ثم استقنا النَّعَم ، وحملنا النساء ، وجُفون السيوف معلّقة بالأَقْتاب(٢). فأصبحت ـ وبعيرى مقطور(٣) ـ بامرأة كأنها ظَبْىٌ ، فجَعلتْ تُكثر الالتفات خلفها وتبكى ، قلت : إلى أىّ شىءٍ تنظرين؟ قالت : أنظر واللهِ إلى رجلٍ لئن كان حيًّا ليستنقذنا منكم . فوقع فى نفسى أنّه الذى قتلتُه فقلت : قد واللهِ قتلته ، وهذا سيفه مُعَلّق بالقَتَب إلى غِمْده . فقالت : هذا واللهِ غِمْد سيفه ، فشِمْهُ(٤) إن كنت صادقًا . قال : فشِمتُه فطَبَق(٥). قال : فبكت ويئست . قال ابن أبى حَدْرَد : فقدمنا على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بالنَّعَم والشاء .

فحدّثنى أبو مَودود ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى حَدْرَد(٦) ، عن أبيه ، قال : لمّا رجعت من غزوة خَضِرَة وقد أصبنا فَيئاً ، سَهْم كلّ رجل

---

(١) أى وسطه ، وهو موضع القفا المنجرد عن اللحم ؛ تصغير الجرداء . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٤)

(٢) الأقتاب : جمع قتب ، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ١١٤) .

(٣) قطرت البعير : طليته بالقطران . (الصحاح ، ص ٧٩٥) .

(٤) شمت السيف : أغمدته . وشمته : سللته ، وهو من الاضداد . (الصحاح ، ص ١٩٦٣) .

(٥) الطبق : يدل على وضع شىء مبسوط على مثله حتى يغطيه . (مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٤٣٩) .

(٦) فى الأصل : « عبد الله بن أبى جدرد » .

اثنا عشر بعيرًا ، دخلتُ بزوجتى فرزقنى اللهُ خيرًا .

وحدّثنى عبد الله بن جَعفر ، عن جَعفر بن عمرو ، قال : غابوا خمسَ عشرة ليلة ، وجاءوا بمائتى بعير وألف شاة ، وسَبَوْا سبيًا كثيرًا . وكان الخُمُس معزولًا ، وكان سُهمانهم اثنى عشر بعيرًا ، يعدل البعير بعشر من الغَنَم .

حدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أَبى حَدْرَد ، عن أَبيه ، قال : أَصبنا فى وجهنا أَربع نسوة ، فيهن فتاة كأَنها ظَبْىٌ ، من الحداثة والحلاوة شىءٌ عجب ، وأَطفال من غلمان وجَوار ، فاقتسموا السَّبْى وصارت تلك الجارية الوضيئة لأَبى قَتادة . فجاء مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبيدىّ فقال : يا رسول الله ، إنّ أَبا قَتادة قد أَصاب فى وجهه هذا جاريةً وضيئةً ، وقد كنتَ وعدتَنى جاريةً من أَوّل فَىءٍ يُفِىءُ اللهُ عليك . قال : فأَرسل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أَبى قَتادة فقال : ما جاريةٌ صارت فى سهمك ؟ قال : جاريةٌ من السَّبْى هى أَوضأُ ذلك السَّبْى ، أَخذتُها لنفسى بعد أَن أَخرجنا الخُمُس من المَغنم . قال : هَبْها لى . فقال : نعم ، يا رسول الله . فأَخذها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فدفعها إلى مَحْمِيَة بن جَزء الزُّبَيْدى .

شأْن غزوة الفتح

حدّثنى محمّد بن عبد الله ، وموسى بن محمّد ، وعبد الله بن جَعفر ، وعبد الله بن يَزيد ، وابن أَبى حَبيبة ، وابن أَبى سَبْرَة ، وعبد الحَميد بن جَعفر ، وعبد الرحمن بن عبد العَزيز ، ويونس بن محمّد ، ومحمّد بن يحيى بن سَهل ،

وابن أَبِى حَثْمَة ، ومحمّد بن صالح بن دِينار ، ونُجَيح ، وأُسامة بن زيد ، وحِزام بن هِشام، ومُعاذ بن محمّد بن يحيى بن عبد الله بن أَبِى قَتادة ، ومَعْمر بن راشد ؛ فكلٌّ قد حدّثنى من حديث الفتح بطائفة ، وبعضُهم أَوعى له من بعضٍ ، وغير هؤُلاءِ قد حدّثنى أَيضًا ، فكتبتُ كلَّ ما سمعت منهم ، قالوا : كانت خُزاعة فى الجاهليّة قد أَصابوا رجلًا من بنى بكر أَخذوا ماله ؛ فمر رجلٌ من خُزاعة على بنِى الدِّيل بعد ذلك فقتلوه ، فوقعت الحرب بينهم ، فمر بنو الأَسود بن رزْن — ذُؤَيب ، وسلمى ، وكُلْثوم — على خُزاعة فقتلوهم بعَرَفَة عند أَنصاب الحَرَم . وكان قوم الأَسود يُوَدَّون فى الجاهليّة دِيَتَين بفضلهم فى بنِى بكر ، فتجاوزوا وكفّ بعضهم عن بعض من أَجل الإِسلام ، وهم على ما هم عليه من العداوة فى أَنفسهم، إلّا أَنه قد دخل الإِسلام عليهم جميعًا فأَمسكوا ، فلمّا كان صُلْح الحُدَيبية دخلت خُزاعة فى عَقد رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وعَهْده ، وكانت خُزاعة حلفاء لعبد المطّلب ، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عارفًا ، ولقد جاءَته يومئذ خُزاعة بكتاب عبد المطّلب فقرأَه . قال ابن واقد : وهو « باسمك اللّهمّ ، هذا حِلف عبد المطّلب بن هاشم لخُزاعة ، إذ قدم عليه سَراتهم وأَهل الرأْى، غائبهم مُقرٌّ بما قضى عليه شاهدُهم . إنّ بيننا وبينكم عُهودَ الله وعُقودَه ، مالا يُنسَى[1] أَبدًا ، ولا يأْتى بلَدٌّ[2] ، اليد واحدةٌ والنصر واحدٌ ، ما أَشرف ثبير ، وثبت حِراء ، وما بلَّ بحرٌ صوفة[3] ، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلّا

(١) فى الأصل : « لا تنسبى » . وما أثبتناه عن الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٥) .

(٢) اللد : الخصومة الشديدة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٥٨) .

(٣) فى الأصل : « ما أسروه سر وثبت حرا وما تل بحر صونه » . والتصحيح من الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٥) . وثبير وحراء جبلان بمكة . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧ ؛ ٢٣٩) .

تجددًا أبدًا أبدًا ، الدَّهْرَ سَرْمَدًا » . فقرأه عليه أُبيّ بن كعب فقال : ما أعرفَنِى بحِلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحِلف ! فكلّ حِلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلّا شدّة ، ولا حِلف فى الإسلام . وجاءته أسْلم وهو بغَدير الأَشطاط[(١)] . جاء بهم بُرَيدة بن الحُصَيب فقال : يا رسول الله ، هذه أسْلَم وهذه مَحالّها ، وقد هاجر إليك مَن هاجر منها وبقى قومٌ منهم فى مواشيهم ومعاشهم . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أنتم مُهاجرون حيث كنتم . ودعا العَلاء بن الحَضرمىّ فأمره أن يكتب لهم كتاباً ، فكتب : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لأَسْلَم . لِمَن آمن منهم بالله ، وشَهِد أنه لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله ؛ فإنه آمِنٌ بأمان الله ، وله ذمّة الله وذمّة رسوله . وإنّ أمرنا وأمركم واحدٌ على من دَهَمنا مِن الناس بظُلمٍ ، اليد واحدة والنصر واحدٌ ، ولأَهل باديتهم مثل ما لأَهل قَرارهم ، وهم مُهاجرون حيث كانوا » . وكتب العَلاء بن الحَضرمىّ . فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : يا رسول الله ، نِعمَ الرجلُ بُرَيدةُ بن الحُصَيب لقومه ، عظيم البركة عليهم ؛ مررنا به ليلة ، مررنا ونحن مهاجرون إلى المدينة ، فأسلم معه مِن قومه مَن أسلم . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نِعمَ الرجل بُرَيدة لقومه وغير قومه يا أبا بكر ، إنّ خير القومِ من كان مُدافعًا عن قومه ما لم يأْثم ، فإنّ الإثمَ لا خير [فيه] .

حدّثنى عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن مِحْجَن بن وَهب[(٢)] ، قال : كان آخر ما كان بين خُزاعة وبين كِنانة أنّ أَنَس بن زُنَيم الدِّيلىّ هجا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فسمعه غُلامٌ من خُزاعة فوقع به فشَجّه ، فخرج

---

(١) غدير الأشطاط : على ثلاثة أميال من عسفان مما يلى مكة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٥٢) .

(٢) فى الأصل : « محجر بن وهب » .

إلى قومه فأَراهم شُجَّته فثار الشَّرُّ مع ما كان بينهم ، وما تطلب بنو بكر من خُزاعة من دمائها . فلمّا دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهرًا من صُلح الحُدَيبية تكلّمت بنو نُفاثة من بنى بكر أشراف قُرَيش ـ واعتزلت بنو مدْلِجٍ فلم ينقضوا العهْد ـ أن يُعينوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خُزاعة ؛ وذكَّروهم القتلى الذين أَصابت خُزاعة لهم ، وضربوهم بأَرحامهم ، وأَخبروهم بدخولهم معهم فى عقْدهم وعَهْدهم ، وذهاب خُزاعة إلى محمدٍ فى عَقْده وعَهْده ، فوجدوا القومَ إلى ذلك سراعًا إلّا أَبا سُفيان ، لم يُشاوَر فى ذلك ولم يَعلَم ؛ ويُقال : إنهم ذاكروه فأَبى عليهم . وجعلت بنو نُفاثة وبكر يقولون : إنما نحن ! فأَعانوهم بالسلاح والكُراع والرجال ودسوا ذلك سرًّا لئلا تَحذَر خُزاعة ، [فهم] آمنون غارّون بحال المُوادعة وما حجز الإسلام بينهم . ثم اتّعدت قُرَيش الوَتير موضعًا بمَن معها ، فوافوا للميعاد ، فيهم رجالٌ من قُرَيش من كبارهم مُتنكّرون مُنتقبون؛ صَفوان بن أُمَيّة ، ومِكْرَز بن حَفْص بن الأَخيف ، وحُوَيطب بن عبد العُزّى ، وأَجلبوا معهم أَرِقّاءهم ، ورأس بنى بكر نَوفل بن مُعاوية الدُّؤَلىّ ، فبيّتوا خُزاعة ليلًا وهم غارّون آمنون من عدوّهم ، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حَذَرٍ وعُدَّة ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهَوا بهم إلى أنصاب الحَرَم ، فقالوا : يا نَوفل ، إلهَك ، إلهَك ! قد دخلتَ الحرم ! قال : لا إله لى اليوم ، يا بنى بكر ! قد كنتم تسرِقون الحاجّ ، أفلا تُدركون ثأْركم من عدوّكم ؟ لا يُريد أَحدكم يأْتى امرأته حتى يستأْذنى ، لا يُؤَخّر أَحدٌ منكم اليوم بعد يومه هذا من ثأْره .

فلما انتهت خُزاعة إلى الحرم ، دخلت دار بُدَيل بن وَرقاء ودار رافع الخُزاعيّين وانتهوا بهم فى عَماية الصبح ، ودخلت رؤساء قُرَيش فى منازلهم وهم

يظنّون ألّا يُعرَفوا ، وألّا يبلغ هذا محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنى عبد الله بن عامر الأسلمىّ ، عن عَطاء بن أبى مَروان ، قال : قتلوا منهم عشرين رجلًا ، وحضروا خُزاعة فى دار رافع وبُدَيل ، وأصبحت خُزاعة مُقَتَّلين على باب بُدَيل — ورافع مولى لخُزاعة . وتنحَّت[1] قُرَيش ونَدِموا على ما صنعوا ، وعرفوا أنّ هذا الذى صنعوا نَقْض للمُدَّة والعَهْد الذى بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنى عبد الله بن عمرو بن زُهَير ، عن عبد الله بن عِكْرِمة بن عبد الحارث بن هِشام ، قال : وجاء الحارث بن هِشام وابن أبى رَبيعة إلى صَفوان بن أُمَيّة ، وإلى سُهَيل بن عمرو ، وعِكْرِمَةِ بن أبى جَهل ، فلاموهم فيما صنعوا من عونهم بنى بكر ، وأنّ بينكم وبين محمّد مُدَّة ، وهذا نَقْضٌ لها . وانصرف ذلك القوم ودسّوا إلى نَوفل بن مُعاوية ، وكان الذى ولى كلامَه سُهَيل بن عمرو ، فقال : قد رأيت الذى صنعنا بك وأصحابك وما قتلتَ من القوم ، وأنت قد حضرتهم تُريد قَتْلَ مَن بقى منهم ، وهذا ما لا نُطاوعك عليه فَاترُكْهم لنا . قال : نعم . فترُكهم فخرجوا . فقال ابن قَيس الرُّقَيّات يذكر سُهَيل بن عمرو :

خالط[2] أخوالَه خزاعة لمّا ... كثرتهم[3] بمكّة الأحياءُ

وقال فى ذلك ابن لُعْط الدِّيلىُّ[3] :

ألا هَلْ أتى قُصْوَى[4] العَشيرةِ أنّنا ... رَددْنَا بَنى كَعب بأَفْوقَ[5] ناصلِ

(١) فى الأصل : « وتجبت » ، ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .
(٢) فى ديوان ابن قيس الرقيات : « حاط » . (ص ٩٢) .
(٣) فى الأصل : « كثر بهم » . والمثبت من ديوان ابن قيس الرقيات . (ص ٩٣) .
(٤) قصوى : أى أبعد . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٥) .
(٥) تقول العرب : رددته بأفوق ناصل إذا رددته خائبا . والأفوق : السهم الذى انكسر فوقه وهو طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله أى حديده الذى يكون فيه . (شرح أبى ذر ، ص٣٦٥) .

حَبسناهُمُ فى دارِ العبدِ رافعٍ وعِندَ بُدَيلٍ مَحْبِساً غيرَ طائلِ
حبسناهُمُ حتى إذا طالَ يومُهمْ نَفَخنا لهم مِن كلّ شِعْبٍ بِوابلِ[١]
ذبحناهُمُ ذبح التُّيوسِ كأنَّنا أُسودٌ تَبارَى فيهمُ بالقَواصِلِ[٢]

قال : ومشى الحارث بن هِشام وعبد الله بن أَبي ربيعة إلى ابى سُفيان فقالا : هذا أَمرٌ لا بد له من أن يُصلَح ، واللهِ لئن لم يُصلَح هذا الأَمر لا يروعكم إلّا محمّد فى أَصحابه ! قال أَبو سُفيان : قد رأَت هِند بنت عُتبة رؤْيا كرهتُها وأَفظعتُها وخفتُ من شرّها . فقال القوم: ما هى ؟ قال : رأَت دمًا أَقبل من الحَجون يسيل حتى وقف بالخَنْدَمَة[٣] مَلِيًّا ، ثم كان ذلك الدم لم يكن . فكره القوم هذا ، وقالوا : هذا شَرٌّ .

فحدّثنى مجَمِّع بن يَعقوب ، عن أَبيه ، قال : لما رأَى أَبو سُفيان ما رأَى من الشرّ قال : هذا واللهِ أَمرٌ لم أَشهده ولم أَغِب عنه ، لا حُمل هذا إلّا عَلَيّ ؛ ولا واللهِ ما شُوورت ولا هويت حيث بلغنى ! واللهِ ليغزونا محمّدٌ إن صدقنى ظنّى وهو صادق ، ومالى بدٌّ أَن آتى محمدًا فأُكلّمه أَن يَزيد فى الهُدْنَة ويُجدّد العَهْد قبل أَن يبلغه هذا الأَمر . فقالت قُرَيش : قد واللهِ أَصبتَ الرأى ! ونَدمت قُرَيش على ما صنعت من عَون بنى بكرٍ على خُزاعة ، وعرفوا أَنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لن[٤] يَدَعهم حتى يغزوهم . فخرج أَبو سُفيان ، وخرج معه مولًى له على راحلتين ، فأَسرع السير وهو يرى أَنه أَوّل

(١) الوابل : المطر الشديد ، وأراد به هنا دفعة الخيل . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٥) .
(٢) يجوز أن يريد هنا السيوف . وسيف قاصل وقصال ، أى قاطع . (أساس البلاغة ، ص ٧٧٢) .
(٣) الخندمة : جبل بمكة . (معجم ما استعجم ، ص ٣١٩) .
(٤) فى الأصل : « لم يدعهم » .

من خرج من مكّة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال أبو عبد الله : وقد سمعنا وجهًا من أمر خُزاعة لم أرَ عليه الناس قبلنا ولا يعرفونه ، وقد رواه ثِقَةٌ ، ومُخرجه الذى رُد إليه ثِقَةٌ مُقنِعٌ ، فلم أرَ أحدًا يعرف له وجهًا ! إلّا أنّ الناس قبلنا ينفونه ويقولون : لم يكن؛ وذكرته لابن جعفر ومحمّد بن صالح ولأبى معْشَر وغيرهم ممن له علم بالسريّة فكلُّهم يُنكره ولا يأْتى له بوجهٍ .

وكان أوّل الحديث ،أنه حدّثنى الثقَة عندى،أنه سمع عمرو بن دينار ، يُخبر عن ابن عمر ، أنه لما قدم رَكْب خُزاعة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره بمن قُتل منهم ،قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فمَن تُهْمَتكم وظِنّتكم ؟ قالوا : بنو بكر . قال : كلّها ؟ قالوا : لا ، ولكن تُهْمَتنا بنو نُفاثة قَصْرةً ، ورأس القوم نَوفل بن مُعاوية النُّفاثىّ . قال : هذا بطنٌ من بنى بكر وأنا باعثٌ إلى أهل مكّة فسائلهم عن هذا الأمر ومُخيّرهم فى خِصالٍ . فبعث إليهم ضَمْرة يُخيّرهم بين إحدى ثلاث خِلال ، بين أن يَدُوا خُزاعة أو يبرأوا [من] حِلف نُفاثة ، أو يَنبِذ إليهم على سَواء . فأتاهم ضَمْرَةُ رسولُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ،وخبّرهم بالذى أرسله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،يخيّرهم بين [أن] يدوا قتلى خُزاعة ، أو يبرأوا [من] حِلف نُفاثة ، أو ينبِذوا إليهم على سَواء . فقال قُرَطَة بن عبد عمرو الأعجمىّ : أمّا أن نَدِىَ قتلى خُزاعة ؛ فإنّ نُفاثة قوم فيهم عُرامٌ[1] فلا نَديهم حتى لا يبقى لنا سَبَدٌ ولا لَبَدٌ[2] ، وأمّا أن نبرأ من حِلف نُفاثة فإنه ليس قبيلة فى العرب تحجّ

---

(١) العرام : الشدة والقوة والشراسة . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٨٩) .

(٢) فى الأصل : « لا يبقى لنا سيد ولا لبد » . والسبد : الشعر ؛ واللبد : الصوف . أى لايبقى لنا شئ . (الصحاح ص ٥٣٠) .

هذا البيت أشد تعظيمًا لهذا البيت من نُفاثة ، وهم حلفاؤنا فلا نبرأ من حِلفهم ، ما بقى لنا سَبَدٌ ولا لَبدٌ[١] ، ولكنّا نَنبذ إليه على سَواء . فرجع ضَمْرَة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك من قولهم ، فبعثت قُرَيش أبا سُفيان بن حَرب تسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُجدّد العَهْد ، وندمت قُرَيش على ردّ الرسول بما ردّوه .

قال أبو عبد الله : فكلّ أصحابنا أنكروا هذا الحديث . وقال : فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأنقاب[٢] وعمّى عليهم الأخبار حتى دخلها فُجاءةً — حتى ذكرتُ هذا الحديث لحِزام بن هِشام الكَعبى فقال : لم يُضيّع الذى حدّثك شيئًا ، ولكن الأمر على ما أقول لك — ندمت قُرَيش على عون نُفاثة وقالوا : محمدٌ غازينا !

قال عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح — وهو عندهم يومئذٍ كافرٌ مُرتدٌّ — إنّ عندى رأيًا ، أنّ محمّدًا ليس يغزوكم حتى يُعذر إليكم ويُخيّركم فى خِصالٍ كلّها أهون عليكم من غزوه. قالوا : ما هى ؟ قال : يُرسل أن أدّوا قتلى خُزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً ، أو تَبرأوا من حِلف مَن نقض العَهْد بيننا — بنو نُفاثة — أو ننبذ إليكم الحرب[٣]؛ فما عندكم فى هذه الخصال ؟ قال القوم : أحر ما قال ابن أبى السَّرْح ! وقد كان به عالمًا . فقال سُهَيل بن عمرو : ما خَصْلَةٌ أيسر علينا من التبرّؤ من حِلف بنى نُفاثة . قال شيبة ابن عُثمان العَبْدَرىّ : حفظتَ أخوالك وغضبتَ لهم ! قال سُهَيل : وأبو قُرَيش لم تَلده خُزاعة . قال شَيبة : لا ، ولكنّا نَدِى قتلى خُزاعة ، فهو أهون

(١) فى الأصل : « سبدا ولا لبدا » .

(٢) الأنقاب : طرق المدينة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢١٨) .

(٣) فى الزرقانى عن الواقدى : « أو ننبذ إليكم على سواء » . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .

علينا . فقال قُرَطَة بن عبد عمرو : لا واللهِ ، لا يُودَون[1] ولا نبرأ من حِلف نُفاثة ، ابن الغَوْث[2] بنا وأعمدة لشدّتنا ، ولكن نَنبِذ إليه على سواء ! فقال أبو سُفيان : ما هذا بشيءٍ ! وما الرأى لنا إلّا جحْد هذا الأمر ، أن تكون قُرَيش دخلت فى نَقْض عَهْدٍ وقَطْعِ مُدَّة ، فإن قطعه قومٌ بغير هَوًى منّا ولا مَشورة فما علينا . قالوا : هذا الرأى ، لا رأى غيره ؛ الجَحْد لكلّ ما كان من ذلك ! [قال] : وإنى لم أشهده ولم أُوامِر فيه ، وأنا فى ذلك صادقٌ ؛ لقد كرهتُ ما صنعتم وعرفت أن سيكون له يومُ عَماس[3]. قالت قُرَيش لأبى سُفيان : وَاخرجْ أنت بذلك ! حتى خرج إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

قال أبو عبد الله : فذكرت حديث حِزام لابن جعفر وغيره من أصحابنا فلم يُنكروه ، وقالوا : هذا وجهُه ! وكتبه منى عبد الله بن جَعفر .

حدّثنى عبد الله بن عامر الأسْلَمىّ ، عن عَطاء بن أبى مَروان ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعائشة : قد حِرت فى أمر خُزاعة . قال ابن واقد : فقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله أتُرى قُرَيشًا تجترىء[4] على نقض العَهْد بينكم وبينهم وقد أفناهم السيف ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ينقضون العَهد لأمرٍ يُريده الله تعالى بهم . قالت عائشة : خيرٌ أو شرٌّ يا رسول الله ؟ قال : خيرٌ !

فحدثنى حِزام بن هِشام بن خالد الكَعبىّ ، عن أبيه ، قال : وخرج عمرو

(١) فى الزرقانى عن الواقدى : « لا ندى » . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٤٦) .
(٢) هكذا فى الأصل .
(٣) يوم عماس : أى مظلم . (الصحاح ، ص ٩٤٩) .
(٤) فى الأصل : « أن تجترى » .

ابن سالم الخُزاعيّ فى أربعين راكبًا من خُزاعة يستنصرون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويُخبرونه بالذى أصابهم وما ظاهرت عليه قُريش ـ فأعانوهم[١] بالرجال والسلاح والكُراع ، وحضر ذلك صَفوان بن أُميّة فى رجالٍ من قومهم مُتنكِّرين ، فقتلوا بأيديهم ـ ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالسٌ فى المسجد فى أصحابه ؛ ورأس خُزاعة عمرو بن سالم ، وقام يُنشد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واستمع منه فقال :

اللّهم إنّى ناشدٌ محمّدَا ... حلفَ أبينا[٢] وأبيك الأتْلَدَا[٣]
قد كُنتمُ وُلْدًا وكنّا والِدَا ... ثُمّتَ أسلمنا ولم نَنْزِع يَدَا
إنّ قُريشًا أخْلَفوكَ المَوْعِدَا ... ونقضوا ميثاقَكَ المُوكَّدَا
فانْصُرْ هداك اللهُ نَصْرًا أعتدا[٤] ... وادعُ عِبادَ اللهِ يأتوا مَدَدا
فيهم رسولُ اللهِ قد تَجَرَّدَا ... فى فَيْلَقٍ[٥] كالبَحْرِ يجرى مُزْبِدا
قَرْمٌ[٦] لَقَرْمٌ مِن قُرومٍ أصْيَدَا ... هم بَيَّتونا بالوَتيرِ هُجَّدَا[٧]
نَتلو القرآنَ رُكَّعًا وسُجَّدا ... وزَعموا أنْ لستُ أدعو أحدَا
وهم أذَلُّ وأقَلُّ عَدَدَا

فلما فرغ الرَّكْب قالوا : يا رسول الله ، إنّ أنَس بن زُنَيم الدِّيليّ قد هجاك . فهَدَر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دمه ، فبلغ أنَس بن زُنَيم ، فقدم

(١) أى أعانت قريش بنى نفاثة على خزاعة . انظر ابن سعد. (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٧) .
(٢) فى الأصل : « حلفا نبيا » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٦) .
(٣) الأتلد : القديم . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٧) .
(٤) فى الأصل : « مويدا » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٦) . وأعتد : حاضر ، من المشى العتيد وهو الحاضر . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٧) .
(٥) الفيلق : الجيش . (الصحاح ، ص ١٥٤٥) .
(٦) القرم : السيد . (الصحاح ، ص ٢٠٠٩) .
(٧) الهجد : النيام ، وقد يكون الهجد أيضا المستيقظين ، وهو من الأضداد . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٧) .

على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم معتذرًا مما بلغه ، فقال :

أأنت الّذى تُهدَى مَعَدٌّ بأمره ... بَلِ اللهُ يَهديهِمْ وقال لَكَ اشْهَد
فما حملتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ رَحْلِها ... أبَرَّ وأوْفى ذِمَّةً من مُحمَّدِ
أَحَثَّ على خَيرٍ وأوسَع نائِلًا ... إذا راحَ يَهتزُّ اهتزازَ المُهَنَّدِ[1]
وأكْسَى لِبُردِ الخالِ[2] قبل اجتِذابِه ... وأعطَى برأسِ السابقِ[3] المُتجرِّدِ
تَعَلَّمْ رسولَ اللهِ أنَّكَ مُدْرِكِى ... وأنَّ وَعيدًا مِنْكَ كالأخْذِ باليَدِ
تَعَلَّمْ رسولَ اللهِ أنَّكَ قادِرٌ ... على كلِّ سَكْنٍ[4] مِن تِهامٍ ومُنْجِدِ
ونُبِّى رسولُ اللهِ أنّى هَجوتُه ... فَلا رفعَتْ سَوطى إلىَّ إذَنْ يَدى
سِوى أنَّنى قد قلتُ ياوَيْحَ فِتْيةٍ ... أُصيبوا بنَحْسٍ يوم طَلْقٍ[5] وأسعدِ
أصابَهُمُ مَن لَم يكُن لِدِمائِهم ... كِفاءً فعزت عَبْرَتى وَتَبلُّدِى[6]
ذُؤَيْبٌ وكُلثومٌ وسَلمى تتابعوا ... جميعًا فإلّا تَدمعِ العينُ أكْمَدِ
على أنَّ سَلمى ليس فيهم كمِثله ... وإخوتِه أو هَل مُلوكٌ كأعْبُدِ
وإنِّىَ لا عِرضًا خرَقْتُ ولا دَمًا ... هَرَقتُ فَفكِّرْ عالِمَ الحقِّ وَاقصِدِ

أنشدنيها حِزام . وبلغت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قصيدته واعتذاره ، وكلّمه نَوفل بن مُعاوية الدِّيلى فقال : يا رسول الله ، أنت أولى الناس بالعفو ، ومَن منّا لم يعادك ويُؤذك ، ونحن فى جاهليّة لا ندرى

---

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . (الصحاح ، ص ٥٥٤) .
(٢) الخال : ضرب من برود اليمن . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٦) .
(٣) السابق : الفرس . والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فيسبقها . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٦) .
(٤) السكن : أهل الدار . (الصحاح ، ص ٢١٣٦) .
(٥) الطلق : اليوم السعيد ، يقال يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شئ يؤذى . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٦) .
(٦) التبلد : التحير . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٦) .

ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك من الهَلَكَة . وقد كذب عليه الرَّكْب وكثّروا عندك . فقال : دع الرَّكْب ، فإنا لم نجد بتِهامة أحدًا من ذى رَحِمٍ ولا بعيد الرَّحِم كان أبرَّ بنا من خُزاعة . فأُسكت نَوفل بن مُعاوية ، فلمّا سكت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قد عَفوتُ عنه . قال نَوفل : فداك أبى وأُمىّ !

وحدّثنى عبد الحَميد بن جَعفر بن عِمران بن أَبى أَنَس ، عن ابن عبّاس رضى الله عنه ، قال : قام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يَجُرّ طَرَف رِدائه ، وهو يقول : لا نُصِرتُ إن لم أَنْصُر بنى كعب ممّا أَنْصُر منه نفسى !

وحدّثنى حِزام بن هشام ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لكأنكم بأَبى سُفيان قد جاءَ يقول: « جدّد العهد وزِدْ فى الهُدنة » وهو راجعٌ بسخطه . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن سالم وأَصحابه : ارجعوا وتفرّقوا فى الأَودية ! وقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل على عائشة وهو مُغضَب . فدعا بماءٍ فدخل يغتسل . قالت عائشة : فأَسمعه يقول وهو يصبّ الماءَ عليه : لا نُصِرتُ إن لم أَنْصُر بنى كعب ! وخرج أبو سُفيان من مكّة وهو مُتخوّف الذى صنع عمرو بن سالم وأَصحابه أَن يكونوا جاءوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وكان القوم لمّا أتوا الأَبْواءَ راجعين تفرّقوا ، وذهبت طائفةٌ إلى الساحل تُعارض الطريق ، ولزم بُديل بن أُم أَصْرَم فى نُفَيرٍ معه الطريق ، فلقيه أبو سُفيان ، فأَشفق أبو سُفيان أن يكون بُديل جاءَ محمّدًا ، بل كان اليقين عنده ، فقال للقوم : أَخْبِرونى عن يَثْرِب ، مُنْذ كم

عَهْدكم بها ؟ فقالوا : لا علم لنا بها . فعرف أنهم كتموه ، فقال : أما معكم من تمر يَثْرب شيءٌ تُطعموناه ؟ فإنَّ لِتمر يَثْرِب فضلًا على تمر تِهامة . قالوا : لا . قال : ثم أبت نفسه أن تُقرّه[١] حتى قال : يا بُدَيل ، هل جئتَ محمّدًا ؟ قال : لا !ما فعلتُ ،ولكنّى سرت فى بلاد كعب وخُزاعة من هذا الساحل فى قتيلٍ كان بينهم ،فأصلحتُ بينهم .قال: يقول أبو سفيان : إنك واللهِ ـ ما علمتُ ـ بَرٌّ واصلٌ . ثم قايلهم أبو سُفيان حتى راح بُديل وأصحابه ، ثم جاء منزلهم ففتّ أبعار أباعرهم فوجد فيها نَوًى ، ووجد[٢] فى منزلهم نوًى من تمر عَجْوَة كأنها ألْسِنَة الطَّير ، فقال أبو سُفيان : أَحلفُ باللهِ لقد جاءَ القومُ محمّدًا ! وكان القوم لمّا كانت الوقعة خرجوا من صبح ذلك اليوم . فساروا إلى حيث لقيهم أبو سُفيان ثلاثًا .

وكانت بنو بكر قد حبست خُزاعة فى دار بُدَيل ورافع ثلاثة أيّام لم يُكلِّموا فيهم، وائتمرت قُرَيش أن يخرج أبو سفيان ، فأقام يومين ثم خرج ، فهذا خمس بعد مقتل خُزاعة . وأقبل أبو سُفيان حتى قدم المدينة فدخل على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا محمد، إنى كنت غائبًا فى صُلح الحُدَيبية ، فاشدُد العَهْد وزِدْنا فى المُدَّة . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هل كان قِبَلَكم حَدَثٌ ؟ قال : مَعاذَ الله ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : فنحن على مُدَّتنا وصُلْحنا يوم الحُديبية ، لا نُغيّر ولا نُبدّل . ثم قام من عنده فدخل على ابنته أُم حَبيبة . فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم طوتْه دونه . فقال : أَرغبتِ بهذا الفراش عنى أوبى عنه ؟ قالت :

---

(١) فى الأصل : « يقرة » .

(٢) فى الأصل : « ووجدوا » .

بل هو فراش رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأنت امرؤٌ نَجَس مُشرك ! قال : يا بُنَيّة ، لقد أصابك بعلمك شرٌّ ! قالت : هدانى الله للإسلام ، وأنت يا أبتِ سيّدُ قُرَيش وكبيرُها ، كيف يسقط عنك الدخول فى الإسلام ، وأنت تَعْبُد حجرًا لا يسمع ولا يُبصر ؟ قال : يا عَجَباه . وهذا منكِ أيضاً ؟ أأترك ما كان يَعبُد آبائى وأتبع دين محمّدٍ ؟ ثم قام من عندها فلقى أبا بكر الصِّدّيق رضى الله عنه فكلّمه وقال : تُكلِّم محمّدًا وتُجير أنتَ بين الناس؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : جِوارى فى جِوار رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم. ثم لقى عمر رضى الله عنه فكلّمه بمثل ما كلّم به أبو بكر . فقال عمر : واللهِ ، لو وجدتُ الذَّرّ[١] تُقاتلكم لأعنتُها عليكم ! قال أبوسُفيان : جُزِيتَ مِن ذى رحِمٍ شرًّا . ثم دخل على عُثمان بن عَفّان رضى الله عنه فقال : إنه ليس فى القوم أحدٌ أقرب بى رحِمًا منك ، فزِدْ فى الهُدْنة وجَدد العَهْد ؛ فإنّ صاحبك لن[٢] يَرُده عليك أبدًا ؛ واللهِ ما رأيت رجلًا قطُّ أكثر إكرامًا لصاحبٍ من محمّدٍ لأصحابه ! قال عُثمان رضى الله عنه : جِوارى فى جِوار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

وحدّثنى عبد الله بن محمد ، عن أبيه ، قال : دخل على فاطمة بنت النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فكلَّمها فقال : أجيرى بين الناس ! فقالت : إنما أنا امرأة . قال : إنّ جِوارك جائزٌ ، قد أجارتْ أُختك أبا العاص بن الرَّبيع ، فأجاز ذلك محمدٌ . قالت فاطمة : ذلك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ! وأبتْ ذلك عليه . فقال : مُرى أحدَ بنيك يُجير بين الناس !

---

(١) الذر : النمل الأحمر الصغير . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٤٤) .

(٢) فى الأصل : « لم يرده » .

قالت : إنهما صبيّان ، وليس مثلهما يُجير. فلمّا أَبت عليه أَتى عَليًا رضى الله عنه فقال : يا أَبا الحَسَن ، أَجِرْ بين الناس وكَلِّم محمّدًا يزيد فى المُدَّة ! قال علىٌّ : ويحك يا أَبا سُفيان ! إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم قد عزم أَلّا يفعل ، وليس أَحدٌ يستطيع أَن يُكلِّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم فى شىءٍ يكرهه. قال أَبو سُفيان : فما الرأى؟ يَسِّرْ لى أَمرى[1] ، فإنه قد ضاق علىّ ، فمُرْ لى بأَمرٍ ترى أَنه نافعى ! فقال علىٌّ عَليه السلَام : ما أَجدُ لك شيئًا [أَمثل] من أَن تقوم فتُجير بين الناس ، فإنك سيِّد كِنانة . قال : تُرَى ذلك مُغْنِيًا عنّى شيئًا ؟ قال علىّ عليه السلام : لا أَظنّ ذلك واللهِ ، ولكنى لا أَجد لك غيْرَه . فقام بين ظَهْرَى الناس فصاح : أَلا إنى قد أَجرتُ بين الناس ، ولا أَظنّ محمّدًا يُخفرنى ! ثم دخل على النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم فقال : يا محمّد ، ما أَظنّ أَن تردّ جِوارى ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : أَنت تقول ذلك يا أَبا سُفيان !

حدّثنى ابن أَبى حَبيبة ، عن واقد بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، قال : جاءَ أَبو سُفيان إلى سعد بن عُبادة فقال : يا أَبا ثابت ، قد عرفت الذى كان بَينى وبينك ، وأَنى قد كنت لك فى حَرَمنا جارًا ، وكنتَ لى بيَثْرِب مثل ذلك ، وأَنت سيّد هذه البَحْرَة[2] ، فأَجِرْ بين الناس وزدْ فى المُدَّة . فقال سعد : يا أَبا سُفيان ، جِوارى فى جِوار رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ما يُجير أَحدٌ على رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم . ويُقال : خرج أَبوْ سُفيان على أَنه قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : أَنت تقول ذلك يا أَبا سُفيان !

---

(١) فى الأصل : « يسرف بأمرى » .

(٢) البحرة : البلدة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٦٨) .

يُقال : لما صاح لم يَقرَب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وركب راحلته وانطلق إلى مكّة ، وكان قد حُبس وطالت غَيْبَتُه ، وكانت قُرَيش قد اتّهمته حين أَبطأَ أَشدّ التُّهمة وقالوا : واللهِ إنّا نراه قد صبَأَ ، واتّبع محمدًا سِرًّا وَكَتم إسلامه ، فلما دخل على هِندٍ ليلًا قالت : لقد حُبِستَ حتى اتّهمك قومك ، فإن كنت مع طول الإقامة جئتَهم بنُجْحٍ فأَنت الرجل ! ثم دنا منها فجلس مَجلسَ الرجل من المرأة ، فجعلت تقول : ما صنعتَ ؟ فأَخبرها الخبر وقال : لم أَجِد إلّا ما قال لى عَلِىٌّ . فضربت برجليها فى صدره ، وقالت : قُبِّحتَ مِن رسول قومٍ !

حدّثنى عبد الله بن عُثمان بن أَبى سُليمان ، عن أَبيه ، قال : فلما أَصبح حلق رأْسه عند الصَّنَمَين ، إساف ونائلة ، وذبح لهما ، وجعل يمسح بالدم رءُوسهما ، ويقول : لا أُفارق عبادتكما حتى أَموت على ما مات عليه أَبى ! أَبرأُ لقُرَيش ممّا اتّهموه .

وحدّثنى حِزام بن هِشام ، عن أَبيه ، قال : وقالت له قُرَيش : ما وراءك ؟ هل جئتَنا بكِتاب من محمّد ، أَو زيادةٍ فى مُدَّة ؟ ما نأْمن أن يغزونا ! فقال : واللهِ لقد أَبى عَلَى ، ولقد كلّمتُ عِلْيَة أَصحابه فما قدرتُ على شىءٍ منهم ، إلاّ أَنهم يرمونى بكلمةٍ واحدة ؛ إلّا أَنّ عَليًّا قد قال لمّا ضاقت بى الأُمور : أَنت سيد كِنانة ، فأَجِر بين الناس ! فناديتُ بالجوار ثم دخلت على محمد فقلتُ : إنى قد أَجرتُ بين الناس ، وما أَظنّ أَن تردّ جوارى . فقال محمّد : أَنت تقول ذلك يا أَبا سُفيان ! لم يَزِدْنى على ذلك . قالوا : ما زاد على أَن تلعب بك تلعُّبًا ! قال : واللهِ ما وجدتُ غير ذلك .

حدّثنى محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، عن محمّد بن جُبَير بن

مُطعِم ، قال : لمّا ولّى أبو سُفيان راجعًا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعائشة : جهِّزينا وأخفى أمْرَكِ ! وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمّ خُذْ على قُريشٍ الأخبار والعيون حتى نأتيهم بَغْتَةً . ويُقال قال : اللّهمّ خُذْ على قُرَيشٍ أبصارهم فلا يرونى إلّا بَغْتَةً ، ولا يسمعون بى إلّا فَجْأَةً . قالوا : وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأنقاب ، فكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يطوف على الأنقاب قَيِّمًا بهم فيقول : لا تَدَعوا أحدًا يمرّ بكم تُنكرونه إلّا رددتُموه ــ وكانت الأنقاب مُسلمة ــ إلّا من سلك إلى مكّة فإنه يُتحفَّظ به ويُسأل عنه ، أو ناحية مكّة .

قالوا : فدخل أبو بكر على عائشة وهى تُجهّز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، تَعمل قَمحًا سَويقًا ودَقيقًا وتمرًا ، فدخل عليها أبو بكر فقال : يا عائشة ، أهمَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بغزوٍ ؟ قالت : ما أدرى . قال : إن كان رسول الله همّ بسفرٍ فآذنينا نتهيّأْ له . قالت : ما أدرى ، لعلّه يُريدُ بنى سُلَيم ، لعلّه يُريد ثَقيفًا ، لعلّه يُريد هَوازِن ! فاستعجمتْ عليه حتّى دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له أبو بكر : يا رسول الله ، أردتَ سفرًا ؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم . قال : أفأتجهّزُ ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : وأين تُريد يا رسول الله ؟ قال : قُرَيشًا ، وأَخْفِ ذلك يا أبا بكر ! وأمَرَ رسول الله [بالجَهاز] ، قال : أو ليس بيننا وبينهم مُدّةٌ ؟ قال : إنهم غَدَروا ونَقضوا العهد ، فأنا غازيهم . وقال لأبى بكر : اطوِ ما ذكرتُ لك ! فظانٌّ يظن أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُريد الشام ، وظانٌّ يظنّ ثَقيفًا ، وظانٌّ يظن هَوازِن . وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا قَتادة بن رِبْعِيّ فى ثمانية نَفَرٍ إلى بطنِ إضَم[1] لِيظنّ ظانٌّ أنّ رسول الله

(١) إضم : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة . (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٨١) .

صلّى الله عليه وسلّم توجّه إلى تلك الناحية ، ولأن تذهب بذلك الأخبار .

حدّثنى عبد الله بن يَزيد بن قُسَيط ، عن أبيه ، عن ابن أبى حَدْرَد ، عن أبيه قال : بعثَنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بطن إضَم ، أميرنا أبو قَتادة فى تلك السَّرية وفيها مُحَلِّم بن جَثَّامة اللَّيثىّ وأنا فيهم ، فبينا نحن ببعض وادى إضَم إذ مرَّ بنا عامر بن الأَضْبَط الأشْجعىّ فسلَّم علينا بتحيّة الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه مُحلِّم بن جثَّامة فقتله ، وسلبه بعيرًا له ومتاعًا وَوَطْبًا[1] من لبنٍ كان معه ، فلمّا لحقنا النبى صلَّى الله عليه وسلَّم نزل فينا القرآن ﴿يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ فى سَبِيلِ اللهِ فَتبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾[2] الآية . فانصرف القوم ولم يلقوا جَمْعًا حتى انتهوا[3] إلى ذى خُشُب[4] فبلغهم أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد توجّه إلى مكّة ، فأخذوا على بِين حتى لحقوا النبىّ صلَّى الله عليه وسلّم بالسُّقْيا .

حدّثنى المُنذِر بن سعد ، عن يزيد بن رُومان ، قال : لمّا أجمع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المسير إلى قُرَيش ، وعلم بذلك الناس ، كتب حَاطب بن أبى بَلْتَعَة إلى قُرَيش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ؛ وأعطى الكتاب امرأةً من مُزَينة ، وجعل لها جُعْلًا على أن تُوصله قُرَيشًا ، فجعلته فى رأسها ثم فَتَلَتْ عليه قُرونَها ، فخرجت . وأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخبرُ من السَّماءِ بما صنع حاطب ، فبعث عَليًّا والزُّبَير

---

(١) الوطب : سقاء اللبن خاصة . (الصحاح ، ص ٢٣٢) .

(٢) سورة ٤ النساء ٩٤ .

(٣) فى الأصل : « حتى انتهى » .

(٤) ذو خشب : واد على ليلة من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) .

فقال : أدرِكا امرأةً من مُزينة ، قد كتب معها حاطب كتابًا يُحذّر قُرَيشًا فخرجا فأدركاها بالخُلَيفة ، فاستنزلاها فالتمساه فى رَحلها فلم يجدا شيئًا ، فقالا لها : إنّا نحلف بالله ما كُذب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا كُذِبْنا ولتُخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنَّكِ ! فلمّا رأت منهما الجِد قالت : أعرِضا عنى! فأعرضا عنها ، فحلّت قُرونَ رأسها فاستخرجت الكتاب فدفعته إليهما ، فجاءَا به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاطبًا فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، إنى لمؤْمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرتُ ولا بدّلتُ ! ولكنى كنت امْرءًا ليس لى فى القوم أَصْلٌ ولا عَشيرةٌ ، وكان لى بين أَظهُرهم أهلٌ ووَلَدٌ فصانعتُهم. فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : قاتلك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب وتكتب الكتب إلى قُرَيش تُحذّرهم ؟ دعنى يا رسول الله أضربْ عنقه ، فإنه قد نافق ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وما يُدريك يا عمر ؟ لعلّ الله قد اطّلع يوم بدر على أهلِ بدرٍ. فقال :اعملوا ما شئتم ، فقد غَفرتُ لكم! وأنزل الله عزّ وجلّ فى حاطب : ﴿يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وعَدُوَّكُمْ أَوْلياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّة. . .﴾(١) إلى آخر الآية .

وحدّثنى موسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كتب حاطب إلى ثلاثة نفر : صَفْوان بن أُمَيّة ، وسُهَيل بن عمرو ، وعِكْرِمَة بن أبى جهل : « إنّ رسول الله قد أذّن فى الناس بالغزو ، ولا أُراه يُريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يدٌ بكتابى إليكم » . ودفع الكتاب إلى امرأةٍ من مُزَينة من أهل العَرْج(٢) يقال لها كَنود ، وجعل لها دينارًا على أن تُبلّغ الكتاب ، وقال :

---

(١) سورة ٦٠ المتحنة ١

(٢) العرج : قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة . (سرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٠).

أَخفيه ما استطعتِ ، ولا تَمُرِّى على الطريق فإنَّ عليها محرسًا . فسلكت على غير نَقْب ، عن يسار المَحجة فى الفُلوق(١) ، حتى لقيت الطريقَ بالعَقيق .

حدّثنى عُتبة بن جَبيرة ، عن الحُصَين بن عبد الرحمن بن عَمْرَة بن سعد ، قال : هى سارة ؛ جعل لها عشرةَ دنانير .

قالوا : فلمّا أَبان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الغزو ، أرسل إلى أهل البادية وإلى مَن حولَه من المسلمين ، يقول لهم : مَن كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فليَحضُر رمضانَ بالمدينة . وبعث رسولًا فى كلّ ناحيةٍ حتى قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ــ أَسلم ، وغِفار ، ومُزَينة ، وجُهينة ، وأَشْجَع . وبعث إلى بنى سُلَيم ، فأَما بنو سُلَيم فلقيته بقُدَيد ؛ وأَمّا سائر العرب فخرجوا من المدينة .

قال : وحدَّثنى سعيد بن عَطاء بن أَبى مَروان ، عن أَبيه ، عن جدّه ، قال : أَرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَسْماءَ بن حارثة ، وهِند بن حارثة إلى أَسْلَم يقولان لهم : إنَّ رسول الله يأْمركم أن تحضروا رمضانَ بالمدينة . وأَرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جُنْدُبًا ورافعًا ابنى مَكيث إلى جُهَينة يأْمرهم أَن يحضروا رمضانَ بالمدينة ؛ وأَرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إيماءَ بن رَحْضَة وأَبا رُهْم كُلثوم بن الحُصَين إلى بنى الحُصَين إلى بنى غِفار وضَمْرَة ، وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أَشْجَع مَعْقِلَ بن سِنان ، ونُعَيم بن مَسعود ؛ وبعث إلى مُزَينة بِلال بن الحارث ، وعبد الله بن عمرو المُزَنىّ ؛ وبعث إلى بنى سُلَيم الحَجّاج بن عِلاط السُّلَمىّ ، ثم البَهْزى(٢) ،

(١) الفلوق : جمع فلق وهو الشق ، يقال : مررت بحرة فيها فلوق ، أى شقوق . (الصحاح ، ص ١٥٤٤) .

(٢) فى الأصل : «النهوى » ؛ وما أثبتناه عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ٣٢٥) .

وعِرباض بن سارية ؛ وبعث إلى بنى كعب بنى عمْرة بِشرَ بن سُفيان وبُدَيل بن ورقاء ، فلقيه بنو كعب بقُدَيد وخَرج معه من بنى كعب من كان بالمدينة . وعسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ببئر أبى عِنَبة ، وعقد الألوية والرايات ؛ فكان فى المهاجرين ثلاث رايات – رايةٌ مع الزُّبير ، ورايةٌ مع علىٍّ عليه السلام ، ورايةٌ مع سعد بن أبى وَقَّاص . وكان فى الأوس بنى عبد الأَشْهَل رايةٌ مع أبى نائلة ، وفى بنى ظَفَر رايةٌ مع قَتادة بن النعمان ، وفى بنى حارثة رايةٌ مع أبى بُرْدَة بن نِيار ، وفى بنى مُعاوية راية مع جَبر بن عَتيك ، وفى بنى خَطْمَة رايةٌ مع أبى لُبابة بن عبد المُنْذِر ، وفى بنى أُمَيّة رايةٌ مع مُبَيَّض – قال ابن حَيَوَيْه : « نُبَيض » فى كتاب أبى حَيَّة ، فتركته أنا على ما هناك « مُبيَّض » . وفى بنى ساعدة رايةٌ مع أبى أَسَيد الساعدىّ ، وفى بنى الحارث بن الخزرج رايةٌ مع عبد الله بن زيد ، وفى بنى سَلِمَة رايةٌ مع قُطْبَة ابن عامر بن حَديدة ، وفى بنى مالك بن النَّجَّار رايةٌ مع عُمارة بن حَزم ، وفى بنى مازن رايةٌ مع سَليط بن قيس ، وفى بنى دينار رايةٌ يحملها [ ] (١) . وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم من الخيل ثلثمائة فَرس ؛ وكانت الأنصار أربعة آلاف ، معهم من الخيل خمسمائة ؛ وكانت مُزَينة ألفًا ، فيها من الخيل مائة فَرَس ومائة دِرْع ، وفيها ثلاثة ألوية ؛ لواءٌ مع النُّعمان بن مُقرِّن ، ولواءٌ مع بِلال بن الحارث ، ولواءٌ مع عبد الله بن عمرو . وكانت أسلم أربعمائة ، فيها ثلاثون فرسًا ، ولواءان يحمل أحدهما بُريدة بن الحُصَيب والآخر ناجية بن الأَعْجَم . وكانت جُهَينة ثمانمائة ، معها من الخيل خمسون فَرَسًا ، فيها أربعة ألوية ، لواءٌ مع سُوَيد بن صَخر ، ولواءٌ مع ابن مكيث ، ولواءٌ مع أبى زُرْعَة ، ولواءٌ مع عبد الله بن بَدر . وكانت بنو كعب

(١) بياض فى الأصل .

ابن عمرو خمسمائة ، فيهم ثلاثة ألوية ، لواءٌ مع بَشر بن سُفيان ، ولواءٌ مع ابن شُرَيح ، ولواءٌ مع عمرو بن سالم ، ولم يكن خرج معه من المدينة ، لقيه قومُه بقُدَيد .

قال : حدّثنى عتبة بن جَبيرة ، عن الحُصَين بن عبد الرحمن ، قال : لم يعقد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الألوية والرايات حتى انتهى إلى قُدَيد ، ثم جعل رايات المهاجرين والأنصار على ما ذكرنا . وقال : كانت راية أَشْجَع مع عَوف بن مالك . وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الأربعاء لعشرٍ خَلَونَ من رمضان بعد العصر ، فما حلّ عُقْدَةً حتى انتهى إلى الصُلْصُل[١]. وخرج المسلمون وقادوا الخيل وامتطوا الإبل ، وكانوا عشرة آلاف . وقَدَّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمامه الزُّبَير بن العوّام ، فى مائتين من المسلمين ، فلما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالبَيْداء — قال : فحدّثنى يحيى بن خالد بن دِينار ، عن عبد الله بن عُمَير ، عن ابن عبّاس قال : وحدّثنى داود بن خالد ، عن المَقْبُرىّ ، عن أبى هُرَيرة ، قالا — قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى لأَرَى السّحاب تستهلّ بنصر بنى كعب . وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة فنادى مُناديه : من أحبَّ أن يصوم فلْيَصُمْ ، ومن أحبَّ أن يُفطر فلْيُفطرْ ! وصام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : وحدّثنى مالك بن أَنَس ، عن سُمَى مولى أبى بكر ، عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث ، عن رجل رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) صلصل : موضع على سبعة أميال من المدينة . (وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٦) .

بالعَرْج يَصُبُّ الماءَ على رأسه ووجهه من العَطَش .

قال : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما كنا بالكَديد بين الظُّهر والعَصر أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إناءً من ماءٍ فى يده حتى رآه المسلمون ، ثم أفطر تلك الساعة . وبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ قومًا صاموا فقال : أولئك العُصاة ! وقال أبو سعيد الخُدرىّ : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّكم مُصبِّحو عدوِّكم ، والفِطر أقوى لكم ! قال ذلك بِمَرّ الظَّهْران . فلما نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العَرْجَ ، والناس لا يدرون أين توجّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى قُرَيش ، أو إلى هَوازِن ، أو إلى ثَقيف ! فهم يُحبّون أن يعلموا ، فجلس فى أصحابه بالعَرْج وهو يتحدّث ، فقال كعب بن مالك : آتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَعلمُ لكم عِلمَ وجهِهِ . فجاءَ كعب فبرك بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على رُكبتيه ، ثم قال[1] :

قضينا من تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ ... وخَيْبَرَ ثم أَجْمَمْنَا[2] السُّيوفا
نُسائِلُها ولَوْ نَطَقتْ لَقالَتْ ... قواطِعُهُنَّ دَوْسًا أو ثَقِيفا
فَلَستُ لحاضِرٍ إن لم تَرَوْها ... بساحَةِ دارِكُم منها أُلوفا
فَنَنْتَزِعُ الخِيامَ ببَطْنِ وَجٍّ[3] ... ونَتْرُكُ دُورَهم منهم خُلوفا

أنشدنيها أيّوب بن النُّعمان ، عن أبيه . قال : فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يَزِدْ على ذلك . فجعل الناس يقولون : واللهِ ما بيّن لك رسولُ الله شيئًا ، ما نَدْرى بمن يُبدى ؛ بقُرَيش أو ثَقيف أو هَوازن .

---

(١) ذكر ابن إسحاق أبيات كعب هذه فى حديث الطائف . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١٢١)
(٢) أجممنا : أرحنا . (شرح أبي ذر ، ص ٤٠٧) .
(٣) وَجّ : موضع بالطائف . (معجم ما استعجم ، ص ٨٣٨) .

قال : حدَّثنا هِشام بن سعد ، عن زيد بن أَسلم ، قال : لما نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم بقُدَيد قيل : هل لك فى بِيض النساء وأُدم الإِبل ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنَّ الله تعالى حرّمها علىّ بِصِلَة الرَّحِم ووَكْزهم فى لَبّاتِ[1] الإبل .

قال : حدّثنى الزُّبير بن موسى ، عن أَبى الحُوَيرِث ، عن النبى صلّى الله عليه وسلَّم أَنّه قال : إنَّ الله حرّمهم علىّ بِبِرِّ الوالد ووَكْزِهم فى لَبّاتِ[2] الإبل .

قال : وحدّثنى قُرّان بن محمد ، عن عيسى بن عُمَيْلة الفَزارى ، قال : كان عُيَيْنَة فى أَهله بنَجْد فأَتاه الخبر أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُريد وجهًا ، وقد تجمّعت العرب إليه ، فخرج فى نَفَر من قومه حتى قدم المدينة ، فيجد رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم قدخرج قبله بيومين ، فسلك عن ركوبه فسبق إلى العَرْج ، فوجده رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالعَرْج ، فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العَرْج أَتاه فقال : يا رسول الله ، بلغنى خروجك ومَن يجتمع إليك فأَقبلتُ سريعًا ولم أَشعر فأَجمعُ قومى فيكون لنا جَلَبَة كثيرة ، ولستُ أَرى هيأَة حرب ، لا أَرى أَلويةً ولا رايات ! فالعمرةَ تُريد ؟ فلا أَرى هيأَة الإحرام ! فأَين وجهك يا رسول الله ؟ قال : حيث يشاءُ الله . وذهب وسار معه ، ووجد الأَقرع بن حابس بالسُّقْيا ،

---

(١) فى الأصل : «لباب» . وقال ابن الأثير : لبات جمع لبة ، وهى اللهزمة التى فوق الصدر وفيها تنحر الإبل . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٤٤) .

(٢) فى الأصل : «لباب» .

قد وافاها فى عشرة نَفَرٍ من قومه ، فساروا معه ، فلمّا نزل قُدَيد عقد الألْوية وجعل الرايات . فلمّا رأى عُيَيْنَة القبائل تأْخذ الرايات والأَلْوية عضّ على أنامله ، فقال أبو بكر : علامَ تندم؟ قال : على قومى ألاّ يكونوا نفروا مع محمّد ، فأَين يُريد محمّد يا أبا بكر ؟ قال : حيث يشاءُ الله . فدخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ مكّة بين الأَقرع وعُيَيْنَة .

قال : حدّثنى عبد الرحمن بن محمّد ، عن عبد الله بن أبى بكر بن حَزم ، قال : لمّا سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من العَرْج ، فكان فيما بين العَرْج والطّلوب[1] ، نظر إلى كلبةٍ تَهِرّ على أولادها وهم حولها يرضعونها ، فأَمر رجلًا من أصحابه يُقال له جُعَيل بن سُراقة أن يَقوم حِذاءها ، لا يعرض لها أحدٌ من الجيش ولأَولادها .

قال : حدّثنى مُعاذ بن محمّد ، عن عبد الله بن سعد ، قال : لمّا راح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من العَرْج تقدّمت أمامه جَريدة[2] من خيلٍ طليعة ، تكون أمام المسلمين ، فلمّا كانت بين العَرْج والطّلوب أتوا بعينٍ من هَوازِن إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : يا رسول الله ، رأيناه حين طلعنا عليه وهو على راحلته ، فتغيّب عنّا فى وَهْدَة[3] ، ثم جاء فأَوفى على نَشَزٍ فقعد عليه ، فركضنا إليه فأَراد يهرُب منّا ، وإذا بعيره قد عقله أسفل من النّشز وهو يُغيِّبه ، فقلنا : ممن أنت ؟ قال : رجلٌ من بنى غِفار . فقلنا : هم أهل هذا البلد . فقلنا : من أىّ بنى غِفار أنت ؟ فَعَيِىَ[4] ولم

(١) الطلوب : ماء فى الطريق بين المدينة ومكة . (معجم ما استعجم ، ص ٤٥٤) .

(٢) الجريدة من الخيل : هى التى جردت من معظم الخيل لوجه . (أساس البلاغة ، ص ١١٦) .

(٣) الوهدة : الأرض المنخفضة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٤٧) .

(٤) فى الأصل : « فعنى ». وعيى فى منطقه ، من العى ، وهو خلاف البيان . (الصحاح ، ص ٢٤٤٣) .

ينفذ لنا نسبًا ، فازددنا به ريبةً وأسأْنا به الظن . فقلنا : فأين أهلك؟ قال : قريبًا ! وأومأ بيده إلى ناحية . قلنا : على أى ماءٍ ، ومَن معك هنالك؟ فلم ينفذ لنا شيئًا ، فلما رأينا ما خلط قلنا : لَتصدقنّا أو لَنضربنّ عنقك ! قال : فإن صدقتكم ينفعنى ذلك عندكم ؟ قلنا : نعم . قال : فإنى رجلٌ من هَوازِن من بنى نَصر ، بعثتنى هوازن عينًا . وقالوا : ائت المدينة حتى تَلْقى محمّدًا فتستخبر لنا ما يُريد فى أمر حلفائه ، أيبعث إلى قُرَيش بعثًا أو يغزوهم بنفسه ، ولا نراه إلّا يستغورهم ، فإن خرج سائرًا أو بعث بعثًا فسِر معه حتى تنتهى إلى بطن سَرِف ، فإن كان يُريدنا أولًا فيسلك[1] فى بطن سَرِف حتى يخرج إلينا ، وإن كان يُريد قُرَيشًا فسيلزم الطريق . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وأين هَوازِن؟ قال : تركتُهم ببَقْعاء وقد جمعوا الجموع ، وأجلبوا فى العرب ، وبعثوا إلى ثَقيفٍ فأجابتهم ، فتركتُ ثقيفًا على ساقٍ قد جمّعوا الجموع ، وبعثوا إلى الجُرَش[2] فى عمل الدَّبّابات والمنجنيق ، وهم سائرون إلى جَمْع هَوازِن فيكونون جمْعًا . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وإلى مَن جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى فَتاهم مالك بن عَوف . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وكلّ هَوازن قد أجاب إلى ما دعا إليه مالك ؟ قال : قد أبطأ من بنى عامر أهلُ الجِدّ والجَلَد . قال : مَن ؟ قال : كعبٌ وكِلابٌ . قال : ما فعلت هِلال ؟ قال : ما أقلّ مَن ضَوى[3] إليه منهم ، وقد مررت بقومك أمسِ بمكّة وقد قدم عليهم أبو سُفيان بن حرب فرأيتهم ساخطين لِما جاء به ، وهم خائفون وَجِلون .

---

(١) فى الأصل : « فاسلك » .
(٢) الجرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٤) .
(٣) ضوى إليه : أوى إليه . (الصحاح ، ص ٢٤١٠) .

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : حَسْبُنا الله ونعم الوكيل ، ما أراه إلَّا صدَقَنى ! قال الرجل : فلينفعنى ذلك ؟ فأمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خالد بن الوليد أن يحبسه ، وخافوا أن يتقدّم ويُحذِّر الناس ، فلمّا نزل العسكر مَرّ الظَّهْران أفلت الرجل ، فطلبه خالد بن الوليد فأخذه عند الأَراك(١) ، وقال : لولا وليتُ عهدًا لك لضربتُ عنقك . وأخبر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم فأمر به يُحبَس حتى يدخل مكّة ، فلمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم مكّة وفتحها أُتِى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، ثم خرج مع المسلمين إلى هَوازِن فقُتل بأوطاس(٢) .

قال : حدّثنى سَعيد بن مُسلم بن قَمادِين ، عن عبد الرحمن بن سابط وغيره ، قال [كان] أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطّلب أخا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الرّضاعة ، أرضعته حَليمة أيّامًا ، وكان يألف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان له تِربًا ، فلمّا بُعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عاداه عداوةً لم يُعادِ أحدٌ قطُّ ، ولم يكن دخل الشِّعب ، وهجا رسول الله ، وهجا أصحابه ، وهجا حَسّان فقال :

أَلا مُبلغٌ حَسّانَ عنّى رِسالةً فخِلْتُكَ من شَرِّ الرِّجالِ الصَّعالِكِ
أَبوكَ أَبو سُوءٍ وخالُكَ مِثلُهُ فلستَ بخيرٍ من أَبيكَ وخالِكِ

فقال المسلمون لحَسّان : اهْجُه ! قال : لا أفعل حتى أستأْذن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم . فسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : كيف آذن لك فى ابن عمّى أخى أبى ؟ قال : أَسُلُّك منه كما تُسَلّ الشعرة من العجين .

---

(١) الأراك : موضع بعرفة . (معجم ما استعجم ، ص ٨٦) .

(٢) أوطاس : واد فى ديار هوازن ، وفيه كانت وقعة حنين . (معجم ما استعجم ، ص ١٣١) .

فقال حسّان شعرًا ، وأمره رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُذاكر أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه بعض ذلك ، فذاكره . قال : فمكث أبو سفيان عشرين سنة[١] عدوًّا لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ،يهجو المسلمين ويهجونه ، ولا يتخلَّف عن موضعٍ تسير فيه قُرَيش لقتال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم إنّ الله ألقى فى قلبه الإسلام . قال أبو سفيان ، فقلت : مَن أصحبُ ومع من أكون ؟ قد ضرب الإسلامُ بجِرانِه[٢]! فجئت زوجتى وولدى ، فقلت : تهيَّأوا للخروج فقد أظلّ قدوم محمّد عليكم . قالوا : قد آن لك تُبصر أنّ العرب والعجم قد تبعت محمّدًا وأنت مُوضِعٌ فى عداوته ، وكنتَ أولى الناس بنصره ! فقلت لغلامى مذكور : عجِّل بأَبعرةٍ وفَرس . قال : ثم سرنا حتى نزلنا الأَبْواءَ ، وقد نزلت مُقدمته الأَبْواء ، فتنكَّرتُ وخفت أن أُقتَل ، وكان قد هَدَر دمى ؛ فخرجت ، وأجدُ ابنى جَعفر على قدمى نحوًا من مِيل ، فى الغداة التى صبّح رسولُ لله صلَّى الله عليه وسلَّم فيها الأَبْواء ، فأَقبل الناس رَسَلًا رَسَلًا[٣] ، فتنحّيتُ فَرَقًا من أصحابه ؛ فلماَّ طلع مَرْكِبه تصدّيت له تِلْقاء وجهه ، فلمّا ملأ عينيه منِّى أعرض عنى بوجهه إلى الناحية الأُخرى ، فتحوّلت إلى ناحية وجهه الأُخرى ، وأعرض عنِّى مرارًا ، فأَخذنى ما قَرُب وما بَعُد ، وقلت : أنا مقتول قبل أن أصل إليه . وأتذكَّر برّه ورحمته وقرابتى فيُمْسك ذلك منى ، وقد كنت لا أَشكُّ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأَصحابه سيفرحون بإسلامى فرحًا شديدًا ؛ لِقرابتى[٤] [من] رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمّا رأى المسلمون إعراض رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عنِّى

---

(١) هكذا فى الاصل .
(٢) ضرب الإسلام بجرانه : قر قراره واستقام . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٨) .
(٣) رسلا : أى فرقًا . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٨٠) .
(٤) فى الأصل . « وقرابتى » .

أعرضوا عنّي جميعًا ، فلقيني ابن أبي قُحافة مُعرِضًا ، ونظرتُ إلى عمر ويُغرى بي رجلًا من الأنصار ، فألَزَّ [١] بي رجلٌ يقول : يا عدوّ الله ، أنت الذى كنت تُؤذى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وتُؤذِى أصحابه ، قد بلغتَ مشارق الأَرض ومغاربها فى عداوته ! فرددتُ بعضَ الردِّ عن نفسى ، فاستطال علىَّ ، ورفع صوته حتى جعلنى فى مثل الحَرَجَة [٢] من الناس يُسَرّون بما يفعل بى . قال : فدخلت على عمىّ العبّاس فقلت : يا عباس ، قد كنت أرجو أن سيفرح رسول الله بإسلامى لقرابتى وشَرَفى ، وقد كان منه ما كان رأيت ، فكَلِّمْه ليرضى عنّى ! قال : لا واللهِ ، لا أُكلِّمه كلمةً فيك أبدًا بعد الذى رأيتُ منه إلاَّ أن أرى وجهًا ، إنى أُجِلُّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأهابه . فقلتُ : يا عمِّي إلى من تَكِلنى ؟ قال : هو ذاك . قال : فلقيت عَليًّا رحمة الله عليه فكلَّمته فقال لى مثل ذلك ، فرجعت إلى العبّاس فقلت : يا عم فكُفَّ عنِّى الرجل الذى يشتمنى . قال : صِفْه لى . فقلت : هو رجلٌ آدَمُ [٣] شديد الأُدْمَة ، قصير ، دَحْداح [٤] ، بين عينيه شَجَّة . قال : ذاك نُعمان بن الحارث النَّجّارىُّ . فأَرسل إليه ، فقال : يا نُعمان ، إنَّ أبا سُفيان ابن عمّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وابن أخى ، وإن يكن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ساخطًا فسيرضى ، فَكُفَّ عنه ،فبعد لأْيٍ ما كف . وقال: لا أُعرض عنه : قال أبو سُفيان : فخرجتُ فجلست على باب منزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى خرج إلى الجُحْفَة ، وهو لا يكلِّمنى ولا أحدٌ من المسلمين .

---

(١) ألز به : لصق به . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩٠) .

(٢) فى الأصل : « الحجر » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والحرجة : الشجر الملتف . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢١٣) .

(٣) الآدم من الناس : الأسمر . (الصحاح ، ص ١٨٥٩) .

(٤) دحداح : قصير . (الصحاح ، ص ٣٦١) .

وجعلتُ لا ينزل منزلًا إلّا أنا على بابه ومعى ابنى جَعفر قائم ، فلا يرانى إلّا أعرض عنّى ، فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكّة وأنا على حيلة تلازمه حتى هبط من أذاخِر[1] حتى نزل الأبطَح[2] ، فدنوتُ من باب قُبّته فنظر إلىَّ نظرًا هو ألين من ذلك النظر الأوّل ، قد رجوت أن يتبسّم ، ودخل عليه نساءُ بنى المطّلب ، ودخلتْ معهنّ زوجتى فرقّقتْه علىّ. وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أُفارقه على حالٍ حتى خرج إلى هَوازِن ، فخرجت معه ، وقد جمعت العربُ جَمْعًا لم يُجمَع مثله قطُّ ، وخرجوا بالنساء والذُّرِّيّة والماشية ، فلما لقيتهم قلت : اليوم يُرَى أثرى إن شاءَ الله ؛ ولما لقيتهم حملوا الحملة[3] التى ذكر الله : ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[4]. وثبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على بَغْلَته الشّهباء وجرّد سيفه ، فأقتحمُ عن فرسى وبيدى السيف صلتًا ، قد كسرت جَفنه ، والله أعلم أنى أُريد الموت دونه وهو ينظر إلىّ ، فأخذ العبّاس بن عبد المطّلب بلِجام البَغْلَة ، فأخذتُ بالجانب الآخر ، فقال : مَن هذا ؟ فذهبت أكشفُ المِغْفر ، فقال العبّاس : يا رسول الله ، أخوك وابن عمّك أبو سفيان بن الحارث! فارضَ عنه ، أى رسول الله ! قال : قد فعلتُ ، فغفر الله كلَّ عَداوةٍ عادانيها ! فأُقبِّل رجله فى الرِّكاب ، ثم التفت إلىَّ فقال : أخى لَعمرى ! ثم أمر العبّاس فقال : نادِ يا أصحاب البَقَرة[5]! يا أصحاب السَّمُرَة[6] يوم الحُدَيبية ! يا لَلمهاجرين ! يا لَلأنصار

(١) أذاخر : ثنية بين مكة والمدينة . (معجم ما استعجم . ص ٨٤) .

(٢) الأبطح : البطحاء ، أى وادى مكة . (معجم ما استعجم ، ص ٦٥) .

(٣) أى غزوة حنين . انظر تفسير الطبرى . (ج ٤ ، ص ١٧٨) .

(٤) سورة ٩ التوبة ٢٥ .

(٥) أى سورة البقرة .

(٦) السمرة : هى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

يا لَلخزرج ! فأَجابوا : لَبَّيكَ داعىَ الله ! وكروا كرة رجلٍ واحدٍ ، قد حطَّموا الجُفون ، وشرعوا الرماح ، وخفضوا عوالى الأَسنَّة ، وأَرقَلوا إرقال الفحول؛ فرأَيتنى وإنى لأَخاف على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، شروع رماحهم حتى أَحدقوا برسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ، وقال لى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : تقدم فضارِبِ القوم ! فحملتُ حَمْلَةً أَزلتُهم عن موضعهم ، وتبعنى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قُدُمًا فى نحور القوم ، فما نالوا ما تقدّم ، فما قامت لهم قائمة حتى طَردتُهم قَدْرَ فَرْسَخ ، وتفرّقوا فى كلِّ وَجْهٍ ، وبعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم نَفَرًا من أَصحابه على الطلب ، فبعث خالد بن الوليد على وَجْهٍ ، وبعث عمرو بن العاص فى وَجْهٍ ، وبعث أَبا عامر الأَشْعَرىّ إلى عسكرٍ بأَوْطاس فقُتل ،وقُتل أَبو موسى قاتله[1].

قال أَبو عبد الله : وقد سمعت، فى إسلام أَبى سُفيان بن الحارث وجهًا آخر ، قال : لقيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَنا وعبد الله بن أَبى أُمَيَّة بنِيق العُقاب[2] ، فطلبنا الدخول على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأَبى يُدخلهما عليه ، فكلَّمتْه أُمّ سَلَمَة زوجته فقالت : يا رسول الله ، صِهرك وابن عمّتك وابن عمّك وأَخوك من الرضاعة ! وقد جاءَ الله بهما مُسلِمَين ، لا يكونان أَشقى الناس بك . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا حاجةَ لى بهما ؛ أَمَّا أَخى فالقائل لى بمكّة ما قال ؛ لن يؤْمن لى حتى أَرقى فى السماء ! وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فى السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ..﴾[3] إلى آخر الآية . فقالت :

---

(١) فى الأصل : « فقتل أبا موسى قاتله » . انظر الاستيعاب . (ص ١٧٠٤) .

(٢) نيق العقاب . موضع بين مكة والمدينة . (معجم ما استعجم ، ص ٥٩٥) .

(٣) سورة ١٧ الإسراء ٩٣

يا رسول الله ، إنما هو من قومك ما هو ، وقد تكلّم وكلّ قُرَيش قد تكلّم ونزل القرآن فيه بعينه ، وقد عَفَوْتَ عمّن هو أعظم جُرْمًا منه ؛ وابن عمّك بِقرابته بك ، وأنت أحقّ الناس عفوًا عن جُرْمِه . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هو الذى هَتَكَ عِرضى ، فلا حاجة لى بهما ! فلمّا خرج إليهما الخبر قال أبو سُفيان بن الحارث ، ومعه ابنه : واللهِ ، لَيَقبلنّى أو لآخذن بيد ابنى هذا فَلَأَذْهَبنّ فى الأرض حتى أهلِك عطشًا وجوعًا ، وأنت أحلم الناس وأكرم الناس مع رحمى بك . فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم مقالتهُ فرقّ له .

وقال عبد الله بن أُمَيّة : إنما جئتُ لأُصدّقك ، ولى من القرابة ما لى والصِّهر بك . وجعلت أم سلمة تُكلّمه فيهما ، فرقّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهما فأذن لهما ودخلا ، فأسلما وكانا جميعًا حَسَنَى الإسلام ؛ قُتِل عبد الله ابن أبى أُميّة بالطائف ، ومات أبو سُفيان بن الحارث بالمدينة فى خلافة عمر لم يُغمَص[(١)] عليهِ فى شىءٍ ، وكان أهدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دمه قبل أن يلقاه . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى سُفيان بن الحارث يوم نِيق العُقاب : أنت الذى تقول : «طردتَنى كلّ مطرد؟»[(٢)] بل الله طردك كلّ مَطرَد . قال أبو سُفيان : يا رسول الله ، هذا قول قلتُه بجَهالةٍ وأنت أولى الناس بالعفو والحِلم . وأما قوله : «وأدّعى وإن لم أنتسب من محمّد»[(٣)] فإنه هرب وقدم على قيصر ملك الروم ، فقال : ممن أنت ؟ فانتسب له أبو سُفيان ابن الحارث ابنَ عبد المطّلب . قال قيصر : أنت ابن عمّ محمد إن كنتَ صادقًا ، محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ؟ قال : قلت : نعم ، أنا ابن

---

(١) فى الأصل : « يغمض » بالضاد المعجمة . وانظر النهاية . (ج٣ ، ص ١٧١) .
(٢) انظر الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٠) .
(٣) ذكر ابن اسحق هذه الأبيات . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٤٣) .

عمّه. فقلت: لا أراني عند ملك الروم وقد هربت من الإسلام، لا أُعرَف إلّا بمحمد! فدخلني الإسلام وعرفتُ أنّ ما كنت فيه باطلٌ من الشرك، ولكنّا كنّا مع قومٍ أهل عُقولٍ باسقة[١]، وأرى فاضل الناس يعيش في عقولهم ورأيهم، فسلكوا فَجًّا فسلكناه. ولمّا جعل أهل الشَّرَف والسِّنّ يقتحمون عن محمّدٍ، وينصرون آلهتهم، ويغضبون لآبائهم، فاتّبعناهم. ولقيه العبّاس بن عبد المطلّب ومَخْرَمَة بن نَوْفَل بالسُّقيا، فدخل عليه العبّاس فلم يخرج حتى راح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان ينزل معه في كلّ منزلٍ حتى دخل مكّة. ولمّا كانت الليلة التى نزل فيها بالجُحْفَة، رأى أبو بكر الصِّدّيق رضى الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه لمّا دنَوْا من مكّة، خرجت عليهم كَلْبَةٌ تَهِرّ، فلمّا دَنوا منها استلقتْ على ظهرها، وإذا أطباؤُها[٢] تَشْخَبُ لبنًا. فذكرها أبو بكر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ذهب كَلَبُهم[٣] وأقبل دَرُّهم! سائلوكم بأرحامكم، وأنتم لاقون بعضهم، فإن لقيتم أبا سُفيان[٤] فلا تقتلوه.

ولما نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قُدَيدًا لقيتْه سُلَيم، وذلك أنّهم نفروا من بلادهم فلقوه، وهم تسعمائة على الخيول جميعًا، مع كلّ رَجُلٍ رمحه وسلاحه، وقدم معهم الرسولان اللذان كان أرسلهما رسول الله صلّى الله

---

(١) الباسق: المرتفع فى علوه. (النهاية، ج ١، ص ٧٩).

(٢) الأطباء: جمع طبى بالكسر والضم، وهو حلمات الضرع التى من خف وظلف وحافر وسبع. (القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٦).

(٣) الكلب: داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب [بكسر اللام] فيصيبه شبه الجنون. (النهاية، ج ٤، ص ٣٠).

(٤) أى أبو سفيان بن الحارث.

عليه وسلّم إليهم ، فذكرا أنهم أسرعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث نزلا عليهم ، وحشدوا — ويُقال إنهم ألف — فقالت سُلَيم : يا رسول الله، إنك تُقصينا وتستغشّنا ونحن أخوالك — أمّ هاشم بن عبد مَناف عاتكة بنت مُرّة بن هِلال بن فالِج بن ذكوان من بنى سُلَيم — فقدمنا يا رسول الله حتى تنظر كيف بلاؤنا ، فإنّا صُبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، فرسانٌ على متون الخيل . قال : ومعهم لِواءان وخمس رايات ، والرايات سودٌ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : سيروا ! فجعلهم مُقدّمته ، وكان خالد بن الوليد على مُقدِّمة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حين لقيته بنو سُلَيم بقُديد ، حتى نزلوا مَر الظّهْران وبنو سُلَيم معه .

قال : حدّثنى شُعيب بن طَلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، عن أبيه ، قال : خرجت بنو سُلَيم تسعمائة على الخيول ، والقَنا والدروع الظاهرة ، قد طَوَوْا ألويتهم وراياتهم ، وليس معهم لواءٌ ولا رايةٌ معقودة ، فقالوا : يا رسول الله ، اعقِدْ لنا وضَعْ رايتنا حيث رأيت . فقال : يحمل رايتكم اليوم مَن كان يحملها فى الجاهليّة ! ما فعل فتًى كان قدم مع وفدكم علىّ ، حَسَنُ الوجه ، جيّد اللسان ؟ قالوا : توفّى[1] حديثًا .

قال : حدّثنى عِكرِمَة بن فَرُّوخ ، عن مُعاوية بن جاهمة بن عبّاس بن مِرداس السُّلَمىّ ، قال : قال عَبّاس : لقيته وهو يسير حتى هبط من المُشلَّل فى آلة الحرب ، والحديد ظاهرٌ علينا ، والخيل تُنازعنا الأَعِنّة ، فصففنا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإلى جنبه أبو بكر وعمر ، فنادى عُيَيْنَةُ من خلفه فقال : أنا عُيَينة[2]! هذه بنو سُلَيم ، قد حضرت بما ترى من العُدّة

---

(١) فى الأصل : « توفا » .
(٢) فى الأصل : « ياعيينة » ؛ وما أثبتناه أكثر تمشيا مع السياق .

والعدد والسلاح : وإنّهم لأَحْلاس(١) الخيل ، ورجال الحرب ، ورُعاة الحَدق(٢) . فقال العباس بن مِرداس : أَقْصِرْ أَيها الرجل ! واللهِ إنّك لتعلم لنحن أفرس على متون الخيل ، وأَطعن بالقَنا ، وأَضرب بالمَشْرَفيّة(٣) منك ومن قومك . فقال عُيَينة : كذبت ولؤمتَ(٤) ! لَنحن أَولى بما ذكرتَ منك ، قد عرفتْه لنا العربُ قاطِبةً . فأَومأَ اليهما النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بيده حتى سكتا .

واجتمع المسلمون بِمَرِّ الظَّهْران ، ولم يبلُغْ قُرَيشًا حَرْفٌ واحدٌ من مسير رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم . فقد اغتمُّوا وهم يخافون يغزوهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . فلما نزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مرّ الظَّهْران عِشاءً ، أمر أَصحابه أَن يُوقدوا النيران ، فأَوقدوا عشرة آلاف نار ، فأَجمعت قُرَيش بعثة أَبى سُفيان بن حَرب يتحسَّب الأَخبار ، وقالوا : إن لقيتَ محمّدًا فخذ لنا منه جِوارًا إلّا أن ترى رِقّةً من أَصحابه فآذنه(٥) بالحرب . فخرج أَبو سُفيان وحكيم بن حِزام ، فلقيا بُدَيل بن وَرقاء فاستتبعاه فخرج معهما ، فلمّا بلغوا الأَراك من مَرّ الظَّهران رأَوا الأَبنية والعسكر والنيران ، وسمعوا صهيل الخيلِ ورُغاء الإبل ، فأَفزعهم ذلك فزعًا شديدًا وقالوا : هؤلاء بنو كعب حاشتها(٦) الحربُ ! فقال بُديل : هؤلاء أَكثر من بنى كعب ! قالوا : فتنجّعت(٧) هَوازِن على أَرضنا ! واللهِ ما نعرف هذا ! إنّ هذا العسكر مثل حاجّ الناس !

---

(١) الأحلاس : جمع حلس ، وهو الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٤٩) . ويريد : لزومهم لظهور الخيل .

(٢) الحدق : جمع حدقة وهى سواد العين . (الصحاح ، ص ١٤٥٠) . والمعنى هنا : أنهم يصيبون العين إذا رموا .

(٣) السيوف المشرفية : تنسب إلى مشارف الشام . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٥٨) .

(٤) فى الأصل : « فلمت » .

(٥) فى الأصل : « فيؤذونه » .

(٦) فى الأصل : « جاشتها » . وحاشتها الحرب : جمعتها وساقتها . (الصحاح ، ص ١٠٠٣) .

(٧) التنجع والانتجاع والنجعة : طلب الكلأ ومساقط الغيث . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٣٨) .

قالوا : وقد استعمل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الحرس عمر بن الخطَّاب . وقد ركب العبّاس بن عبد المطَّلب بغلة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . الدُّلْدُل ، عسى أن يُصيب رسولًا إلى قُرَيش يُخبرهم أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم داخلٌ عليهم مع عشْرة آلاف ، فسمع صوت أبى سُفيان فقال : أبا حَنْظَلة ! فقال أبو سُفيان : يا لَبَّيك . أبو الفضل! قال العبّاس : نعم ! قال أبو سُفيان : فما وراءك ؟ قال العبّاس : هذا رسول الله فى عشْرة آلاف من المسلمين ، فأَسلِمْ ، ثَكِلَتكَ أُمُّك وعشيرتك! ثم أقبل على حَكيم بن حِزام وبُدَيل بن ورْقاء فقال : أَسْلِما . فإنى لكما جارٌ حتى تنتهوا إلى رسول الله ، فإنى أخشى أن تُقتَطعوا دون النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ! قالوا : فنحن معك . قال : فخرج بهم العبّاس حتى أتى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل عليه فقال : يا رسول الله ، أبو سُفيان ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيل بن وَرْقاء . قد أَجَرْتُهم وهم يدخلون عليك . قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَدخِلهم . فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامّة الليل يستخبرهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وقال : تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنى رسول الله ! فأمّا حكيم وبُدَيل فشهدا ، وأما أبو سفيان فشهد أن لا إله إلا الله ، فلمّا قال « وأنّى رسول الله » قال : واللهِ يا محمّد ، إنّ فى النفس مِن هذا لشيئًا يسيرًا بَعْدُ ، فأَرْجِئها . ثم قال للعبّاس : قد أجرناهم ، اذهبْ بهم إلى منزلك . فلما أذّن الصبح أذّن العسكر كلّهم ، ففزع أبو سُفيان من أذانهم وقال : ما يصنعون ؟ قال العبّاس : فقلت . الصلاة . قال أبو سُفيان : كم يُصلُّون فى اليوم والليلة ؟ قال : العباس : يُصلّون خمس صلوات . قال أبو سُفيان : كثيرٌ واللهِ ! قال : ثم

رآهم يبتدرون وَضوءَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : ما رأيتُ يا أبا الفضل مُلْكًا هكذا قطّ ، لا مُلْكَ كسرى ، ولا مُلْكَ بنى الأصفر ! فقال العبّاس : وَيْحك ، آمِنْ ! قال : أَدْخِلنى عليه يا أبا الفضل ! فأدخله العبّاس عليه وقال : يا محمّد استنصرتُ إلٰهى واستنصرتَ إلٰهك ، فلا واللهِ ما لقيتك من مرّةٍ إلّا ظَفِرتَ علىّ ، فلو كان إلٰهى مُحِقًّا وإلٰهك مُبطِلًا غلبتُك ! فتشهّد أبو سفيان أنّ محمّدًا رسول الله. ثم قال أبو سُفيان : يا محمّد، جئتَ بأَوْباش[(١)] الناس، من يُعرَف ومَن لا يُعرَف ، إلى عشيرتك وأصلك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أنت أظلم وأفجر ، غدرتم بعهد الحُديبية وظاهرتم على بنى كعب بالإِثْم والعُدوان فى حَرَمِ الله وأَمْنِه ! فقال أبو سُفيان : وحَيُّكم[(٢)] يا رسول الله ! لو كنتَ جعلت حِدّتك ومَكيدتك بِهَوازِن ، فهم أبعد رحمًا وأشدّ لك عداوةً ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى لأرجو من ربّى أن يجمع ذلك لى كلّه بفتح مكّة ، وإعزاز الإسلام بها ، وهزيمة هَوازِن ! وأن يُغنّمنى الله أموالهم وذراريّهم ، فإنى راغبٌ إلى الله تعالى فى ذلك !

قال : وحدّثنى عبد الله بن جعفر ، قال : سمعت يعقوب بن عُتبة يُخبر عن عِكْرِمَة ، عن ابن عبّاس رضى الله عنه ، قال : لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بِمَرّ الظَّهْران ، قال العبّاس بن عبد المطّلب : وَاصباحَ قُريش ! واللهِ لئن دخلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَنْوَةً إنه لَهلاك قُرَيش آخر الدهر . قال : فأَخذْتُ بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الشَّهْباء فركبتها ، وقلت : أَلتمسُ إنْسانًا أبعثُه إلى قُرَيش ؛ فيلقون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَةً . قال : فواللهِ إنى لفى الأَراك أبتغى

---

(١) الأوباش من الناس : الأخلاط . (الصحاح ، ص ١٠٢٥) .
(٢) فى الأصل : « وجيكم » ؛ ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .

إنساناً إذ سمعت كلاماً يقول: واللهِ إن رأيت كالليلة من(١) النيران. قال: يقول بُدَيل بن وَرْقاء: هذه واللهِ خُزاعة حاشتها الحرب! قال أبو سُفيان: خُزاعة أقلّ وأذلّ من أن تكون هذه نيرانهم وعسكرهم. قال: وإذا بأبي سُفيان فقلت: أبا حنْظَلَة! فقال: يا لبّيك، أبا الفضل - وعرف صوتي - مالك، فداك أبي وأمي؟ فقلت: وَيلك، هذا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في عشْرة آلاف. فقال: بأبي وأمي! ما تأمرني، هل من حِيلة؟ قلت: نعم، تركب عَجُز هذه البغلة فأذهبُ بك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فإنه والله إن ظُفر بك دون رسول الله، لتُقتَلنّ. قال أبو سُفيان: وأنا واللهِ أرى ذالك. قال: ورجع بُدَيل وحَكيم، ثم ركب خلفي، ثم وجّهتُ به، كلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: مَن هذا؟ فإذا رأوني قالوا: عمّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فلمّا رآني قام فقال: مَن هذا؟ فقلت: العبّاس. قال: فذهب ينظر، فرأى أبا سفيان خلفي فقال: أبو سفيان، عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بلا عَهْدٍ ولا عَقْدٍ! ثم خرج نحو رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يشتدّ، وركضتُ البغلة حتى اجتمعنا جميعاً على باب قُبّة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم. قال: فدخلتُ على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ودخل عمر على إثري، فقال عمر: يا رسول الله، هذا أبو سُفيان عدوّ الله، قد أمكن الله منه بلا عَهْدٍ ولا عَقْد، فدعني أضربْ عُنُقَه. قال: قلت: يا رسول الله إني قد أجرتُه! قال: ثم التزمتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقلت: واللهِ لا يُناجيه الليلة أحدٌ غيري - أو دوني. فلمّا أكثر عمر فيه قلت: مهلاً يا عمر! فإنّه لو كان رجلٌ من بني عَديّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنه أحد بني عبد مَناف. فقال عمر: مهلاً، يا أبا الفضل! فواللهِ لإسلامك كان

(١) في الأصل: «في النيران».

أَحبّ إليَّ من إسلام رجلٍ من آل الخطَّاب لو أسلَم . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم : اذهبْ به ، فقد أَجرتُه لك فَلْيَبِتْ عندك حتى تغدو به علينا إذا أَصبحتَ . فلمّا أَصبحتُ غدوتُ به ، فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم قال : وَيْحك ، يا أَبا سُفيان ! أَلم يَأْنِ لك أَن تعلم أَن لا إله إلّا الله؟ قال : بأَبي أَنت ، ما أَحْلَمَك وأَكرمَك وأَعظم عَفْوَك ! قد كان يقع فى نفسى أَنه لو كان مع الله إلهٌ لقد أَغنى عنى شيئًا بعدُ . قال : يا أَبا سفيان ، أَلم يَأْنِ لك أَن تعلم أَنّى رسول الله ؟ قال : بأَبى أَنت وأُمّى ، ما أَحلمك وأَكرمَك وأَعظم عفْوَك ! أَمّا هذه ، فوالله إنَّ فى النفس منها لَشيئًا بعدُ . فقال العبّاس : فقلت : وَيْحَكَ ، أَشهَدْ أَن لا إله إلّا الله ! وأَشهدْ أَنَّ محمّدًا عبده ورسوله قبل ــ والله ــ أَن تُقتَل ! فقال : فشهد شهادة الحقّ ، فقال : أَشهدُ أَن لا إله إلّا الله وأَشهدُ أَنَّ محمّدًا عبده ورسوله . فقال العبّاس : يا رسول الله ، إنك عرفتَ أَبا سُفيان وحبّه الشَّرَف والفَخْر ، اجعل له شيئًا ! قال : نعم ، مَن دخل دار أَبى سُفيان فهو آمنٌ ، ومن أَغلق داره فهو آمنٌ . ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للعبّاس بعد ما خرج : احبسه بمَضيق الوادى إلى خَطْم[١] الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال العباس : فعدلتُ به فى مَضيق الوادى إلى خَطْم الجبل ، فلما حبست أَبا سُفيان قال : غدرًا بنى هاشم ؟ فقال العباس : إنَّ أَهل النبوّة لا يغدِرون ، ولكن لى إليك حاجةٌ . فقال أَبو سُفيان : فهلّا بدأْتَ بها أَوّلًا ! فقلت : إنّ لى إليك حاجةً فكان أَفرخَ لِروعى . قال العبّاس : لم أَكن أَراك تذهب هذا المذهب . وعبّا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَصحابه ، ومرّت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها ، فكان أَوّل من قَدَّم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم

(١) خطم الجبل : أنفه . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٣) .

خالد بن الوليد فى بنى سُلَيم ، وهم ألف ، فيهم لواءٌ يحمله عبّاس بن مِرداس السُّلَمِىّ ، ولواءٌ يحمله خُفاف (١) بن نُدْبَة ، وراية يحملها [الحجّاج بن عِلاط.] (٢) .

قال أبو سفيان : مَن هؤلاء ؟ قال العبّاس : خالد بن الوليد . قال : الغلام ؟ قال : نعم . فلما حاذى خالد العباس ، وإلى جنبه أبو سُفيان ، كبر ثلاثًا ، ثم مضوا . ثم مرّ على إثره الزُّبَير بن العَوّام فى خمسمائة — منهم مهاجرون وأفناءُ (٣) العرب — ومعه رايةٌ سوداءُ ، فلمّا حاذَى أبا سفيان كبّر ثلاثًا وكبّر أصحابه ، فقال : مَن هذا ؟ قال : الزُّبَير بن العوّام . قال : ابن أُختك ؟ قال : نعم . ومرّ بنو غِفار فى ثلاثمائة ، يحمل رايتهم أبو ذَرّ الغِفارى — ويُقال إيْماءُ بن رَحْضَة — فلمّا حاذوه كبّروا ثلاثًا . قال : يا أبا الفضل ، مَن هؤلاء ؟ قال : بنو غِفار . قال : مالى ولبنى غِفار ! ثم مضت أسلم فى أربعمائة ، فيها لواءان يحمل أحدهما بُريدة بن الحُصَيب ، والآخر ناجية بن الأَعْجَم ، فلمّا حاذوه كبّروا ثلاثًا . قال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم . قال : يا أبا الفضل ، مالى ولأسلم ! ما كان بيننا وبينها مرّةٌ قطّ . قال العبّاس : هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام . ثم مرّت بنو عمرو بن كعب فى خمسمائة ، يحمل رايتهم بُسْر (٤) بن سُفيان . قال : مَن هؤلاء ؟ قال : بنو كعب بن عمرو. قال : نعم ، هؤلاء حلفاءُ محمّد ! فلمّا حاذوه

---

(١) فى الأصل : « حفاف بن ندبه » ؛ وما أثبتناه عن الزرقانى ، عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) . وعن ابن عبد البر أيضا . (الاستيعاب ، ص ٤٥٠) .

(٢) الزيادة من الزرقانى ، عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) .

(٣) يقال : هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو . (الصحاح ، ص ٢٤٥٧) .

(٤) فى الأصل : « بسير » على صيغة التصغير . وما أثبتناه من الزرقانى ، عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) . ومن ابن عبد البر أيضا . (الاستيعاب ، ص ١٦٦) .

كبّروا ثلاثًا . ثم مرّت مُزَينة فى ألفٍ ، فيها ثلاثة ألوية وفيها مائة فَرَس ، يحمل ألويتها النُّعمان بن مُقرِّن ، وبلال بن الحارث ، وعبد الله بن عمرو ؛ فلمّا حاذوه كبّروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : مُزَينة . قال : يا أَبا الفضل مالى ولمُزَينة ! قد جاءتنى تُقَعْقِع من شَواهِقِها [1]. ثم مرّت جُهَينة فى ثمانمائة مع قادتها ، فيها أربعة ألوية ، لواءٌ مع أَبى رَوْعَة مَعْبَد بن خالد ، ولواءٌ مع سُويد بن صَخر ، ولواءٌ مع رافع بن مَكيث ، ولواءٌ مع عبد الله بن بدر [2]. قال : فلمّا حاذوه كبّروا ثلاثًا . ثم مرّت كِنانة ، بنو لَيث ، وضَمْرَة ، وسعد بن بكر فى مائتين ، يحمل لواءهم أَبو واقد اللَّيثىّ ؛ فلما حاذوه كبّروا ثلاثًا ، فقال : مَن هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : نعم ، أَهل شُؤْم واللهِ ! الذين غزانا محمّد بسببهم ، أما واللهِ ما شُووِرْتُ فيه ولا عَلِمتُه ، ولقد كنت له كارهًا حيث بلغنى ، ولكنه أَمْرٌ حُمَّ ! قال العبّاس : قد خار الله لك فى غزو محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، ودخلتم فى الإسلام كافّةً .

قال : وحدّثنى عبد الله بن عامر ، عن أَبى عَمرة بن حِماس قال : مرّت بنو لَيث وحدها ، وهم مائتان وخمسون ، يحمل لواءها الصَّعْب بن جَثّامة ، فلمّا مرّ كبّروا ثلاثًا فقال : مَن هؤلاء ؟ قال : بنو لَيث . ثم مرت أَشجع ــ وهم آخر مَن مرّ وهم ثلثمائة ، معهم لواءان ، لواءٌ يحمله مَعْقِل بن سِنان ، ولواءٌ مع نُعَيم بن مَسعود . فقال أَبو سُفيان : هؤلاء كانوا أَشدّ العرب على محمّدٍ . فقال العبّاس : أَدخل الله الإسلام فى قلوبهم ، فهذا من فضل الله عزّ وجلّ ! فسكت ثم قال : ما مضى بعدُ محمّد ! قال العبّاس : لم يمض

(١) الشواهق : جمع شاهق ، وهو الجبل المرتفع . (الصحاح ، ج ١٥٠٥) .

(٢) فى الأصل : « عبد الله بن زيد » ؛ وما أثبتناه من الزرقانى ، عن الواقدى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٤) . ومن ابن عبد البر أيضاً . (الاستيعاب ، ص ٨٧١) .

بعدُ ، لو رأيت الكتيبة التى فيها محمّد صلّى الله عليه وسلّم رأيت الحديد والخيل والرجال ، وما ليس لأحدٍ به طاقة ، قال : أظن والله يا أبا الفضل ؛ ومن له بهؤلاء طاقة ؟ فلما طلعت كتيبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخضراءُ طلع سوادٌ وغَبْرَةٌ من سنابك الخيل ، وجعل الناس يمرّون ، كلّ ذلك يقول : ما مرّ محمّدٌ ! فيقول العبّاس : لا . حتى مرّ يسير على ناقته القَصواء بين أبى بكر وأُسَيد بن حُضَير وهو يُحدّثهما ، فقال العبّاس : هذا رسول الله فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار ، فيها الرايات والألوية ، مع كلّ بَطْنٍ من الأنصار رايةٌ ولواءٌ ، فى الحديد لا يُرَى منهم إلّا الحَدَق ، ولعمر بن الخطّاب رضى الله عنه فيها زَجَلٌ — وعليه الحديد — بصوتٍ عالٍ وهو يُزعجها ، فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، مَن هذا المتكلّم ؟ قال : عمر ابن الخطّاب . قال : لقد أَمِرَ أمْرُ بنى عدِىّ بعد — والله — قِلّةٍ وذِلّةٍ ! فقال العبّاس : يا أبا سُفيان ، إنّ الله يرفع مَن يَشاءُ[1] بما يَشاءُ ، وإنّ عمر مِمّن رفعه الإسلام . ويُقال : كان فى الكتيبة ألفُ دارعٍ . وأعطى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رايتَه سعدَ بن عُبادة وهو أمام الكتيبة ، فلمّا مرّ سعد براية النبىّ صلّى الله عليه وسلّم نادى : يا أبا سُفيان ! اليوم يوم المَلْحَمَة ! اليوم تُستَحل الحُرمة ! اليوم أذلّ الله قُرَيشًا ! فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى إذا حاذَى أبا سُفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرتَ بقَتْل قومك ؟ زعم سعد ومَن معه حين مرّ بنا قال «يا أبا سُفيان ، اليَوم يَومُ المَلحَمة ! اليَوم تُستحلّ الحُرْمَة ! اليوم أذلّ اللهُ قُرَيْشًا !» وإنى أنشدُك اللهَ فى قومك ، فأنت أبرّ الناس ، وأرحم الناس ، وأوصل الناس . قال عبد الرحمن بن

---

(١) فى الأصل : «ما يشاء» .

عَوف وعُثمان بن عَفَّان : يا رسول الله ، ما نأْمن سعدًا أن يكون منه فى قُر َيش صَوْلَة . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اليوم يوم المَرحمة ! اليوم أعزّ الله فيه قُرَيْشًا ! قال : وأرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم إلى سعد فعزله ، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد ، ورأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ اللواء لم يخرج من سعدٍ حين صار لابنه . فأَبى سعدٌ أن يُسلم اللواء إلَّا بأَمارةٍ من النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأَرسل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعِمامته ، فعرفها سعدٌ فدفع اللواءَ إلى ابنه قيس.

قال : فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن سَعيد بن عمرو بن شُرَحبيل ، عن أهله ، قالوا : دخل واللهِ سعد بلوائه حتى غَرَزَه بالحَجُون . وقال ضِرار بن الخطَّاب الفِهرىّ : ويُقال إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمر عَليًّا رضى الله عنه فأَخذ اللواءَ ، فذهب عَلِىٌّ عليه السلام بها حتى دخل بها مكَّة فَغَرَزَها عند الرُّكن . وقال أبو سُفيان : ما رأيتُ مثل هذه الكتيبة قطُّ ، ولا خبّرنيه مُخَبِّر ! سبحانَ الله ، ما لأَحدٍ بهذه طاقةٌ ولا يدان! ثم قال : لقد أصبح مُلْك ابن أخيك الغَداةَ عظيمًا ! قال ، قلت : وَيْحَك يا أبا سُفيان ، ليس بمُلْكٍ ولكنها نُبُوَّةٌ . قال : نعم !

قال : فحدثنى عبد الله بن يَزيد ، عن عبد الله بن ساعِدة ، قال : قال له العبّاس : فَانْجُ وَيْحَك فأَدْرِك قومَك قبل أن يدخلَ عليهم . قال : فخرج أبو سفيان فتقدّم النَّاس كلّهم حتى دخل من كَدَاءٍ(١) وهو يقول : من أغلق بابه فهو آمِن ! حتى انتهى إلى هِند بنت عُتبة ، فأَخذت برأسه فقالت : ما وراءك ؟ قال : هذا محمّد فى عشرة آلافٍ عليهم الحَديد ، وقد

---

(١) كداء : جبل بمكة . (معجم ما استعجم ، ص ٤٦٩) .

جعل لى : مَن دخل دارى فهو آمِن ، ومن أغلق بابه فهو آمِنٌ ، ومن طرح السلاح فهو آمِنٌ . قالت : قبّحك الله رسولَ قَوْم. قال : وجعل يصرخ بمكّة : يا معشر قُرَيش ، وَيْحَكُم ! إنه قد جاءَ ما لا قِبَل لكم به ! هذا محمّد فى عشرة آلافٍ عليهم الحديد ، فأسلِموا ! قالوا : قبّحك الله وافِدَ قَوْمٍ ! وجعلت هند تقول : اقتلوا وافِدَكم هذا ، قبّحك الله وافِدَ قومٍ . قال : يقول أبو سُفيان : وَيْلَكم ، لا تَغرّنّكم هذه من أنفسكم ! رأيت ما لم تَرَوْا ! رأيت الرجال والكُراع والسلاح ، فلا لأَحدٍ بهذا طاقة !

قالوا : وانتهى المسلمون إلى ذى طُوًى ، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى تلاحق الناس . وقد كان صَفوان بن أُمَيّة ، وعِكْرِمَة ابن أَبى جَهل ، وسُهَيل بن عمرو قد دَعَوْا إلى قتال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وضَوَى إليهم ناسٌ من قُرَيش وناسٌ من بنى بكر وهُذيل ، وتلبّسوا السلاح ، ويُقسمون باللهِ لا يدخلها محمّدٌ عَنْوَةً أبدًا . فكان رجل من بنى الدِّيل يُقال له : حِماس بن قيس بن خالد الدِّيلىّ ، لمّا سمع برسول الله صلّى الله عليه وسلّم جلس يُصلح سلاحه ، فقالت له امرأته : لمَن تُعِدّ هذا ؟ قال : لمحمّدٍ وأصحابه ، فإنِى أرجو أن أُخدمك مِنهم خادمًا فإنّك إليه محتاجة . قالت : وَيْحَك ، لا تفعل ولا تُقاتل محمدًا ! واللهِ لَيضلّنّ هذا عنك لو رأيتَ محمّدًا وأصحابه . قال : سترَين . قال : وأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى كتيبته الخضراء ، وهو على ناقته القصواء ، معتجرًا بِشُقّة بُرْدٍ[1] حِبَرَة .

قال : فحدثنى محمّد بن عبد الله ، عن عبّاد بن أَبى صالح ، عن أَبيه ،

(١) الشقة : النصف . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٩) .

عن أبي هُريرة ، قال : دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ وعليه عمامة سوداءُ ، ورايته سوداءُ ، ولواؤه أسود، حتى وقف بذى طُوًى وتوسّط النَّاس وإنّ عُثْنُونَه[١] ليَمَسّ واسطة الرَّحْل أو يَقْرُب منه ، تواضعًا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين . ثم قال : العَيْشُ عيْشُ الآخرة ! قال : وجعلت الخيل تَمعَج[٢] بذى طُوًى فى كلّ وجه ، ثم ثابت وسكنت حيث توسّطهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

قال : حدّثنى يَعقوب بن يحيى بن عَبّاد ، عن عيسى بن مَعْمَر ، عن عَبّاد بن عبد الله ، عن أَسْماءَ بنت أبى بكر ، قالت : وصعد أبو قُحافة يومئذ بصُغْرَى بناته ، قُرَيبة بنت أبى قُحافة ، تقوده حتى ظهرت به إلى أبى قُبَيس ــ وقد ذهب بصره ــ فلمّا أشرفت به على أبى قُبَيس قال : يا بُنَيّة ، ماذا تَرَيْن ؟ قالت : أرى رجلًا يسعى بينْ ذلك السَّواد مُقبلًا ومُدبرًا . قال : ذلك الوازع[٣] يا بُنَيّة ، انظرى ما تَرَيْن ! قالت : تفرّق السواد . قال : قد تفرّقت الجيوش ! البيتَ ! البيتَ ! قالت : فنزلتُ به . قال : فجعلت الجارية تَرعَب لِما ترى ، فيقول : يا بنيّة ، لا تخافى ! فوالله إنّ أخاك عتيقًا[٤] لآثَرُ أصحاب محمّد عند محمّد . قال : وعليها طَوْق من فضّة ، فاختلسه بعضُ من دخل .

قالوا : فلمّا دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول أبو بكر رضى الله عنه : أنشد بالله طَوقَ أُختى ! ثلاث مرّات . ثم قال : يا أُخيّة احتسبى طوقك ، فإنّ الأَمانة فى الناس قليل .

---

(١) العثنون : اللحية . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٩) .
(٢) معج : أى أسرع . (القاموس المحيط ، ص ٢٠٧) .
(٣) الوازع : يريد أنه صالح للتقدم على الجيش وتدبير أمرهم وترتيبهم فى قتالهم . (النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٠٨) .
(٤) فى الأصل : « عتبق » .

قالوا : ثم التفت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى رجلٍ من الأنصار إلى جنبه ، فقال : كيف قال حسّان بن ثابت ؟ فقال[١] :

عَدِمنا خيلَنا إن لم تَرَوْها تُثير النَّقْعَ من كَتِفَى كَداء

ثم أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الزُّبَير بن العَوّام أن يدخل من كُدًى[٢] ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللِّيط.[٣] ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل من كَداء ، والراية مع ابنه قيس ، ومضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل من أذاخِر . ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن القتال ، وأمر بقتل ستّة نَفَر وأربع نسوة : عِكْرِمَة بن أبى جَهل ، وهَبّار بن الأَسود ، وعبد الله ابن سعد بن أبى سَرْح ، ومِقيَس بن صُبابة اللَّيثىّ ، والحُويرث بن نُقَيذ[٤] ، وعبد الله بن هلال بن خَطَل الأَدْرَمىّ ، وهند بنت عُتبة بن ربيعة ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم ، وقَيْنَتَين لأبى خَطَل : قُرَينا وقُرَيبة ؛ ويقال : فَرْتَنا وأَرْنَبة . فكلّ الجنود دخل فلم يَلْقَ جمعًا ، فلمّا دخل خالد بن الوليد وجد جمعًا من قُرَيش وأحابيشها[٥] قد جمعوا له . فيهم صَفوان بن أُمَيّة ، وعِكْرِمَة بن أبى جَهل ، وسُهَيل بن عمرو ، فمنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ، ورَمَوا بالنَّبْل ، وقالوا : لا تدخلها عَنْوَةً أبدًا ! فصاح خالد بن الوليد فى أصحابه وقاتَلهم . فقتل منهم أربعة وعشرين رجلًا من قُرَيْشٍ ، وأربعةً من

---

(١) ذكر ابن اسحاق هذا البيت ضمن قصيدة طويلة لحسان بن ثابت . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٤) . وانظر ديوان حسان . (ص ١) .

(٢) كدى : جبل قريب من كداء . (معجم ما استعجم ، ص ٤٦٩) .

(٣) الليط : موضع بأسفل مكة . (معجم ما استعجم ، ص ٤٩٩) .

(٤) فى الأصل : « الحويرث بن نفيل » ، وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٨) . وعن البلاذرى أيضا . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) .

(٥) فى الأصل : « أجانيسها » .

هُذَيل ، وانهزموا أَقبح الانهزام حتى قُتلوا بالحَزْوَرة[١] وهم مُوَلُّون فى كلّ وجه . وانطلقت طائفةٌ منهم فوق رءُوس الجبال ، واتّبعهم المسلمون ، فجعل أَبو سُفيان بن حرب وحَكيم بن حِزام يصيحان : يا معشر قُرَيش ، علامَ تقتلون أَنفسكم ؟ مَن دخل داره فهو آمِنٌ ، ومن وضع السلاح فهو آمِن . فجعل الناس يقتحمون الدور ، ويُغلقون عليهم ، ويطرحون السلاح فى الطُّرُق حتى يأْخذها المسلمون . ولمّا ظهر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ثنيّة أَذاخِر نظر إلى البارِقة[٢] فقال : ما هذه البارِقة ، أَلم أَنْهَ عن القتال ؟ قيل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد قُوتل ، ولو لم يُقاتَل ما قاتل ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قضى الله خيرًا ! قال : وجعل يتمثّل بهذه الأَبيات ، وهو يُقاتل خارجة بن خُوَيلِد الكعبىّ ، أَنشدنيها [ ][٣] عن أَبيه :

إِذا ما رسولُ اللهِ فينا رأيتنا كلُجّةِ بحرٍ نال فيها سريرُها
إِذا ما ارتدينا الفارسيّةَ فوقَها رُدَيْنِيّةٌ[٤] يَهدِى الأَصمَّ خريرُها[٥]
[ ][٦] وإِنّ محمّدًا لها ناصرٌ عزّتَ وعزّ نصيرُها

وأَقبل ابن خَطَل جائيًا من مكّة ، مُدجّجًا فى الحديد ، على فَرَسٍ ذَنوب[٧] ، بيده قَناةٌ . وبنات سَعيد بن العاص قد ذُكر لهنّ أَنّ رسول الله

---

(١) الحزورة : سوق مكة وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧١) .

(٢) بارقة السيوف : لمعانها ، يقال : برق بسيفه وأبرق إذا لمع به . (النهاية ، ج ١ ، ص ٧٤) .

(٣) كلمة غامضة ، رسمها فى الأصل : « حرايد » .

(٤) القناة الردينية والرمح الرديني ، زعموا أنه منسوب إلى امرأة السمهرى تسمى ردينة . وكانا يقومان القناة بخط هجر . (الصحاح ، ص ٢١٢٢) .

(٥) فى الأصل : « جريرها » ؛ وما أثبتناه أقرب إلى السياق . والخرير : صوت الماء والريح . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٩) .

(٦) بياض بالأصل .

(٧) الذنوب : الفرس الطويل الذنب . (الصحاح ، ص ١٢٨) .

صلّى الله عليه وسلّم قد دخل ، فخرجن قد نَشَرن رءُوسهنّ ، يضربن بخُمُرِهنّ وجوهَ الخيل ، فضربهنّ ابن خَطَل جائيًا من أَعلى مكّة فقال لهنّ : أَمَا والله لا يدخلها حتّى تَرَيْن ضَرْبًا كأَفواه المزاد[١] ! ثم خرج حتّى انتهى إلى الخَنْدَمة ، فرأَى خيل المسلمين ورأَى القتال ، ودخله الرُّعْب حتّى ما يستمسك من الرِّعْدة ، حتّى انتهى إلى الكعبة فنزل عن فَرَسه ، وطرح سلاحه ، فأَتى البيت فدخل بين أَستاره .

قال : وحدّثنى حِزام بن هشام ، عن أَبيه ، قال : أَخذ رجلٌ من بنى كعب دِرْعَه ، وصَفَفه[٢] ، ومِغْفَره ، وبَيْضَته ، وسيفه ، وأَدرك فَرَسه غائرًا فأَدركه فاستوى عليه ، ولحق النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بالحَجُون . قالوا : وأَقبل حِماسُ بن خالد مُنهزِمًا حتى أَتى بيته ، فدقّه ففتحت له امرأَته فدخل ، وقد ذهبت روحه ، فقالت : أَين الخادم الذى وعدتنى ؟ ما زلت منتظرتك منذ اليوم تُسخرّ به ! قال : دعى عنك ، أَغلقِى بابى ! فإنه مَن أَغلق بابه فهو آمنٌ ! قالت : ويحك ! أَلم أَنْهَك عن قتال محمّد ؟ وقلت لك : « ما رأَيته يُقاتلكم من مرّة إلّا ظهر عليكم » ، وما بابنا ؟ قال: إنه لا يُفتَح على أَحدٍ بابُه . ثم قال — أَنشدنيها ابن أَبى الزناد :

وأَنتِ لو شهدتِنا بالخَنْدَمَهْ إذ فَرّ صَفوانٌ وَفرّ عِكْرِمَهْ
وأَبو يزيدٍ[٣] كالعجوز المُؤْتِمَهْ[٤] لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أَدنى كَلِمَهْ

---

(١) المزاد : جمع المزادة ، وهى الراوية . قال أبو عبيد : لا تكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع . (الصحاح ، ص ٤٧٩) .

(٢) فى الأصل : « وصفاصة » . والصفف : ما يلبس تحت الدرع . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ١٦٣) .

(٣) هو سهيل بن عمرو خطيب قريش . (الروض الأنف ، ج ٢ ، ص ٢٧٢) .

(٤) المؤتمة : المرأة التى قتل زوجها فبقى لها أيتام . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٠) .

وضربتنا[١] بالسُّيوفِ المُسْلِمهْ لهم زَئيرٌ[٢] خَلْفَنَا وغَمْغَمَهْ[٣]

قال : وأقبل الزُّبَيْر بن العَوام بمن معه من المسلمين حتّى انتهى بهم إلى الحَجُون ، فغَرز الرّاية عند منزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ولم يُقتل من المسلمين أحدٌ إلّا رجلان من أصحابه ، أخطآ طريقه فسلكا غيرها فقُتلا ؛ كُرْز بن جابر الفِهرِىّ ، فقام عليه خالد الأشقر وهو جَدّ حِزام بن خالد حتى قُتل ، وكان الذى قتل خالدًا ابنُ أبى الجِذع الجُمَحىّ .

قال : فحدّثنى قُدامة بن موسى ، عن بَشير مولى المازنيّين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنت ممن لزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخلت معه يوم الفتح من أذاخِر ، فلمّا أشرف على أذاخِر نظر إلى بيوت مكّة ، ووقف عليها فحمد الله وأثنى عليه ، ونظر إلى موضع قُبّته فقال : هذا منزلنا يا جابر ، حيث تقاسمت علينا قُرَيشٌ فى كُفرِها . قال جابر : فذكرت حديثًا كنت أسمعه منه صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك بالمدينة : « منزلنا غدًا إن شاء الله إذا فتح الله علينا مكّة فى الخَيْف [٤] حين تقاسموا علىّ الكُفْر » . وكنا بالأَبْطَح وُجاهَ شِعْب أبى طالب حيث حُصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبنو هاشم ثلاث سنين

قال : حدّثنى عبد الله بن زيد ، عن أبى جعفر ، قال : كان أبو رافع

---

(١) هكذا فى الأصل والبلاذرى . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) . وفى ابن إسحاق : « واستقبلتهم » . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥١) .

(٢) فى الأصل : « لهم زبير » ؛ وما أثبتناه عن البلاذرى . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) . والزئير : صوت الأسد فى صدره . (الصحاح ، ص ٦٦٦) .

(٣) الغمغمة : أصوات الأبطال فى الحرب . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٠) .

(٤) الخيف : هو بطحاء مكة ، وقيل مبتدأ الأبطح ، وهو الحقيقة فيه ، لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع من المسيل . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٠٠) .

قد ضرب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قُبَّة بالحَجُون من أَدَم ، فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتهى إلى القُبّة ، ومعه أم سَلَمَة وميمونة .

قال : حدّثنى مُعاوية بن عبد الله بن عُبَيد الله ، عن أبيه ، عن أبى رافع ، قال : قيل للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم : ألا تنزل منزلَك من الشِّعب ؟ قال : فهل ترك لنا عَقيلٌ[1] منزلًا ؟ وكان عَقيل قد باع منزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكّة . فقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فانزلْ فى بعض بيوت مكّة فى غير منازلك ! فأبى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال : لا أدخلُ البيوت . فلم يزل مُضْطَرِبًا بالحَجُون لم يدخل بيتًا ، وكان يأتى إلى المسجد من الحَجُون .

قال : وحدثنا ابن خَديج ، عن عَطَاء ، قال : لمّا هاجر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة لم يدخل بيوت مكّة ، فاضطرب بالأَبْطَح فى عُمرة القَضية ، وعام الفتح ، وفى حجّته .

قال : وحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن محمّد بن جُبَير بن مُطعِم ، عن أبيه ، عن جَدّه[2] قال : رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُضْطَرِبًا بالحَجُون فى الفتح ، ويأتى لكلّ صلاة .

قالوا : وكانت أُمّ هانىء بنت أبى طالب تحت هُبَيرة بن أبى وهْب المَخزومىّ ، فلما كان يوم الفتح دخل عليها حَمَوان لها — عبد الله بن أبى رَبيعة المَخزومى ، والحارث بن هِشام — فاستجارا بها وقالا : نحن فى جِوارك ! فقالت : نعم ، أنتما فى جِوارى . قالت أُم هانىء : فهما عندى إذ دخل عَلَىَّ فارسًا ، مُدجَّجًا فى الحديد ، ولا أعرفه ، فقلت له : أنا بنت عمّ رسول الله صلّى الله

---

(١) أى عقيل بن أبى طالب .

(٢) هكذا فى الأصل . ويلاحظ أن مطعم بن عدى جد محمد المذكور مات قبل بدر بنحو سبعة أشهر . انظر أسد الغابة . (ج ١ ، ص ٢٧١) . ولعل الخبر عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم كما سيجىء فى ص ٨٥٨ .

عليه وسلَّم . قالت : فكفّ عنّى وأسفر عن وجهه ، فإذا علىٌّ عليه السلام ، فقلت : أَخى ! فاعتنقته وسلَّمت عليه ، ونظر إليهما فشهر السيف عليهما . قلت : أَخى مِن بين الناس يصنع بى هذا ! قالت : وألقيت عليهما ثوباً ، وقال : تُجيرين المشركين ؟ وحُلتُ دونهما فقلتُ : واللهِ لتبدأَنَّ بى قبلهما ! قالت : فخرج ولم يَكَدْ ؛ فأَغلقتُ عليهما بيتًا ، وقلت : لا تخافا !

قال : فحدّثنى ابن أَبى ذِئب ، عن المَقْبُرىّ ، عن أَبى مُرّة مولى عَقيل ، عن أُمّ هانىء ، قالت : فذهبتُ إلى خِباءِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالبَطْحاءِ فلم أَجده ، ووجدت فيه فاطمة فقلت : ماذا لقيتُ من ابن أُمّى عَلىٌّ ؟ أَجرتُ حَمَوين لى من المشركين فتَفَلَّتَ عليهما ليقتلهُما ! قالت : فكانت أَشدّ علىّ من زوجها وقالت : تُجيرين المشركين ؟ قالت : إلى أَن طلع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعليه رهَجَة[1] الغُبار ، فقال : مرحبًا بفاخِتَةَ[2] أُمِّ هانئ ! وعليه ثوبٌ واحدٌ ، فقلت : ماذا لقيتُ من ابن أُمّى علىٌّ ؟ ما كِدْتُ أَنفلِتُ منه ! أَجرتُ حَمَوين لى من المشركين فتَفَلَّتَ عليهما ليقتلهما ! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما كان ذاك ، قد أَمَّنَّا مَن أَمَّنتِ ، وأَجرنا من أَجرتِ . ثم أَمر فاطمة فَسَكَبَتْ له غسلًا فاغتسل ، ثم صلَّى ثمان ركعاتٍ فى ثوبٍ واحد مُلتحِفًا به ، وذلك ضحًى فى فتح مكّة .

قالوا : قالت : فرجعتُ إليهما فأَخبرتهما وقلت لهما : إن شئتما فأَقيما وإن شئتما فارجعا إلى منازلكما . قالت : فأَقاما عندى يومين فى منزلى ، ثم انصرفا إلى منازلهما . قالت : فكنت أَكون مع النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فى خِبائه بالأَبطَح حتى خرج إلى حُنَين . قالت : فأَتى آتٍ إلى رسول الله صلَّى

(١) الرهجة : آثار الغبار . (القاموس المحيط ، ح ١ ، ص ١٩١) .

(٢) فى الأصل . « بناجية أم هانئ » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣٢) .

الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله ، الحارث بن هشام وابن أَبي رَبيعة جالسان في ناديهما متفضّلان[١] في المُلاءِ المُزَعْفَر[٢] . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا سبيل إليهما ، قد أَمّنّاهما ! قال : ومكث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في منزله ساعةً من النهار واطمأَنّ واغتسل ، ثم دعا براحلته القَصْواء فأُدْنِيَت إلى باب قُبّته ، ودعا لِلبس السلاح ، والمِغْفر على رأسه ، وقد صَفَّ له الناسُ ، فركب براحلته والخيل تَمْعج بين الخَنْدَمَة إلى الحَجون ، ومرَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأَبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه يسير يُحادثه ، فمرّ ببنات أَبي أُحيحة بالبطْحاءِ حِذاءَ منزل أَبي أُحَيحة وقد نشرن رءُوسهنَّ ، يلطِمن وجوهَ الخيل بالخُمُر ، فنظر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أَبي بكر فتبسَّم ، وذكر بيت حَسّان بن ثابت فأَنشده أَبو بكر رضي الله عنه[٣] :

تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ[٤] يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّساءُ

ولمّا انتهى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الكعبة فرآها ، ومعه المسلمون ، تقدّم على راحلته فاستلم الرُّكن بِمِحْجنه ، وكبّر فكبّر المسلمون لتكبيره ، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكّة تكبيرًا حتى جعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُشير إليهم : اسكتوا ! والمشركون فوق الجبال ينظرون. ثم طاف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالبيت على راحلته ، آخذٌ بِزِمامها

---

(١) التفضل : التوشح وأن يخالف اللابس بين أطراف ثوبه على عاتقه . (لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٤١) .

(٢) الملاء : جمع ملاءة وهى الريطة ، أى الثوب اللين . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٩ ؛ ج ٢ ، ص ٣٦٢) .

(٣) ذكر ابن إسحاق القصيدة كلها . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٥) .

(٤) متمطرات : أى مصوبات بالمطر ؛ ويقال : متمطرات أى يسبق بعضها بعضاً . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٥) .

محمّد بن مَسْلَمَة ، وحول الكعبة ثلاثمائة صَنَمٍ ، وستّون صَنَمًا مُرَصَّصةٌ بالرَّصاص وكان هُبَل أعظمها ، وهو وُجاهَ الكعبة على بابها ، وإسافٌ ونائلةُ حيث ينحرون ويذبحون الذبائح ، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّما مرَّ بصنَمٍ منها يُشير بقضيبٍ فى يده [ويقول] : ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١) . فيقع الصنم لوجهه.

قال : حدّثنى ابن أبى سَبْرَةَ ، عن حُسَين بن عبد الله ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عبّاس رضى الله عنه ، قال : ما يزيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُشير بالقضيب إلى الصّنم فيقع لوجهه ، فطاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعًا على راحلته يستلم الرُّكن الأسود بِمِحْجنه فى كلّ طَوافٍ ، فلما فرغ من سبعه نزل عن راحلته ، وجاء مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة فأخرج راحلته ؛ ثم انتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المقام ، وهو يومئذ لاصقٌ بالكعبة ، والدِّرْع عليه والمِغفر ، وعمامته بين كَتِفَيه ، فصلّى ركعتين ثم انصرف إلى زَمْزم فاطّلع فيها ، وقال : لولا أن يُغلَب بنو عبد المطّلب لنزعتُ منها دلْوًا . فنزع له العباس بن عبد المطّلب دَلْوًا فشرب منه. ويقال : الذى نزع الدَّلْوَ أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطّلب. وأمر بهُبَل فكُسر وهو واقفٌ عليه . فقال الزُّبَير بن العَوّام لأبى سُفيان بن حَرب : يا أبا سُفيان ، قد كُسِر هُبَل ! أما إنّك قد كنت منه يوم أُحُد فى غُرُور ، حين تزعم أنه قد أنْعم ! فقال أبو سُفيان : دَعْ هذا عنك يا ابن العَوام ، فقد أرى لو كان مع إله محمّد غيرُه لكان غير ما كان!

قالوا : ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس ناحيةً من

---

(١) سورة ١٧ الإسراء ٨١

المسجد والناس حوله ، ثم أرسل بِلالًا إلى عُثمان بن طَلْحَة يأتيه بمِفتاح الكعبة ، فجاء بلال إلى عُثمان فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأمرك أن تأتى بمِفتاح الكعبة . قال عثمان : نعم . فخرج عُثمان إلى أُمّه وهى بنت شَيْبَة ، ورجع بِلال إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره أنه قال نعم ، ثم جلس بِلال مع الناس . فقال عُثمان لأُمّه ، والمِفتاح يومئذ عندها : يا أُمّه ، أعطنى المِفتاح فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أرسل إلىّ وأمرنى أن آتى به إليه . فقالت أُمّه : أُعيذك بالله أن تكون الذى تذهب مَأْثُرةُ[1] قومه على يديه . قال : فوالله لتدفَعنّه إلىّ أوْ ليأتينّك غيرى فيأخذه منك . فأدخلته فى حُجزتها[2] وقالت : أى رجل يُدخل يده ها هنا ؟ فبينا هم على ذلك وهو يُكلّمها إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر فى الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى إبطاء عُثمان : يا عُثمان ، اخرج إلىّ ! فقالت أُمّه : يا بنىّ ، خذ المِفتاح فأن تأخذه أنت أحب [إلىّ] من [أن] يأخذه تَيْمٌ وعَدىّ . قال : فأخذه عثمان فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فناوله إياه ، فلما ناوله بسط العباس بن عبد المطّلب يده فقال : يا نبىّ الله ، بأبى أنت اجمعْ لنا الحِجابة والسِقاية . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أُعطيكم ما تُرْزَءُون فيه ، ولا أُعطيكم ما تَرْزَءُون[3] منه . وقد سمعت أيضًا فى قبض المِفتاح بوجهٍ آخر .

قال : حدثنى إسمعيل بن إبراهيم بن عُقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ،

---

(١) الأصل : « أن يكون الذى يذهب » . والمأثرة : الخصلة المحمودة التى تتوارث ويتحدث بها . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧١) .

(٢) حجزة السراويل : التى فيها التكة . (الصحاح ، ص ٨٦٩) .

(٣) قال أبو على : إنما معناه إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن ، فأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها ، يعنى كسوة البيت . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧١) .

قال : أقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح على بعيرٍ لأُسامة بن زيد ، وأُسامة رَديف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه بلال وعُثمان بن طَلحة ، فلما بلغ رأْس الثنية أَرسل عُثمان فجاءه بالمِفتاح فاستقبله به . قالوا : وكان عُثمان قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص مُسلمًا قبل الفتح ، فخرج معنا من المدينة . قال أبو عبد الله : وهذا أثبت الوجوه .

وقالوا : إنَّ عمر بن الخطّاب بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البَطْحاءِ ومعه عُثمان بن طَلحة[1] ، وأَمره أن يتقدّم فيفتح البيت ، فلا يدع فيه صورة إلّا محاها ، ولا تمثالاً ، إلّا صورة إبراهيم . فلما دخل الكعبة رأَى صورة إبراهيم شيخًا كبيرًا يستقسم بالأَزلام . ويقال : أَمره ألاّ يدع صورة إلّا محاها ، فترك عمر صورة إبراهيم ، فلما دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأَى صورة إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا عمر ، أَلم آمرْك ألّا تدع فيها صورة إلّا محوتَها ؟ فقال عمر : كانت صورة إبراهيم . قال : فامحُها .

فكان الزُّهرى يقول : لمّا دخل النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم فرأَى فيها صورة الملائكة وغيرها ، ورأَى صورة إبراهيم عليه السلام ، قال : قاتلهم الله ، جعلوه شيخًا يستقسم بالأَزلام ! ثم رأَى صورة مَرْيَم ، فوضع يده عليها ثم قال : امسحوا ما فيها من الصور إلّا صورة إبراهيم .

قال : وحدّثنى ابن أَبى ذِئب ، عن عبد الرحمن بن مِهران ، عن عُمَير مولى ابن عبّاس ، عن أُسامة بن زيد ، قال : دخلت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الكعبة فرأَى فيها صُوَرًا ، فأَمرنى أن آتيه فى الدلو بماءٍ ، فيبلّ الثوب ويضرب به الصور ، ويقول : قاتل الله قومًا يُصوّرون ما لا يخلقون !

---

(١) فى السيرة الحلبية ، عن الواقدى : « عثمان بن عفان » . (ج ٢ ، ص ٢١١) .

قالوا : وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالكعبة فغُلِّقت عليه . ومعه أُسامة بن زيد . وبِلال بن رَباح ، وعُثمان بن طَلحة ، فمكث فيها ما شاءَ الله ؛ وكان البيت يومئذٍ على ستّة أعمدة . قال ابن عمر : فسألت بِلالًا كيف صنع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حين دخل البيت ؟ قال : جعل عمودَين عن يمينه وعمودًا عن يساره وثلاثة وراءه ، ثم صلّى ركعتَين . ثم خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمِفتاح فى يده ، ووقف على الباب خالد بن الوليد يذُبّ الناس عن الباب حتى خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : فحدّثنى عَلىّ بن محمّد بن عُبَيد الله ، عن مَنصور الحَجَبىّ ، عن أُمّه صفيّة بنت شَيبة ، عن بَرَّة بنت أَبى تِجْراة[1] ،قالت : أنا أَنظُر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين خرج من البيت ، فوقف على الباب وأَخذ بعِضادَتَى[2] الباب ، فأَشرف على الناس وبيده المِفتاح ، ثم جعله فى كُمِّه .

قالوا : فلما أَشرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الناس ، وقد لِيطَ بهم حول الكعبة فهم جُلوس ، قال : الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأَحزاب وحده ! ماذا تقولون وماذا تظنُّون ؟ قالوا : نقول خيرًا ونظن خيرًا ، أَخٌ كريمٌ وابن أَخٍ كريم ، وقد قدَرت ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فإنى أَقول كما قال أَخى يوسف : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[3] . أَلا إنَّ كلّ رِبًا فى الجاهليّة ، أَو دمٍ ،

---

(١) فى الأصل : «بجراة» ؛ وما أثبتناه عن ابن عبد البر . (الاستيعاب ، ص ١٧٩٣) . وعن ابن الأثير أيضاً . (أسد الغابة، ج ٥ ، ص ٤٠٩) .

(٢) عضادتا الباب : هما خشبتاه من جانبيه . (الصحاح ، ص ٥٠٦) .

(٣) سورة ١٢ يوسف ٩٢

أومالٍ ، أو مأثُرَةٍ ، فهو تحت قدمىّ هاتين إلّا سِدانةَ البيتِ وسِقايةَ الحاج ؛ ألا وفى قتيل العَصا والسوط. الخطأ شِبْهِ العمد ، الدِّية مُغلَّظةٌ مائة ناقةٍ ، منها أربعون فى بُطونها أولادُها . إنَّ الله قد أذهب نَخْوَةَ الجاهليّة وتكبُّرها بـآبائها ، كلُّكم مِن آدم وآدمُ مِن تُرابٍ ، وأكرمكم عند الله أتقاكم . ألا إنَّ الله حرّم مكّةَ يوم خلَق السموات والأرض ، فهى حرامٌ بحرْمَة الله ، لم تحِلّ لأحدٍ قبلى ، ولا تحِلُّ لأحدٍ كائنٍ بعدى ، ولم تَحِلّ لى إلاَّ ساعةً من النهار ـ يُقصّرها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيده هكذا ـ لا يُنَفَّر صَيْدُها ولا يُعْضَد[1] عِضاهُها ، ولا تَحِلُّ لُقَطَتها إلاَّ لمُنْشِدٍ ، ولا يُخْتَلَى خَلاها[2]. فقال العبّاس ، وكان شيخًا مُجَرِّبا : إلّا الإذْخِرَ[3] يا رسول الله ، فإنه لا بدّ منه ، إنه للقبر وطُهور البيوت . قال : فسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساعة ، ثم قال : إلّا الإذخرَ فإنه حلال . ولا وصيّة لوارث ، وإنَّ الولد للفِراش وللعاهر الحَجَر[4] ، ولا يحلُّ لامرأة تُعطِى من مالها إلّا بإذن زوجها ، والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوةٌ ، والمسلمون يدٌ واحدةٌ على مَن سِواهم ، تتكافأُ دماؤُهم ، يردّ عليهم أقصاهم ، ويَعقِد عليهم أدناهم ، ومُشِدُّهم على مُضعِفهم[5] ومَيْسَرتهم على قاعدهم ؛ ولا يُقتَل مسلمٌ بكافرٍ ، ولا ذو عهدٍ فى عهده . ولا يَتوارث أهل مِلَّتَين مُختلِفتَين ، ولا جَلَبَ ولا جنَب[6] ؛ ولا تُؤْخَذ صدقات

---

(١) يعضد : أى يقطع . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣١٤) .

(٢) الخلا : النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا ، وإختلاؤه : قطعه . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣١٩) .

(٣) الإذخر : حشيش طيب الريح . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٤) .

(٤) أى الخيبة ، يعنى أن الولد لصاحب الفراش من الزوج أو السيد وللزانى الخيبة والحرمان ، كقولك مالك عندى غير التراب وما بيدك غير الحجر . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٠٣) .

(٥) المشد الذى دوابه شديدة قوية ، والمضعف الذى دوابه ضعيفة ، يريد أن القوى من الغزاة يساهم الضعيف فيما يكسبه من الغنيمة . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٠٨) .

(٦) لا جلب ولا جنب : الجلب يكون فى شيئين أحدهما فى الزكاة ؛ وهو أن يقدم المصدق على أهل الزكاة

المسلمين إلّا فى بيوتهم وبأفنيتهم ، ولا تُنْكَح المرأة على عمّتها وخالتها ، والبَيِّنَة على من ادَّعى واليمين على من أنكر ، ولا تُسافر امرأةٌ مسيرة ثلاثٍ إلّا مع ذى مَحْرَم ، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ، وأنهاكم عن صيام يومين ، يوم الأضحى ويوم الفِطر ، وعن لبْستَين ! لا يَحْتَبِ[١] أَحدُكم فى ثوبٍ واحدٍ يُفضِى بعَوْرته إلى السَّماءِ ، ولا يشتمل الصَّمَّاء[٢] ، ولا إخالكم إلّا وقد عرفتموها .

قال : ثم نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه المِفتاح ، فتنحَّى ناحيةَ المسجد فجلس ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد قبض السِقاية من العباس وقبض المِفتاح من عُثمان ، فلمّا جلس قال : ادعوا إلىَّ عُثمان ! فدُعى له عُثمان بن أَبى طَلحة ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعُثمان يومًا ، وهو يدعوه إلى الإسلام ، ومع عُثمان المِفتاح ، فقال : لعلَّك سترى هذا المِفتاح بيدى أَضعه حيث شئتُ ! فقال عُثمان : لقد هلكتْ إذًا قُرَيشٌ وذلّت . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بل عَمِرت

فينزل موضعاً ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ؛ ليأخذ صدقتها ، فنهى عن ذلك وأمر أن تؤخذ صدقاتهم على مياههم وأماكنهم . والثانى أن يكون فى سباق، وهو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره ويجلب عليه ويصيح حثاً له على الجرى ، فنهى عن ذلك . والجنب فى السباق أن يجنب فرساً إلى فرسه الذى يسابق عليه فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب ، وهو فى الزكاة أن ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه ؛ أى تحضر ، فنهوا عن ذلك ؛ وقيل : هو أن يجنب رب المال بماله أى يبعده عن موضعه حتى يحتاج العامل إلى الإبعاد فى اتباعه وطلبه . (النهاية ، ج ١ ، ص ١٦٩ ؛ ١٨٠) .

(١) احتبى بالثوب : اشتمل ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣١٥) .

(٢) اشتمال الصماء : هو أن يتجلل الرجل بثوبه ولا يرفع منه جانباً ، وإنما قيل لها صماء لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها كالصخرة الصماء التى ليس فيها خرق ولا صدع . والفقهاء يقولون : هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتنكشف عورته . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٧٥) .

وعَزَّت يومئذٍ . فلمّا دعانى بعد أخذه المِفتاح ذكرت قَوْلَة ما كان قال . فأقبلت فاستقبلته بِبِشْرٍ واستقبلنى بِبِشْرٍ ، ثم قال : خُذوها يا بنى أبى طَلحة تالدةً خالدةً . لا ينزِعها إلّا ظالمٌ ؛ يا عُثمان . إنّ الله استأمنكم على بيته . فكُلوا بالمعروف . قال عُثمان : فلما ولَّيت نادانى فرجعت إليه . فقال : ألم يكن الذى قلت لك ؟ قال : فذكرت قوله لى بمكّة فقلت : بلى ، أشهدُ أنك رسول الله ! فأعطاه المِفتاح . والنبىّ صلّى الله عليه وسلّم مُضطجِعٌ بثوبه . وقال : أعينوه ! وقال : قُمْ على الباب وكُلْ بالمعروف . ودفع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم السِّقاية إلى العبّاس . فكان العبّاس يليها دون بنى عبد المطَّلب فى الجاهليّة وولدُه بعدهم . فكان محمّد بن الحنفيَّة كلّم فيها ابن عباسٍ ، فقال ابن عباس : ما لك ولها ؟ نحن أولى بها فى الجاهليَّة ، وقد كان أبوك كلّم فيها فأقمتُ البيِّنة ؛ طَلْحةَ بن عُبَيدالله ، وعامر بن رَبيعة ، وأزهر بن عبد عَوف ، ومَخْرَمَة بن نَوفل ، أنّ العبّاس كان يليها فى الجاهليّة وأبوك فى ناديته[1] بعُرَنَة[2] فى إبله . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعطاها العبّاس يوم الفتح . فعرف ذلك مَن حضر ، فكانت بيد عبد الله بن عبّاسٍ بعد أبيه ، لا يُنازعهم فيها مُنازع ، ولا يتكلَّم فيها مُتكلِّم . وكان للعبّاس مالٌ بالطائف ، كَرْمٌ كان يُحمَل زبيبه إليها فيُنبذ فى الجاهليّة والإسلام ، ثم كان عبدالله بن عبّاس يفعل مثل ذلك ، ثم كان عَلىّ بن عبد الله بن عبّاس يفعل مثل ذلك إلى اليوم .

قال : وجاء خالد بن الوليد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فقال :

---

(١) ندت الإبل إذا رعت فيما بين النهل والعلل ، تندو ندوا ، فهى نادية . (الصحاح ، ص ٢٥٠٦) .
(٢) فى الأصل : « يعرنه » . وعرنة : واد بحذاء عرفات . (معجم البلدان ج ٦ ، ص ١٥٩) .

لِمَ قاتلتَ وقد نُهيتَ عن القتال ؟ فقال : هم يا رسول الله بدأونا بالقتال ، ورشقونا بالنَّبْل ، ووضعوا فينا السِّلاح . وقد كففت ما استطعتُ ، ودعوتهم إلى الإسلام ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأَبَوا ، حتى إذا لم أجد بُدًّا قاتلتهم ، فظفَّرنا الله عليهم وهربوا فى كلّ وجهٍ يا رسول الله . ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : قضى الله خيرًا ! ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا معشر المسلمين ، كُفُّوا السِّلاح ، إلّا خُزاعة عن بنى بكر إلى صلاة العصر . فخَبَّطوهم[1] ساعةً ، وهى الساعة التى أُحِلَّتْ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم تَحِلَّ لأَحدٍ قبله ؛ وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم نهى أن يُقتَل مِن خُزاعة أحدٌ . قال أبو اليَسَر : فدخلنا مع خالد بن الوليد من اللِّيط ، فكانوا هم الذين بدأونا بالقتال وأَبَوا أن يدَعونا ندخل[2] ، وكلَّمهم خالد بن الوليد وأعذر إليهم ، فأَبَوْا . قال خالد : احملوا عليهم ! فحملنا فما قاموا لنا فُواقَ[3] ناقة حتّى هربوا ، ونهانا عن الطلب . قال أبو اليَسَر : فجعلت أحذِمُ[4] بسيفى ، وهَوَيت إلى رجلٍ فضربته فاعتزل إلى خُزاعة ، فسُقط فى يدى فجعلت أسأل عنه ، فقيل لى : إنه من الحَيا — أخو خُزاعة . فحمدت الله ألّا أقتل أحدًا من خُزاعة .

قالوا : وأقام أبو أحمد عبد الله بن جَحش على باب المسجد على

---

(١) خبطوهم : أى ضربوهم . (لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٥٠) .

(٢) فى الأصل : « أن ندخل » .

(٣) أى ما بين الحلبين من الوقت . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٨) .

(٤) حذم : قطع . (الصحاح ، ص ١٨٩٥) .

جملٍ له حين فرغ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من خطبته ، وهو يصيح : أنشد بالله يا بنى عبد مَناف حِلفى ، وأنشد بالله يا بنى عبد مَناف دارى[١] ! قال : فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عُثمان ابن عَفّان ، فسارّ عثمان بشىءٍ ، فذهب عثمان إلى أبى أحمد فسارّه ، فنزل أبو أحمد عن بعيره وجلس مع القَوم ، فما سُمع أبو أحمد ذاكرَها حتى لقى الله ، فقيل لعثمان بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ماذا قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح أن تقوله لأبى أحمد ؟ فقال : لم أذكره فى حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أأذكره بعد وفاته ؟ وكان أبو أحمد قد حالف إلى حَرْب ابن أُميّة ، وكان المطّلب بن الأسود قد دعاه إلى أن يُحالفه وقال : دمى دون دمك ومالى دون مالك ! وحالف حَرْبَ بن أُميّة فقال أبو أحمد فى ذلك :

أَبَنِى أُمَيّة كيف أُخذَلُ فيكمُ ... وأنا ابنُكُم وحليفُكُم فى العَشْرِ
ولقد دعانى غيرُكم فأبيتُهُ ... وخَبَأْتُكُم لِنوائِبِ الدّهرِ

وكانوا يتحالفون فى العشر من ذى الحجّة قيامًا ،يتماسحون كما يتماسح[٢] البَيِّعان[٣] ، وكانوا يتواعدون قبل العشر ، وكان أبو سُفيان قد باع داره من ابن عَلْقَمَة العامرىّ بأربعمائة دينار ، فجعل له مائة دينار ، ونَجّم[٤] عليه ما فضل .

(١) ذكر ابن إسحاق قصة عدوان أبى سفيان على دار بنى جحش . انظر (السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ١٤٥) .

(٢) تماسحا : تصافقا . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٤٩) .

(٣) البيعان : أى البائع والمشترى . (أساس البلاغة ، ص ٧٣) .

(٤) تنجيم الدين : هو أن يقرر عطاؤه فى أوقات معلومة متتابعة ، مشاهرة أو مساناة . (النهاية ، ج ٤ ، ص ١٢٩) .

قال : فحدّثنى أهل أبى أحمد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لك بها دارٌ فى الجنّة . وقال أبو أحمد فى بيع داره لأبى سفيان ، أنشدنيها عمرو بن عُثمان الجَحشىّ :

أَقَطَعْت عَقْدَك بيننا والحادثاتُ إلى نَدامَهْ
أَلا ذكرتَ ليالىَ الْ عَشْرِ التى فيها القِيامَهْ
عَقْدى وعَقْدُك قائمٌ لا عَوْقَ[1] فيه ولا أَثامَهْ
دار ابن عَمِّك بِعتَها تَشرِى بها عنك الغَرَامَهْ
اذهبْ بها إذهبْ بها طُوِّقْتَها طَوقَ الحَمامَهْ
ولقد جريتَ[2] إلى العُقو قِ وأَسوأُ الخُلُق الرَّغامَهْ
قَد كنتُ آوِى فى ذُرى فيه المَقامةُ والسَّلامَهْ
ما كان عَقْدُك مثل عَقْ دِ ابن عمرو لابن مامَهْ[3]

قالوا : وكان إساف ونائلة رجلًا وامرأة ، الرجل إساف بن عمرو[4] والمرأة نائلة بنت سُهيل[5] من جُرْهُم ، فزنيا فى جوف الكعبة فمُسِخا حجرين ، فاتخذتهما قُرَيش يعبدونهما ، وكانوا يذبحون عندهما ويحلقون رءوسهم إذا نَسَكوا ، فخرج من أحدهما امرأة شمطاءُ سوداءُ تخمش وجهها ، عريانة ، ناشرة الشَّعَر ، تدعو بالويل . فقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذلك فقال : تلك نائلة يئست أن تُعبَد فى بلادكم أبدًا . ويقال إنّ إبليس رنّ ثلاث رنّاتٍ ، رنّةٌ حين

(١) العوق : الحبس والصرف والتثبيط . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٠) .
(٢) فى الأصل : « وأجريت » ، ولا يستقيم الوزن بها ؛ ولعل ما أثبتناه أقرب الاحتمالات .
(٣) فى الأصل : « أمامه » ، ولا يستقيم الوزن بها .
(٤) هكذا فى الأصل : وفى ابن الكلبى : « إساف بن يعلى » . (كتاب الأصنام ، ص ٩) .
(٥) هكذا فى الأصل : وفى ابن الكلبى : « نائلة بنت زيد » . (كتاب الأصنام ، ص ٩) .

لُعِن فتغيّرت صورته عن صورة الملائكة ، ورَنَّةً حين رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُصلّى قائمًا بمكّة ، ورنّةً حين افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة . فاجتمعت ذريّته ، فقال إبليس : ايئسوا أن تردّوا أمّة محمّد على الشرك بعد يومهم هذا ، ولكن افشوا فيهم النّوح والشّعر .

وكان أوّل من نصب أنصاب الحَرَم إبراهيم ، وجبريل يُريه ، ثم لم تُحرَّك حتّى كان إسماعيل فجدّدها ، ثم لم تُحرَّك حتّى كان قُصَىّ فجدّدها ، ثم لم تُحرَّك حتّى كان يوم الفتح ،فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تميم بن أسد الخُزاعىّ فجدّد أنصاب الحَرَم ، ثم لم تُحرَّك حتّى كان عمر بن الخطّاب ، فبعث أربعةً من قُرَيش كانوا يَبدون فى بَواديها ؛ مَخْرَمَة بن نَوْفَل ، وأزهر بن عبد عَوف ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزّى ، وأبو هود سعيد بن يَربوع المَخزومىّ . ثم كان عُثمان بن عفّان فبعث هؤلاء النفر ، ثم كان مُعاوية عام حجّ فبعث هؤلاء النفر .

قال : فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن المِسْوَر بن رِفاعة ، قال : لمّا حجّ عبد الملك بن مروان أرسل إلى أكبر شيخٍ يعلمه يومئذٍ من خُزاعة ، وشيخ من قُرَيش ، وشيخ من بنى بكر. ثم أمرهم بتجديده ، وكلّ وادٍ فى الحَرَم فهو يسيل فى الحِلّ ولا يسيل وادٍ من الحِلّ فى الحَرَم إلّا فى موضعٍ واحدٍ عند التّنْعيم . وكان يقال : ولا يُنَفّر صيدها. قال : لا يخرج من الظلّ إلى الشمس ، ويقال : لا يُذعَر .

قال : حدّثنى عبد الملك بن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابن

عمر يغشاه الحَمام على رحله ، وثيابه ، وطعامه ، ما يُطْرَد ؛ وكان ابن عبّاس يُرخِّص أن يُكَشْكَش[1] . وقوله : لا تحلّ لُقَطَة ضالّتها إلّا لمُنْشِد ؛ يقول : لا يأْكلها كما يأْكل اللُّقَطَة فى غيرها من البلدان .

قالوا : خرج غَزِىٌّ[2] من هُذَيل فى الجاهليّة وفيهم جُنَيدِب بن الأَدْلَع يُريدون حَىَّ أحمر بأسا ، وكان أَحمر بأْسا رجلًا من أسلم شجاعًا لا يُرام ، وكان لا ينام فى حيِّهِ ؛ إنما ينام خارجًا من حاضره ، وكان إذا نام غطَّ غَطيطًا مُنكَرًا لا يخفى مكانه ، وكان الحاضر إذا أَتاهم فَزَعٌ صرخوا بأَحمر بأسا فيثوب مثل الأَسد . فلمّا جاءهم ذلك الغَزِىّ من هذيل قال لهم جُنَيْدب بن الأَدلع : إن كان أَحمر بأْسا فى الحاضر فليس إليهم سبيل ، وإن كان له غطيطٌ لا يخفى ، فدعونى أتسمّع . فتسمّع الحِسّ فسمعه ، فأَمّه حتى وجده نائمًا فقتله ، ووضع السيف فى صدره ثم اتّكأَ عليه فقتله ، ثم حملوا على الحىّ ، فصاح الحىّ : ياأَحمر بأْسا ! فلا شىءَ ، لا أَحمر بأسا قد قُتل . فنالوا من الحاضر حاجتهم ثم انصرفوا ، فتشاغل الناس بالإسلام ، فلمّا كان بعد الفتح بيومٍ دخل جُنَيدِب بن الأَدلع معه يرتاد وينظر — والناس آمِنون — فرآه جُنْدُب بن الأَعجم الأَسلمىّ ، فقال : جُنَيدِب بن الأَدلع ، قاتل أَحمر بأْسا ! فقال : نعم . فخرج جُنْدُب يستجيش عليه ، وكان أَوّل من لقى خِراش بن أُمَيّة الكَعبىّ ، فأَخبره ، فاشتمل خِراشٌ على السيف ثم أَقبل إليه ، والناس حوله وهو يُحدّثهم عن قتل أَحمر بأْسا ، فبينا هم مجتمعون عليه

(١) أى يطرد ؛ والكش : الطرد والزجر . (تاج العروس ، ج ٤ ، ص ٣٤٥) .
(٢) الغزى : جمع الغازى ، وهم جماعة القوم الذين يغزون . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٢) .

إذ أقبل خِراش بن أُمَيّة مشتملًا على السيف، فقال : هكذا عن(١) الرجل ! فوالله ما ظنّ الناس إلّا أنه يُفرِّج عنه الناس لينصرفوا عنه ، فانفرجوا(٢) عنه ، فلمّا انفرج الناس عنه حمل عليه خِراش بن أُمَيّة بالسيف فطعنه به فى بطنه ، وابن الأدلع مُستندٌ إلى جدار من جُدُر مكّة ، فجعلت حِشْوَتُه تَسايل من بطنه ، وإنّ عينيه لتبرقان فى رأسه وهو يقول : قد فعلتموها يا معشر خُزاعة ! فوقع الرجل فمات ، فسمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتله ، فقام خطيبًا — وهذه الخُطبة الغدَ من يوم الفتح بعد الظهر — فقال : أيُّها الناس ، إنّ الله قد حرّم مكّة يوم خَلَق السموات والأرض ، ويوم خَلَق الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين ، فهى حرامٌ إلى يوم القيامة . لا يَحِلُّ لمُؤمنٍ بالله واليوم الآخر أن يَسْفِك فيها دمًا ، ولا يَعْضِد فيها شجرًا ؛ لم تَحِلَّ لأحدٍ كان قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدى ، ولم تَحِلَّ لى إلّا ساعةً من نهار ، ثم رجعتْ كَحُرمَتِها بالأمس ، فليُبلِّغ شاهدُكم غائبَكم . فإن قال قائل : قد قاتل فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقولوا : إنّ الله قد أحلَّها لرسوله ولم يُحِلَّها لكم ! يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد والله كَثُر [القتل](٣) إن نَفَع ؛ وقد قتلتم هذا القتيل ، والله لأَدِيَنَّه ! فمن قُتل بعد مَقامى هذا فأهله بالخِيار ، إن شاءوا فَدَمُ قتيلهم ، وإن شاءوا فَعَقْلُه .

---

(١) هكذا : اسم سمى به الفعل ومعناه تنحوا عن الرجل، وعن متعلقة بما فى « هكذا » من معنى الفعل . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٢) .

(٢) فى الأصل : « فانفرج عنه » .

(٣) الزيادة من ابن إسحاق للتوضيح . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥٨) .

فدخل أبو شُرَيح [على] عمرو بن سَعيد بن العاص ، وهو يُريد قتال ابن الزُّبَير ، فحدّثه هذا الحديث وقال : إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أمرنا أن يُبلِّغ الشاهد الغائب ، وكنتُ شاهدًا وكنتَ غائبًا ، وقد أدّيتُ إليك ما كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أمر به ، فقال عمرو بن سَعيد : انصرفْ أيّها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرمتها منك ، إنه لا يمنع من ظالم ولا خالع طاعة ، ولا سافِك دم . فقال أبو شُرَيح : قد أدّيتُ إليك ما كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أمر به ، فأَنت وشأْنك !

قال : حدّثنى عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، أنّه أخبر ابن عمر ما قال أبو شُرَيح لعمرو بن سعيد ، فقال ابن عمر : رحم الله أبا شُرَيح ! قد قضى الذى عليه ، قد علمتُ أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد تكلّم يومئذ فى خُزاعة حين قتلوا الهُذَلىّ بأمرٍ لا أحفظه ، إلّا أنى سمعت المسلمين يقولون قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «فأَديه »[1].

قال : حدّثنى عمرو بن عُمَير بن عبد الملك بن عُبَيد ، عن جُوَيرية[2] بنت الحُصَين ، عن عِمران بن الحُصَين ، قال : قتله خِراش بعد ما نهى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عن القتل ، فقال : لو كنتُ قاتلًا مؤْمنًا بكافرٍ لقتلتُ خِراشًا بالهُذَلىّ . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خُزاعة يُخرجون دِيَته ، فكانت خُزاعة أخرجت دِيَته . قال عِمران بن الحُصَين : فكأَنّى أنظر إلى غَنَمٍ عُفْرٍ[3] جاءت بها بنو مُدلِج فى العَقْل ، وكانوا يُعاقلونها فى

(١) فى الأصل : « قاديه » .
(٢) كلمة غامضة فى الأصل شكلها : « حرسف » ؛ ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) عفر : أى بيض . (النهاية ، ج ٣ ، ص ١٠٩) .

الجاهليّة ثم شَدّه الإسلام ، وكان أوّلَ قتيل وداه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الإسلام .

قال : وحدّثني ابن أبي الزّناد ، عن عبد الرحمن بن حَرْمَلَة ، عن ابن المُسَيّب ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بني كعب ، فأعطوا القتيل مائةً من الإبل . قالوا : وجاءت الظُّهْر ، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بِلالًا أن يُؤَذِّن بالظُّهْر فوق ظَهْر الكعبة يومئذٍ ، وقُرَيش فوق رءُوس الجبال ، وقد فرّ وُجوههم[1] وتَغَيّبوا خوفًا أن يُقتلوا ، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد أُومِن . فلمّا أذّن بِلالٌ ورفع صوته كأشدّ ما يكون ، فلما بلغ « أشهد أنّ محمّدًا رسول الله » ، تقول جُويرية بنت أبي جَهل : قد لعَمري رفع لك ذِكْرَك ! أمّا الصلاة فسنُصلّي ، واللهِ لا نُحِبُّ مَن قَتَل الأحبّة أبدًا ؛ ولقد كان جاءَ أبي الذى جاءَ محمّدًا من النُّبُوّة فردّها ولم يُرِدْ خِلافَ قومه . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم ! وقال الحارث بن هشام : وَاثُكْلاه ! ليتني مِتُّ قبل هذا اليوم ، أسمعُ بِلالًا يَنْهَق فوق الكعبة ! وقال الحَكَم بن أبي العاص : هذا واللهِ الحَدَث العظيم أن يصيح عبد بني جُمَح على بَنيّة أبي طَلحة . قال سُهَيل بن عمرو : إن كان هذا سَخَط الله فسيُغيّره ، وإن كان رضاء الله فسيُقِرّه . وقال أبو سفيان : أمّا أنا فلا أقول شيئًا ، لو قلت شيئًا لأخبرتْه هذه الحَصباءُ ! فأتى جبريل عليه السلام رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره خبرهم .

قال : فحدّثني موسى بن محمّد ، عن أبيه ، قال : قال سُهَيل بن عمرو : ولمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة وظَهَر ، انقحمتُ[2] بيتي

---

(١) فى الأصل : « وجههم » .

(٢) أى رميت بنفسي فيه . (لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ٣٦٠) .

وأغلقتُ عليّ بابي ، وأرسلت إلى ابني عبد الله بن سُهَيل أن اطلب لي جوارًا من محمّد ، وإني لا آمن أن أُقتَل . وجعلتُ أتذكّر أثري عند محمّدٍ وأصحابه ، فليس أحدٌ أسوأ أثرًا منّي ، وإني لقيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الحُدَيبية بما لم يَلقه أحدٌ ، وكنت الذى كاتبتُه ، مع حُضوري بدرًا وأُحُدًا ، وكلّما تحرّكت قُريش كنت فيها . فذهب عبد الله بن سُهَيل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، تُؤَمّنه؟ فقال : نعم ، هو آمِنٌ بأمان الله ، فليظهر ! ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمن حوله : مَن لقى سُهَيل بن عمرو فلا يُشد النَّظَرَ إليه ، فليخرج؛ فلعَمرى إنّ سهيلًا له عَقْلٌ وشَرَف ، وما مثل سُهَيلٍ جَهِل الإسلام ، ولقد رأى ما كان يُوضع فيه أنه لم يكن له بنافعٍ ! فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال سُهَيل : كان والله بَرًّا ، صغيرًا وكبيرًا ! فكان سُهَيل يُقبل ويُدبر ، وخرج إلى حُنَين مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو على شركه حتى أسلم بالجِعِرّانة .

وهرب هُبَيرة بن أبي وَهْب — وهو يومئذٍ زوج أُمّ هانئ بنت أبي طالب — هو وابن الزِّبَعْرَى جميعًا حتى انتهى إلى نَجران ، فلم يأمنا من الخوف حتى دخلا حصن نَجْران ، فقيل لهما : ما وراءَكما؟ قالا : أمّا قُرَيش فقد قُتلت ، ودخل محمّدٌ مكّة ، ونحن والله نرى أن محمّدًا سائرٌ إلى حصنكم هذا ! فجعلت بَلْحارث وكعب يُصلحون ما رثّ من حصنهم ، وجمعوا ماشيتهم ، فأرسل حَسّان بن ثابت أبياتًا يُريد بها ابن الزِّبَعْرَى ، أنشد نيها ابن أبي الزِّناد :

لا تَعْدَمَنْ[1] رجلًا أَحَلَّك بُغْضُه   نَجرانَ فى عَيشٍ أَحَذَّ[2] لئيمِ

---

(١) فى الأصل : « لا بعد من » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٠) .

(٢) الأحذ : هو القليل المنقطع . ومن رواه أجد فمعناه منقطع أيضاً ، وقد يجوز أن يكون معناه : فى عيش لئيم جدًّا . (شرح أبي ذر ، ص ٣٧٣) .

بَلِيَتْ قَناتُك فى الحروبِ فأُلْقِيَتْ ... خَمانةً خَوفاءَ[1] ذاتَ وُصُومِ[2]
غضب الإلهُ على الزِّبَعْرَى وابنِه ... وعذابُ سُوءٍ فى الحياةِ مُقيمِ

فلمّا جاءَ ابنَ الزِّبَعْرَى شعر حَسان تهيّأً للخروج ، فقال هُبَيرة بن أَبى وَهب :أَين تُريد يا ابنعمّ؟ قال :أَردتُواللهِ محمّدًا . قال :أَتُريد أَن تتبعه ؟ قال : إِى واللهِ ! قال : يقول هُبَيرة : يا ليت أَنى رافقتُ غيرك ! واللهِ ، ما ظننت أَنك تتبع محمّدًا أَبدًا ! قال ابن الزِّبَعْرَى : هو ذاك ، فعلى أَىّ شىءٍ نُقيم مع بنى الحارث بن كعب وأَترك ابن عمى وخير الناس وأَبرّهم[3] ، ومع قومى ودارى .فانحدر ابن الزِّبَعْرَى حتى جاءَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالسٌ فى أَصحابه ، فلمّا نظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليه قال : هذا ابن الزِّبَعْرَى ، ومعه وجهٌ فيه نور الإِسلام . فلمّا وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : السلام عليكم ، أَى رسول الله ! شهدتُ أَن لا إِله إِلّا اللهوأَنك عبده ورسوله ، والحمد لله الذى هدانى للإِسلام ، لقد عاديتك وأَجْلَبت عليك ، وركبتُ الفرس والبعير ، ومشيت على قَدَمَىّ فى عداوتك ، ثم هربت منك إلى نَجْران ،وأَنا أُريد أَلّا أَقرَب الإِسلام أَبدًا ، ثم أَراد بى الله عزّ وجلّ منه بخيرٍ ، فأَلقاه فى قلبى وحبّبه إِلىّ ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة ، واتباع مالا ينفع ذا عَقْل ، من حجر يُعْبَد ويُذبَح له ، لا يَدرى مَن عبده ومَن لا يعبده . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : الحمد لله الذى هداك للإِسلام ، إِنَّ الإِسلام يَجُبّ ما كان قبله ! وأَقام هُبَيرة بنَجران ، وأَسلمت أُمّ هانئ ، فقال هُبَيرة حين بلغه إِسلامُها يوم الفتح :

---

(١) فى الأصل : « جمانة خوفاً » ؛ وقناة خمانة : ضعيفة . (لسان العرب، ج ١٦ ، ص ٣٠٠) .
(٢) الوصوم : جمع وصم ، وهو العيب فى الحسب . (لسان العرب ، ج ١٦ ، ص ١٢٦) .
(٣) فى الأصل : « وأبره » .

أَشاقتكَ هِندٌ أَم نآكَ[١] سُؤالُها ... كذاكَ النَّوى أسبابُها وانفِتالُها[٢]
وقد أَرَّقَتْ[٣] في رأسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بنَجرانَ يَسرِي بعد ليلٍ[٤] خَيالُها
وإِنِّيَ من قومٍ إذا جَدَّ جِدُّهمْ ... على أَيِّ حالٍ أَصبحَ اليومَ حالُها
وإِني لَحامٍ مِن وراءِ عشيرتي ... إذا كَرِهَتْ نَحْوَ العَوالِي فِحالُها[٥]
وإِنَّ كَلَامَ المرءِ في غيرِ كُنْهِهِ ... لكالنَّبْلِ تَهوِي ليس فيها نِصالُها
وإِن كنتِ قد تابعتِ دينَ محمدٍ ... وقَطَّعَتِ الأَرحامَ منكِ حِبالُها
فكوني على أَعلى سَحيقٍ بهَضْبَةٍ[٦] ... مُلَمْلَمَةٍ[٧] حَمْراءَ يَبْسٍ تِلالُها

أقام بنَجران حتى مات مشركًا .

قال : حدّثني ابن أَبي سَبْرَة ، عن موسى بن عُقبة ، عن المُنذِر بن جَهْم قال : لمّا كان يوم فتح مكّة هرب حُوَيْطِب بن عبد العُزّى حتى انتهى إلى حائط عَوف فدخل هنالك ، وخرج أبو ذرّ لحاجته وكان داخِلَه ، فلمّا رآه هرب حُوَيْطِب فناداه أبو ذرّ : تعال ، أنت آمن ! فرجع إليه فسلّم عليه ، ثم قال : أنت آمن ، فإن شئت أدخلتك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإن شئتَ فاذهبْ إلى منزلك . قال : وهل لى سبيلٌ إلى منزلى ؟ أُلْقَى فأُقْتَل قبل أن أصل إلى منزلى ، أو يُدخَل علىّ منزلى فأُقتَل . قال : فأنا أبلغ معك

(١) نآك : أى بعد عنك . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٤) .
(٢) انفتالها : أى تقلبها من حالة إلى حالة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٤) .
(٣) أرقت : أزالت النوم . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٤) .
(٤) فى الأصل : « بعدهن » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٢) .
(٥) الفحال : جمع الفحل .
(٦) فى الأصل : « سجوق نهيضة » ؛ وما أثبتناه عن ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٦٣ ؛ والسحيق : البعيد . (الصحاح ، ص ١٤٩٥) . والهضبة : الكدية العالية . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٥) .
(٧) الململمة : المستديرة . (شرح أبى ذر ، ص ٣٧٥) .

منزلك . فبلغ معه منزله ، ثم جعل يُنادى على بابه : إنّ حُوَيْطِبًا آمنٌ ، فلا يُهجَم عليه ! ثم انصرف أبو ذرّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره ، فقال : أو ليس قد أمَّنّا كلّ الناس إلّا مَن أمرتُ بقتله ؟

قال : فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن موسى بن عُقبة ، عن أبى حَبيبة مولى الزُّبير ، عن عبد الله بن الزُّبَير ، قال : لمّا كان يوم الفتح ،أسلمت هند بنت عُتبة ، وأسلمت أُم حكيم بنت الحارث بن هِشام امرأة عِكْرِمة بن أبى جَهل ، وأسلمت امرأة صَفوان بن أُميّة ،البَغوم بنت المُعَذَّل ، من كِنانةَ ، وأسلمت فاطمة بنت الوليد بن المُغيرة ، وأسلمت هند بنت مُنَبِّه بن الحَجّاج ، وهى أُمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، فى عشر نسوةٍ من قُرَيش ، فأتين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالأَبْطَح ، فبايعْنه فدخلن عليه ، وعنده زوجته وابنته فاطمة ، ونساءٌ من نساء بنى عبد المطّلب ، فتكلّمت هند بنت عُتبة فقالت : يا رسول الله ، الحمد لله الذى أظهر الدين [الذى] اختاره لنفسه ،لِتمسّنى رحمتك[1] يامحمّد ، إنى امرأةٌ مؤمنةٌ بالله مُصدِّقة . ثم كشفت عن نِقابها فقالت : هند بنت عُتبة . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مرحبًا بك . فقالت : واللهِ يا رسول الله ، ما على الأرض من أهل خِباءٍ أحبّ إلىّ أن يَذِلّوا من [أهل] خِبائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض من أهل خِباءٍ أحبّ إلىّ أن يعزّوا من [أهل] خِبائك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وزيادة أيضاً ! ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليهنّ القرآن وبايعهنّ ، فقالت هند من بينهنّ : يا رسول الله ، نُماسحك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى لا أُصافح

(١) فى الأصل : « لتمسى رحمك » ؛ وما أثبتناه عن الزرقانى . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٧) .

النساء ، إنَّ قولى لمائة امرأة مثلُ قولى لامرأةٍ واحدة . ويقال : وضع على يده ثوبًا ثم مسحْن على يده يومئذٍ . ويقال : كان يُؤتى بقَدَحٍ من ماءٍ ، فيُدخل يده فيه ثم يدفعه إليهنّ فيُدخلن أيديَهنّ فيه . والقول الأوّل أثبتها عندنا : «إنى لا أُصافح النساء» . ثم قالت أُمّ حَكيم امرأة عِكْرِمة بن أَبى جَهل : يا رسول الله ، قد هرب عِكْرِمَة منك إلى اليمن ، وخاف أن تَقتله فأَمِّنْه فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هو آمن . فخرجت أُمّ حَكيم فى طلبه ومعها غلام لها رومىّ ، فراودها عن نفسها ، فجعلت تُمنّيه حتى قدمت على حَىٍّ من عَكٍّ[١] ، فاستغاثتهم عليه فأَوثقوه رِباطًا ، وأَدركت عِكْرِمَة وقد انتهى إلى ساحلٍ من سواحل تِهامة فركب البحر ، فجعل نُوتىّ السفينة يقول له : أَخلِصْ ! فقال : أَىّ شىءٍ أَقول؟ قال : قل لا إله إلّا الله . قال عِكْرِمَة : ما هربتُ إلّا من هذا . فجاءَت أُمّ حَكيم على هذا الكلام ، فجعلت تُلِحّ إليه وتقول : يا ابن عمّ ، جئتك من عند أَوصل الناس وأَبر الناس وخير الناس ، لا تُهلِك نفسك . فوقف لها حتى أدركته فقالت : إنى قد استأْمنت لك محمدًا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : أَنتِ فعلتِ ؟ قالت : نعم ، أَنا كلّمته فأَمَّنك . فرجع معها وقال : ما لقيتِ من غلامك الرومىّ ؟ فخبّرته خبره فقتله عِكْرِمة ، وهو يومئذٍ لم يُسلم . فلمّا دنا من مكّة قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأَصحابه : يأْتيكم عِكْرِمَة بن أَبى جَهل مُؤْمنًا مُهاجرًا ، فلا تَسُبّوا أَباه[٢] ، فإنّ سبّ الميّت يُؤْذى الحى ولا يبلغ الميّت . قال : وجعل عِكْرِمَة يطلب امرأته يُجامعها ، فتأْبى عليه وتقول : إنّك كافر وأنا مُسلمة . فيقول : إنّ أَمرًا منعك منّى لَأَمرٌ كبير . فلمّا رأَى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) عك : مخلاف من مخاليف مكة التهامية . (معجم ما استعجم ، ص ٢٢٣) .

(٢) فى الزرقانى ، عن الواقدى : «فلا تسبوا أبر الناس» . (شرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٦) .

عِكْرِمَة وثب إليه – وما على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رداء – فَرَحًا بعِكْرِمة ، ثم جلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوقف بين يديه ، وزوجته مُنتقِبة ، فقال : يا محمّد إنّ هذه أخبرتني أنك أمّنتني . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : صدَقَتْ ، فأنت آمن ! فقال عِكْرِمَة : فإلى ما تدعو يا محمّد؟ قال : أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله ، وأن تُقيم الصلاة ، وتُؤْتِيَ الزكاة – وتفعل ، وتفعل ، حتى عدّ خِصال الإسلام . فقال عِكْرِمَة : واللهِ ما دعوتَ إلّا إلى الحقّ وأمرٍ حسنٍ جميلٍ ؛ قد كنتَ واللهِ فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوتَ إليه وأنت أصدقُنا حَديثًا وأبرُّنا بَرًّا . ثم قال عِكْرِمَة : فإني أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله . فسُرّ بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم قال : يا رسول الله ، علّمني خيرَ شيءٍ أقوله. قال : تقول أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله . قال عِكْرِمَة : ثم ماذا ؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : تقول : أُشهد اللهَ وأُشهد مَن حضر أني مُسلمٌ مُهاجرٌ مُجاهدٌ . فقال عِكْرِمَة ذلك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تسألني اليوم شيئًا أُعطيه أحدًا إلّا أعطيتكه . فقال عِكْرِمَة : فإني أسألك أن تستغفر لي كلّ عداوة عاديتُكَها ، أو مسيرٍ وَضَعْتُ فيه ، أو مَقامٍ لقيتك فيه ، أو كلامٍ قلته في وجهك أو وأنت غائب عنه . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمّ اغفر له كلّ عداوةٍ عادانيها ، وكلّ مسيرٍ سار فيه إلى موضعٍ يُريد بذلك المسير إطفاءَ نورك ، فاغفر له ما نال منّي من عِرْض ، في وجهي أو وأنا غائبٌ عنه ! فقال عِكْرِمَة : رضيت يا رسول الله . ثم قال عِكْرِمَة : أما واللهِ يا رسول الله ، لا أَدَعُ نفقة كنت أُنفقها في صدٍّ [عن] سبيل الله إلّا أنفقت ضِعْفها في سبيل

الله ، ولا قتالاً [١] كنت أُقاتل فى صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أبليت ضِعْفه فى سبيل الله . ثم اجتهد فى القتال حتى قُتل شهيدًا ، فردّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم امرأته بذلك النّكاح الأوّل .

وأمّا صَفوان بن أُميّة ، فهرب حتى أتى الشُّعَيْبة [٢] . وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره : وَيْحك ، انظر مَن ترى ! قال : هذا عُمَير بن وَهْب . قال صَفوان : ما أصنع بعُمَير ؟ واللهِ ما جاءَ إلّا يُريد قتلى ، قد ظاهر محمّدًا علىّ . فلحِقه فقال : يا عُمَير ، ما كفاك ما صنعت بى ؟ حمّلتَنى دَينك وعِيالك ، ثم جئت تُريد قتلى ! قال : أبا وَهْب ، جُعلت فداك ! جئتك من عند أبرّ الناس وأوصَل الناس . وقد كان عُمَير قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسول الله ، سيّد قومى خرج هاربًا ليقذفَ نفسه فى البحر ، وخاف ألّا تُؤمّنه ، فأمِّنْه فِداك أبى وأُمّى ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قد أمنته . فخرج فى أثره ، فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أمّنك . فقال صَفوان : لا والله ، لا أرجع معك حتى تأْتينى بعَلامةٍ أعرفها . فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، جئت صَفوان هاربًا يُريد أن يقتل نفسه فأخبرته بما أمنتَه : فقال : لا أرجع حتى تأْتى بعَلامةٍ أعرفها . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : خذ عمامتى . قال : فرجع عُمَير إليه بها ، وهو البُرْد الذى دخل فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ مُعتجِرًا [٣] به ، بُرْد حِبَرَة [٤] . فخرج عُمَير فى طلبه الثانية .

---

(١) فى الأصل : «ولا قتال» .

(٢) الشعيبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧٦) .

(٣) الاعتجار بالعمامة : هو أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٦٩) .

(٤) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن . (شرح أبى ذر ، ص ٣٦٩) .

حتى جاءَ بالبُرْد فقال : أَبا وَهْب ، جئتك من عند خير الناس ، وأوصل الناس ، وأَبرّ الناس ، وأحلم الناس . مَجْده مَجْدك ، وعِزّه عِزّك ، ومُلْكه مُلْكك . ابن أُمك وأَبيك . أذكرك الله فى نفسك . قال له : أَخاف أن أُقتَل . قال : قد دعاك إلى أن تدخل فى الإسلام ؛ فإن رضيت وإلّا سيّرك شهرين ؛ فهو أَوفى الناس وأَبرّهم[1] . وقد بعث إلياك ببُرْده الذى دخل به معتجِرًا ، تعرفه ؟ قال : نعم . فأَخرجه ، فقال : نعم ، هو هو ! فرجع صَفوان حتى انتهى إلى رسول الله ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُصلّى بالمسلمين العصر فى المسجد ، فوقفا ،فقال صَفوان : كم تُصلّون فى اليوم والليلة ؟ قال : خمس صلوات . قال : يُصلّى بهم محمّد ؟ قال : نعم . فلما سلّم صاح صَفوان : يا محمّد ، إنّ عُمير بن وَهْب جاءنى ببُرْدك ،وزعم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك ، فإن رضيتُ أَمرًا وإلّا سيّرتَنى شهرين . قال : انزلْ أَبا وَهْب . قال : لا والله ، حتى تُبيّن لى . قال : بل تسير أَربعة أَشهر . فنزل صفوان ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قِبَل هوازِن ، وخرج معه صَفوان وهو كافر ، وأَرسل إليه يستعيره سلاحه . فأَعاره سلاحه ؛مائة دِرْع بأَداتها ، فقال : طَوْعًا أَو كَرْهًا ؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : عارية مُؤَدّاة . فأَعاره ، فأَمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحملها إلى حُنَين ، فشهد حُنينًا[2] والطائف ثم رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الجِعِرّانة . فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسير فى الغنائم ينظر إليها ، ومعه صَفوان بن أُميّة ، جعل صَفوان ينظر إلى شِعْبٍ مُلِئَ نَعَمًا وشاءً ورِعاءً ، فأَدام إليه النظر ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يرمقه فقال: أَبا وَهْب ، يُعجبكَ هذا الشِّعْب ؟

---

(١) فى الأصل : « وأبره » .

(٢) فى الأصل : « حنين » .

قال : نعم . قال : هو لك وما فيه . فقال صَفوان عند ذلك : ما طابت نفس أَحدٍ بمثل هذا إِلّا نفس نبىّ ، أَشهد أَن لا إِله إِلّا الله ، وأَنّ محمّدًا عبده ورسوله ! وأَسلم مكانَه .

قال : فحدّثنى عبد الحَميد بن جَعفر ، عن يزيد بن أَبى حَبيب ، عن عَطاء بن أَبى رَباح ، قال : أَسلم أَبو سفيان بن حَرب ، وحَكيم بن حزام ، ومَخْرَمَة بن نَوْفَل قبل نسائهم ، ثم قدموا على نسائهم فى العِدَّة ، فردّهنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك النِّكاح . وأَسلمت امرأَة صَفوان وامرأَة عِكْرِمَة قبل أَزواجهما ، ثم أَسلما فردّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم نساءهم عليهم ، وذلك أَنَّ إِسلامهم كان فى عِدّتهم .

قالوا : وكان عبد الله بن سعد بن أَبى سَرْح يكتب لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الوَحْى ، فربّما أَملى عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيكتب عَلِيمٌ حَكِيمٌ ؛ فيقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فيقول : كذلك اللهُ ، ويُقرّه . وافْتتن وقال : ما يدرى محمّد ما يقول ! إِنى لأَكتب له ما شئت ، هذا الذى كتبت يُوحَى إِلىّ كما يُوحَى إِلى محمّد . وخرج هاربًا من المدينة إِلى مكّة مُرتدًا ، فأَهدر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم دمه يوم الفتح ، فلما كان يومئذٍ جاءَ ابن أَبى سَرْح إِلى عثمان بن عَفّان رضى الله عنه ، وكان أَخاه من الرَّضاعة ، فقال : يا أَخى ، إِنى واللهِ اخترتك فاحتبسنى ها هنا ، واذهب إِلى محمّد فكلِّمه فىّ ، فإِنَّ محمّدًا إِن رآنى ضرب الذى فيه عيناى ؛ إِنّ جُرْمى أَعظم الجُرْم ، وقد جئت تائبًا . فقال : بل اذهب معى . قال عبد الله : واللهِ لئن رآنى ليضربنّ عنقى ولا يُناظرنى ، قد أَهدر دمى ، وأَصحابه يطلبوننى فى كلّ موضع . فقال عثمان : انطلق معى ،

فلا يقتلك إن شاء الله ، فلم يُرَع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا بعثمان ، أخذ بيد عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح واقفَين بين يديه ، فأقبل عثمان على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، إنّ أمّه كانت تحملنى وتُمشّيه ، وتُرضعنى وتَقطعه ، وكانت تُلاطِفنى وتتركه ، فهَبْه لى . فأعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجعل عثمان كلّما أعرض عنه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بوجهه استقبله فيُعيد عليه هذا الكلام ، فإنما أعرض النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عنه إرادةَ أن يقوم رجلٌ فيضربَ عنقه ، لأنه لم يُؤَمّنه ؛ فلمّا رأى ألّا يُقدم أحدٌ ، وعثمان قد أكبّ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُقبّل رأسه وهو يقول : يا رسول الله ، تُبايعه فِداك أبى وأمى ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم . ثم التفت إلى أصحابه فقال : ما منعكم أن يقوم رجلٌ منكم إلى هذا الكلب فيقتلَه ؟ أو قال: « الفاسق » . فقال عَبّاد بن بِشر : ألا أومأْتَ إلىّ يا رسول الله ؟ فوالذى بعثك بالحقّ إنى لأَتبع طَرْفك من كلّ ناحية رجاء أن تُشير إلىّ فأضربَ عنقه . ويقال : قال هذا أبو اليَسَر ؛ ويقال : عمر بن الخطّاب . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى لا أقتل بالإشارة . وقائل يقول : إنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم قال يومئذ : إن النبىّ لا تكون له خائنة الأَعْيُن[1] . فبايعه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجعل يفرّ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّما رآه ؛ فقال عثمان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بأبى [أنت] وأُمّى ، لو ترى ابن أمّ عبد الله يفرّ منك كلّما رآك ! فتبسّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : أَوَ لم أُبايعه وأؤمّنه ؟ قال : بلى أى رسولَ الله ! ولكنه يتذكّر عظيم جُرْمه

---

(١) أى يضمر فى نفسه غير ما يظهره ، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه فقد خان ، وإذا كان ظهور تلك الحالة من قبل العين سميت خائنة الأعين . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٦) .

فى الإسلام . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « الإسلام يَجُبّ ما كان قبله » . فرجع عثمان إلى ابن أبى سَرْح فأخبره ، فكان يأتى فيُسلّم على النبىّ مع الناس .

وأمّا الحُوَيرث بن نُقَيْذ[1] من ولد قُصَىّ ، فإنه كان يؤذى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأهدر دمه ، فبينا هو فى منزله يوم الفتح قد أغلق بابه عليه ، وأقبل عَلِىٌّ عليه السلام يسأل عنه ، فقيل هو فى البادية . فأُخبر الحُوَيرث أنه يُطلَب ، وتنحّى عَلِىٌّ عليه السلام عن بابه ، فخرج الحُوَيرث يُريد أن يهرب من بيتٍ إلى بيتٍ آخر ، فتلقّاه عَلِىٌّ فضرب عنقه .

وأمّا هبّار بن الأسود ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان كلّما بعث سريّة أمرها بهبّار إن أُخذ أن يُحْرَق بالنار . ثم قال : إنما يُعذِّب بالنار ربُّ النار ؛ اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه ، ثم اقتلوه . فلم يُقدَر عليه يوم الفتح ، وكان جُرْمه أنه عسّ بابنة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم زينب وضرب ظهرها بالرمح — وكانت حبلى — حتى سقطت ، فأهدر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم دمه . فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالس بالمدينة فى أصحابه إذ طلع هَبار بن الأسود ، وكان لَسِنًا ، فقال : يا محمّد ! سُبَّ من سَبَّك ؛ إنى قد جئت مُقرًّا بالإسلام ، أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمدًا عبده ورسوله . فقبل منه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخرجت سَلمى مولاة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقالت : لا أنعم الله بك عينًا ! أنت الذى فعلتَ وفعلتَ . فقال : إنّ الإسلام محا ذلك . ونهى

---

(١) فى الأصل : « نفيل » ؛ وما أثبتناه عن ابن سعد . (الطبقات ، ج ٢ ، ص ٩٨) . وعن البلاذرى أيضاً . (أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٣٥٧) .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن سَبّه والتعريض له .

قال : حدّثنى هِشام بن عُمارة ، عن سَعيد بن محمّد بن جُبَير بن مُطعِم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت جالسًا مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه فى مسجده ، مُنْصَرَفَه من الجِعِرّانة ، فطلع هَبّار بن الأسود من باب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا نظر القوم إليه قالوا : يا رسول الله ، هَبّار ابن الأسود ! قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قد رأيته . فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أن اجلس ، ووقف عليه هَبّار فقال : السلام عليك يا رسول الله ، إنى أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله ، ولقد هربتُ منك فى البلاد وأردت اللّحوق[1] بالأعاجم ، ثم ذكرت عائدتك وفضلك وَبِرّك وصفحك عمّن جَهِل عليك ؛ وكنا يا رسول الله أهل شرك ، فهدانا الله عزّ وجلّ بك ، وأنقذنا بك من الهَلَكَة ، فاصفح عن جهلى وعمّا كان يبلغك عنّى ، فإنى مُقرّ بسوء فعلى ، مُعترف بذنبى . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قد عفوتُ عنك ، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام ، والإسلام يَجُبّ ما كان قبله .

قال : حدّثنى واقد بن أبى ياسر ، عن يزيد بن رُومان ، قال : قال الزُّبَير ابن العَوّام : ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذكر هَبّارًا قطّ إلّا تغيّظ عليه ، ولا رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث سرّية قطّ إلّا قال : إن ظفرتم بهَبّار فاقطعوا يديه ورجليه ثم اضربوا عنقه . واللهِ لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، واللهُ يعلم لو ظفرتُ به قبل أن يأتى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقتلتُه . ثم طلع على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا عنده جالسٌ ، فجعل يعتذر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويقول : سُبَّ

(١) فى الزرقانى ، عن الواقدى : « اللحاق » . (سرح على المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٧) .

يا محمّد مَن سَبَّك وأُوذى من آذاك، فقد كنتُ مُوضِعًا فى سَبّك وأذاك ، وكنتُ مخذولًا ، وقد نصرنى الله وهدانى للإسلام . قال الزُّبَير : فجعلت أنظر إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وإنه لَيُطأْطئ رأسه استحياءً[1] ممّا يعتذر هَبّار ، وجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : قد عفوتُ عنك ، الإسلام يَجُبّ ما كان قبله . وكان لَسِنًا ، وكان يُسَبّ حتى يُبلَغ منه ، فلا ينتصف من أحد . فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حلمُه وما يُحمَل عليه من الأذى ، فقال : هَبّار ، سُبّ من سَبّك !

قالوا : وأمّا ابن خَطَل ، فإنه خرج حتى دخل بين أستار الكعبة .

فحدّثنى يعقوب بن عبد الله ، عن جَعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد ابن عبد الرحمن بن أَبزَى ، قال : سمعت أبا بَرْزَة الأسلمىّ يقول : فى نزلت هذه الآية : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهذا البَلَدِ﴾ * ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ﴾[2] ؛ أخرجتُ عبد الله بن خَطَل وهو مُعلّق بأستار الكعبة ، فضربت عنقه بين الرّكن والمَقام . ويقال : قتله سَعيد بن حُرَيث المَخزومىّ ؛ ويقال : عَمّار بن ياسر ، ويقال : شَريك بن عَبدة العَجْلانىّ ، وأثبته عندنا أبو بَرْزَة . وكان جُرْمه أنه أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساعيًا ، وبعث معه رجلًا من خُزاعة ، فكان يصنع طعامه ويخدمه ، فنزلا فى مَجمع فأمره يصنع له طعامًا ، ونام نصف النهار ، فاستيقظ والخزاعىّ نائمٌ ولم يصنع له شيئًا ، فاغتاظ عليه ، فضربه فلم يُقلع عنه حتى قتله ، فلمّا قتله قال : واللهِ ليقتلنّى محمّد به إن جئته . فارتدّ عن الإسلام ، وساق ما أخذ من الصدقة وهرب إلى مكّة ، فقال له أهل مكّة : ما ردّك إلينا ؟ قال : لم

(١) فى الأصل : « استحياء منه » .

(٢) سورة ٩٠ البلد ١ ، ٢ .

أَجد دينًا خيرًا من دينكم . فأَقام على شركه ، وكانت له قَيْنتان ، إحداهما فَرْتَنا ، والأُخرى أَرْنَب ، وكانتا فاسقتين ، وكان يقول الشعر يهجو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويأمرهما تُغنّيان به ، ويدخل عليه وعلى قينتَيه المشركون فيشربون الخمر ، وتُغنّى القينتان بذلك الهجاءِ . وكانت سارة مولاة عمرو ابن هاشم مُغنِّيةً نَوّاحة بمكّة ، فيُلقى عليها هجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتُغنّى به ، وكانت قد قدمت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تطلب أَن يصِلها وشكت الحاجة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما كان لك فى غنائك ونياحك ما يُغنيك ! فقالت : يا محمّد ، إنّ قُرَيشًا منذ قُتل من قُتل منهم ببَدْرٍ تركوا سماع الغناء . فوصلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأَوْقَر لها بعيرًا طعامًا ، فرجعت إلى قُرَيش وهى على دينها ، فأَمر بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح أَن تُقتَل فقُتلت يومئذٍ . وأَمّا القَيْنَتان ، فأَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتلهما ، فقُتلت إحداهما ؛ أَرْنَب أَو فَرْتَنا ، وأَمّا فَرْتَنا فاستُؤْمِن لها حتى آمنت ، وعاشت حتى كُسر ضِلَع من أَضلاعها زمن عُثمان بن عَفّان رضى الله عنه فماتت منه ، فقضى فيها عُثمان ثمانية آلاف درهم ؛ ستّة آلاف دِيتها ، وأَلفين تغليظًا للجُرْم .

قالوا : وأَمّا مِقيَس بن صُبابة فإنه كان مع أَخواله بنى سَهم — كانت أُمّه سَهميّة — فاصطبح الخمر يوم الفتح فى نَدامى له ، فأَتى نُمَيلة بن عبد الله اللّيثىّ ، وعلم بمكانه ، فدعاه فخرج إليه وهو ثَمِلٌ ، يتمثّل بهذه الأَبيات ؛ أَنشدنيها ابن جَعفر وغيره :

دعينى أَصْطَبِحْ يا بَكْرُ إنّى ... رأَيتُ الموتَ نَقَّب عن هِشامِ (١)
ونَقَّب عن أَبيكِ أَبى يَزيدٍ ... أَخى القَيْنات والشَّرْبِ الكِرامِ

(١) يريد أخاه ، كما يذكر الواقدى بعد .

بهم أَرْسَتْ رَواسٍ مِن ثَبيرٍ ومن ثَوْرٍ[١] ولم تَصْمَمْ صَمامِ[٢]
تُغَنِّينى الحَمامُ كأَنَّ رَهطى خُزاعةُ أَو أُناسٌ من جُذامِ

فضربه بالسيف حتى برّده. ويقال: خرج وهو ثَمِلٌ فيما بين الصَّفا والمروة، فرآه المسلمون فهبتوه[٣] بأسيافهم حتى قتلوه. وقال شاعرهم[٤] :

لعَمرى لقد أَخزى نُمَيلةَ رَهطُهُ وفُجّع إخوانُ السَّناء[٥] بمِقْيَسِ
فللّه عينَا مَن رأَى مِثلَ مِقْيَسٍ إذا النُّفَساءُ أَصبحت لم تُخَرَّسِ[٦]

وكان جُرْمه أَنَّ أَخاه هاشم بن صُبابة كان قد أَسلم وشهد المُرَيسيع مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقتله رجلٌ من بنى عمرو بن عوف خطأً ولا يدرى، فظنّ أنه من المشركين، فقدم مِقْيَس بن صُبابة، فقضى له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالدِّية على بنى عمرو بن عَوف، فأَخذها وأَسلم ثم عدا على قاتل أَخيه العمرىّ فقتله، وهرب مرتدًّا كافرًا يقول شعرًا. ويقال: قتله أَوس بن ثابت، من رَهط عُبادة بن الصامت، وهو لا يشعر به، وذلك أَنه كان فى رَهْج[٧] العدوّ، فخرج يطلبهم فرجع ولقيه أَوس وهو يظنّ أَنه من المشركين فقتله، فقضى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بدِيَته على رَهط عُبادة ابن الصامت — وهذا أَثبت القولين — فقال :

---

(١) ثبير وثور: جبلان بمكة. (معجم ما استعجم، ص ٢١٢، ٢٢٢).
(٢) فى الأصل: «ولم يصمم ضمام». والصمام: الداهية الشديدة. (لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٣٨).
(٣) هبتوه: ضربوه. (القاموس المحيط، ج ١، ص ١٦٠).
(٤) نسبه ابن إسحاق إلى أخت القتيل. (السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٣).
(٥) السناء: من الرفعة والشرف. (الصحاح، ص ٢٣٨٣).
(٦) أى لم يصنع لها طعام عند ولادتها، واسم الطعام الذى للنفساء يقال له خرس وخرسة، وإنما أراد به زمن الشدة. (شرح أبى ذر، ص ٣٧٠).
(٧) الرهج: الغبار. (النهاية، ج ٢، ص ١١٤).

شَفَى النفسَ أنْ قد بات بالقاعِ مُسْنَدًا ... تُضرِّجُ ثَوْبَيهِ دماءُ الأَخَادِعِ[1]
ثأرتُ به فِهْرًا وحمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَراةَ بنى النَّجَّارِ أربابَ فارِعِ
حملتُ به وِتْرى وأدركتُ ثُؤرتى ... وكنتُ إلى الأوثانِ أوّلَ راجِعِ

فأهدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دمه .

قال : حدّثنا الواقدىّ قال : فحدّثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فَرْوَة ، عن أُبَىّ [بن] كعب بن مالك ، قال : لمّا رجع مِقيَس بن صُبابة إلى قُرَيشٍ إلى مكّة قالوا : ما ردّك إلينا وقد اتّبعتَ محمّدًا؟ قال : فانطلق إلى الصَّنَمَين فحلق رأسه ، وقال : لم أجد دينًا خيرًا من دينكم ولا أقدمَ . ثم أخبرهم كيف صنع وكيف قتل قاتل أخيه .

قال : وحدّثنى عبد الله بن يَزيد الهُذَلىّ ، عن أبى حُصَين الهُذَلىّ ، قال : لمّا قُتل النَّفَر الذين أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتلهم سُمِع النَّوْح عليهم بمكّة ، وجاء أبو سُفيان بن حَرب فقال : فداك أبى وأمّى ، البَقِيَّةَ[2] فى قومك . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تُقتَل قُرَيشٌ صبرًا بعد اليوم ! يعنى على الكفر .

قال : وحدثنى يزيد بن فِراس ، عن عِراك بن مالك ، عن الحارث بن البَرصاء ، قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : لا تُغزَى قُرَيش بعد اليوم إلى يوم القيامة ! يعنى على الكفر .

قال : وحدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن حُسَين بن عبد الله ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عبّاس قال : أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتل وَحْشِىٍّ

---

(١) الأخادع : عروق فى القفا ، وإنما هما أخدعان فجمعهما مع ما يليهما . (شرح أبى ذر ، ص ٣٣٤) .

(٢) البقية : الإبقاء . (لسان العرب ، ج ١٨ ، ص ٨٦) .

مع النَّفَر ، ولم يكن المسلمون على أحد أحرص منهم على وَحْشِىّ . وهرب وَحْشِىّ إلى الطائف ، فلم يزل به مُقيمًا حتى قدم فى وفد الطائف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل عليه فقال : أشهد أن لا إله إلّا الله . وأنّ محمّدًا رسول الله . فقال : وَحْشِىّ ؟ قال : نعم . قال : اجلسْ ، حَدِّثنى كيف قتلتَ حَمزة . فأخبره ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : غَيِّبْ عنّى وجهكَ ! قال : فكنت إذا رأيته تواريت عنه . ثم خرج الناس إلى مُسَيْلِمَة[1] . فدفعت إلى مُسَيْلِمَة فزرقته[2] بالحَرْبَة ، وضربه رجلٌ من الأنصار ، فربُّك أعلم أيّنا قتله .

قال : وحدّثنى إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبى رَبيعة ، عن أبيه ، قال : أرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الفتح . فاستسلف من عبد الله ابن أبى ربيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فلمّا فتح الله عليهم هَوازِن وغنّمه أموالها ردّها وقال : إنّما جَزاءُ السَّلَف الحَمْدُ والأداءُ . وقال : بارك الله لك فى مالِك وولدِك !

قال : وحدّثنى عبد الله بن زيد الهُذَلىّ ، عن أبى حُصَين الهُذَلىّ ، قال : استقرض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ثلاثة نَفَرٍ من قُرَيشٍ : من صَفوان ابن أُمَية خمسين ألف درهم فأقرضه ، واستقرض من عبد الله بن أبى رَبيعة أربعين ألف درهم ، واستقرض من حُوَيْطِب بن عبد العُزّى أربعين ألف درهم ، فكانت ثلاثين ومائة ألف ، فقسمها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه من أهل الضّعْف .

قال : فأخبرنى رجلٌ من بنى كِنانة - كانوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الفتح ، أنه قسم فيهم دراهم . فيُصيب الرجل خمسين درهمًا

(١) أى فى حروب الردة .
(٢) زرقه به : رماه . (القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٤٠) .

أو أقلّ أو أكثر ، ومن ذلك المال بعث إلى بنى جَذيمة .

قال : وحدّثنى سُفيان بن سَعيد ، عن الكَلبىّ ، عن صالح ، عن المطّلب ابن أبى وَداعة ، قال : طاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالبيت فى يوم صائف ، وعَطِش فاستسقى . فقال رجلٌ : يا رسول الله ، عندنا شرابٌ من هذا الزبيب ، أفلا أسقيك منه ؟ قال : بلى . قال : فبعث الرجل إلى بيته فأتى بقَدَحٍ عظيمٍ ، فأدناه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من فيه ، فوجد له ريحًا شديدة فكرهه فردّه . قال : ودعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بماءٍ ، ثم دعا به . قال : وأُتى بماءٍ من زَمْزَم فصبّه عليه حتى رأيت الماءَ يَفيض من جانبه ، وشرب منه حاجته ، ثم ناوله الذى عن يمينه وقال : مَن أرابه من شرابه رَيبٌ فليكسِرْه بالماء .

قال : حدّثنى أُسامة بن زيد ، عن أسلم ، وهِشام بن سعد ، عن زيد ابن أَسلم ، عن أَبى وَعْلَة ، عن ابن عبّاس ، قال : أهدى صديقٌ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ثقيف رَاوية خمر ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَما علمت أنّ الله تعالى حرّمها ؟ فسارّ الرجل غلامَه : اذهب بها إلى الحَزْوَرَة فبِعْها . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بِمَ أَمرتَه ؟ قال : ببَيْعِها . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ الذى حرّم شُرْبَها حرّم بَيْعها ! فبلغنى أنها فُرِّغَتْ فى البَطحاء .

قال : وحدّثنى ابن أَبى ذِئب ، عن الزُّهرىّ ، قال : نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح عن ثَمَن الخمر ، وثَمَن الخنزير ، وثَمَن المَيْتَة ، وثَمَن الأَصنام ، وحُلوان الكاهن[1].

قال : وحدّثنى سَعيد بن بشير ، عن عبد الكريم بن أَبى أُمَيّة ، عن

(١) هو ما يعطاه من الأجر والرشوة على كهانته . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٥٦) .

عطَاء بن أَبِى رَباح ، عنجابر بن عبد الله ، قال : قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح : ما ترى فى شُحومِ الميْتَة يُدهَن بها السِّقَاء ؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم : قاتل الله اليهود ! حَرّم عليهم الشُّحوم فباعوها فأَكلوا ثَمَنَها .

قال : وحدّثنى مَعْمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن ابن المُسَيِّب ، قال : سُئِل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ عن ثَمَن الخمر ، فقال : قاتل الله اليهود ! حرّم عليهم الشّحم فباعوه فأَكلوا ثمنه .

قال : وحدّثنى مَعْمَر ، وابن أَبِى ذِئْب ، عن الزُّهرى ، عن الرَّبيع بن سَبْرَة ، عن أَبيه ، قال : حرّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم متعة النساء يومئذٍ .

قال : وحدّثنى ابن أَبِى ذِئب ، ومَعْمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن أَبِى سَلَمَة ابن عبد الرحمن بن عَوف ، عن أَبِى عمرو بن عَدِىّ بن الحَمراء ، قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يوم الفتح وهو بالحَزْوَرَة : واللهِ إنّكِ لخيرُ أَرض الله وأَحبّ أَرض الله إلىّ ، ولولا أَنى أُخرجتُ منكِ ما خرجتُ !

قال : حدّثنى سَعيد بن عبد الله ، عن ابن أَبِى مُلَيكَة ، عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم مثل ذلك وقال : لولا أَنَّ أَهلَكِ أَخرجونى ما خرجتُ .

قال : وحدّثنى شيخٌ من خُزاعة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان لبنى عبد الدار غلامٌ يقال له جَبْر ، وكان يهوديًّا ، فسمع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة يقرأُ سورة يوسف ، فعرف الذى ذكر فى ذلك ، فاطمأَنَّ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأَسلم ، فلمّا ارتدّ عبد الله بن سعد بن أَبى سَرْح عن إسلامه رجع إلى مكّة فأَخبر أَهله بإسلامه ، وكان العبد يكتم

إسلامه من أهله قبل أن يدخل بيته ، فعذّبوه أشدّ العذاب حتى قال لهم الذى يُريدون ، فلمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة جاء إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فشكا إليه ، وأخبره ما لقى فى سبب عبد الله بن سعد . قال : فأعطاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثَمَنَه فاشترى نفسه فعَتَق، واستغنى ونكح امرأةً لها شَرَف .

قال : حدّثنى إبراهيم بن يزيد ، عن عَطاء بن أبى رَباح ، قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الفتح فقال : إنى نذرتُ أن أُصلّى فى بيت المَقْدِس إن فتح الله عليك مكّة . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ها هنا أفضل . فردّ ذلك عليه ثلاثًا . وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : والذى نفسى بيده ، لَصلاةٌ ها هنا أفضل من ألفٍ فيما سِواه من البُلْدان ! وقالت مَيمونة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : يا رسول الله ، إنى جعلت على نفسى ، إن فتح الله عليك مكّة ، أن أُصلّى فى بيت المَقْدِس . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تَقْدِرين على ذلك ، يحول بينك وبينه الروم. فقالت : آتى بخفيرٍ يُقبل ويُدبر . فقال : لا تقدرين على ذلك ، ولكن ابعثى بزَيْتٍ يُسْتَصْبَح[1] لكِ به فيه ، فكأنّكِ أتَيْتِه . فكانت مَيمونة تبعث إلى بيت المَقْدِس كلَّ سنة بمالٍ يُشتَرى به زَيْتٌ يُسْتَصْبَح به فى بيت المَقْدِس ، حتى ماتت فأوصت بذلك .

قال : حدّثنى ابن أبى ذِئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن بن عَوْف ، وإبراهيم بن عبد الله بن مُحرِز ، قالا : لمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكّة جلس عبد الرحمن بن عَوْف فى مجلسٍ فيه جماعةٌ ، منهم سعد بن

(١) يستصبح : أى يسرج السراج . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) .

عُبادة ، فمرّ نِسْوَةٌ من قُرَيش على ذلك المجلس ، فقال سعد بن عُبادة : قد كان يُذكَر لنا من نساء قُرَيش حُسْنٌ وجمالٌ[١] ؛ ما رأينا هنّ كذلك ! قال : فغضب عبد الرحمن حتى كاد أن يقع بسعد وأغلظ عليه ، ففرّ منه سعدٌ حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، ماذا لقيتُ من عبد الرحمن ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وماله ؟ فأخبره بما كان. قال : فغضب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى كأنّ وجهه ليتوقّد ، ثم قال : رأيتَهنّ وقد أُصِبْنَ بآبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأزواجهنّ ؛ خير نساءٍ ركبن الإبل نساءُ قُرَيش ! أحناه[٢] على وَلَدٍ ، وأبذلُه لزَوْجٍ بما مَلَكت يدٌ !

وكان أبو الطُّفَيل عامر بن واثلة يقول : رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم فتح مكّة ، فما أنسى شدّة بياضه وسواد شَعره ، وإنّ من الرجال لَمَن هو أطول منه ، ومنهم من [هو] أقصر منه ، يمشى ويمشون حوله . قال : فقلت لأُمّى : من هذا ؟ فقالت : رسول الله . قيل له : ما ثيابه ؟ قال : لا أدرى.

قال : وحدّثنى عبد الله بن يزيد ، عن رَبيعة بن عَبّاد ، قال : دخلنا بعد فتحها بأيّام ننظر ونرتاد وأنا مع أبى ، فنظرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فساعةَ رأيته عرفته وذكرت رؤيتى إيّاه بذى المَجاز ، وأبو لَهَب يتبع أثره يومئذٍ ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : لا حِلْفَ فى الإسلام ، ولن

---

(١) فى الأصل : « حسنا وجمالا » .

(٢) إنما وحد الضمير وأمثاله ذهابا إلى المعنى ، تقديره : احنى من وجد أو خلق أو من هناك ، ومثله قوله : أحسن الناس وجها وأحسنه خلقاً ، وهو كثير فى العربية ومن أفصح الكلام . (النهاية ، ج ١ ، ص ٢٦٧) .

يزيد حِلْف الجاهليّة الإسلامُ إلّا شِدّةً . وكانت أُم هانئ تُحدِّث تقول : ما رأيت أحدًا كان أحسن ثَغْرًا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وما رأيت بطن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا ذكرت القراطيس[1] المَثنيّة بعضها على بعض — تعني عُكَنه[2] — وقد رأيته دخل يوم الفتح قد ضَفَر رأسه بضَفائِرَ[3] أربع .

قال : وحدّثني عَليّ بن يزيد ، عن أبيه ، عن عمّته ، عن أُمّ سَلَمَة زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالت : ضَفَرت[4] رأس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بذي الحُلَيفة أربع ضَفائِر ، فلم يحلّه حتى فتح مكّة ومقامه بمكّة ، حتى حين أراد أن يخرج إلى حُنَين حلّه وغسلتُ رأسه بسِدْر.

قال : حدّثني عبد الله بن يزيد ، عن أبي حُصَين الهُذَليّ ، قال : لمّا أسلمت هند بنت عُتبة أرسلت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهديّة — وهو بالأَبْطَح — مع مولاةٍ لها ، بجَدْيَين مَرْضوفَين[5] وقَدٍّ[6] . فانتهت الجارية إلى خَيْمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسلّمت واستأذنت ، فأذن لها فدخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو بين نسائه أُم سَلَمَة زوجته ومَيمونة ، ونساء من نساء بني عبد المطّلب . فقالت : إنّ مَوْلاتي أرسلت إليكَ بهذه الهديّة ، وهي مُعْتَذِرةٌ إليك وتقول : إنّ غَنَمنا اليوم قليلة الوالدة . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بارك الله لكم في غنمكم ، وأكثر

---

(١) القراطيس : جمع قرطاس ، وهو الصحيفة من أي شيء كانت ، وهو أيضا برد مصري . (القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٤٠) .
(٢) العكن : جمع العكنة ، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . (القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٤٩) .
(٣) في الأصل : « ظفر رأسه بظفائر » . والضفائر : الذوائب المضفورة . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٢١) .
(٤) في الأصل : « ظفرت » .
(٥) المرضوف : الذي يشوى على الرضف ، والرضف : الحجارة المحماة على النار . (النهاية ، ج ٢ ، ص ٨٥) .
(٦) القد : جلد السخلة . (القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٢٥) .

والدتَها ! فرجعت المولاة إلى هند فأخبرتها بدعاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فسُرَّتْ بذلك ، فكانت المولاة تقول : لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتنا ما لم نكن نَرَى قبْلُ ولا قريبًا ، فتقول هِند : هذا دُعاءُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبركته ، فالحمد لله الذى هدانا للإسلام ! ثم تقول : لقد كنت أَرى فى النوم أَنى فى الشمس أَبدًا قائمة ، والظلّ منّى قريبٌ لا أَقدر عليه ، فلمّا دنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منّا رأَيت كأَنى دخلت الظلّ .

قال أَبو حُصَين : وقدمتْ على النبى صلَّى الله عليه وسلَّم إحدى نساء بنى سعد بن بَكْرٍ – إمّا خالَةٌ أَو عمّةٌ – بِنِحْىٍ [1] مملوء سمنًا وجرابِ أَقِطٍ [2] ، فدخَلتْ عليه وهو فى الأَبْطَح ، فلما دخلت انتسبت له ، فعرفها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ودعاها إلى الإسلام ، فأَسلمت وصدّقت ، ثم أَمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بقبول هديّتها ، وجعل يُسائلها عن حَليمة فأَخبرته أَنها تُوُفِّيت فى الزمان . قال : فذَرَفت عينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم سأَلها : مَن بقى منهم ؟ فقالت : أَخواك وأُختاك ، وهم واللهِ محتاجون إلى بِرِّك وصِلَتك ، ولقد كان لهم مَوْئِل [3] فذهب . وقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أَين أَهلك ؟ فقالت : بذَنَب أَوْطاس . فأَمر لها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بكُسوة ، وأَعطاها جملًا ظَعِينةً [4] ، وأَعطاها مائتى درهم ، وانصرفت وهى تقول : نِعمَ واللهِ المكفولُ كنتَ صغيرًا ، ونِعمَ المرءُ كنت كبيرًا ، عظيم البركة .

قال : فحدّثنى عبد الله بن يَزيد ، عن سَعيد بن عمرو الهُذَلىّ ، قال :

---

(١) النحى : الزق الذى يجعل فيه السمن خاصة . (لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ١٨٣) .

(٢) الأقط : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به . (النهاية ، ج ١ ، ص ٣٦) .

(٣) فى الأصل : « موبل » . والموئل : الملجأ . (الصحاح ، ص ١٨٤٨) .

(٤) فى الأصل : « جمل ظعنته » . والظعينة : الجمل الذى يظعن عليه . (النهاية ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

لمّا فتح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مكَّة بثَّ السرايا ، فبعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وبعث إلى ذى الكَفَّين –صنم عمرو بن حُمَمَةَ – الطُّفَيْلَ بن عمرو الدَّوْسىّ ، فجعل يحرّقه بالنار ويقول :

يا ذا الكَفَّين لستُ من عِبادِكا ... مِيلادُنا أَقدمُ من ميلادِكَا
أنا حَشَشتُ النارَ فى فُؤَادِكا

وبعث سعدَ بن زيد الأَشْهلىّ إلى مَناة بالمُشَلَّل فهدمه ، وبعث عمرو بن العاص إلى صنم هُذيل – سُواع – فهدمه ، فكان عمرو يقول : انتهيت إليه وعنده السادِن ، فقال : ما تُريد ؟ فقلت : هَدْم سُواع . فقال : مالك وله ؟ فقلت : أَمرنى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ! قال : لا تقدر على هَدْمه . قلت : لِمَ ؟ قال : يمتنع . قال عمرو : حتّى الآن أنت فى الباطل ! وَيْحك هل يسمع أَو يُبصر ؟ قال عمرو : فدنوت إليه فكسرته ، وأَمرت أَصحابى فهدموا بيت خِزانته ، ولم يجدوا فيها شيئًا ، ثم قال للسادن : كيف رأَيتَ ؟ قال : أَسلمت لله . ثم نادى مُنادى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّة : مَن كان يُؤمِن بالله وبرسوله فلا يدَعنَّ فى بيته صَنَمًا إلَّا كسره . قال : فجعل المسلمون يكسرون تلك الأَصنام ، وكان عِكْرِمة بن أَبى جَهل حين أَسلم لا يسمع بصَنَمٍ فى بيتٍ من بيوت قُريش إلَّا مشى إليه حتّى يكسره ، وكان أَبو تُجْراة يعملها فى الجاهليّة ويبيعها . قال سعد بن عمرو : أَخبرنى أنه كان يراه يعملها ويبيعها . ولم يكن رجل من قُرَيش بمكَّة إلَّا وفى بيته صنَمٌ .

قال : وحدّثنى ابن أَبى سَبْرَة ، عن سُلَيمان بن سُحَيم ، عن بعض آل جُبَير بن مُطْعِم ، عن جُبَير بن مُطعِم ، قال : لمّا كان يوم الفتح نادى

مُنادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مَن كان يُؤْمن بالله فلا يتركنّ فى بيته صَنَمًا إلّا كسره أو حرقه ، وثَمَنه حَرام . قال جُبَير : وقد كنت أرى قبل ذلك الأصنام يُطاف بها مكّة ، فيشتريها أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم ، وما من رجل من قُرَيش إلّا وفى بيته صَنَمٌ ، إذا دخل مَسَحه وإذا خرج مَسَحه تبرّكًا به .

قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن أبى الزِّناد ، عن عبد المَجيد بن سُهَيل ، قال : لمّا أسلمت هند بنت عُتبة جعلت تضرب صَنَمًا فى بيتها بالقَدوم ، فِلْذةً فِلْذةً ، وهى تقول : كنّا منك فى غُرور !

قال : وحدّثنى محمّد ، عن الزُّهرى ، عن عُبَيد الله بن عُتبة ، قال : أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة خمسَ عشرةَ ، يُصلّى ركعتين .

قال : حدّثنى مَخْرمة بن بُكير ، عن أبيه عرّاك بن مالك ، قال : أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشرين ليلة ، يُصلّى ركعتين .

* * *

تم بعون الله تعالى الجزء الثانى من مغازى الواقدى ،
ويليه الجزء الثالث وأوّله « شأن هدم العزّى » .

فهرست موضوعات

الجزء الثانى

صفحة

صفحة

صفحة

Oxford University Press, Ely House, London, W. 1

GLASGOW NEW YORK TORONTO MELBOURNE WELLINGTON
CAPE TOWN SALISBURY IBADAN NAIROBI LUSAKA ADDIS ABABA
BOMBAY CALCUTTA MADRAS KARACHI LAHORE DACCA
KUALA LUMPUR HONG KONG

THE KITAB AL-MAGHAZI
OF
AL-WAQIDI

VOLUME TWO

EDITED BY
MARSDEN JONES

LONDON
OXFORD UNIVERSITY PRESS
1966